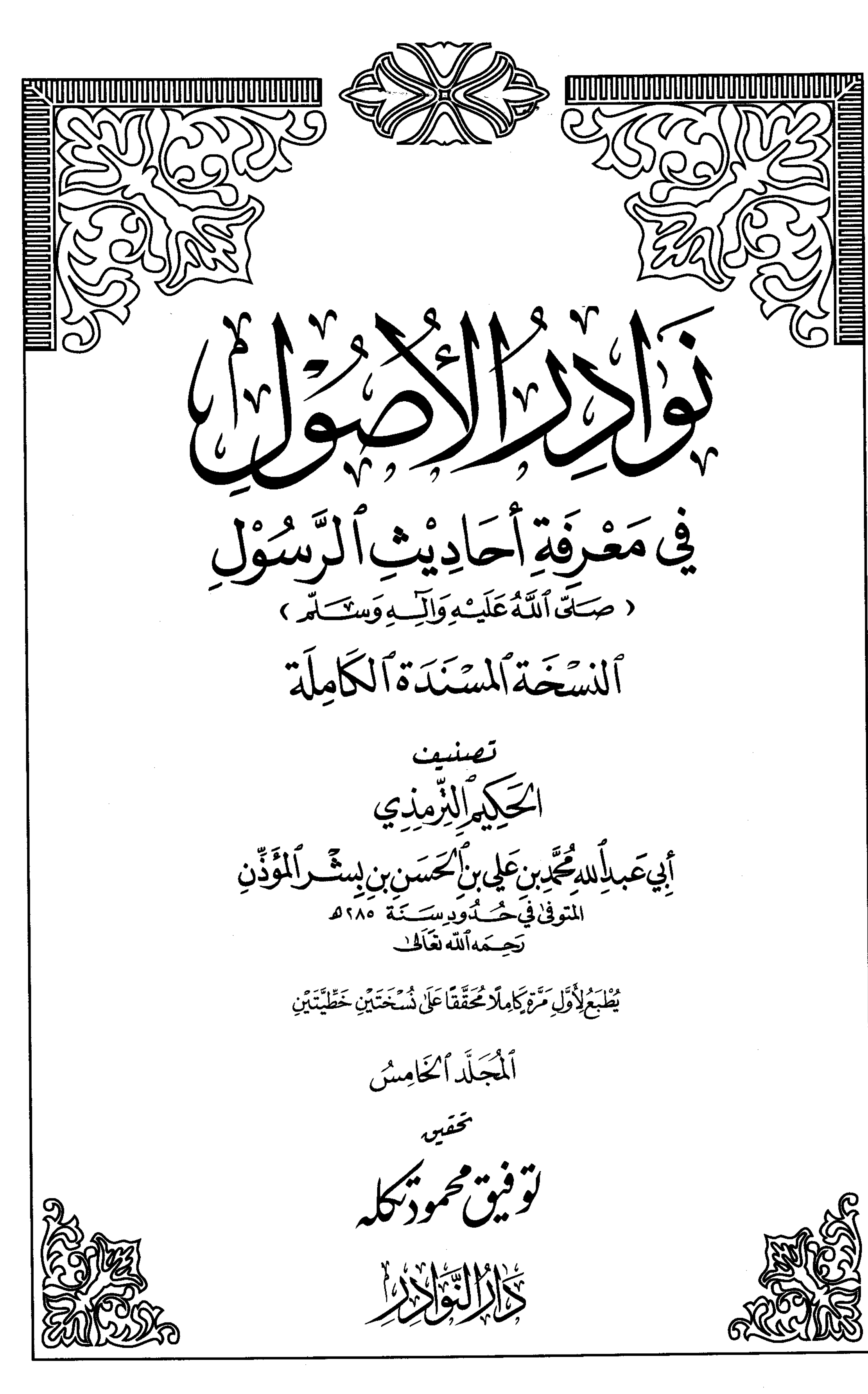
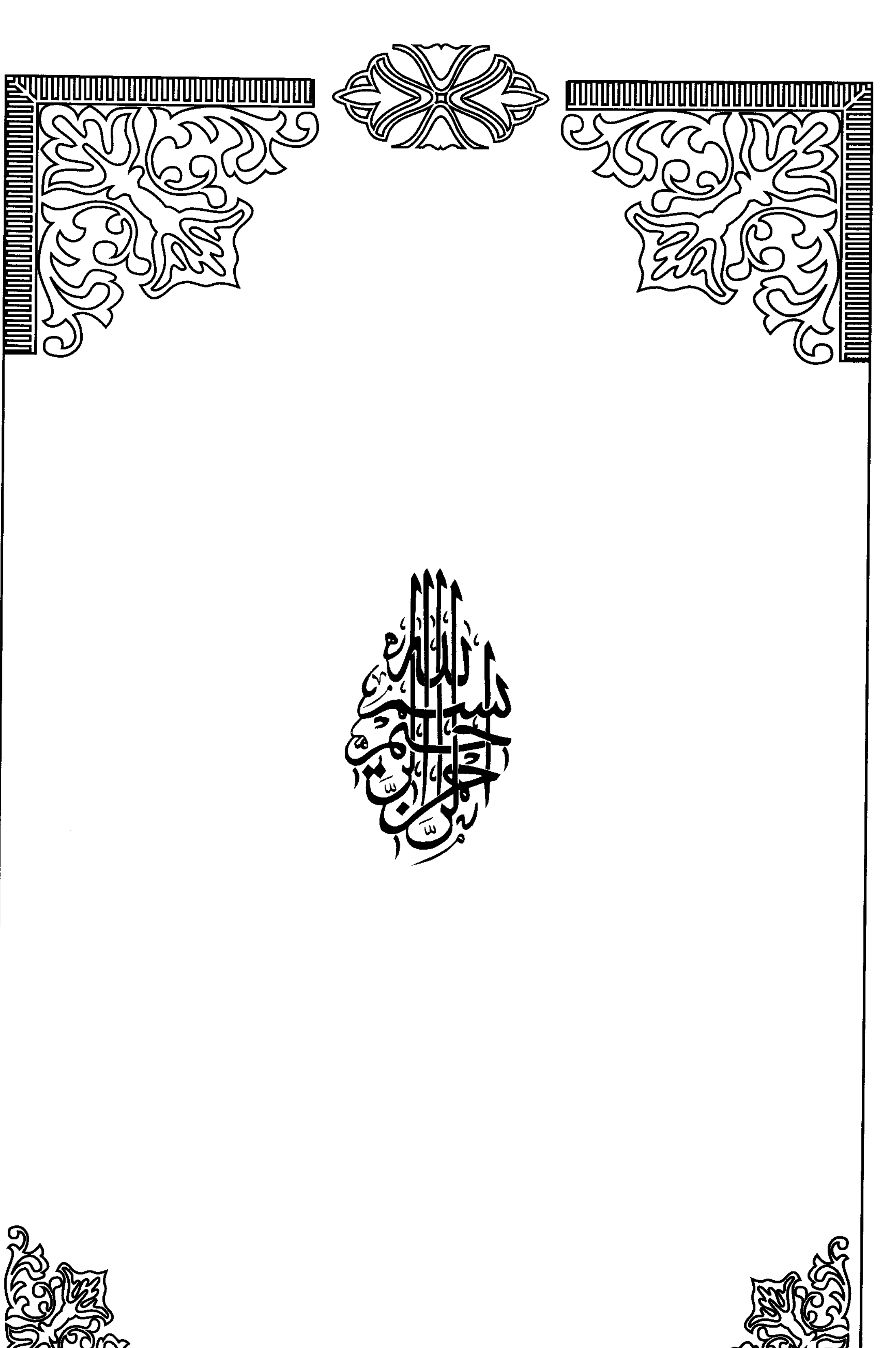
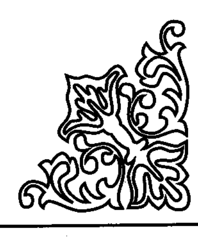
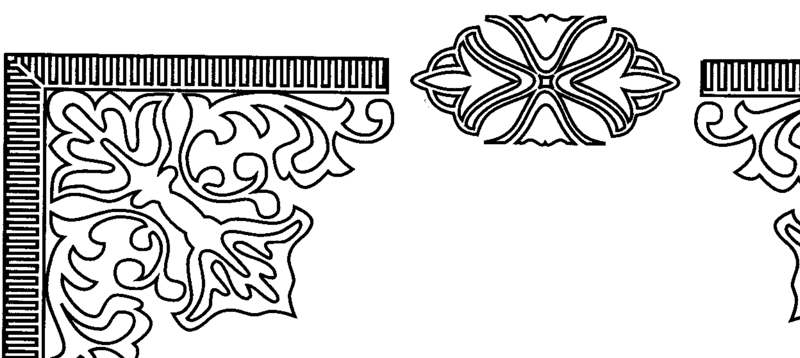
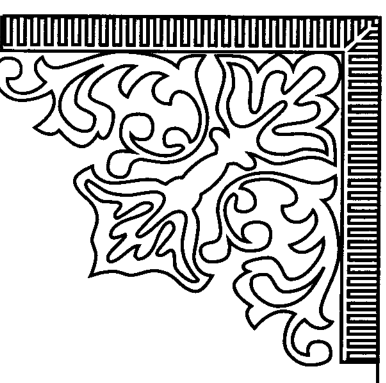

نوادر الأصول
في معرفة أحاديث الرسول
(صلى الله عليه وآله وسلم)
النسخة المسندة الكاملة
تصنيف
الحكيم الترمذي
أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر المؤذن
المتوفى في حدود سنة ٢٨٥هـ
رحمه الله تعالى
يطبع لأول مرة كاملاً محققاً على نسختين خطيتين
المجلد الخامس
تحقيق
توفيق محمود تكله
دار النوادر


بسم الله الرحمن الرحيم


نوادر الأصول



الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

ردمك : ٠ - ٢٥ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ : ISBN

9789933418250



لصاحبها ومديرها العام

نور الدين طالب

سوريا - دمشق - ص . ب : ٣٤٣٠٦

لبنان - بيروت - ص . ب : ١٤/٥١٨٠

هاتف : ٠٠٩٦٣ ١١ ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : ٠٠٩٦٣ ١١ ٢٢٢٧٠١١

www.daralnawader.com






الأصل السادس عشر والمئتان

(١٠٩٢) ـ حدثنا عمرُ بنُ أبي عمرَ، قال: حدثنا موسى ابنُ إسماعيلَ أبو سلمةَ، عن سعيدِ بنِ زربيٍّ[1]، عن ثابتٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ﵁: أن رسولَ الله ﷺ قال: «لَقَد أُوتِيَ أَبُو مُوسَى مِزمَاراً مِن مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ».

فبلغ ذلك أبا موسى، فقال: يا رسول الله! لو علمتُ أنك تستمع لقراءتي، لحبرته لك تحبيراً[2].

فالرمز والزمر: بمعنى واحد، إلا أن الرمز بالشفتين، والزمر بالحنجرة،

---

(١) في الأصل: رزين، وما أثبتناه من «ن».

(٢) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٠٦)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٣٦٦)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٤/ ٢٨٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٥٨) من طريق سعيد بن زربي، به، دون قول أبي موسى.
وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١١٩)، وابن الجعد في «المسند» (ص: ٤٩٦)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٣٦٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٠٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٥١) من طريق ثابت عن أنس، به.

وهو تحريك التركيب من ذلك الموضع على التلوين[١]، والشفتان تركيبهما[٢] كما ترى[٣]، وإذا رمزت، فهو تحريك الشفتين على الصورة التي ركبت؛ لتخرج تلك الألفاظ، فإذا كان بصوت، فهو كلام، وإنما قيل: كلام؛ لأنه يدخل الأسماع، فيكلم الصوتُ القلبَ؛ أي: يؤثر عليه.

ومنه قيل للجراحة: كلم؛ لأنه قد أثر، فإذا دخل الصوت الأسماع، ولج الصدور[٤]، فتصورت معاني ذلك الصوت الذي نطق به في الصدور، وإذا كان بغير صوت، فهو رمز؛ لأنه إشارة إلى حروف بشفتيه؛ ليفهم، فيقوم مقام الصوت.

فهذا بالعين[٥] يدركه القلب علماً، وذلك[٦] بالسمع يدركه القلب كلماً[٧]، فلذلك لا يقال للرمز: كلام.

وأما الزمر: فإذا خرج الصوت من الجو جر الصدر إلى جو الرأس، حرك الحنجرة المركبة[٨] بعضها على بعض، حتى يردد[٩] الصوت ويرجعه، فإذا تردد على هذه الصفة في ذلك التركيب من الحنجرة، وصارت له أصداء،

---

(١) في الأصل: التلوي، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: تركبهما، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: قد ترى.

(٤) في «ن»: الصدر.

(٥) في الأصل: بالمعنى، والصواب من «ن».

(٦) في «ن»: وذاك.

(٧) في «ن»: علماً.

(٨) في الأصل: والمركبة، وما أثبتناه من «ن».

(٩) في «ن»: يرد.

فبذلك الصدى: يتلون الصوت، فيصير ألواناً، وكل شيء صار للآدمي ألواناً، فقد تلذذ به؛ لأن بين اللونين سراً من أمر الله، وتدبيراً من تدبيره[1]، ولطفاً من لطفه لا يدركه إلا لحظات أهل اليقين، ففصل بين اللونين، حتى إذا سمعت الأول، ورد[2] الثاني، ثم عاد الأول، فورد على السمع طرياً، ثم عاد الثاني، فورد طرياً، فبتلك[3] الطراوة على السماع، وجود اللذة، ألا ترى: أنه إذا أدام اللون، سمج، وفقدت لذته؟

وكذلك تجد هذا في الألوان التي تدركها الأبصار، إنما تجد اللذة بالانتساخ، فإذا انتسخت الألـوان بعضها على بعـض، عمـل البصـر فيها ما ذكرنا من الطراوة، وعملت الألوان عليها، ولذت العين.

فالمدبر الحكيم اللطيف له في خلقه عجائب، جعل بين كل شيئين برزخاً من أمره، كما جعـل بين البحـرين حاجـزاً، وبين الليـل والنهـار، وبين[4] النور والظلمة، وبين الكفر والإيمان، وبين الدنيا والآخرة.

والمزمار: على قالب: مِفْعال، وهو الموضع الذي يزمر به[5].

فأخبر رسول الله ﷺ أن هذه الأصوات الزائدة على أصوات العامـة إنما هو من التراكيب الزائدة في الحنجرة[6]، وأن ذلك من عطاء ربنا وفضله

---

(١) في «ن»: تدبير الله.

(٢) في الأصل: وإذا، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: فتلك، وما أثبتناه من «ن».

(٤) وبين: ليست في الأصل، وما أثبتناها من «ن»

(٥) في الأصل: يزمرونه، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: التركيب الزائد والحنجرة، وما أثبتناه من «ن».

وخلقته[1]، وإنما يؤثر من يشاء برحمته، فلما بلغ ذلك أبا موسى، عظمت منة الله عليه أن ركب في جسمه وخلقته شيئاً له موقعٌ عند رسول الله ﷺ موقع جلالةٍ، وأنه من عطايا ربه وفضله[2]، فهذا شأن التركيب.

وأما علم[3] أهل اليقين: فإنهم خصوا بهذا أيضاً من أجل أن ذلك النور يفتح سدد تلك الطرق التي هي مخارج الصوت، فيصفو، وأوفرهم منه حظاً أكثرهم منه قوة، وهذا خارج من شأن التركيب.

ألا ترى: أنه روي في الخبر: أنه قال: «لم يُبعَثْ نَبِيٌّ إِلاَّ حَسَنَ الصَّوتِ حَسنَ الصُّورَةِ»[4].

فقال أبو موسى: لو علمتُ أنك تستمع لقراءتي، لحبرته لك تحبيراً[5].

والتحبير: تلوين الصوت؛ أي: لو علمتُ، كنت أزيد في تحريك هـذا التركيب في الحنجرة لمكانك[6] يا رسول الله، ومنه قيل: برد حبرة: إذا كان ذا ألوان[7].

---

(١) وخلقته: ليست في «ن».

(٢) في «ن»: عند رسول الله ﷺ رسول رب العالمين موقع جلالةٍ، وأنه من عطاء ربه وفضله.

(٣) علم: ليست في «ن».

(٤) أخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ٢٦١)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٧٦) من حديث قتادة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ٤٨٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٣٨٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٤) من حديث بريدة رضي الله عنه.
وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٢٥) وفي «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣٠) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٦) في الأصل: لسارّك، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في الأصل: لون، والصواب من «ن»..

ومنه ما روي عن قتادة: أن رجلاً قال: يا رسول الله! قد رأيت سد يأجوج ومأجوج، قال: «انعَتهُ لِي»، قال: رأيته كالبرد المحبر، طريقة حمراء، وطريقة سوداء[1].

فأصل الحبرة: الألوان، ومنه سمي الربح ربحاً، على القلب من قالبه؛ لأنه ألوان، ومنه قوله: ﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾[الروم: ١٥]، فالروضة لون واحد، ثم تلون عليهم الفرش والخدم والكسوة والأطعمة في تلك الروضة.

فأبو موسى رضي الله عنه كان غنياً بالله، لا تأخذه الأحوال، والأقوال، والأعين، والأشخاص، أتفرَّس فيه أنه من أولياء الله تعالى المشتغلة قلوبهم بنور الله الذين لا تملكهم نفوسهم، ولو حصَّلت ذلك من طريق الأخبار، لحققت فراستي عند من يجهل الفراسة، ويعقله من طريق الخبر، وذلك أنه لما نزل قوله تعالى[2]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة: ٥٤] الآية.

وروي في الخبر: أنها نزلت في الأشعريين.

فما لبثوا إلا يسيراً حتى قدمت سفائن الأشعريين وقبائل اليمن من طريق البحر، وكان لهم بلاء في الإسلام في زمن[3] رسول الله ﷺ، وكانت عامة فتوح العراق في زمن[4] عمر رضي الله عنه على يد قبائل اليمن.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٦/ ٢٣).

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٥٨) لابن جرير، وابن مردويه.

(٢) في «ن»: لما نزلت.

(٣) في «ن»: زمان.

(٤) في «ن»: زمان.

(١٠٩٣) ـ حدثنا عمرُ، قال: حدثنا يحيى بنُ عبدِالله ابنِ بكيرٍ المصريُّ، قال: حدثني الليثُ بنُ سعدٍ، عن خالدِ ابنِ يزيدَ، عن سعيدِ بنِ أبي هلالٍ، عن زيدِ بنِ أسلمَ: أن الأشعريين: أبا موسى، وأبا مالك، وأبا عامر في نفر منهم[1] لما هاجروا، قدموا على رسول الله ﷺ في فُلْك، وقد أرملوا من الزاد، فأرسلوا رجلاً منهم إلى رسول الله ﷺ، فسأله، فلما انتهى إلى باب رسول الله ﷺ، سمعه يقرأ هذه الآية: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[هود: ٦]، فقال الرجل: ما الأشعريين[2] بأهون الدواب على الله؟ فرجع ولم يدخل على رسول الله ﷺ، فقال لأصحابه: أبشروا[3]، أتاكم الغوث، ولا تظنوا إلا أنه قد[4] كلَّم رسولُ الله ﷺ ربَّه، فوعده، فبينما هم كذلك، إذ أتاهم رجلان يحملان قصعة بينهما مملوءة خبزاً ولحماً، فأكلوا منها ما شاؤوا.

(١) في نفرٍ منهم: ليست في الأصل، وأثبتناها من «ن».

(٢) في الأصل: الأشعريون، وما أثبتناه من «ن».

(٣) أبشروا: ليست في الأصل، وأثبتناها من «ن».

(٤) قد: ليست في «ن».

ثم قال بعضهم لبعض: لو أنا رددنا هذا الطعام إلى رسول الله ﷺ ليقضيَ به حاجته، فقالوا للرجلين: اذهبا[1] بهذا الطعام إلى رسول الله ﷺ، فإنا قد قضينا حاجتنا، ثم إنهم أتوا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! ما رأينا طعاماً أكثرَ ولا أطيبَ من طعام أرسلتَ به، قال: «مَا أَرسَلتُ إِلَيكُم شَيئاً[2]»، فأخبروه بأنهم أرسلوا صاحبهم، فسأله رسولُ الله ﷺ، فأخبره ما صنع، وما قال لهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «ذَلِكَ شَيءٌ رَزَقَكُمُوهُ اللهُ»[3].

(١٠٩٤) ـ وحدثنا إسماعيلُ بنُ نصرٍ، عن النضرِ، عن شعبةَ، عن سماكِ بنِ حربٍ، قال: سمعتُ عياضاً ـ رجلاً من الأشعريين ـ، قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، قال رسولُ الله ﷺ: «هُم قومُ هَذَا» ـ وأشار إلى أبي موسى الأشعري[4] ـ[5].

---

(١) في الأصل: فاذهبا، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: طعاماً.

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٠١ ـ ٤٠٢) للحكيم الترمذي، عن زيد ابن أسلم ﷺ.

(٤) الأشعري: ليست في «ن».

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ١٠٧)، وابن أبي شيبة في =

(١٠٩٥) ـ حدثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ، قال: ثنا يزيدُ بنُ هارونَ، عن حميدٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه: أن رسولَ الله ﷺ قال: «يَقدَمُ عَلَيكُم قَومٌ هُم أَرَقُّ أَفئِدَةً مِنكُم»، فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى، فجعلوا يرتجزون ويقولون:

غَداً نَلقَى الأَحِبَّهْ ... مُحَمَّداً وَحِزبَهْ[1]

فأبو موسى من أهل هذه الصفة فيما تفرسنا به فيه ممن لا يخافون في الله لومة لائم، ومن أهل محبة الله، بل هو أوفرهم حظاً ـ إن شاء الله تعالى ـ، فلم يكن تأخذه محمدة الخلق فتملكه.

= «المصنف» (٦/ ٣٨٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ ٤٦٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣٧١)، وتمام الرازي في «الفوائد» (٢/ ٤٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٣٣) من طريق شعبة، به.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٦): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٢) لعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الدلائل» عن عياض الأشعري رضي الله عنه.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٨٦)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٨٤٥) من طريق يزيد بن هارون، به.

وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٣٥٢)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٢٢٣)، وابن حبان في «الصحيح» (٧١٩٢) من طريق حميد، به.

فلذلك أمكنه أن يقول: لو علمتُ أنك تستمع لقراءتي، لحبرته لك تحبيراً.

أي: يبتغي بذلك مساره، فيخلص في ابتغاء ذلك، وهذا[1] لمن سقط عن قلبه محمدة الناس.

وكذلك روي عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «المُخلِصُ: لاَ يُحِبُّ أَن يَحمَدَهُ النَّاسُ في شَيءٍ مِن عَمَلِهِ»[2].

والإنفاق من الصوت كالإنفاق من المال، فمن أمكنه أن يصدق الله في الإنفاق من ماله، فهذا أمكنه أن ينفق من صوته الميمون عليه[3] جهراً، وأحقهم أن ينفق عليه الرسول ﷺ؛ لأن الصوت الحسن حلية القرآن.

وكذلك جاء عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «لِكُلِّ شَيءٍ حِليَةٌ وَزِينَةٌ، وَحِليَةُ القُرآنِ: الصَّوتُ الحَسَنُ»[4].

---

(١) في «ن»: فهو.

(٢) أخرج ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٣٤)، وأحمد في «الزهد» (ص: ٥٥)، وفي «العلل ومعرفة الرجال» (٣/ ٦٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٤٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٤٧) من حديث أبي ثمامة ﷺ قال: قال الحواريون لعيسى ﵇: يا روح الله! من المخلص لله؟ قال: الذي يعمل لله، لا يحب أن يحمده الناس عليه.

(٣) قوله: فهذا أمكنه أن ينفق من صوته الميمون عليه: ليس في «ن».

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ٤٨٤)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ١٣٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٢٦٨) من حديث أنس ﷺ.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٧١): أخرجه البزار، وفيه: عبدالله بن المحرر، وهو متروك.

وأحسنهم صوتاً أحسنهم حلية، فحلية تدرك بالعين، وحلية تدرك بالسمع، ومرجع ذلك كله إلى أن يحل القلب، فأولاهم أن ينفق عليه من ذلك رسولُ الله ﷺ، فلذلك قال: لحبرته لك تحبيراً.

(١٠٩٦) ـ حدثنا صالحُ بنُ عبدِالله، قال: حدثنا فَرَجُ ابنُ فَضالةَ، قال: حدثنا أبو هريرةَ الدمشقيُّ، عن صدقةَ، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، قال: كان داودُ عليه السلام يقرأ الزبور سبعين صوتاً يلون فيها، وكان يقرؤه قراءة يطرب منها المحموم، وكان إذا أراد أن يبكي نفسه، لم تبق دابة في برٍّ ولا بحرٍ إلاَّ استمعن[١] لصوته[٢].

(١٠٩٧) ـ حدثنا نصرُ بنُ فضالةَ، قال: حدثنا عمرُو ابنُ الحسنِ الجزريُّ[٣]، قال: حدثنا أبو عاصمٍ النبيلُ، عن ابنِ جريجٍ، قال: سألت عطاءً عن القراءة على ألحان المغنى، فقال[٤]: حدثني عبيدُ بنُ عميرٍ[٥]: أن داودَ عليه السلام

---

(١) في الأصل: استمعوا، وما أثبتناه من «ن».

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤/ ٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.
وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٨/ ٣٠٤) لابن زنجويه.
وفيه: فرج بن فضالة، ضعيف كما تقدم مراراً.

(٣) لعل الصواب: عمرو بن خالد أبو الحسن الجزري.

(٤) في «ن»: قال.

(٥) في «ن»: عمر.

كان يأخذ المِعْزَفَةَ، فيضرب بها عند قراءة الزبور، يريد أن يَبكي ويُبكي[1].

(١٠٩٨) ـ حدثنا صالحُ بنُ عبدِالله، قال: حدثنا عمرُ ابنُ هارونَ، عن ابنِ جريجٍ، قال: أخبرني عطاءٌ، قال: سمعتُ عبيدَ بنَ عميرٍ يقول: كان داودُ ﷺ يأخذ المعزفـةَ فيضرب بها[2]، ويبكي.

فالمعزفة تهيج من معدن السرور، وما فيه من معدن الحزن، هكذا الظاهر من التدبير: أن المعازف إنما تكون في مواضع السرور، وفي أوقاتها، والنوائح في أوقات الأحزان، فذكر عند هاهنا شأن المعزفة، ثم ذكر البكاء.

فدل ذلك أن هذا بكاء للشوق؛ لأن المشتاق الهائم من طول الغيبة والحبس عمَّن اشتاق إليه يشتد حزنه، وفي باطن حزنه سرور[3]؛ لأن الحب أصله، والسرور من الحب، والشوق من السرور، والحزن من أجل الشوق، فإذا لاقى قلبه أصوات السرور، بكى، فكان هذا دليلاً من فعله أنه كان يضرب بالمعزفة، يريد أن يَبكي، ويُبكي المشتاقين.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ١٠١) من طريق ابن جريج، به.

(٢) في «ن» زيادة: ثم يقرأ عليهم يزيد عليها صوته يريد أن يَبكي بذلك.

(٣) في «ن»: السرور.





الأصل السابع عشر والمئتان

(١٠٩٩) ـ حدثنا عمرُ بنُ أبي عمرَ، قال: حدثنا الحسنُ ابنُ عليٍّ الخلاَّلُ الحلوانيُّ، قال: حدثنا عبدُ الصمدِ بنُ عبدِ الوارثِ، قال: حدثنا هاشمُ بنُ سعيدٍ الكوفيُّ، قال: حدثنا زيدٌ الخثعميُّ، عن أسماءَ بنتِ عُمَيسٍ، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بِئسَ العَبدُ عَبدٌ تَجَبَّرَ وَاعتَدَى، وَنَسِيَ الجَبَّارَ الأَعلَى، بِئسَ العَبدُ عَبدٌ سَهَا وَلَهَا، وَنَسِيَ المُبتَدَأَ وَالمُنتَهَى، بِئسَ العَبدُ عَبدٌ بَغَى وَعَتَا، وَنَسِيَ المَقَابِرَ وَالبِلَى، بِئسَ العَبدُ عَبدٌ يَختَالُ بِالدِّينِ الدُّنيَا، بِئسَ العَبدُ عَبدٌ يَختَالُ الدُّنيَا بالشُّبُهاتِ[١]، بِئسَ العَبدُ عَبدٌ يُذِلُّهُ الرُّعبُ عَنِ الحَقِّ، بِئسَ العَبدُ عَبدٌ طَمَعٌ يَقُودُهُ، بِئسَ العَبدُ عَبدٌ هَوًى يُضِلُّهُ»[٢].

---

(١) في الأصل: بالشهوات، والمثبت من «ن».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٤٨)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (ص: ٢٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ١٥٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥١)، =

فأما قوله: «تَجَبَّرَ وَاعتَدَى»، فهذا صنف في الناس احتشى من الشهوات، وجبر الخلق على هواه فيها، وصار ذلك له[1] عادة، واعتدى في جبريته فيها[2]، فمن خالف هواه، قهره، إما بقتل، أو نحوه.

والعدو: هو أن يأبق العبد من ربه إباقاً يقع في العدو، وكالركض في السرعة هرباً، فإذا وصف عدوه، فالبالغ من الصفة، قيل: عدوان على قالب: فُعلان، فإذا وصف ببعضه، قيل: عادى، فإذا صار ذلك[3] له عادة، قيل: اعتدى، على قالب: افتعل، كأن العادة صارت له دأباً، فوصف أن هذا عبد عمل بهواه، وجبر الخلق على ذلك، ونسي الجبار الأعلى الذي له الجبر، وقد صغرت الدنيا بمن فيها من الخلق والخليقة، والملكوت علواً وسفلاً في ملك جبروته، ودق.

وقوله: «عَبدٌ سَهَا وَلَهَا، وَنَسِيَ المُبتَدأَ وَالمُنتَهَى» فسهوه بالأماني، ولهوه بالشهوات[4]، ونسي المبتدأ، من أين خلق؟ ونسي المنتهى، إلى أين يرد؟ نسي من أين بدأ، وإلى أين يعاد؟

= والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٨٧) من طريق عبد الصمد، به.

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي.

وقال الحاكم: هذا حديث ليس في إسناده أحد منسوب إلى نوع من الجرح، وإذا كان هكذا، فإنه صحيح، ولم يخرجاه.

(١) له: ليست في «ن».

(٢) فيها: ليست في «ن».

(٣) ذلك: ليست في «ن».

(٤) في الأصل: قهره بالأماني وهزه بالشهوات، والمثبت من «ن».

وقولـه: «عَبدٌ بَغَى وَعَتَا، وَنَسِيَ المَقَابِرِ وَالبِـلَى» والبغي: طلب العلو، وكلما رأى في الدنيا درجة، أحب أن ينال ذلك، ويسلب غيره، فهو باغ للمنازل؛ يحب أن ينفرد بها دون نظرائه.

وعتا: أي؛ يبس قلبه، انتشفت حرارةُ شهوته رطوبةَ قلبه، وما ركب فيه من الرأفة والرحمة الخلقية الطبيعية[1]، وإذا يبس ذاك[2]، وصار إيمانه محجوباً، فلا إيمانه عَمِلَ عَمَلَ الرأفة والرحمة، والعطف، والبر، والرفق، والسخاوة، ومحاسن الأخلاق، ولا الذي ركب في طبائع الآدميين من ذلك بقيت رطوبته[3]، فيعمل عمله، فهذا قلب قاسٍ عاتٍ يابسٌ من الخير، قد انتشفت منه ماء الرحمة، فهذا متكبر، فمن الكبر طلب العلو، ومن الكبر[4] عتا، فذهب رفقـه، وصبره، وتأنيـه، وحلمـه، وحياؤه، ورأفتـه، وعطفـه، ورحمتـه، ونسي أن القبر متضمنـه يوماً، ويحتوي على أركانـه، ومبلٍ لحمَه، ودمَه أكلاً أكلاً، حتى يصير من اللحد فقيداً.

وقوله: «عَبدٌ يَختَالُ بِالدِّينِ الدُّنيَا» فهذا عبد متصنع، مداهن، قلَّت مبالاته بنفسه على الحقيقة، إنما يبالي بما يعرض له في العاجل من النهمة لما ينالها؛ لبعد قلبه عن الآخرة، ومن بعد قلبه عن الآخرة، فهو من البر أبعد وأبعد، فقد ترصد للتوثب[5] على الدنيا؛ ليظفر بها منتهزاً لفرصتها

---

(١) في الأصل: الخليقة والطبيعة، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: ذلك.

(٣) في الأصل: بقيت له رطوبة، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: التكبر، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: الثواب، وما أثبتناه من «ن».

يتحلى بظاهر الإيمان؛ ليصطاد بها الدنيا، صير معالم الإيمان شبكة لحطام الدنيا وأوساخها، يُظهر الخشوعَ بالتماوت كي يحظى عند أهل الدنيا، فينال من عزها وجاهها؛ كي ينال بها مناه وشهواته، يتحازن عند لقاء الخلق، ويتنفس الصعداء، يظهر بذلك الاهتمام لدينه، والتحسر على إدبار أمره، وإنما هو آسف منه على ما يفوته من الدنيا، يمتنع من قبول الشيء اليسير من الدنيا؛ ليكون في هيئة الزاهدين عند الخلق، يخاف إن قبله أن ينكسر جاهه عند الخلق ورياسته؛ لأنه يصير عندهم في صورة الراغبين، فهو مع الحاجة[1] هكذا ينتظر فريسته، فكل باب من الأبواب المنالات الدنياوية[2] قد هيأ له باباً من أبواب الدين؛ ليختله من أيديهم بذلك، يُظهر الزهادة؛ ليختال عليه بالدنيا، ويُظهر العبادة؛ ليُهيأ له، ويُكفى مؤنَه، ويُظهر الورع؛ ليؤتمن على الأموال، ويُظهر الانقباض؛ ليهاب، ويظهر الشدة[3] على أهل الريب؛ ليشار إليه بالأصابع، ويطلب الرياسة؛ ليحكم بين[4] الخلق في معاملته بحكم الملوك، ويطلب العز؛ لنفاذ مشيئاته فيهم، كل ذلك ختلاً لنوال هذه الدنسة التي خلقت من تراب، ثم يتخلى عنها أوفرَ ما كانت، حتى تكون فريسة الأسد[5] والذئاب والثعالب.

قوله: «يختل الدُّنيا بِالشُّبهاتِ»: فهذا[6] أيسر من الذي يختله بالدِّين،

(١) في الأصل: الجاه، وما أثبتناه من «ن».
(٢) في الأصل: فكل باب من أبواب مبالات الدنيا، والمثبت من «ن».
(٣) في «ن»: شدة.
(٤) في «ن»: في.
(٥) في «ن»: الأسدان.
(٦) في الأصل: فهذه، والصواب من «ن».

فهذا رجل فرَّ من الحرام، وتغمص في[1] الشبهة، فهو يخادع الله بذلك[2]، يقول: أفر من الحرام.

قوله: «عبد يذله الرعب عن الحق» إذا استقبله حق من حقوق الله تعالى، فأراد أن يقيمه، جاءت النفس بسوء ظنها، فخوفته وجوه المهالك[3] حتى ترغبه، فتذله، وقد ندب[4] الله تعالى في تنزيله، فقال: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[النساء: ١٣٥]، فهذا العبد من سوء الظنون علاه الرعب، فانكسر قلبه، وانخلع جبناً، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ مَا فِي الإِنسَانِ: حِرصٌ هَالِعٌ، وَجُبنٌ خَالِعٌ»[5].

فالحرص: يورث القلب هلعاً، وهو: أن لا يشبع، كلما وجد شيئاً، بلعه، ولا قرار له، ولا يرى[6] في جوفه ذلك، والجبن إذا انتفخت الرئة منه

---

(١) في «ن»: عند.

(٢) في الأصل: في ذلك، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: المالك، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: ندبه.

(٥) أخرجه أبو داود (٢٥١١)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٢)، وابن المبارك في «الجهاد» (ص: ٩٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣٣٢)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (ص: ٣٤٦)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ٤١٧)، وابن حبان في «الصحيح» (٣٢٥٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٥٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٢٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٢٤)، وفي «السنن الكبرى» (٩/ ١٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٦/ ٣٤٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٦) في «ن»: يتبين.

من الفزع، خلع القلب من مكانه.

قوله: «عَبدٌ طَمَعٌ يَقُودُهُ»، فالطمع: هو أن يتمنى أمراً من شهوات الدنيا، فلا يزال يتمنى، ويفكر حتى يجد طمعه من الفكر الذي حاك في صدره، فإذا وجد القلب طمعه، قادته تلك الشهوة.

قوله: «عَبدٌ هَوًى يُضِـلُّهُ»، فالهوى المضل: ترك الحق في أموره، وترك الحق في السير إلى الله، حتى يقع في الباطل، وحتى يقع في الأهواء والزيغ عن سواء السبيل.





الأصل الثامن عشر والمئتان

(١١٠٠) ـ حدثنا عمرُ بنُ أبي عمرَ، قال: حدثنا أبو همامٍ الدلالُ، عن إبراهيمَ بنِ طُهمانَ، عن عاصمِ بنِ أبي النُّجودِ، عن زِرِّ بنِ حُبيشٍ، عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﵁، عن رسولِ الله ﷺ: أَنَّهُ أَتَاهُ جِبرِيلُ ﵇، فَبَينَا هُوَ عِندَهُ، إِذ أَقبَلَ أَبُو ذَرٍّ ﵁، فَنَظَرَ إِليهِ جِبرِيلُ[1] ﵇، فَقَالَ: هُوَ أَبُو ذَرٍّ. قَالَ: فَقُلتُ: يَا أَمِينَ اللهِ! وَتَعرِفُونَ أَنتُم أَبَا ذَرٍّ؟ قَالَ: نَعَم، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ! إِنَّ أَبَا ذَرٍّ أَعرَفُ فِي أَهلِ السَّمَاءِ مِنهُ فِي أَهلِ الأَرضِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِدُعَاءٍ يَدعُو بِهِ كُلَّ يومٍ مَرَّتَينِ، وَقَد تَعَجَّبَتِ المَلَائِكَةُ مِنهُ، فَادعُ بِهِ، فَسَلهُ عَن دُعَائِهِ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! دُعَاءٌ تَدعُو بِهِ كُلَّ يومٍ مَرَّتَينِ؟»، قال: نعم فداك أبي وأمي، ما سمعته من بشر،

---

(١) في الأصل: فنظر جبريل، والصواب من «ن».

فإنما هو عشرة أحرف ألهمني ربي إلهاماً، وأنا أدعو به كل يومٍ مرتين: أستقبل القبلة، فأسبح الله ملياً، وأهلله ملياً، وأحمده ملياً، وأكبره ملياً، ثم أدعو بتلك العشر كلمات: اللَّهُمَ إنِّي أَسأَلُكَ إيمَاناً دائِماً، وَأَسأَلُكَ قَلباً خَاشِعاً، وَأَسأَلُكَ عِلماً نَافِعاً، وَأَسأَلُكَ يَقِيناً صَادِقاً، وَأَسأَلُكَ دِيناً قِيماً، وَأَسأَلُكَ العَافِيَةِ مِن كُلِّ بَلِيَّةٍ، وَأَسأَلُكَ تَمَامَ العَافِيَةِ، وَأَسأَلُكَ دَوَامَ العَافِيَةِ، وَأَسأَلُكَ الشُّكرَ عَلَى العَافِيَةِ، وَأَسأَلُكَ الغِنَى عَنِ النَّاسِ.

قال جبريل عليه السلام: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ! لاَ يَدعُو أَحَدٌ مِن أُمَّتِكَ هَذَا الدُّعَاءَ إلاَّ غُفِرَت لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِن كَانَ أَكثَرَ مِن زَبَدِ البَحرِ، وَعَدَدِ تُرَابِ الأَرضِ، وَلاَ يَلقَى اللهَ أَحَدٌ مِن أُمَّتِكَ وَفِي قَلبِهِ هَذَا الدُّعَاءُ إلاَّ اشتَاقَت إِلَيهِ الجِنَانُ، وَاستَغفَرَ لَهُ المَلَكَانِ، وَفُتِحَت لَهُ أَبوَابُ الجَنَّةِ، وَنَادَت المَلاَئِكَةُ: يَا وَلِيَّ اللهِ! اُدخُل مِن أَيِّ بَابٍ شِئتَ[1].

قوله: «إيماناً دائماً» فالدوام على وجهين:

وجه: أن يدوم له توحيده حتى يختم له بذلك، فلا يُسلبه، فيلقى ربه

---

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٢/ ٢٨٧) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن علي رضي الله عنه.

وإسناده ضعيف.

بإيمانه، فيدوم ذلك أبداً.

والوجه الآخر: أن يكون له يقين يصير أموره على المعاينة، ولا ينقطع ذكر الله[1] عن قلبه على كل حال.

ومنه قول أبي الدرداء ﷺ حين بلغه أن فلاناً أعتق مئة رقبة، فقال: إيمان ملزوم بالليل والنهار، ولسانك رطب بذكر الله تعالى أفضلُ من ذلك[2].

وقال ابن رواحة: مثل الإيمان مثل قميصك، بينا أنت لبسته، إذ أنت نزعته، وبينا أنت نزعته، إذ أنت لبسته[3].

فإذا دام الإيمان على القلب، دام الذكر.

ومن هاهنا قال معاذ ـ رضي الله تعالى عنه ـ: تعال حتى نؤمن ساعة.

فكانوا[4] يطلبون دوام الإيمان على قلوبهم.

ومن هاهنا قال رسول الله ﷺ: «أَشَدُّ الأَعمَالِ: ذِكرُ اللهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»[5].

فكان القوم يتفقدون هذا من أنفسهم أن يكونوا كما آمنوا، فإن[6] النعمة

---

(١) في «ن»: ذكره.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٥٩)، وأحمد في «الزهد» (ص: ١٣٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٣٥) عن سالم بن أبي الجعد رحمه الله.

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨/ ١١١ ـ ١١٢).

(٤) في «ن»: فكان القوم.

(٥) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢٥٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٨٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٨٣) عن أبي جعفر، من قوله. وسيعيده المصنف في الأصل السابع والستين والمئتين بسنده عن أبي جعفر، مرسلاً، فانظره.

(٦) في «ن»: بأن.

من الله أن يجدوا دوام ذلك الإيمان على قلوبهم في وقت النعمة، وكذلك في البؤس والشدة، فيكونوا عند أحكامه عليهم في الأحوال مطمئنين به، كما اطمأنوا به رباً، فهذا دوام الإيمان.

وقال أبو أيوب الأنصاري ﷺ: ليأتين على الرجل أحايين وما على جلده موضع[1] إبرة من النفاق، وليأتين عليه أحايين وما على جلده موضع إبرة من الإيمان.

(١١٠١) ـ حدثنا بذلك قتيبةُ بنُ سعيدٍ[2]، قال: حدثنا ابنُ لهيعةَ[3].

معناه على ما وصفناه[4] بدءاً: أنه يصير قلبه خالياً عن[5] ذكر كل شيء، ويتفرد للفرد الواحد، فيأنس به، ويطمئن إلى حكمه، فلم يبق فيه شيء من النفاق، فإذا غلبت شهوة أو رغبة، أو رهبة أو غضبة[6]، فملكته نفسُه، صار إيمانه في قلبه كشمس قد انكسفت، فذهب ضوءها[7]، فجاءت[8] النفس، فطالبها بظلمها[9] وداهيتها، فإنما سأل إيماناً دائماً؛ أي: يدوم له شمسه،

---

(١) في الأصل: موضع جلده، وما أثبتناه من «ن».
(٢) ابن سعيد: ليست في «ن».
(٣) تقدم تخريجه في الأصل الثالث والخمسين، فانظره.
(٤) في «ن»: وصفنا.
(٥) في «ن»: من.
(٦) في «ن»: غضب.
(٧) في الأصل: ضوءه، وما أثبتناه من «ن».
(٨) في الأصل: فجاز، وما أثبتناه من «ن».
(٩) بظلمها: ليست في الأصل، وأثبتناها من «ن».

فلا ينكسف حتى يكون صدره مستنيراً بنور اليقين في كل أمر.

قوله: «قلباً خاشعاً»، فهو الذي قد ماتت شهواته[1]، فذلت النفس[2] لله تعالى، وخشع القلب بما طالع من جلال الله وعظمته.

وقوله[3]: «علماً نافعاً»، فهو العلم الذي قد تمكن في الصدر[4]، وتصوره، ذلك أن النور إذا أشرق في الصدر، تصورت الأمور حسنُها، وسيئها، ووقع لذلك ظل في الصدر، فهو صورة الأمور، فيأتي حسنها، ويجتنب سيئها، فذلك العلم النافع من نور القلب، خرجت تلك العلائم إلى الصدر، وهي علامات الهدى والعلم الذي قد تعلمه، فذاك علم البيان[5] إنما هو شيء قد استودع الحفظ، والشهوة غالبة عليه، قد أحاطت به، وأذهبت بظلمتها ضوءه.

قوله[6]: «ويقيناً صادقاً»، فاليقين على وجهين:

وجه: أن يوقن يقيناً ينفي الشك، ولا يغلب الشهوة، وهو[7] يقين التوحيد.

واليقين الآخر: نور مشرق للصدر، غالب للشهوات[8]، صارت له[9]

(١) في «ن»: شهوته.
(٢) في الأصل: نفسه، وما أثبتناه من «ن».
(٣) في «ن»: قوله.
(٤) في الأصل: الصدور، وما أثبتناه من «ن».
(٥) في «ن»: اللسان.
(٦) في «ن»: وقوله.
(٧) في الأصل: هو، وما أثبتناه من «ن».
(٨) في الأصل: الشهوات، والصواب من «ن».
(٩) له: ليست في الأصل، وأثبتناها من «ن».

أمور الدنيا والآخرة، وأمر الملكوت معاينة، قد ورث قلبه الخشية، والمحبة، والهيبة، والتعظيم لله.

قوله: «ودينا قيماً»، والدين: الخضوع لله بأمره ونهيه، وأن يكون سيره إليه في الشريعة على سبيل الاستقامة، لا زيغ فيه ولا بدعة، وهو كما وصف الله عز وجل في تنزيله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[البينة: ٥].

فأمروا أن يعبدوا الله، فيُحِلوا ما أحلَّه، ويحرموا ما حرمه، ويؤدوا الفرائض، ويجتنبوا المساخط، فإذا دان الله بغير ما شرع الله له[١] في الشريعة، لم يقبل منه، وليس ذلك بالدين القيم، بل هو ساقط، هذا أدناه.

وأعلاه: أن يدين لله، حتى[٢] لا يلتفت إلى أحد سواه، فيكون هو ثقته وملجأه ومفزعه، ولا يطمئن إلى أحد سواه، فيكون هو متعلَّق قلبه، فهذا أعلا الدين القيم.

قوله[٣]: «والعافية من كل بلية»، فالبلاء على ثلاثة أضرب:

منها: تعجيل عقوبة للعبد.

ومنها[٤]: امتحان ليبرز ما في ضميره، فيظهر لخلقه درجته، أين هو من ربه.

---

(١) له: ليست في «ن».

(٢) حتى: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: وقوله.

(٤) في الأصل: منها، والصواب من «ن».

ومنها: كرامته[1]؛ ليزداد عنده قربة وكرامة.

فأما تعجيل العقوبة[2]، فمثل ما نزل بيوسف عليه السلام من لبثه في السجن، بالهمِّ الذي همَّ به، ومن لبثه بعد مضي المدة في السجن بقوله: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[يوسف: ٤٢].

وأما الامتحان: فمثل ما نزل بأيوب عليه السلام، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص: ٤٤].

وأما الكرامة: فمثل ما نزل بيحيى بن زكريا عليهما السلام، الذي لم يعمل خطيئة، ولم يهم بها، فذُبح[3]، وأُهدي رأسه إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل، فسأل العافية من ذلك كله.

والعافية: أن يكون في كل وجه من هذه الوجوه إذا حل به شيء من ذلك أن لا يكله إلى نفسه، ولا يخذله، ويكلأه، ويرعاه في كل هذه الوجوه، هذا وجه.

والوجه الآخر: أن يسأله أن يعافيه من كل شيء فيه شدة[4]؛ فإن الشدة إنما يحل أكثرها من أجل الذنوب، فكأنه سأل[5] أن يعافيه من البلاء، ويعفو عنه الذنوب التي من أجلها تحل الشدة بالنفس، فقد قال عز وجل:

---

(١) في الأصل: كرامة، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: عقوبة.

(٣) في «ن»: فذبح ذبحاً.

(٤) في «ن»: من كل شر وشدة.

(٥) في «ن»: سأله.

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[الشورى: ٣٠]، وقال[1]: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ ﴾[السجدة: ٢١].

قوله: «ودوام العافية» بأن تدوم له، ولا تنقطع.

وقوله: «وتمام العافية»، فأن تكون عافية لا شوبَ فيها.

وقوله: «والشكر على العافية»؛ فإن الشكر به ترتبط النعمة، وتجلب المزيد.

قوله: «والغنى عن الناس»، فإنما يستغني[2] عن الناس إذا استغنى بالله، ففيه الخروج من الرق إلى الحرية، ومن لم ينقطع طمعه عن الخلق، فهو على خطر عظيم من أمر الله ﷻ، وهو مفتون.

❐ ❐ ❐

---

(١) في «ن»: وقال سبحانه.

(٢) في الأصل: فإنما استغنى، وما أثبتناه من «ن».



الأصل التاسع عشر والمئتان

(١١٠٢) ـ حدثنا محمدُ بنُ أيوبَ السمنانيُّ، قال: حدثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ، قال: حدثنا وهيبٌ، قال: حدثنا ابنُ طاوسٍ، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «العَينُ حَقٌّ، وَلَو كَانَ شَيءٌ سَابِقاً لِلقَدَرِ، لَسَبقَتهُ[1] العَينُ، وَإِذَا استُغسِلتُم، فَاغسِلُوا»[2].

فأما قوله: «العَينُ حَقٌّ»، فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ كان ولا شيء، ثم أبدى ملكه وربوبيته، ثم خلق الخلق لإظهار ملكه وربوبيته على أعين

---

(١) في «ن»: القدر سبقته.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٦٢٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٢٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٥٢٧)، وفي «السنن الكبرى» (٩/ ٣٥١) من طريق مسلم بن إبراهيم، به.

وأخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٦١٠٧) من طريق وهيب، به.

الخلق؛ ليدينوا له عبودة[1]، لا ليشتغل الخلق بالأشياء عن صانع الأشياء، فتلهيهم[2] الأشياء عنه، ويفتتنوا بها[3]، فإذا فعل ذلك أحد من خلقه، فأعجب بشيء من خلقه، غير ذلك الحال ليُفسد إعجابه، وكان هذا من فعله حق؛ لأن من شرطه لما خلق الخلق: أن ينظروا[4] إلى صنعه، ويروه محموداً.

ألا ترى إلى آدم ـ صلوات الله عليه ـ حين فتح عينيه، فنظر إلى خلق نفسه، وعطس، فقال: الحمد لله، فرضي الله ذلك من فعله، ورضي عنه رضًا لم يضره معه ذنب، فأذنب، فرزقه التوبة والرحمة والمغفرة، ورده إلى جواره.

وأما قوله: «لَو كَانَ شَيءٌ سَابِقاً لِلقَدرِ[5]، لَسَبَقَتهُ العَينُ»: فإن الله ـ تبارك وتعالى اسمه ـ قدر المقادير قبل الخلق بخمسين ألف سنة، فيما روي عن رسول الله ﷺ، ثم أبرز الخلق[6]، وليس شيء من الخلق يسبق القدر؛ لأنهم بعد القدر خلقوا، وإنما قدر الخلق؛ ليخلق، وليظهر ملكه وربوبيته، فيحمدوه ويعبدوه، ويضيفوا الأشياء إلى وليها وصانعها.

وروي لنا في الخبر: عن وهب بن منبه: أنه قال فيما يحكي عن الله ـ تبارك اسمه ـ في الكلام الذي أقبل به على خلقه يوم السبت حين فرغ من

---

(١) عبودة: ليست في «ن».

(٢) في الأصل: فألهتهم، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: وافتتنوا بها، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: الخلق لينظروا.

(٥) في «ن»: القدر.

(٦) في «ن»: خلقه.

جميع خلقه، فقال في آخره: «وَمَا خَلَقتُ الخَلقَ لِحَاجَةٍ كَانَت بي إليه[1]، وَلَكِن لأُبيِّنَ بِهِ قُدرتي[2]، وَلأُعرِّفَ بِهِ لِلنَّاظِرِينَ[3] نَفسِي، وَلِيَنظُرَ النَّاظِرُونَ فِي مَملَكَتي، وَتَدبِيرِ حِكمَتي، وَلتَدِينَ الخَلائِقُ كُلُّهَا لِعِزَّتي، وَلِيُسَبِّحَ[4] الخَلقُ كُلُّهُ[5] بِحَمدِي، وَلِتَعنُوَ[6] الوُجُوهُ كُلُّهَا لِوَجهِي»[7].

فالغافل عن الله ينظر إلى الأشياء بعين الغفلة، فيعجب بها، وتصير عليه فتنة، ومن شرط الله على العباد أن يعتبروا، والاعتبار: هو العبور عن الأشياء إلى خالق الأشياء، فإذا لم يعتبروا، وبقوا مع الأشياء عجباً وفتنة، أفسد ذلك الشيء عليهم نيتهم[8]، وتغير عليهم عجبهم، فقد تقدم الشرط قبل خلق الخلق، فهم مقرون بالقدر[9] أنه قدر الخلق؛ لينظروا إلى تدبيره وملكه، فلو كان شيء سابقاً للقدر، لسبقته العين؛ لقربه منه وجواره، ولا يسبقه؛ لما سبق من الشرط قبل أن يخلق الخلق.

وأما قوله: «وَإِذَا استُغسِلتُم فَاغسِلُوا»، فإنه كذا جرت به السنة عن

---

(١) في الأصل: كانت إليهم لي، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: قدري، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: الناظرين.

(٤) في الأصل: ويسبح، وما أثبتناه من «ن».

(٥) كله: ليست في «ن».

(٦) في «ن»: ولتعنى.

(٧) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٥).

(٨) في «ن»: عليهم كي ينبههم.

(٩) في «ن»: القدرة.

رسول الله ﷺ في الأخبار: أن العائن يتوضأ، أو يغتسل، فيغسل[1] بتلك الغسالة، هذا المعاين، فيخف[2] ما به، وينحل من ثقله كما ينحل صاحب الإخذة من سحره، فإن إخذة العائن[3] من قبل الخلق، وإن[4] الحق لا يرضى أن تضاف الأشياء إلى غير خالقها، ومن أول ما يقتضي الحق: أن تنسبوا الأشياء إلى مالكها ووليها، فهذا أول شأنه، فإذا أخذت الأشياء تناولاً عن الأسباب في حال غفلة عن الله، اقتضى الحق شكرها لولي الحق، فإذا نظروا إلى الأشياء، فأعجبوا بها، ناشد الحقُّ[5] وليها في إفساد ما به أعجبوا؛ لأن تلك نعمة حدثت من الملك والربوبية من خزائن المنة على أيدي لطفه، فغيرها العباد بعمى النفوس عن جهتها، فغير الله ما بهم، وهو قوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الأنفال: ٥٣]، فهذه إخذة الحق.

وأما الغسلة[6] فيه: فإن العين إنما جاءت من[7] قبل النفس الغافلة المحجوبة عن الله عقلها، التي لما نظرت إلى صنع الله، وفيها إعجاب بالأشياء؛ للشهوة التي قد ركبت فيها بجميع ما يلائمها،

---

(١) في «ن»: ليغتسل.

(٢) في الأصل: وليخف، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: المعان، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: فإن.

(٥) في الأصل: الخلق، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في «ن»: للعلة.

(٧) في الأصل: فإن العين بلغ من، وما أثبتناه من «ن».

أعجبت بذلك، وعجزت لما فيها[1] من الحجب المظلمـة[2] التي احتوشتها عن درك رؤيـة عظيم[3] صنع الله، ولطفه في صنعه، وبره بالعبد، وعطفه عليه، فافتتنت بذلك الشيء، فكره الله ذلك من فعلها، فأفسد عليها إعجابها، وغير الحال؛ رحمة للناظر والمنظور إليه؛ ليكون للناظر عبرة[4]، وللمنظور[5] إليه خروجاً من أن يكون سبباً لما كره الله من فتنة العباد بمن دونه، وكذلك الأصنام والأوثان، عُبدت من دون الله، فهي، وإن لم يكن لها ذنب، فهي مزجورة.

ألا ترى: أن سليمان ـ صلوات الله عليه ـ لما شغلته الخيل الصافنات الجياد ـ حين[6] عُرضت عليه ـ عن صلاة العصر، فطفق مسحاً بالسوق والأعناق، فعرقبهن بالسيوف، وضرب أعناقهن؛ لئلا يبقى على ظهر الأرض من صار[7] له فتنة، وشغله عن أمر الله تعالى، وكان ذلك من زينة الحياة الدنيا، فلما فتنته أبادهن، فإنما اجترأ سليمان عليه السلام في ذلك على ما علم من تدبير الله، فأمر هذا الناظر العائن أن يغتسل، فإن الغسالة هي مرفوضة.

---

(١) في الأصل: لما يشاء، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: بالظلمة، وما أثبتناه من «ن».

(٣) عظيم: ليست في «ن».

(٤) في الأصل: الناظر غيره، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: والمنظور، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في «ن»: حيث.

(٧) في «ن»: صارت.

وهكذا من شأن النفس: أنها تعاف غُسالتها، وترى بها رفضاً، ليجعل[1] الله الشفاء فيما رفضت نفسها وعافته؛ لأنه ليس شيء في الأرض مما يلائم النفس إلا ولها فيه شهوة إليها تروع ومدُّ عين[2]، وتلك آفة، فاستشفاء[3] هذا المعَان بما قد رفضت نفس العائن وعافته، وتخلصت من آفة النفس؛ تقرباً إلى الله ﷻ بخلافها، وبالرد عليها؛ تأميلاً للشفاء، وحسن ظن به.

فحقق الله الأمل، ووفى بالظن، فعافاه، وصارت النفس مزجورة مذمومة بفعلها، ولم يوجد في ذلك الوقت شيء مما[4] حضر إلا وللنفس فيه شهوة ومراد، فأمرت تلك النفس التي فعلت ذلك أن تعمد إلى شيء ليست لها فيه شهوة ولا إرادة، فتزايل ذلك الشيء، وللشيء عندها مرفوض ثقيل وخيم[5]، فيكون في ذلك الشفاء الذي حل به منها ما حل من سقم النظر، وسوء استعمال البصر الذي أكرمه الله ﷻ.

(١١٠٣) ـ حدثنا محمدُ بنُ أَبانَ الهلاليُّ، قال: حدثنا إسحاقُ بنُ إسماعيلَ الرازيُّ، قال: حدثنا طالبُ بنُ حبيبٍ المدنيُّ الأنصاريُّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جابرٍ، عن أبيه،

---

(١) في الأصل: فيجعل، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: إلا ولها فيه شهوة والتهاء يروع رمد عين، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: واستشفاء.

(٤) في الأصل: فما، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: عندها مرفوضة ثقيلة وخيمة.

قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَكثَرُ مَن يَمُوت مِن أُمَّتي بِالنَّفسِ بَعدَ كِتَابِ اللهِ وَقَضَائِهِ يعني العَينِ»[1].

(١١٠٤) ـ حدثنا الفضلُ بنُ محمدٍ، قال[2]: حدثنا محمدُ بنُ الوزيرِ الدمشقيُّ[3]، قال: حدثنا يوسفُ بنُ السفر[4]، قال: حدثني مالكُ بنُ أنسٍ رضي الله عنه، قال: حدثني ربيعةُ بنُ أبي عبدِ الرحمنِ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، قال: كان عند رسولِ الله ﷺ يتيمٌ مريضٌ، فسأل عنه يوماً، فقالوا: إنه لمثبت[5] يا رسول الله، قال: «أَفَلاَ استَرقَيتُم لَهُ؛ فَإِنَّ ثُلُثَ مَنَايَا أُمَّتي مِنَ العَينِ»[6].

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٦٠)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٣١)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ١١٩) من طريق طالب ابن حبيب به.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٦): أخرجه البزار، ورجاله رجال الصحيح، خلا الطالب بن حبيب بن عمرو، وهو ثقة.

(٢) في الأصل: حدثنا محمد بن الفضل قال: وهي مكررة في الأصل، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: الواسطي.

(٤) في الأصل: السكن، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: لميت.

(٦) عزاه السيوطي في «الجامع الصغير» (١/ ٢٩٨)، والمتقي الهندي في «كنز العمال» (١٠/ ٢٤) للحكيم، عن أنس رضي الله عنه.
ويوسف بن السفر متروك كما تقدم مراراً.

فإنما صار أكثر من يموت بذلك؛ لأن هذه الأمة فضلت باليقين على سائر الأمم، فحجبوا أنفسهم بالشهوات، فعوقبوا بآفة العين، فإذا نظر أحدهم بعين الغفلة، وقد فُضل باليقين على الأمم قبله، كان عيبه أعظم، والذم له ألزم.

وهو قوله ﷻ في تنزيله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾[آل عمران: ٧٣]؛ أي: لن[1] يؤتى أحد من الهدى؛ أي: من اليقين مثل ما أوتيتم، ثم قال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[آل عمران: ٧٣]، ثم قال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[آل عمران: ٧٤].

فهذه رحمة من الله لهذه الأمة، فلما فضلهم باليقين، وهو التأييد الأعظم من الله، لم يرض منهم بأن ينظروا إلى الأشياء بعين الغفلة، وتتعطل منة الله عليهم، وتفضيلُه إياهم.



(١) في «ن»: لم.



الأصل العشرون والمئتان

(١١٠٥) ـ حدثنا أبي رَحِمَهُ اللهُ، قال: حدثنا عبدُالله بنُ عاصمٍ[1] الحمانيُّ، قال: حدثنا أبو عَوانةَ، عن الأعمشِ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنِ استعَاذَ بِاللهِ، فَأَعِيذُوهُ، وَمَن سَأَلَ[2] باللهِ، فَأَعطُوهُ، وَمَن استَجَارَ بِاللهِ، فَأَجِيرُوهُ، وَمَن أَتَى إِلَيكُمْ مَعرُوفاً، فَكَافِئُوهُ، فَإِن لَم تَجِدُوا، فَادعُوا لَهُ حَتَّى تَعلَمُوا أَنَّكُم قَد كَافَأتُمُوهُ»[3].

---

(١) في الأصل: حدثنا عاصم الحماني، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: سألكم.

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص: ٨٥)، والنسائي (٥/ ٨٢)، وفي «السنن الكبرى» (٢٣٤٨)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٦٨)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٢٥٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٥٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٥١٥) من طريق أبي عوانة، به.

وأخرجه أبو داود (١٦٧٢)، وابن حبان في «الصحيح» (٨/ ١٦٨)، والطبراني =

فأما[1] الاستعاذة بالله: دخوله في مأمنه وحرمه، ولو أن أحداً[2] التجأ إلى ملك من ملوك الدنيا، لما طالبه أن يتكلف منه أذى، ولكف عنه؛ إعظاماً لمن التجأ إليه، ولو التجأ إلى حرم الله، لاستحق أن يكف عنه حتى يخرج منه، فكيف بمن دخل في عباده، وصيّره ملجأ ومفزعاً وكهفاً؟.

ولو أن[3] ملكاً التجأ إليه أحد من طالب يطلبه بسوء، لم يرض الملك أن يتكلف الطالب منه بعد ذلك مكروهاً، وعد ذلك منقصة أن يخذله، ووجد على طالبه بسوء بعد أن صيّره المطلوب ملجأ، وكان ذلك من الطالب جرأة على الملك، واستخفافاً بحقه، وتضييعاً لحرمته، فكيف بمالك الملوك؟!

ولو أن رجلاً له حرمة ووجاهة[4] وقدر فزع هذا المطلوبُ إليه، فأوى إلى حجره، أو دخل في قميصه تحرزاً من هذا الطالب له[5] بسوء، لكف طالبه عنه، واستحيا من ذلك الجليل[6] أن يتناوله من قربه بسوء، فكيف من دخل في عياذ الله؟!

= في «المعجم الكبير» (١٢/ ٣٨٧) من طريق الأعمش، به.

إلا أن ابن حبان زاد بين الأعمش ومجاهد: إبراهيم التيمي.

وأخرجه المروزي في «البر والصلة» (ص: ١٢٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٤١٥) من طريق مجاهد، به.

(١) في «ن» زيادة: قال أبو عبدالله: فأما.

(٢) في الأصل: واحداً، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: وإن، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: حرمة وجاه.

(٥) له: ليست في «ن».

(٦) في الأصل: الخليل، والصواب من «ن».

وكذلك قوله: «مَن استَجَارَ بِاللهِ، فَأَجِيرُوهُ»، فهو من الاستعاذة قد دخل في جواره، وجارُ الله لا يؤذى.

وقوله: «ومَن[1] سَأَلَكُم بِاللهِ، فَأَعطُوهُ»، فالسؤال بالله بوجهه[2] أن يقول: سؤالي هذا بلساني في الظاهر، ولكن في الباطن كأنه يؤدي إلى أن يقول: أسأل ربي أن يسألك هذه الحاجة لي، فكأنه صير الرب هو السائل بينه وبين صاحبه، فالله[3] لا يرد، وهذا إذا سأل بحق، وإذا سأل بباطل، فإنه لم يسأل بالله، إنما يسأل بالشيطان.

وروي عن علي رضي الله عنه: أنه قال له رجل: أسألك بوجه الله تعالى، فقال: إنما سألتني بوجهك الخلق.

(١١٠٦) ـ حدثنا صالحُ بنُ محمدٍ، قال: حدثنا سليمان ابنُ عمروٍ، عن سالمٍ الأفطسِ، عن الحسنِ، وسعيدِ بنِ جبيرٍ، عن عليٍ رضي الله عنه: أن رجلاً سأله، فلم يعطه شيئاً، فقال: أسألك بوجه الله تعالى، فقال له عليٌّ: كذبتَ، ليس بوجه الله سألتني، إنما وجه الله الحق ألا ترى إلى قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القصص: ٨٨] ما أريد به وجهه، ولكن سألتني بوجهك الخَلِق[4].

---

(١) في الأصل: من، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: برحمته، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: بالله، وما أثبتناه من «ن».

(٤) لم أجده فيما بين يدي من مراجع إلا أن ابن تيمية رحمه الله عزاه في «مجموع الفتاوى» =

(١١٠٧) ـ حدثنا الفضلُ بنُ محمدٍ، قال: حدثنا إبراهيمُ ابنُ الوليدِ بنِ سلمةَ الدمشقيُّ، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا يزيدُ بنُ قيسٍ الكنديُّ، قال: أخبرني عبادةُ بنُ نسيٍّ، قال: أخبرني[1] عبدُ الرحمنِ بنُ عنمٍ الأشعريُّ، عن معاذِ بنِ جبلٍ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن سَأَلَكُم بِاللهِ، فَأَعطُوهُ، وَإِن شِئتُم، فَدَعُوهُ»[2].

قال معاذ ﷺ: وذلك أن يعرف أنه غير مستحق، فإن عرفتم أنه مستحق وسأل فلم تعطوه، فأنتم ظلمة.

معنى قوله: «فَإِن شِئتُم، فَدَعُوهُ» إذا عرف أنه غير مستحق، أو اشتبه عليه، فلم يعرف أنه سأل بحق، ألا ترى: أن معاذاً ﷺ قال: إن عرفتم أنه مستحق، فلم تعطوه، فأنتم ظلمة.

وأما المعروف، فإنه يكافأ، فإن لم يجد المكافأة، فالدعاء أكثر من المكافأة بالشيء[3]، ذاك أعطاه عرضاً من الدنيا، وكافأه، وهذا[4] بالمسألة من الله له نوالاً، فنوال العبد يدق في جنب نوال الله تعالى.

= (٢/ ٤٢٨) لتفسير الثعلبي وساق إسناده من طريق صالح بن محمد، به.

(١) عبادة بن نسي قال أخبرني: زيادة من «ن».

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٦/ ١٧٥) للحكيم الترمذي، عن معاذ ﷺ. وإسناده ضعيف جداً، الوليد متروك. انظر: «لسان الميزان» (٦/ ٢٢٢).

(٣) بالشيء: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٤) في الأصل: هذا، وما أثبتناه من «ن».

والعبد إذا صُنع إليه معروف، فأراد أن يكافئ ، فلم يجد، فاشتد عليه، فإنما يشتد عليه لكرم طبعه؛ لأنه قد نجع فيه معروفه؛ لأنه عارف بالصنائع، شاكر له، فأثقله معروفه، فاشتد عليه، فطلب ما يجد الخلاص به من تلك الأثقال، فأعوزته الحاجة، ففزع إلى الله ﷻ من أثقال معروفه يسأله أن يكافئه عنه، والله يحب هذا الخلق من المؤمن، وهو محض الشكر، فهذا قَمِنٌ أن يستجيب له؛ لأن هذا فعل من أُري أفعال محاب الله.

❐ ❐ ❐





الأصل الحادي والعشرون والمئتان

(١١٠٨) ـ حدثنا حميدُ بنُ عليٍّ مولى[١] رسولِ الله ﷺ، قال: حدثنا جعفرُ بنُ محمدٍ الهمدانيُّ، قال: حدثنا ابنُ مباركٍ، عن حمادِ بنِ سلمةَ، عن الزبيرِ بنِ[٢] عبدِ السلام، عن أيوبَ بنِ عبدِالله الفهريِّ، عن عبدِالله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَرَّ لُقمَانُ عَلَى جَارِيَةٍ فِي الكتابِ، فَقالَ: لِمَن يُصقَلُ هَذَا السَّيفُ؟»[٣].

قال أبو عبدالله:

فهذه كلمة تمثيل خرجت من معدن الحكمة، وعامة الحكمة هي أمثال؛ لأن الأمثال أُنموذج[٤] الآخرة، وأُنموذج[٥] الملكوت،

---

(١) في الأصل: مولاي، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: عن، وفي «ن»: ابن. ولعل الصواب: الزبير أبو عبد السلام.

(٣) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٦/ ٣٠٠) للحكيم، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) في الأصل: نموذج، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: ونموذج، وما أثبتناه من «ن».

فبالخلق[١] حاجة إلى معاينة الآجل، وإنما يعاينونـه[٢] بالعاجل، ولهذا ضرب الله[٣] الأمثال في تنزيله، وعجَّل لأهل الدنيا من نعيم الجنان أُنموذجاً، وهو[٤]: الأنـوار، والطيب، والذهب، والفضـة، واللؤلؤ، والزبرجـد، وسائر الجواهر، فلو لم يُرِهم ذلك في دار الدنيا، ثم وصف لهم الجنان بهذه[٥] الأشياء، لم يفهموا عنه تلك الصفة.

ألا ترى أنه وصف ثلاث درجـات: درجة فضة، ودرجـة ذهب، ودرجة نور، وهي مئة درجة، فإنما أمسك عن وصف سائر الدرجات؛ لأنه ليست عندهم أُنموذجاتها[٦]، فيفهمون بها[٧] عنه ما يصف، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة: ١٧]؛ لأن النفوس لم تعاين شيئاً من ذلك في الدنيا، فلو سميت لهم، لم يعقلوها، ولم يعلموا[٨] من ذلك إلا الاسم، فالسيف أمره لا[٩] يكاد يلبث صاحبه، فكذلك المرأة شهوتها من بين الشهوات كالسيف من بين الأسلحة.

---

(١) في «ن»: وبالخلق.

(٢) في «ن»: يعاينوه.

(٣) الله: ليست في «ن».

(٤) في الأصل: نموذجاً وهي، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: ثم وصف الجنان بذلك الجنان بهذه، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: عندهم أنموذج بها، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في الأصل: لها، والصواب من «ن».

(٨) في «ن»: يعلموها.

(٩) في «ن»: أمره وحي لا.

وذكر لنا: أن إبليس لما خلقت المرأة، قال: أنت نصف جندي، وأنت موضع سري، وأنت سهمي الذي أرمي بك فلا أخطئ.

وذكر الله في تنزيله حب الشهوات، وبدأ بذكر النساء، فقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ﴾[آل عمران: ١٤]؛ ليعلم أنها أقوى الشهوات[١].

وقال في آية[٢] أخرى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[النساء: ٢٨]؛ أي: في شأن النساء، وذلك أنه ركبت[٣] فيه شهوة أزعجته.

وقال: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[الأعراف: ١٨٩][٤]، فهل يكون السكون إلا من الاضطراب والجولان؟

وإن الله تعالى اقتص في تنزيله شأن ثلاثة من أنبيائه، وأعلام أرضه: يوسف، وداود، ومحمد ـ صلى الله عليهم وسلم ـ أجمعين.

فأما يوسف ـ صلوات الله عليه ـ:

فابتلي بامرأة العزيز، فلما تزينت له، وراودته، قال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾[يوسف: ٢٣]، ولم تزل في مراودته ومخادعته، حتى خلت به في بيت، وغلقت الأبواب.

---

(١) في الأصل: للشهوات، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: وقال في تنزيله في آية.

(٣) في «ن»: ركب.

(٤) في «ن» زيادة: وقال: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾[الروم: ٢١].

بلغنا[1] في الخبر: أنها قالت له: يا يوسف! ما أحسن صورة وجهك! قال: في الرحم صورني ربي، فقالت[2]: يا يوسف! ما أحسن شعرك! قال: هو أول شيء يبلى مني في قبري، قالت: يا يوسف! ما أ حسن عينيك! قال: بهما أنظر إلى ربي، قالت: يا يوسف! ارفع بصرك، فانظر في وجهي، قال: أخاف العمى في آخرتي، قالت: يا يوسف! أدنو منك وتتباعد عني؟! قال: أريد بذلك الاقتراب[3] من ربي، قالت: يا يوسف! القيطون [فرشته]، فادخل معي، قال: القيطون لا يسترني من ربي، قالت: يا يوسف! فراش الحرير قد فرشته، قم فاقض حاجتي، قال: إذاً يذهب من الجنة نصيبي، قالت: يا يوسف! إنك لجريء على سخطي، قال: أريد بذلك مرضاة ربي، قالت: يا يوسف! أنت عبدي، اشتريتك بمالي، فتتعظم علي؟! قال: بجرمي وخطيئتي اشتريتني، قالت: يا يوسف! ليتني لم أعرفك، و[لو] لم تكن قربتني[4] بطول صحبتك، رجوت أن تقر بك عيني، قال: إن المـوت موكل بي.

قالت: يا يوسف! ضع يدك على صدري، قال: إنه لا صبر لي على احتراق جسدي إذا زرعت في أرض غيري[5]، قالت: يا يوسف! الخبيثة قد عطشت، قم فاسقها، قال: الذي بيده مفاتيحها أحقُّ بسقيها، قالت: يا يوسف! أعتقتك من الرق، وجعلتك بمنزلة زوجي، فبأي حيلة امتنعت مني؟! قال:

---

(١) في «ن»: فبلغنا.

(٢) في الأصل: صورني قالت، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: القرب.

(٤) في الأصل: قربتي، وما أثبتناه من «ن».

(٥) من قوله: قالت. . . . إلى قوله: في أرض غيري: غير واضح في الأصل، وهو هكذا في «ن».

بحول ربي الذي في السماء عرشه[1]، ومكان سيدي الذي في الأرض سلطانه أخافه على نفسي.

قالت: يا يوسف! إني مسلمتك إلى المعذبين، فيسلى جسمك كما أسليتَ جسمي، قال: ذاك فعلُ إخوتي بي، قالت: يا يوسف! النار قد التهبت، قم فأطفئها، قال: أخاف أن يحرقني بها ربي، فلم تزل تخدعه وتردده حتى همَّ بها، فلما حلَّ سراويله، ورد[2] يده إلى جيب قميصه ليخلعه، ويدخل معها في فراشها، ناداه منادٍ[3] من السماء ثلاث مرات: مهلاً يا يوسف[4]؛ فإنك إن واقعت الخطيئة، محي اسمك من ديوان النبوة، فلم يكترث لذلك الصوت، وغلبه ما وجد فيه من الشهوة، فمثل الله له أباه في مثل صورته التي عهده فيها، فنظر إليه غضبان عاضاً على أنملته التي تدعى المسبحة يوعده[5]، ويحمل عليه ليقتله[6]، فلما رأى ذلك يوسف عليه السلام، كف، وهرب مولياً نحو الباب، واتبعته سيدته، فتداركا عند الباب، واتبعته سيدته[7] ينازعها ليخرج، وتجره من خلفه ليرجع، فانقد قميصه من دُبر ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥].

---

(١) في الأصل: في السماء معمره، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: وترد، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: منادي، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: مهلاً يا يوسف، مهلاً يا يوسف، مهلاً يا يوسف.

(٥) في الأصل: يرعد، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في الأصل: لثقله، وما أثبتناه من «ن».

(٧) واتبعته سيدته: ليست في «ن».

فلما رأى ذلك يوسف ـ صلوات الله عليه ـ، أفشى عليها، فقال: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾[يوسف: ٢٦]، حتى آل الأمر إلى أن شاع أمرها في النساء، وقبح عليها[1] الأمر، فجمعت النساء، واتخذت عيداً، واستعانت بهن عليه، وأوعدته وتهددته[2] إن لم يفعل ذلك: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾[يوسف: ٣٢ ـ ٣٣]، قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[يوسف: ٣٤] السميع: لمقالته، العليم: بقلبه، ويتعلقه[3]، فلبث في السجن عشر سنين، فلما انتهت مدة عقوبة الهَمّ، وحان أوان الخروج منه، قال لذلك الذي كان حبسه الملك ثم أخرجه: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[يوسف: ٤٢].

فروي في الخبر: أنه كان ثلاث سنين، فلما انتهت المدة مدةُ عقوبة قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، جاءه جبريل عليه السلام، فدخل عليه السجن، فقال له: يا يوسف! إن الله يقول لك: أتحب أن يكلك الله في شيء من أمرك إلى فرعون وجنده[4]؟

قال يوسف عليه السلام: أعوذ بالله[5] من ذلك، برأفة ربي ورحمته، قال الملك:

---

(١) عليها: ليست في الأصل، وزدتها من «ن».

(٢) في الأصل: وهددته، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: ولتعلقه، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: وعبده.

(٥) بالله: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

لم؟ قال: لأنهما لا يملكان لي ضراً ولا نفعاً، قال له الملك: فما الذي حملك على أن تستغيث بهما، وتطلب إليهما حاجتك، وأنت تعلم أنهما لا يملكان لك من الله شيئاً؟ قال: ظلمتني سيدتي، ولم يتبين سيدي في أمري، فرجوت أن ينصفني فرعون حتى يعلم علمي، قال له الملك: أفترضى[1] بفرعون حكماً دون الله في شيء من أمرك؟ قال يوسف عليه السلام: معاذ وجه[2] ربي، قال له الملك: فما أنساك ذكر ربك حين طلبت إلى غيره، وأنت تعلم هذا الذي ابتلاك؟ اذهب؛ فإن الله قد وكلك إلى من اتكلت عليه ثلاث سنين.

ثم قال له[3]: يا يوسف! انظر، فنظر إلى الأرض، فقال لها المَلَك: يا أرض انفرجي، فانفرجت، فقال: يا يوسف! ما ترى؟ قال: [أرى] أرضاً أخرى، فقال لها: يا أرض انفرجي، فانفرجت[4]، فلم يزل كذلك حتى انفرجت عن الصخرة، فإذا عليها دودة حمراء بين يديها طعام، فقال: يا يوسف! ما ترى؟

قال: أرى دودة على الصخرة بين يديها طعام[5]، فقال الملك: فإن ربك يقول: لم أغفل عن دودة تحت سبع أرضين حتى هيأت لها رزقها، وغفلت عنك، وأنت يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليلي، فاتخذت من دوني وكيلاً؟! لأطيلن حبسك، فبكى يوسف عليه السلام، وقال:

---

(١) في الأصل: أوترضى، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: معاذ الله وجه.

(٣) له: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٤) فقال لها: يا أرض انفرجي، فانفرجت: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٥) في الأصل: قال: أرى أرضاً أخرى، والصواب من «ن».

انتشى قلبي من كثرة البلوى، فقلت: كلمه، فقال[1]: يا يوسف! من خلصك من أيدي إخوتك؟ قال: الله تعالى، قال: فمن أضاء لك الجب؟ قال: الله تعالى، قال: فمن صرف كيد النسوة؟ قال: الله تعالى، قال: فكيف استعنت بالمخلوقين وتركت الخالق؟! قال[2]: «اللهم اجعل لي من كل أمر أهمني[3] وكربني من أمر ديني ودنياي فرجاً ومخرجاً، واغفر لي ذنوبي، وارزقني من حيث أحتسب، ومن حيث لا أحتسب[4]، وأثبت رجاءك في قلبي، واقطعه ممن[5] سواك، حتى لا أرجو أحداً غيرك»[6].

فخرج من السجن، وآتاه الله ملك مصر، وخوله خزائن أرضها، حتى جمع بينه وبين يعقوب ـ صلوات الله عليهما ـ، وجمع شمله في إخوته وأهل بيته، وانتقلوا[7] إلى مصر.

وروي[8] لنا في شأن تلك المرأة:

(١١٠٩) ـ ما حدثنا به عمرُ بنُ أبي عمرَ، قال: حدثنا

---

(١) في الأصل: قال، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: قل، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: همني، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: وارزقني من حيث لا أحتسب، ومن حيث أحتسب، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: من، والصواب من «ن».

(٦) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص: ٧٩)، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص: ٧٥) عن أبي سعيد مؤذن الطائف.

(٧) في الأصل: ولينقلوا، والصواب من «ن».

(٨) في الأصل: فروي، والصواب من «ن».

عصامُ بنُ المثنى الحمصيُّ، عن أبيه، عن وهبِ بنِ منبهٍ، قال: أصابتِ امرأةَ العزيز حاجةٌ، فقيل لها: لو أتيتِ يوسفَ ابنَ يعقوبَ، فسألتيه، فاستشارت الناسَ في ذلك، فقالوا لها: لا تفعلي؛ فإنا نخاف عليكِ، قالت: كلا، إني لا أخاف ممن يخاف اللهَ تعالى، قال: فدخلت عليه، فرأته في ملكه، فقالت: الحمدُ لله ربِّ العالمين الذي جعل العبيدَ ملوكاً بطاعته، ثم نظرت إلى نفسها؛ فقالت: الحمدُ لله[1] الذي جعل الملوكَ عبيداً بمعصيته، قال: فقضى لها جميعَ حوائجها[2]، ثم تزوجها، فوجدها بِكراً، فقال لها: أليس هذا أجملَ مما أردتِ؟ قالت: يا نبي الله! إني ابتُليت فيك بأربعٍ: كنتَ أجمل الناس كلهم، وكنتُ أنا أجمل أهل زماني، وكنتُ بكراً، وكانَ زوجي عِنِّيناً[3].

قال: وكتب يعقوب إلى يوسف ﷺ وهو لا يعلم أنه يوسف: من يعقوب نبي الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى عزيز آل فرعون،

---

(١) في «ن»: فقالت الحمد لله رب العالمين.

(٢) في «ن»: فقضى لها حاجتها.

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٥٣) للحكيم الترمذي، عن وهب بن منبه رضي الله عنه.

سلام عليك: فإني أحمدُ إليكم[١] الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فإنا أهلُ بيت مُولعٌ بنا أسباب البلاء، كان جدي إبراهيم خليل الله في حداثة سنه أُلقي في النار، فجعلها الله عليه[٢] برداً وسلاماً، وأمر الله جدي إبراهيم أن يذبح له ابنه[٣] إسحاق، ففداه الله بما فداه، وكان لي ابن من أحب الناس إلي كلهم، ففعل به ما أذهب حزني[٤] عليه بصري، وألصق جلدي بعظمي، وكان له أخ لأمه، وكنت[٥] إذا ذكرته، ضممته إلى صدري، فأذهب بعض وجدي، وهو المحبوس عندك في السرقة، وإني أخبرك أنه لم يسرق قط؛ لأني لم أكن سارقاً، ولم ألد سارقاً[٦] قط[٧].

فلما قرأ يوسف عليه السلام الكتاب، بكى وصاح، وقال: اذهبوا بقميصي هذا، فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً.

وأما داود عليه السلام:

فإنه لما قعـد في المحراب، والزبور في حِجرهِ يقرؤه[٨]، إذا طائر بين

---

(١) في «ن»: إليك.

(٢) عليه: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: أبي.

(٤) في الأصل: ذهب الحزن، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: فكنت.

(٦) في الأصل: ولا ولدي سارقاً، وما أثبتناه من «ن».

(٧) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٧٩) للحكيم الترمذي وأبي الشيخ عن وهب ابن منبه.

(٨) في الأصل: يقرأ، وما أثبتناه من «ن».

يديه عليه من الألوان ما لا يوصف، فلما أهوى ليأخذه، طار إلى كوَّة المحراب، وهو سبب البلاء، فوضع الزبور، وقام إليه ليأخذه[1]، فطار من الكوة، فأخرج داود رأسه[2] من الكوة، فوقع بصره على امرأة تغتسل على رأس بركة في بستانها تحت محراب داود عليه السلام، فرأت ظله، وأنه قد اطلع عليها إنسان، فقالت بشعرها، فجللت جميع جسدها بشعرها، فرجع من الكوة بجسده، وبقي القلب هناك عند البركة، فما يصنع العبد بلا قلب؟ وإنما القلب ملك، فسُبي الملك، وانهزم الجند، وهم الجوارح؛ لأن الهوى هزمهم، فخرج من المحراب، وقصد لبيت المرأة لينقلها إلى نسائه؛ ليكون لنفسه في ذلك شفاء مما حدث، حتى يقدم زوجها، أو ينتظر ما يكون.

فروي في الخبر: أنه وقف على مدرجته ملكان يقول أحدهما لصاحبه: لقد أكرم الله عز وجل عن مثل هذا الشيء إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فلم ينتفع بما سمع، حتى صار من أمره، إلى أن كتب إلى صاحب البعث: أن يقدم زوجها إلى التابوت، وكان من قدم لذلك[3] لا يرجع حتى تفتح المدينة، أو يقتل، فقدم زوجها في نفر إلى التابوت، فقاتلوا حتى قتلوا[4]، فاعتدت المرأة، فخطبها، وتزوجها، واشتغل عنها بالتوبة.

---

(١) من قوله: طار إلى كوَّة.. إلى قوله: ليأخذه: ليس في «ن».

(٢) في الأصل: فأخرج رأسه، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: إلى التابوت.

(٤) في الأصل: قتل، وما أثبتناه من «ن».

وأقبل على العبادة معتذراً[1] فيها نادماً، متداركاً لما سلف منه، حتى شُغل عن النظر في أمور بني إسرائيل، وجعل يأكل قويُّهم ضعيفهم، فلا يجد الضعيف غياثاً، يقيم الشهر ونحوه ببابه، فلا يصل إليه؛ لشغله بما أحدث من الأمر، حتى طمع فيه سفهاء بني إسرائيل، وائتمروا في خلعه، وكان قبل ذلك لا يرام؛ لقوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾[ص: ٢٠].

فانطلقوا إلى ابن له أكبرهم سناً، وأعزهم عليه، وهو بكره، فخدعوه، ومنَّوه الملك، فقالوا: أنت أكبر ولد أبيك، وقد كبر أبوك، وشغل، وعجز عن السياسة، وضاعت حقوق الناس، وأحكامهم، وأنت أحق من يدارك[2] ذلك، ولا نراه يكره ذلك، ولا يباليه[3]، فإن هو عاتبك من ذلك، أخبرته: أنك[4] إنما فعلت ذلك نظراً له[5]، وشفقة عليه، حيث[6] خشيت الإثم، وضياع الناس، وخشيت على ملكه الأعداء، فلم يزالوا يخدعونه حتى بايعهم، وإنما فعل ذلك السفهاء منهم؛ رجاء أن يملك، فيُملكهم.

فلم يشعر داود عليه السلام حتى خُلع، وأصبح ابنه يبايع الناس، ويدعو إلى نفسه، فلما بلغ ذلك داود عليه السلام، عرف أنه عقوبة لذنبه، فخاف الفتنة، والبلاء،

---

(١) في «ن»: مفكراً.

(٢) في «ن»: تدارك.

(٣) في «ن»: يباله.

(٤) أنك: ليست في الأصل، وأثبتناها من «ن».

(٥) له: ليست في «ن».

(٦) في «ن»: حين.

والسفهاء، فهرب بنفسه، ومعه رجلان: أمير جنده، وصاحب مشورته، حتى إذا كان ببعض الطريق، وهو يريد جبلاً يتحصن فيه، وكان في بني إسرائيل رجل قد[1] غلب القضاة والحكام قبل داود عليه السلام، فلما وليه داود، أنصف منه الضعيف، وأقام عليه الحدود، وكان جلدَه حدوداً مراراً، فلما سمع ببيعة ابن داود، أسرع إليه، فلقي داود عليه السلام في بعض الطريق، فلما نظر إليه في مذلة البلاء، قال: أداود؟ قال[2]: نعم، فقال: الحمد لله الذي نزع ملكك، وأهانك، وأذلك، وأفردك إلى نفسك[3]، وفرق عنك جموعك، فلما سمع ابن أخت داود عليه السلام مقالة الرجل[4]، وهو أمير[5] جنده الذي كان معه، سل[6] سيفه ليضربه، فقال داود عليه السلام: مهلاً، فإن هذا ليس هو الذي يسبني[7]، وإنما[8] الله هو الذي يسبني[9] على لسانه بذنبي، وخطيئتي، ومتى كان يطمع هذا وأمثاله حتى يأذن الله له[10]، فلم يظلمني ربي، ولكن أنا الذي ظلمت نفسي، ثم انطلقوا هاربين، حتى كمنوا في تلك الجبال خائفين لا يأمنون القتل.

---

(١) قد: ليست في «ن».

(٢) في «ن»: قيل.

(٣) وأهانك وأذلك وأفردك إلى نفسك: ليس في «ن».

(٤) مقالة الرجل: ليست في «ن».

(٥) في الأصل: أمين، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في «ن»: مقالة الرجل، سل.

(٧) في «ن»: سبني.

(٨) في «ن»: ولكن.

(٩) في «ن»: سبني.

(١٠) في «ن» زيادة: له في وأمثاله.

وكان لداود عليه السلام: صاحبُ شورى يقال له: نوفيل[1]، فغضب عليه، فعزله[2]، واستبدل بـه، فقال ابنـه لنوفيل[3]: من أجـل أي شيء غضب عليك أبي داود، وقد كان ينتصحك، ويعمل بمشورتك؟ قال نوفيل[4]: إنه لما نزلت به البلية، وعرف فيه الوهن، كنت أول من فطن له، فأخبرت بني إسرائيل حتى[5] خاضوا فيه، فأكثروا أن داود عليه السلام لم يهن، ولم يستكن إلا لجرم أجرمه فيما بينه وبين الله، وحدثٍ أحدثه، فعرفت[6] حين رأيت الوهن والخلل أن الرجل مذنب، وأن ذنبه هو الذي فله وأضعفه[7]، فغضب حين لم أستر عليه ذلك[8].

قال: كيف الرأي في أمره؟.

قـال: أن تطأ فراشـه حتـى يستيقـن[9] الناس أنـه ليسـت لداود تقيـة[10] عندك.

---

(١) في الأصل: توقيل، والصواب من «ن».

(٢) فعزله: ليست في «ن».

(٣) في الأصل: لتوقيل، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: توقيل، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: حين.

(٦) في «ن»: فعوقب، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في «ن»: وضعفه.

(٨) في «ن»: ذلك عليه.

(٩) في الأصل: يستقر، وما أثبتناه من «ن».

(١٠) في الأصل: بقية، وما أثبتناه من «ن».

قال: كيف الرأي في قتالي له[1]؟ قال: إن كنت تريده في يوم[2] من الأيام، فعاجله اليوم ما دام مخذولاً مسخوطاً عليه، فإني أعلم أنه لم يترك هذه المنزلة إلا لذنب[3]، فالله عنه معرض، وهو بعد لم يتدارك التوبة، ولن يعترضه بمثلها، وإن أخرت أمره حتى يتوب الله عليه، ويغفر له، لم تطقه، فهو الذي قتل جالوت، ونزع طالوت ملكه، وأذل رقاب الملوك.

واستشار[4] الآخر، فقال له[5]: هل سمعت بابن نبي قتل[6] أباه؟ أم هل سمعت بنبي[7] أذنب فلم تقبل توبته؟ أم لعلك[8] تطمع أن تبلغ المعشار مما صنع الله لداود في علمه وحكمه وقسطه؟ أم ماذا تقول لربك يوم القيامة وقد قتلت أباك ونبيه، ووطئت فراشه؟ وما وجه التوبة من قتل نبي ووالد ونكاح أمهاته[9]؟ ما أعلم يقبل ممن فعل هذا صرفاً ولا عدلاً[10]، فإن كان لا محالة أنت ضابط هذا الملك، وبما أجمعت عليه من عقوق أبيك وخلعه، فلا تطلبه، ولا تقتله، فإن كان الله قد أذن بفنائه وهلاكه، فما أكثر معاريض

---

(١) في «ن»: قتاله.

(٢) في «ن»: تريده يوماً.

(٣) في «ن»: بذنب.

(٤) في «ن»: فاستشار.

(٥) في «ن»: الآخر.

(٦) في الأصل: بابن قتل، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في الأصل: بمن، وما أثبتناه من «ن».

(٨) في «ن»: ولعلك.

(٩) في «ن»: أمهات.

(١٠) في الأصل: ما أعلم ممن يقبل هذا صرفاً ولا عدلاً، والصواب من «ن».

البلاء التي تكفيك ذلك منه، وإن كانت بقيت له حياة يستكملها[1]، ألفيتك لم تأثم بربك، ولم تفرط بوالدك.

فقال: الرأي رأيك، وما أسمعك عرضت بغشٍّ، ولا ادخرت نصيحة، وأنا متابعك على ما في قلبك، وكافٍ عن داود ما كفَّ عني، فإن قاتلني، حميت نفسي مخافة أن[2] يظفر بي فيقتلني.

قال الرجل: كُفَّ عن داود حتى يقاتلك.

واعلم: أنه لن يقاتلك أبداً ما كان[3] ذنبه له مُهِيناً، ولن يفعل ذلك حتى يقبل الله توبته، ويأذن له[4] بقتالك، فإذا جاءه الأمر من الله، والقائم به[5] داود، فأنت لا طاقة[6] لك به، فأقصر[7] عندها، إني لك نذير مبين، وإنه إن ظفر بك أبوك، أحياك وأمنك، وإنه أعظمُ حلماً وعفواً من أن يقتل ولده.

ولبث داود عليه السلام من يوم خرج إلى أن رجع إلى ملكه سنتين، وانقطع الوحي، فلما رد الله إليه ملكه، سرح ابن أخته، وهو أمير جنده، فأمره أن يدخل المدينة، ويدعو[8] إلى داود عليه السلام، ويخبر بني إسرائيل: أن الله عز وجل قد

(١) في الأصل: وإن كانت له مدة وحياة يستكملها، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: مخافته، وأن، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: ما دام.

(٤) في الأصل: الله، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: له.

(٦) في «ن»: فأية طاقة.

(٧) في الأصل: فاقتصر، وما أثبتناه من «ن».

(٨) في «ن»: ثم يدعو.

قبل توبته، ورد إليه ملكه، فاتبعوه إلا قليلاً منهم انحازوا إلى ابن داود ﵇، ولم يجرؤوا[1] أن ينظروا إلى[2] وجه داود ﵇ بعد الذي كان منهم، فاستقبلوه[3]، فقاتلوا قتالاً شديداً، حتى قتلوا.

وكف ابنُ داود، فلم يقاتل حتى قتل أصحابه، ثم إنه هرب حياءً من أبيه، وكان يريد أن لا يرى أبوه له وجهاً، فتبعه ابن أخت داود، وعهد إليه داود ﵇، فقال: أحذرك أن تقتله، فإياك ثم إياك أن تقتله، فإني قاتلك به إن[4] خالفت أمري؛ فإن ابني بِكري، وأعز ولدي عليَّ، وأحبهم إلي توبة، وبقاء[5]، وصلاحاً، ابتلاني الله بأحب أولادي[6] إلي، وأعزهم عليّ؛ ليغيظني، ويذلني، ويغمني[7] بذنبي، ويهينني بخطيئتي، وينزع ملكي، ثم تداركني عفوه، ورحمته، فعفا عني، وقبل توبتي، فينبغي لي: أن أعفو كما عفا عني، وأرجو له من التوبة والرحمة ما رجوت لنفسي، فليس هو بأعظم جرماً مني، فالحذر على دمه.

فلحقه، فوجده قد علقته شجرة، دخل منها عود[8] في برنسه، فاقتلع

---

(١) في الأصل: وكرهوا، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: في.

(٣) في «ن»: فاستقبلوا.

(٤) في الأصل: قاتلك بأن، والصواب من «ن».

(٥) وبقاء: ليست في «ن».

(٦) في «ن»: ولدي.

(٧) في الأصل: ويعصيني، والصواب من «ن».

(٨) في «ن»: عود منها.

من السرج، وزالت الدابة من تحته، حين اقتلع العود، فبقي معلقاً، وذهبت الدابة، فوقف عليه ابن أخت داود، فلما دنا منه[١]، ناداه، قال: لبيك، قال: أخي أنت؟ قال: نعم، فأدركني إن كان لداود فيَّ حاجة، فإني قد أشرفت[٢] على الموت، فلما قال هذا، طعنه بالرمح حتى اعتدل فيه، وترك وصية داود عليه السلام، ثم انصرف وتركه حتى مات معلقاً، فلما رجع إلى داود عليه السلام، غضب عليه، قال له: أما إني قاتلك إما عاجلاً، وإما آجلاً[٣]، فوطن نفسك على ذلك، فقال[٤]: ما فعلت فعلي إلا وقد وطنت نفسي على أنك قاتلي، فاستبقاه داود عليه السلام؛ لأنه كان رجلاً منصوراً، لا ترد له راية، وكان بعيد الصوت[٥] والنكاية في العدو، فكره داود عليه السلام أن يعجل قتله، وأحب أن يمتع به المجاهدين في سبيل الله تعالى ما دام حياً، فلما حضره الموت، أوصى سليمان عليه السلام بقتله، فقتله ساعة رفع يده من قبره.

فلما تيب عليه التوبة[٦] الظاهرة، وردّ الله إليه ملكه، واطمأن، نزل عليه ملكان[٧]، فتسورا المحراب، فكان من خبره ما اقتص الله في تنزيله، وانكشف

(١) في الأصل: فلما رأى ما به، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: أشفيت.

(٣) في «ن»: إما آجلاً وإما عاجلاً.

(٤) في الأصل: قال، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: الصواب، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في الأصل: فلما ثبتت له التوبة، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في «ن»: الملكان.

له الغطاء عن فعله، فبدر[1] إلى البراز صارخاً متململاً، وسجد سجدة العويل، والنوح[2]، دام في ذلك أربعين صباحاً، حتى نبت العشب حول رأسه.

(١١١٠) ـ حدثنا عبدُ الوهابِ بنُ فليحِ بنِ رباحٍ[3] المكيُّ، قال: حدثنا جدي اليسعُ بنُ طلحةَ، عن عطاءِ بنِ أبي رباحٍ، قال: طالت[4] السجدة من داود عليه السلام، واحتال الخضرة على رأسه[5] من دموع عينيه، وبدا العظم شكا إلى ربه، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: يا داود! ارفع رأسك، فقد غُفِرَ لك، قال[6]: يا جبريل! فكيف بالرجل؟ قال[7]: فإن[8] الله قد أعاضه الجنة، وقد غفر لك، فارفع رأسك.

فهكذا[9] سبيل الآدمي يزل ويخطئ، ثم يهتدي إلى ما هدي[10] له من

---

(١) في الأصل: فبرز، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: واليوم، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: زياد.

(٤) في «ن»: لما طالت.

(٥) في «ن»: وقرح الجبين ونبت الزرع من دموع عينيه.

(٦) في «ن»: فقال.

(٧) في «ن»: فقال.

(٨) في «ن»: إن.

(٩) في «ن»: قال أبو عبدالله: فهكذا.

(١٠) في «ن»: يهتدي لما هدي.

طريق التوبة، فيتوب[1]، ويطمئن[2] بموعود[3] الله أنه يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ولكن من أراد الله به خيراً، يصطفيه، ويبرئه من دنسها في عاجل الدنيا، صيرها كيّة على قلبه أيام الدنيا، ويكشف له عن الغطاء، حتى يرى قبحها، ويحجبه عن منزلته قلباً[4] حتى يصرخ إليه، ويمرِّر عيشه حتى يتململ ويتلوى توجعاً، ثم يرحمه، فهذا أدبه[5] للخاصة، فأدّبه بأدب العامـة، وتاب عليه[6]، ثم أدبه بأدب الخاصة، وردّه إليه.

ولنا مجلس في ذكره وأحواله، ونجواه في سجدته ضممناه[7] إلى هذا الباب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين:

يا خليفة الرحمن! ماذا لقيت من خطيئة واحدة ارتجت بها الأصوات في العلا؟ وتناسخت القرون في الأمم حديثَها لأهل البلوى؟ وكم من طعنة وكلمة ذات[8] مرارة، ذقتَ طعم مراراتها من أجل تلك الخطيئة أيام الدنيا!

بينا أنت في المحراب في مناجاة إلهك الرحمن تقرأ الزبور بإطراب،

---

(١) في «ن»: فيتوب ويتاب عليه.

(٢) ويطمئن: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: لموعود.

(٤) في الأصل: فلما، والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: دأبه، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: عنه، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في «ن»: ضممناها.

(٨) في الأصل: رأت، والصواب من «ن».

وألوان وألحان[1] بنغمة برزتَ بها على الأنام، تغمر الأصوات، وتنير منابع قلوب الصديقين إلى كرامة ذي الجلال والإكرام، وتنعم أرواح المقربين إلى وسائلهم بالحنان المنان، ذي اللطف والإنعام، إذا أنت مخذول سلس القياد، قد زلت قدمك من المحراب، أبعد مما[2] بين المشرق والمغرب، طار فؤادك، وأحاطت بك الفتنة، وسكنت عنك الأحوال، وانقطعت المناجاة، وسهوت عما أنت فيه بطائر طار بين يديك في كوة المحراب سبباً للفتنة والبلاء عليها[3] من كل زينة وبهجة من بهجات الدنيا، فلم تتمالك أن هويته[4]، وقمت إليه، فيا ويح من وكل إلى نفسه كيف يأمن ساعة من عمره، فوقعتَ في فتنة بعد فتنة تداولتك أيديها وأنت في غمراتها، حتى إذا تناهت بك منتهاها، ووصلتَ إلى نهمتك منها، شهد لك الصدق بما اضطرب عليه قلبك، واقتضاؤك الوفاء اللطيف بك، الكريم المتحبب إليك بما كنت عاهدته، وقبلت عليه ميثاق النبوة، فاعتذرت في التوبة والاستغفار، واعتزلت النساء والأهلين معتذراً[5] إلى العزيز الغفار، ولم تتهنأ بما ملت إليه، ولا[6] وصلت النفس إلى منيتها القصوى توبة علم ومعرفة بما قابلتها

---

(١) وألحان: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٢) في الأصل: ما، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: عليه.

(٤) في الأصل: هويت، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: الصغار، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في الأصل: فلما، وما أثبتناه من «ن».

روحك وعقلك، متأدباً[1] للصدق والوفاء لمولاك حتى[2] قال لك: يا داود! عادِ نفسك، ووِدّني[3] بعداوتها[4].

فما زلتَ تدأب في العبادة مقبلاً على صلاتك قد أهمك[5] شأنك، وندمتَ على ما فرط منك، حتى شغلك ذلك عن الحكم بين بني إسرائيل، والنظر في أمورهم، حتى أكل قويهم ضعيفهم، وضاعت أحكامهم وأمورهم، فأدركتك رحمة الله التي تعطف بها على أوليائه، ويطهرهم عن المقام بمحل الاغترار، وانكشف الغطاء، وبرز الأمر، ورفع الحجاب، وظهرت الهنات والغفلات بتسور الملكين عليه في متعبده، وهو مشغول في تلافي ما فرط منه، فأنكرهما، وأقبل[6] عليهما باللائمة، وقال: ما أنتما؟ ومن أدخلكما بغير إذن عليَّ؟ قالا: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾[ص: ٢٢].

فضربا له مثلاً بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾[ص: ٢٣].

أي: غلبني، وامتنع مني أن ينصفني، فأجبتَ رسل رب العالمين،

(١) في الأصل: مستأدباً، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: حيث.

(٣) في الأصل: ودرأ، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: بعداوتها معتذراً، وأثبتنا ما في «ن».

(٥) في الأصل: أهمتك، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: فأقبل، وما أثبتناه من «ن».

وأنت لا تشعر من تجيب، وخاطبت[1] خطاب من لا يفكر بمرجوع[2] جوابه.

فقلت: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[ص: ٢٤]، فقال الملكان: وغير الخلطاء قد يبغي كما بغيت على جارك في امرأته، ولم يكن لك بخليط ولا شريك، وقد حصرت نفسك في هذا البيت، واحتجبت فيه، فلا يوصَل إليك، حتى ضاع الناس، وكاد يأكل بعضهم بعضاً، يأتيك[3] ذو الحاجـة من الشقة البعيدة، فلا يصل إليك، حتى تطول مدته، وتشتد مؤنته، ويضيع حقه، ويأتيك الضعيف، فيحجب عنك[4] حتى يأكله القوي، فإن كانت الصلاة هي التي شغلتك عنه[5]، فقد كان في الحكم بين الناس ما تجـد لك عنها عوضاً[6]، والقيام به أفضل من الصلاة، وإن كان اشتغالك[7] هذا في طلب التوبة مما فعلت بامرأة جارك، فتركُ الخطيئة كان أهونَ عليك من طلب التوبة.

ثم تحولا عنـه[8] في صورتهما[9]، وطـارا، فلما انكشف الغطـاء، وعرج

---

(١) في الأصل: وتخاطب، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: مرجوع، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: ويأتيك.

(٤) في الأصل: فتحجب عنه، وما أثبتناه من «ن».

(٥) عنه: ليست في «ن».

(٦) في «ن»: فقد كان في الحكم بين الناس بالحق لك منها عوض.

(٧) في الأصل: إشغالك، وما أثبتناه من «ن».

(٨) عنه: ليست في «ن».

(٩) في «ن»: صورهما.

الملكان، ونظر[1] عظيمَ ما أتى، ورُفع الحجاب عن قلبه، وثب من مكانه وثبة ملدوغ جرى السم في عروقه، والتهب[2] جوفه نيراناً، فرمى بثيابه، ولبس المُسوح، وافترش التراب، والتجأ إلى البراز صارخاً بالعويل، ولزق بالأرض، وخر على محاسن[3] وجهه بسجدة، يا لها من سجدة! لقد طال سقوطه بين يدي ربه منقبض الأعضاء، متحاملاً بجميع جوارحه على عِرْنينه، لقلبه وجيف، ولفؤاده خفقان، وبالدموع عيناه تنهلان[4]، يجأر إلى الله مستكيناً، ويعتب إليه من قبيح ما انكشف له معتذراً، حتى نبت العشب حوله من دموع عينيه، وهو ينادي في سجوده: إلهي! أين أفرُّ من الموقف بين يديك غداً؟ ومن ينقذني من ظلمة خطيئتي وسوادها؟ فقد خفت أن تحول ظلمتها بيني وبين النظر إليك غداً، سبحانَ خالقِ النور إلهي!

ولزمته[5] استكانة البلاء، ودخله الوهن والضعف، وانقطع الجواب، وضاقت عليه الأرض برحبها، وضاقت عليه نفسه، وقلق في سجوده، ونادى:

إلهي! خليت بيني وبين عدوي، فلم أطق لفتنة نزلت بي دفعاً. سبحان خالق النور إلهي!

قرح الجبين، وفنيت الدموع، ودبرت الركبتان، وخطيئتي ألزم لي من[6] جلدي.

---

(١) في «ن»: وبصر.

(٢) في «ن»: والتهبت.

(٣) في الأصل: محابي، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: وللدموع هطلان.

(٥) في الأصل: ولزمه، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: ألزم من، والصواب من «ن».

فنودي: ما لك يا داود[١]؟ أجائع أنت فتطعم؟ أظمآن[٢] أنت فتسقى؟ أمظلوم فتنصر؟ أعارٍ فتكسى؟ فزفر زفرة، وهاج[٣] ما في جوفه من اللهبان، فأحرق[٤] العشب الذي كان نبت عند رأسه[٥] فيه، ثم قال: أما نظر في خطيئتي بعد؟ لقد عرفت إلهي أن رحمتك واسعة، ولولا رحمتك، لفضحتني، ومن هذا الذي ينصرني إن خذلتني؟ ومن ذا الذي يغفر لي خطيئتي إن لم تمحها من كتابي[٦]؟

إلهي! يقشعر جلدي إذا نظرت إلى خطيئتي التي مع ملائكتك، فهم حافظون لها، أمن هذا الذي يتداركني برحمة إن لم تتجاوز[٧] عني، وتمن بها عليَّ؟ تصدعت الخدود، وانقطعت الأشجار، وارتجت البحار، وفزعت الجبال والآكام من عظم خطئي[٨]، لا أطيق حمل خطيئتي إن لم تحملها عني.

إلهي! ينام كل ذي عين، ويستريح في موطنه، وقد شخصت عيناي تنتظران[٩] رحمتك، إلهي! فتقبل دعائي، وارحم شمطي، وتجاوز عن ذنبي، سبحان خالق النور إلهي!

---

(١) في «ن»: يا داود ما لك.

(٢) في الأصل: أظمئت، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: هاج.

(٤) في «ن»: فاحترق.

(٥) في «ن»: الذي كان غيب رأسه.

(٦) في «ن»: ومن هذا الذي يغفر خطيئتي ويمحوها عني.

(٧) في «ن»: لم تجاوز.

(٨) في «ن»: خطيئتي.

(٩) في الأصل: تنتظر، والصواب من «ن».

تبكي الثكلاء على ولدها إذا فقدته، وداود يبكي على ذنبه العظيم، سبحان خالق النور إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي طوبى لداود إذ منع بالبكاء على ذنب واحد، فنال من قربك ما نال، الويل الطويل لي إذ حرمت البكاء على ذنوب عظام جسام، سبحان[1] خالق النـور إلهي!

يقـول داود: إلهي! خليت بيني وبين عدوي، فلم أطق لفتنة نزلت بي دفعاً، فقل أنت الآن: هذا حال داود مـع جلال قدره ورفيع رتبته، فكيف يكون حالي، وقد سباني وأرداني، وأحاطت بي شبكات فتنته[2]؟ سبحان خالق النور إلهي!

يقول داود: إلهي! خلقتني، وكان في سابق علمك أني صائر إلى ما صرت إليه، أخرجتني من بطن أمي وليس لي خطيئة أعذب عليها، فلم أرعَ[3] وصيتك، فأين أفرّ من خطيئتي؟ وأين أهرب من عملي؟ هذا مكان العائذ بك، سبحان خالق النـور إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي! أفكان[4] يظهـر لنبيك وصفيك[5] وخليفتك في أرضك من مكنون قضائك المحتوم ما يظهر، فما الذي يظهر لي؟ كيف

---

(١) في «ن»: فسبحان.

(٢) في «ن»: وأحاطت شبكات فتنته بي.

(٣) في الأصل: أودع، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: إذا كان.

(٥) في «ن»: يظهر لصفيك ونبيك.

لا تنقطع أعضائي[١]؟ ولا أموت كمداً خوفاً مما لعله يظهر لي[٢] الكفر بعد الإيمان بك سيدي[٣]؟ سبحان خالق النور إلهي!

يقول داود: إلهي[٤]! من أين يطلب العبد المغفرة إلا من سيده؟ حثوت على رأسي التراب، وألزقت به خدّي، ودسست[٥] فيه وجهي؛ خشيةً من عذابك، وأليم عقابك، سبحان خالق النور إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي[٦]! ما طلب داود المغفرة والتوبة حتى فتح له باب الرحمة، فكيف أصنع بذنوبي وخطاياي وبابي منغلق، قد كبلتني[٧] خطيئتي، وانغلقت أبواب ضرعي إليك؟ (والتفت في المعاصي التفاف الدود بقزها والتفت بي المعاصي التفافاً حتى لا أجد)[٨] مسلكاً إلى التوبة؟

سبحان خالق النور إلهي! يقول داود: إلهي لم ينفعني الزبور ولم تعافني مما ابتليتني به[٩].

---

(١) في الأصل: ينقطع إغفائي، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: ولا أموت كمداً خوفاً من القلب فظهر لي، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: يا سيدي.

(٤) إلهي: زيادة من «ن».

(٥) في الأصل: ورسبت، والصواب من «ن».

(٦) إلهي: زيادة من «ن».

(٧) في الأصل: قد قتلتني، وما أثبتناه من «ن».

(٨) ما بين قوسين جاء في الأصل: والتفت بي المعاصي التفاف الدود بقزّها لا أجد، وما أثبتناه من «ن».

(٩) سبحان خالق النور إلهي! يقول داود: إلهي! لم ينفعني الزبور، ولم تعافني مما ابتليتني به: زيادة من «ن».

سبحان خالق النور إلهي! فقل أنت الآن: إلهي! يا راحم الضعفاء الجهلة: إذا كان صفيك داود لم ينج من الفتنة مع نبوته، فكيف بالجهلة الضعفاء؟ سبحان خالق النور إلهي!

يقول داود: إلهي! يُغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه، والخطيئة لازمة لي لا تذهب عني، وثوبي يبلى، وجسمي يفنى، وخطيئتي لا تبلى، سبحان خالق النور إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي! إن[1] كانت الخطيئة لازمة لداود، فهي لنا ألزم وألزم، أخاف أن لا يطهرنا منها إلا حريق النيران، سبحان خالق النور إلهي!

يقول داود: إلهي! ويل للخطائين يوم القيامة كيف[2]يحشرون غداً[3] حفاة عراة؟ ويل للخطائين حين يأتيهم ملائكة[4] غلاظ شداد، أعينهم كالبرق الخاطف، ولهب النار يخرج من أفواههم، ليست لهم رأفة ولا رحمة، فيبطشون بهم، ويل للخطائين حين يعلو جهنم زفيرها، ويشتد تلظيها، وتنشر أغلالها، ويتطاير[5] شررها، سبحان خالق النور إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي! لقد أرعب داود قلوب العصاة المذنبين، أنطقه لسان الخوف، وسخطك أشد على عارفيك، وفراقهم رضوانك من جميع ما حوته جهنم من ألوان العذاب، فليت شعري ما الذي يظهر لنا من جودك

---

(١) في «ن»: إذا.

(٢) في «ن»: ويل للخطائين يوم القيامة من شر الحساب فويل للخطائين كيف.

(٣) في الأصل: غداة، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: الملائكة، والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: وتطاير، وما أثبتناه من «ن».

يومئذ سيدي؟ سبحان خالق النور إلهي!

يقول داود: إلهي! أنا الذي لا أطيق حر شمسك، فكيف أطيق حر نارك؟ سبحان خالق النور إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي! لا داود يطيق حر نارك، ولا أحدٌ من خلقك، فكما تفضلت على داود بالمغفرة، فتفضل علينا معشر العصاة المذنبين الذين قعدوا يتحازنون على الذنوب، وإن لم يجدوا الحزن، سبحان خالق النور إلهي!

يقول داود: إلهي[1]! أنا الذي لا أطيق صوت رعدك، فكيف أطيق صوت جهنم إذا دمدمت وتغيظت على العصاة؟ أسمع صوت الرعد، فيكاد يذهب قلبي، وتزهق[2] نفسي، فكيف إذا أخذت النار في جسدي؟ سبحان خالق النور إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي! ليس لجهنم سبيل على داود، وإن له عندك لزلفى وحسن مآب، الشأن فينا معشر الخطائين الذين بارزوك بالعظائم، وتلوثوا في المعاصي. سبحان خالق النور إلهي!

يقول داود: إلهي! كيف يستتر الخطاؤون من خطاياهم، وأنت[3] شاهدهم حيث كانوا؟ سبحان خالق النور إلهي[4]!

فقل أنت الآن: إلهي! تفضلت على داود مع المغفرة بالحياء منك

---

(١) إلهي: ليست في «ن».

(٢) في الأصل: يزهق، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: وهم وأنت.

(٤) في الأصل: إلهي كيف، وما أثبتناه من «ن».

سيـدي، فما لنا نجتـرئ[1] على معـاصيـك، ثم لا يأخذنا منك الحياء؟ سبحان خالق النور إلهي!

يقول داود: إلهي! قرح الجبين، وجمدت العينان من البكاء مخافة[2] الحريق على جسمي، سبحان خالق النور إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي! طال سجود نبيك داود حتى قرح منه الجبين مناً منك عليه، وإكراماً له فأنـى لـي بالسجود[3]، وأنـا المقصى من[4] بابك بما كسبت يداي؟ سبحان خالق النور إلهي!

يقول داود: إلهي! الويل لداود حين يكشف[5] الغطاء عنه، فيقال: هذا داود الخاطئ. سبحان خالق النور إلهي!

فقل[6] أنت الآن: إلهي! إنما يكشف الغطاء عن داود لداود لنفسه[7] لا لغيره في تلك الحجب الخفيـة، وأنا أخاف أن يكشف عن غطائي على رؤوس الأشهاد للخلق والخليقة، ثم يؤمر بي إلى النار، سبحان خالق النور إلهي!

يقول داود: إلهي! إذا ذكرت ذنوبي، يئست من كل خير، وإذا ذكرت

---

(١) في «ن»: سيدي الشأن فينا أنا نجترئ.

(٢) في «ن»: ومخافة.

(٣) في الأصل: فإني في السجود، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: وأنا المقصر في، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: كشف، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في الأصل: يقول داود: إلهي! وما أثبتناه من «ن».

(٧) في «ن»: عن داود نفسه.

رحمتك، رجوتها[1]. سبحان خالق النور إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي! رحمتك الواسعة جعلت داود لها أهلاً، فإن لم يكن معشر العصاة المذنبين أهلاً لرحمتك أن ينالها، فرحمتك الواسعة أهل أن تنالنا، سبحان خالق النور إلهي[2]!

يقول داود: إلهي! أبكي أيام الدنيا أهون عليَّ من أن أبكي وقد جُعلت في النار، سبحان خالق النور إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي! من وجد إلى البكاء سبيلاً، فقد رحمته، ومن رحمته[3]، بكى بين يديك، فكيف لنا بالبكاء سيدنا[4]، وإنما يبكي[5] من خلص إلى قلبه أوجاع الذنوب، فكيف لنا بوجع الذنوب ولا ننالها[6]؟ سبحان خالق النور إلهي!

يقول[7] داود: إلهي! زعمتُ أني أفزع إلى[8] المحراب، وأغلب الشياطين بقوتي، فوكلت إلى نفسي، فزلت قدمي أبعد ما بين المشرق والمغرب[9]، سبحان خالق النور إلهي!

---

(١) في الأصل: رجوتك، وما أثبتناه من «ن».

(٢) إلهي: ليست في «ن».

(٣) في الأصل: رحمتك، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: سيدي.

(٥) في الأصل: نبكي، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: لا ينالها، والصواب من «ن».

(٧) في الأصل: قول، والصواب من «ن».

(٨) في «ن»: أتفرغ في.

(٩) في «ن»: إلى المغرب.

فقل أنت الآن: إلهي! تزل قدم داود صفيك من المحراب، فكيف أجد القرار؟ أم كيف آمن وأنا مترد[1] في أودية الفتن وسكك البلاء[2] من ذلك القدم؟ أسألك الأمان من الخذلان، سبحان خالق النور إلهي!

يقول داود: إلهي! دعوتك حتى انقطع صوتي، وأثقلت ظهري، وألبس علي أمري[3]، وضاقت بي دنياي، سبحان خالق النور إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي! واشؤم معصيتاه خطيئة تقطع صوت داود عنك، وتصيره[4] كالطير لا ريش لها، فكيف صنعت بنا في تلك العجائب التي رأيتها منا يا حليم؟ سبحان خالق النور إلهي!

يقول داود: إلهي! كنت أُبغض الخطائين وأَمقتهم، فأنا اليوم أرحمُهم؛ لعلك أن تغفر لهم، فتغفر لداود الخاطئ معهم، سبحان خالق النـور إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي! كـان داود يبغض الخطائين، ويحمله على مقتهم غيرةً لك، وإن الحبيب يغار للحبيب، فحل به ما حل، حتى صار يدعو لهم، فكيف بمن أبغضهم إعجاباً بنفسه وعقله عن حال صاحبه، وتيهاً وتعظماً على عبيدك؟ سبحـان خالـق النـور إلهي!

يقول داود: إلهي! بعثتني بالنبـوة[5]، وألبستني لباس الملوك بعد الثياب

---

(١) في «ن»: متردد.

(٢) في الأصل: وسلك البلايا، وما أثبتناه من «ن».

(٣) وأثقلت ظهري، وألبس علي أمري: ليس في «ن».

(٤) في الأصل: ويصير، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: بالنبوة ومتعتني، وما أثبتناه من «ن».

الخشنة، ومنعتني[1] بالمهابة من خلقك، فحدثت[2] نفسي أن أتفرغ لك في المحراب، وأعبدك، وقلت: إني سأغلب نفسي إن وكلت[3] إليها، ولم يكن ينبغي لي أن أقول هذا، فلما وكلت إلى نفسي، أتتني الهلكة، فهلكت حين[4] خذلتني، سبحان خالق النور إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي! لم يحتمل هذا عن صفيك داود، فوكلته إلى ما أعطيته، فلم ينفعه العطية حين تخليت عنه، فكيف بمن ركن في جميع عمره إلى الأسباب؟ واعتصم بالمخلوقين، وشخصت آماله لدى العبيد المربوبين؟ سبحان خالق النور إلهي!

يقول داود: إلهي! لا ينقضي ما[5] أنت معطي النبيين والصديقين من أجل خطيئتي، إنما أنا من ولد آدم المذنب الخاطئ التائب. سبحان خالق النور إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي! داود[6] يخاف على[7] نبوته من أجل خطيئته، فكيف يكون خوفي على توحيدي من أجل جرائمي فيك؟ أعوذ من وبال ما كسبت يداي أن يكون رجعاه سلب إيماني، سبحان خالق النور إلهي!

---

(١) ومنعتني: ليست في الأصل، وأثبتناها من «ن».

(٢) في الأصل: فحدث، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: وكلتها، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: فهلكتني حتى، والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: مما، وما أثبتناه من «ن».

(٦) داود: ليست في الأصل، وأثبتناها من «ن».

(٧) في الأصل: علي من، وما أثبتناه من «ن».

يقول داود: إلهي! يسبح لك الطير بأصوات ضعاف من خشيتك، وليست لها ذنوب، وأنا العبد المذنب الذي لم يكن للساني[1] ولا لقلبي[2] أن يفترا من ذكرك والتسبيح بحمدك، فارحم ضعفي ورقة جلدي من النار التي تعذب بها أعداءك، فلا تجعلني لك عدواً بعد إذ توليتني بأني أعمل[3] عملاً[4] أستحق رضوانك، أو[5] ماذا أقول وقد أحصيت عملي كله، وهو مكتوب عندك في أم الكتاب؟ سبحان خالق النور إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي! تخلصت الطيور في الجو، والوحوش في البراري والقفار، والحيتان في البحار من النار والعار، وتخلص داود بالغفران والرحمة السابقة[6] من الحنان المنان بما سبق له منك[7] من الحظ وقرب المكان، فكيف يخلص من أكرمته بالإيمان، فدنَّس جسمه، وأَخْلَق وجهه، وآثر على ما دعوته إليه الفتن[8] والخسران؟

يقول داود: إلهي! امدد عيني بالدموع، وقلبي[9] بالخشية، وضعفي

---

(١) في الأصل: لساني، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: قلبي، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: بأي عمل.

(٤) عملاً: ليست في «ن».

(٥) في «ن»: أم.

(٦) في «ن»: الشافية.

(٧) منك: ليست في «ن».

(٨) في الأصل: الغبر، وما أثبتناه من «ن».

(٩) في «ن»: وعيني.

بالقوة[1] حتى أبلغ رضاك عني، لك القدرة في أمرك كما تشاء، أنت[2] الحق، وخالق الخلق[3]، ناصيتي بيدك، إن عجز عني عملي في الدنيا، فكيف يغني عني في الآخرة ما قد عجز عني في الدنيا؟ لا[4] أثق بعملي[5] وأنا منه خائف، وأسألك رأفتك يا أرحم الراحمين، سبحان خالق النور إلهي!

ما أعظم ملكك، وأشد سلطانك، وأصدق قولك! من يقوم لغضبك[6]؟ إلهي!

فقل أنت الآن: إلهي! داود محتاج إلى مدد الدموع مع غزارة منابع دموعه، ومحتاج إلى مدد الخشية والقوة مع سلطان النبوة، فكيف تكون حاجةُ مَنْ قلبُه أسيرُ شهواته؟ وتابع نفسه الأمارة بالسوء، وإن لم تداركه بالرحمة التي تنال بها عصمتك، وإلا، فهو أسير عدوه[7] اليوم، وغداً أسير نارك الكبرى.

يقول داود: إلهي! تبت إليك، فتب علي، وتضرعت إليك، فارحم تضرعي، طمح الشيطان بنفسي إلى ما لا ينبغي لي، فإن لم ترحمني، فارحم دموعي.

---

(١) في «ن»: بقوة.

(٢) في الأصل: إله، وما أثبتناه من «ن».

(٣) الخلق: ليست في الأصل، وأثبتناها من «ن».

(٤) في الأصل: ولا، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: بعمل، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في الأصل: بمعصيتك، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في الأصل: عدو، وما أثبتناه من «ن».

فنودي: يا داود! أتذكر دمعك، ولا تذكر ذنبك؟

فنادى: أعوذ بنور وجهك من ظلمة خطيئتي[1]، ومن العمى والصمم يوم يتجلى نورك لمن شئت من خلقك، ويسمع كلامك من رحِمتَ[2] من خلقك، هذا مكان العائذ بك، أعوذ برأفتك من شدة عقابك، وبرحمتك[3] من عذابك، وبعزتك من الذل والخزي يوم تجمع خلقك لفصل[4] القضاء.

إلهي! أصبح الشيطان يعيرني، ويقول: يا داود! أين كان منك ربك حين واقعت الخطيئة؟

إلهي! نحل جسمي من خشيتك، واشتد خوفي من قضائك، ولا أجد لي أسوة فيمن خلقت، من أجل أنك سميتني نبيك وخليفتك، وأنزلت عليَّ الزبور نوراً للبصر، وربيعاً للقلب[5]، وأمرتني فيه أن أكون لليتيم كالأب الرحيم، وأن أكون عضداً للضعيف والمظلوم، فلم أبطئ على[6] الفتنة إذ عرضت لي، بل أسرعت إليها، سبحان خالق النور إلهي!

إلهي! هذا مكان العائذ بك، إني أخطأت[7]، وكنت في خطيئتي كالأعمى في الظلمات، وكالأصم مع البكم، قد علمت أن مصيري ومرجعي إلى

---

(١) في «ن»: من ظلمة ذلتي وخطيئتي.
(٢) في الأصل: من رحمة، وما أثبتناه من «ن».
(٣) في الأصل: ورحمتك، والصواب من «ن».
(٤) في الأصل: بفضل، وما أثبتناه من «ن».
(٥) في «ن»: للقلوب.
(٦) في «ن»: عن.
(٧) في الأصل: أين أخطأ، والصواب من «ن».

حسابك، وأنت تدين بالحق إله الخلق[1]، شديد الملك، عظيم السلطان، ظاهر الجبروت، عزيز جبار لا يكلمك إلا من أذنت له، سبحان خالق النور إلهي!

إلهي! إنما أنا من ولد آدم الذي أصاب الذنب وهو في الجنة، فأكل من الشجرة التي نهيته عنها، ونزع عنه لباسه الذي كسوته، ونظر بعينه إلى عورة زوجته، وعاين ما كتب عليه من مرارة العيش، ثم استنقذته بالتوبة بكلماتك التي علمته، فجليت بهن عن بصره، وواريت بهن عورته، ووعدته الرجوع إلى الجنة، وافترضت عليه التوبة وعلى ذريته من بعده، سبحان خالق النور إلهي!

إلهي! بأي فم أتكلم بين يديك؟ أفبالفم الذي به[2] أخطأت؟! وبأي لسان أنطق، وأنت إله الحق والصدق؟! وعلى أي رجلين أقوم قدامك يوم القيامة؟ وكيف يقوم من كان الباطل عمله، والكذب قوله؟ وأي قدم تحمل[3] ما جنيته؟

إلهي! أين أهرب من غضبك إلا إلى رحمتك، وبمن أستغيث إلا بك؟ سبحان خالق النور إلهي!

فنودي: يا داود! ارفع رأسك، فقد غفرنا لك، وجاءه جبريل عليه السلام، فأسنده إلى صدره، وقد سقطت فروة وجهه، وبقي في ذلك الطين الذي

---

(١) في «ن»: الحق.

(٢) به: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: حمل.

ابتل من دموعه، وبشره[1]: أن الله قد تغمد بعفوه زلته[2]، فقال: إلهي! إن لي[3] حاجة إلى السموات والأرض، وإلى هذا الخلق أن ينصتوا لي، فأمر الله ـ تبارك وتعالى ـ للسموات السبع والأرض بمن فيهن من الخلق، فأنصتن[4] لداود، فنادى: إلهي! كيف[5] وأنت حكم عدل؟ وأنا الذي قدمت أوريا بن حنان في مقدمة الخيل إلى التابوت حتى يقتل، فهو يطلبني بدمه يوم القيامة، فنودي: يا داود! اذهب إلى الصخرة، وضع جبهتك عليها، ونادِ أوريا، وسله عن ذلك.

فذهب داود عليه السلام حتى وضع جبهته على الصخرة، ونادى: يا أوريا! فأجابه، قال: لبيك يا نبي الله، لم دعوتني وأخرجتني من النعيم الذي كنت فيه؟ قال: إني أذنبت إليك ذنباً[6]، قال: قد تجاوزت[7] عنك يا نبي الله، فخرج مستروحاً إلى ذلك، فاستقبله جبريل عليه السلام، فقال: ما صنعت؟ قال[8]: قد تجاوز عني، قال: هل أخبرته بما أتيت إليه؟ قال: لا، قال: فإنك لم تصنع شيئاً[9]، اذكر له الذنب الذي أتيت إليه، فرجع داود عليه السلام، فنادى:

---

(١) في الأصل: وبشر، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: تغمد بمغفرة زلتك، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: بي.

(٤) في «ن»: صمتن، وفي الأصل: فنصتن، والصواب ما أثبتناه.

(٥) في الأصل: فكيف، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في الأصل: أذنبت ذنباً، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في الأصل: تجاوز، وما أثبتناه من «ن».

(٨) ما صنعت؟ قال: ليست في الأصل، وأثبتناها من «ن».

(٩) في «ن»: تصنع شيئاً، لعله ظن شيئاً آخر.

يا أوريا! قال: لبيك يا نبي الله، لم أخرجتني من النعيم؟ قال: إني أذنبت إليك ذنباً، فتجاوز[1] عني، قال: أوليس قد فعلتُ ذلك[2]؟ قال: ألا تسألني عما أتيت إليك؟ قال: وما هو يا نبي الله؟ قال: بسبب[3] بتشابع امرأتك، فقص عليه القصة، فسكت أوريا، وانقطع الجواب عن داود عليه السلام، قال: أجبني يا أوريا، وتجاوز عني، قال: يا نبي الله! ما هكذا تفعل الأنبياء يا نبي الله؟ نعم حتى أقوم[4] بين يدي الله أنا وأنت، فصاح داود صيحة أفزعت الخلق والخليقة، وخر لوجهه ينادي: إلهي! قد فني الدمع، وانقطع عني، وطال حزني، ورق عظمي، وبلي لحمي، ونحل جلدي، وبقي ذنبي على ظهري، إليك أشكو فاقتي وضعفي وقلة حيلتي، سبحان خالق النور إلهي!

الهي! لو أتيت أطباء عبادك في بلادك، فكانوا كلهم عليك يدلني، إلهي! لو تؤاخذ كل[5] من في الأرض[6] جميعاً بذنبي، لم يكن لهم في ذلك حجة، ولا معذرة، فكيف لي في مثل ضعفي؟ وكيف أطيق ذلك وحدي؟

إلهي! زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب، حتى خفت أن يجعل ذنبه[7] حديثاً للخلوف بعد الخلوف، فارحم ضعف داود، إلهي! من يسأل

---

(١) في الأصل: فتجاوزه، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: أوليس قد نحلت.

(٣) في الأصل: نبي الله لسبب، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: نبي الله فسأقوم.

(٥) كل: ليست في «ن».

(٦) في «ن»: الأرض كلهم.

(٧) في الأصل: ذنباً، وما أثبتناه من «ن».

العبد إلا[1] ربه؟ وأنت ربي، وأنا عبدك، وأنت الغني، وكلٌّ إليك فقير، ومن يسأل الفقير إلا الغني؟ وأنت واجد[2] لكل ما سألت عنه، يغنيهم فضلك، وليس بك فقر إلى أحد، سبحان خالق النور إلهي!

إله إبراهيم الذي أنجيته من أيدي الجبابرة، وبعظمتك أنجيته من حريق النيران، وإلـه إسحاق الذي أكرمتـه بالبلاء، فكشفت عنه بالصبر واليقين، وجعلته قرة عين لوالديه، وإله يعقوب الذي أكرمته، وجعلت منه أنبياء، وابتليته بيوسف، فرددت عليه بصره، بعد صبره، ويقينه[3]، أنا من سبطهم[4] وذريتهم، فارحمني بفضل رحمتك إياهم، فنودي: يا داود! ارفع رأسك، أما الخطيئـة، فقد غفرناها[5] لك، وأما خصمك، فأمكنه منك يوم القيامة، ثم أستوهبك منه، فيهبك لي، وأعطيه حتى يرضى، وأما المودة، فقد[6] انقطعت بيني وبينك، وما[7] أسرعَ ما نسيتَ عهدَ ربك يا خليفة الرحمن؛ حيث[8] قال لك: يا داود! عاد نفسك، وودني بعداوتها، جاءت الفتنة، فحالت[9] بينك وبين الوفاء بها، وجرت النفس بك في ميدان القضاء في قضاء

---

(١) في الأصل: إلى، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: أوجد، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: وأمنته، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: أثبطهم، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: غفرتها.

(٦) فقد: ليست في الأصل، وأثبتناها من «ن».

(٧) في «ن»: ما.

(٨) حيث: ليست في الأصل، وأثبتناها من «ن».

(٩) في الأصل: فحاولت، والصواب من «ن».

ما عرض لك من المنى، فإن كانت المودة قد انقطعت، فالمحبة قائمة، والحظ باق، فمنها حديث المودة، وإنما كانت المودة التي انقطعت ما شارطه ربه أن قال: ودني بعداوة نفسك.

فعادى نفسه، فجعل له وداً بعداوته[1] نفسه، فلما أعطاها منيتها انقطع[2] الود، فلما تاب عليه، وقبله، جعل له بدل الود عطفاً وشفقة، فلم يزل داود يزداد بذلك العطف والشفقة قرباً، وكلما ازداد منه بذلك قرباً، ازداد بقلبه وجعاً، وفر من ربه حياء[3]، وكلما ازداد من ذلك، ازداد من الله عزاً، ومنةً، وشرف محلٍ، وعظيم قدرٍ[4]، وازداد كرامة ونيلاً حتى صار رأس البكائين، ومسعد الخطائين على الذنوب نوحاً وعويلاً بعد أن كان يتغيظ عليهم حنقاً، فلم يزل باكياً منكساً رأسه من الحياء، حتى كادت نفسه تزهق من الوجد والأسى، وأقسم[5] أن لا يشرب شراباً إلا مزجه بدموع عينيه، ولا يطعم طعاماً إلا خلطه[6] بالرماد؛ لئلا تصل إلى نفسه لذة الطعام والشراب، وكان إذا خرج إلى الناس، ألقى نفسه بين الخطائين، ويقول: مسكين بين ظهراني مساكين، وسأل ربه أن ينقش له خطيئته في يده اليمنى، فكان لا ينظر إليها إلا

---

(١) في الأصل: له وفاء بعداوة، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: أعطاها مشيئته، خاف قطع الود، وأثبتنا ما في «ن».

(٣) في الأصل: وجعاً، وتزايد حباً، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: ازداد على الله عزاً، وصفة شرف بحل، وعظم قدر داود، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: أقسم، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في «ن»: خلط.

رجفت[1] يده، حتى سقط ما تناوله، وكان إذا علا المنبر، رفع بيمينه[2]، فاستقبل بها الناس؛ ليريهم نقش خطيئته، فكان ينادي: إلهي! إذا ذكرتُ خطيئتي، ضاقت علي الأرض برحبها، وإذا ذكرت رحمتك، ارتد إلي روحي، رب! اغفر للخطائين كي يُغفر لداود معهم، فكان يقعد على سبعة[3] أفرشة من الليف محشوة[4] بالرماد، فكان تستنقع دموعه تحت جنبه[5]، حتى تنفذ الأفرشة كلها، وكان إذا كان يوم نوحه، نادى مناديه في الطريق والأسواق والأودية والشعاب، وعلى رؤوس الجبال، وأفواه الغيران: ألا إن هذا اليوم يوم نوح داود، فمن أراد أن يبكي على ذنبه، فليأت داود، فيسعده[6]، فيهبط السياح والعباد[7] من الغيران والأودية، وترتج الأصوات حول منبره، والوحوش، والسباع، والطير عُكَّف، وبنو إسرائيل حول منبره، فإذا أخذ في العويل[8] والنوح، وأنارت الحرقات[9] منابع دموعه، صارت للجماعة ضجة واحدة نوحاً وبكاء، حتى[10] يموت حول

---

(١) في «ن»: أرجفت.

(٢) في الأصل: وكان إذا أدبر، بسط يمينه، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: سلعة، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: حشوه، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: رجليه.

(٦) في الأصل: فليسعده، وما أثبتناه من «ن».

(٧) والعباد: ليست في «ن».

(٨) في الأصل: التغريد، وما أثبتناه من «ن».

(٩) في الأصل: والنوح وأمارات الخيرات، وما أثبتناه من «ن».

(١٠) حتى: ليست في الأصل، وأثبتناها من «ن».

منبره بشر كثير في مثل ذلك اليوم.

وكان ينادي في جوف الليل: إلهي! هدأت العيون، وغارت النجوم، وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم، ذنبي عظيم، وأنت الرب العظيم، قد علِمتَ سري، فاقبل معذرتي[1]، وقد علمت ما في نفسي، فأقلني عثرتي، إليك رفعت رأسي، يا ساكن السماء! نظر العبيد إلى أربابها يا عامر السماء تساقطت القرى، وأبطل[2] ذكرهم، وأنت دائم الدهر مستغني[3] كرسي القضاء.

ولما أصاب الخطيئة، نفرت الوحوش عنه، فنادى: إلهي! رد علي الوحوش كي آنس بها، فرد الله عليه الوحوش، فأحطن به وأصغين بأسماعهن نحوه[4]، فرفع صوته بقراءة الزبور، والبكاء على نفسه، ونادينه: هيهات يا داود، ذهبت الخطيئة بحلاوة صوتك.

قال: وقال الله تعالى له: قد غفرت لك يا داود، وألزمت عارها بني إسرائيل، قال: وكيف ذلك يا رب وأنت الحكم العدل لا تظلم أحداً، أنا أعمل الخطيئة، ويلزم عارها غيري؟

فأوحى الله إليه: إنك لما اجترأت عليَّ بالمعصية، لم يعجلوا عليك بالنكرة[5].

---

(١) في «ن»: عذري.

(٢) في الأصل: وأبطأ، وأثبتنا ما في «ن».

(٣) في «ن»: مستعد.

(٤) في الأصل: نوحه، وما أثبتناه من «ن».

(٥) جاء بعض من هذا الكلام في أحاديث متفرقة من كتاب «العقوبات»، و«الرقة والبكاء». وفي بعض هذه الألفاظ نكارة ومخالفة للعقيدة الصحيحة، وقد سبق التنبيه عليه.

وأما محمد ﷺ:

فإنه وافى باب زيد بن حارثة، ووقع بصره على امرأة زيد، وهي زينب بنت جحش، وهي في خمار أسود، وكانت وسيمة ذات هيئة، وهي واقفة في صحن الدار، فوقعت في نفسه، فقال بكفيه على عينيه، وتولى، وقال: سبحان مقلب القلوب! فرجع إلى منزله.

فروي في الخبر: أنه [1] لما أوى زيد إلى فراشه تلك الليلة[2]، عجز عنها، فقالت زينب: أرادني وما يستطيعني، وما امتنعت[3]، فعلمت أن هذا من أمر[4] الله[5].

وروي في الخبر[6]: أن زيداً أصابه هناك ورم حتى حيل بينه وبينها[7]، فلما رأى ذلك، أحس بأمر حادث من الله، وجاء إلى رسول الله ﷺ ليطلقها، فاعتل بعلل؛ تطييباً لرسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إن زينب لا تأتي ما أحب، ولا تبرني[8]، ولا تطيعني في أشياء؛ كهيئة الشكوى، فقال: اتق الله يا زيد، وأمسك عليك زوجك[9].

---

(١) في الأصل: أنها، وما أثبتناه من «ن».

(٢) تلك الليلة: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٣) في «ن»: وما أمتنع منه.

(٤) أمر: ليست في «ن».

(٥) تقدم هذا في الأصل التاسع والأربعين والمئة.

(٦) في الخبر: ليست في «ن».

(٧) في «ن»: بينه وبين إتيانها.

(٨) في «ن»: ولا تبر قسمي.

(٩) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦١٤) لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني عن قتادة ﷺ.

فلم يزل زيد على عزمه الذي عزم لله على قلبـه، فكما قلَّب قلب صفيه محمد ﷺ، فهواها، فكذلك قلَّب قلب[1] عبده زيد حتى طلقها، وانقضت عدتها، فنزل القرآن بتزويجها منه، وولي الله تزويجها منه على لسان الروح الأمين، فكانت تفتخر على سائر أزواجه فتقول: إن الله أنكحني من العرش، وهو وليي من دون الخـلق، والسفير[2] في ذلك جبريل عليه السلام، فلما نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا [3] زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[الأحزاب: ٣٧]، قام رسول الله ﷺ، فدخل عليها[4] وهي لا تعلم بشيء، فقعد عندها.

(١١١١) ـ حدثنـا أبي رحمه الله، قال: حدثنـا محمـدُ بنُ الحسنِ، قال: حدثنـا عبـدُالله بنُ المبـاركِ، قال: حدثنـا سليمانُ بنُ المغيرةِ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أن رسولَ الله ﷺ بعث إلى زينبَ حين انقضت عِدَّتها، فخطبها، فقالت: حتى أؤامر ربي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن بتزويجها، فقام رسولُ الله ﷺ، فدخل عليها بغير إذن[5].

---

(١) قلب: ليست في «ن».

(٢) في «ن»: ونزل.

(٣) قوله: فلما نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾: ليس في «ن».

(٤) فدخل عليها: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٥) أخرجه مسلم (١٤٢٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨١٨٠)، وابن المبارك في «الزهد» (ص: ٥٤١ ـ ٥٤٢)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ٣٦٢)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٣٣٢) من طريق سليمان بن المغيرة، به.

وأما الأول: وهو يوسف ـ صلوات [الله] عليه ـ، فقال حين شخص له البلاء: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾[يوسف: ٢٣]، اعتصم بالله، وأخذه العدة من التعوذ به، وذكر إحسان من مَلكه، وأن هذا كفران النعمة أن أخونه في أهله.

والثاني: وهو[1] داود عَلَيْهِ السَّلَامُ حين شخص له البلاء، اعتصم بالحيل للنفس، فنقل تلك المرأة إلى نسائه؛ لتطمئن النفس به.

والثالث: وهو محمد ﷺ فزع إلى الله فرداً حين شخص له البلاء، واعتصم بفرديته.

ألا ترى أنه قال: سبحان؟ فذكر نزاهة الفردية[2]، ثم انظر بأي شيء وصفه، وبأي شيء نطق، فقال: مقلب القلوب؛ فإن التقليب إنما[3] خرج من مشيئته[4]، ولأن القلوب لم يكلها إلى أحد، وهو الذي يقلبها[5] كيف شاء، فهذه أظهر كلمة، وأبرأها من الأسباب ذكر نزاهته، ثم ذكر مشيئته، فتعلق بها، وتضرع[6] إليه أن لا يقلبها إلى ما لا يليق بها، ولا يحسن عنده، فكان عقبى تعلق يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أن[7] ترك حتى هم بها، وكاد الأمر أن يكون،

---

(١) وهو: ليست في الأصل، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: الفرد، وما أثبتناه من «ن».

(٣) إنما: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٤) في «ن»: المشيئة.

(٥) في «ن»: يلي تقلبها.

(٦) في «ن»: تضرع.

(٧) في الأصل: بأن، وما أثبتناه من «ن».

ثم تداركه الرحمن برحمته حتى نال بها[1] الاستخلاص.

ألا ترى أنه قال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾[يوسف: ٢٤]؟ ثم قال: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف: ٢٤]، فنسب فعل الإخلاص إلى نفسه، لا إلى يوسف، ولم يقل مخلِصين، وإنما[2] قال: مخلَصين، وصرف عنه بالبرهان، وهو جبريل عليه السلام في صورة يعقوب عليه السلام، وهو سبب من الأسباب.

وكان عقبى تعلق داود عليه السلام: أن تركه حتى هم بما هم من شأن أوريا، حتى مضى الأمر إلى آخره، ثم نبهه بالملكين، وملأ الشرق والغرب[3] بكاء وعويلاً وصراخاً، حتى عجبت الملائكة وخليقة الأرض من الطيور والوحوش والدواب[4] جزعاً على مأثمه[5] للمصيبة التي حلت به، والحرقات[6] التي هاجت منه، وصارت إنابته وتوبته حديثاً للعالمين يكون مدد التوابين[7] أيام الدنيا.

وكان عقبى تعلق محمد ﷺ أن ولي خلاصه من ذلك بنفسه فرداً، كما فزع إليه فرداً، فمنع زيداً من إتيانها، وأخذ بقلبه عنها، حتى عجز عنها، فطلقها، وهذه من الربوبية خرجت له، ثم ولي تزويجها منه فرداً، وأنبأه من

---

(١) في «ن»: تداركه برحمته التي بها نال.

(٢) في «ن»: إنما.

(٣) في «ن»: المشرق والمغرب.

(٤) في «ن»: وخليقة الرحمن وخليقة الأرض من الوحش والطير والحيتان والدواب.

(٥) في الأصل: وجزعاً حتى ما أثمه، والصواب من «ن».

(٦) في «ن»: والأحزان.

(٧) في «ن»: في العالمين لتكون مدداً للنواحين.

طريق الوحي أن قد[1] زوجناكها.

أخرجه من تدبير أهـل الدنيا، فإنما تدبيرهم أن يزوجـوا بولي، ورضا المرأة، وشاهدين، وصداق[2]، فأخرجه من تدبير جميع خلقه، قال[3]: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[الأحزاب: ٣٧]، وليـس هاهنـا صـداق، ولا شهود، ولا ولي، ولا رضا.

فمن هاهنا قال العلماء: إذا زوج الرجل عبده أمته، ولم يفرض لها[4] صداقاً، جاز؛ لأنه ملكه، فهذه مرتبة رفيعة لمحمد ﷺ أن أخرج شأن تزويجه لزينب من تدبيره لعامة خلقه، زوج أمته من عبده، فولي ذلك بكرمه ورحمته، وأشهد الوحي[5] على ذلك، وجعل مرتبته صداقاً لها منه، فأعلم الأمة محل[6] هذه القلوب الثلاثة أين كانت منه، وبروز قلب محمد ﷺ على سائر القلوب ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.



(١) قد: ليست في الأصل، وأثبتناها من «ن».

(٢) في الأصل: وشاهدين من صداق، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: فقال.

(٤) لها: ليست في «ن».

(٥) في «ن»: الروح الأمين.

(٦) في «ن»: لها فانظر إلى محل.



الأصل الثاني والعشرون والمئتان

(١١١٢) ـ حدثنا سفيانُ، قال: حدثنا جريرٌ، عن مغيرةَ، عن الشعبيِّ، عن النعمانِ بنِ بشيرٍ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ فِي الجَسَدِ مُضغَةً إِذَا صَلَحَت، صَلُحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَت، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»(١).

(١١١٣) ـ حدثنا أبي رحمه الله، قال: حدثنا الفضلُ بنُ

---

(١) أخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٢٩٧) من طريق جرير، به.
وأخرجه مسلم (١٥٩٩)، وابن ماجه (٣٩٨٤)، والطيالسي في «المسند» (ص: ١٠٦)، والدارمي في «السنن» (٢/ ٣١٩)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٢٣٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٣٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٦٤)، وفي «شعب الإيمان» (٥/ ٥٠) من طريق الشعبي، به.
وأخرجه أبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣/ ٤٢٤) من طريق المغيرة، به.
وأخرجه البخاري (٥٢)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ٤٤٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٣٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٧٥) من طريق النعمان، به.

دُكَينٍ، قال: حدثنا زكريـا بنُ أبي زائـدةَ، عن الشعبيِّ، عن النعمانِ بنِ بشيرٍ رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ، بمثله[1].

فالقلب: ملك، والأركان عبيـد، إنما يعمل كـل ركن في معمله بمشيئة القلب وأمره[2] والقلب في مشيئة الله يشاء[3]، لم يكلها إلى أحد سواه، ولم يطلع على القلب أحداً، يضع منها ما شاء، ويرفع منها[4] ما يشاء، فالنور فيه، والتوحيد فيه، والطاعات منه، وفكر ذلك كله[5] في الصدر، وعن الصدر تصدر الأمـور، ولذلك سمي الصدر[6] صـدراً، والقلب لتقلبـه، والفـؤاد لتفييده، وهي بضعة واحدة، فالفؤاد: البضعة[7] الظاهرة، والقلب: البضعة الباطنة التي في جوف الفؤاد، وفي الفؤاد العينان والأذنان.

ألا ترى إلى قوله عز وجل: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[النجم: ١١]، فنسب الرؤية إلى الفؤاد، ومنه قيل لخبز الملة[8]: خبز فئيد[9]؛ لأنها خبزة في جوف خبزة،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، وابن ماجه (٣٩٨٤)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ٤٤٨)، والدارمي في «السنن» (٢/ ٣١٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٣٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٦٤)، وفي «شعب الإيمان» (٥/ ٥٠) من طريق زكريا، به.

(٢) في الأصل: والأمر، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: شيئان، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: منه، والصواب من «ن».

(٥) كله: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٦) الصدر: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٧) في الأصل: لتفييده، وهي البضعة، وما أثبتناه من «ن».

(٨) في الأصل: ملة، والصواب من «ن».

(٩) في الأصل: فنيد، والصواب من «ن».

وما ظهر منها وقايتها من الرماد والحريق، فالقلب معدن النور، ومنظر الرب ـ تبارك وتعالى ـ، ومستقر التوحيد، والصدر موضع التدبير والفكر، والنفس معدن الشهوات، فإذا وجدت النفس طريقاً إلى القلب، مرت بشهواتها إلى القلب، فدنست الإيمان، وكان كما وصف رسول الله ﷺ فيما قال له رجل: أخبرني يا رسول الله بوصية قصيرة فألزمها؟ قال: «لاَ تَغضَب؛ فَإِنَّ الغَضَبَ يُفسِدُ الإِيمَانَ كَمَا يُفسِدُ الصَّبِرُ العسَلَ»[1].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الإِيمَانُ حُلوٌ نَزِه، فَنَزِّهُوهُ»[2].

فنزاهته: أن تعظم نفسك عن الشهوات، حتى لا يصل إلى قلبك منها أذى[3]، فيكون بمنزلة ماء صاف جرى إليه ماءٌ كدر، فذهب بصفائه، أو عسل ماذي وصل إليه غبار الحنظل[4] المر والصبر، فغيره عن حلاوته، وذلك: أنه استقر في قلبك بذلك النور توحيد رب واحد ليس له نظير، ولا مشارك في شيء، وهو[5] رب ودود كريم، فوجدت حلاوة شعورك[6] بإلهك أكثر من عبد يشعر[7] بأن لـه سيداً يسود[8] السادات في الدنيا، ويملك[9] سادة

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٣١١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٨٠) عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل الثالث والعشرين.

(٣) في الأصل: قلبك منه شيء، والصواب من «ن».

(٤) الحنظل: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٥) في الأصل: في، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: بشعورك، والصواب من «ن».

(٧) في «ن»: شعر.

(٨) في «ن»: سيود.

(٩) في الأصل: الدنيا، أو يملك، وما أثبتناه من «ن».

الملوك بغناه وملكه وسؤدده، فصال به على أهل الدنيا أن له سيداً هكذا، فامتلأ قلبه بذاك سروراً وفرحاً، ولكل سرور وفرح حلاوة، فهذا في عبيد الدنيا، فكيف رب العالمين[1]، ومالك الملوك، وسيد السادات إذا شعر الموحد بذلك من ربه إذا ظهر[2] له وداده وكرمه، وبره وحبه لعبده، فأي شيء بقي للعبد مما به إليه حاجة إذا تم[3] له هذا منه؟ فهذه حلاوة التوحيد ونزاهته، فجاءت شهوة النفس، ووجدت سبيلاً إلى القلب، خالطته وكدرته، ومازجت حلاوته، فدنست وكدرت، فلا خسران أعظم من هذا.

فما ظنك بمن خلع على بعض قواده ـ وهو ملك من الملوك ـ خير خلعة في خزائنه، فذهب فدنسها، وأخلقها[4] بقلة التوقي بلبسها لها[5] عن مواضع[6] الدنس؟ ألم يك محقوقاً أن يسلب ويهان؟ أوليس على حياء من فعله في يومه الذي يدخل فيه[7] على الملك بتلك الخلعة؟ فانظر ماذا حل للموحدين من هذا الذي وصفت؟ وأي شيء عملت هذه النفوس بأهلها؟ وهي لباس التقوى الذي[8] ذكر الله في تنزيله، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٦].

---

(١) في «ن»: العبيد.

(٢) في الأصل: بذلك مودته وإذا ظهر، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: بقي للعبد بما من على سيده أن تم.

(٤) وأخلقها: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٥) لها: زيادة من «ن».

(٦) في الأصل: في مواضع، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في «ن»: فيها.

(٨) في الأصل: التي، والصواب من «ن».

وأي[1] آية أعظم من رجل أعطى قلبه[2] خلعة، فإذا جاء يوم القيامة، غُشي بها، ووقي حتى يجوز النار كلها وهي خامدة من سلطان تلك الخلعة، فمثل القلب مع قلة اليقين، وكثرة صور الطاعات[3] مثل ملك له عبيد، لهم هيئة، وشارة ومراكب، وزي الأغنياء، والملك فقير معدم، ليست له مادة، ولا كنز، إنما ملكه على ما ظهر منه، فالعاقل إذا نظر إليه، يقول في نفسه: ليس لهذا الأمير نظام، ولا له دوام، فإنه معدم[4]، وهذه الهيئات التي أراها لا تدوم، وسيحتاج إلى مثلها، وليس له مدد، وإن برز له مناوئ، فإنما زوال ملكه، وضياع هؤلاء العبيد، وتغيير أحوالهم، بأدنى مناوشة من هذا المناوئ العارض له.

وإذا كان الملك ذا كنوز ومادة[5]، والعبيد في هيئة بزةٍ، لم يجسر على مناوءته ولم يعزه ذلك من فعله يقول في نفسه: له بيوتُ أموال من الكنوز، ففي ساعة واحدةٍ يُصيرهم فرساناً يجمع آلة الفرسان، ويكسوهم من الكسوة، ويعطيهم من العدة ما يعرفهم بغناه، فكذلك الذي قلبه بين يدي الله في غناه وسلطانه، قد احتظى منه الحظ الأوفى من جلاله، وعظمته، وكبريائه، ومجده، فهو بتلك الأنوار مشرق صدره بها.

فإن رأى أركانه معطلة من أعمال البر، لم يضره[6] ذلك؛ لأن الملك

---

(١) في «ن»: وأية.

(٢) في «ن»: على قلبه.

(٣) مع قلة اليقين وكثرة صور الطاعات: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٤) في «ن»: معدوم.

(٥) في «ن»: كان الملك غنياً ذو مادة.

(٦) في «ن»: لم يجزئه، وفي الأصل: يحيره، ولعل الصواب ما أثبتناه.

غني، قوي الأركان لم[1] يضره، فإنه لا يترك فرضاً، إنما يترك فضلاً، وأي شيء يستبين من[2] فضائل الأركان في جنب ما تفضل الله به[3] عليه، ومنَّ به من معرفته التي برز بها على خلقه[4]، فلو زالت الجبال، لم تزل، قد عرف الله معرفة، قد وثق به في جميع أحواله، وفوضها إليه، ناظراً إلى تدبيره، ومراقباً له، قابلاً أحكامه، قنعاً بالذي يؤتى من الدنيا[5]، مؤتمراً بأمره، مطمئناً له، ليست له همة، ولا نهمة، ولا قرار، إلا الخلاص من هذا السجن الذي أخذ بنفسه، قد ضاقت عليه الدنيا، وصارت له سجناً بطول احتباسه؛ لأنه ظمآن إلى لقاء الصفاء، وأي شيء ألذّ من لقاء العبد سيده الذي كان أمله من الدنيا والآخرة؟

وإنما فقدت هذه اللذةَ العبيدُ الإباق الذين جهلوا سيدهم، ومتى سمعت بعبد شهوته في الإباق، ومنيته الإباق من سيده أنه يحب لقاء سيده؟ وهل شيء أثقل عليه من لقاء سيده[6]؟ وإنما أبقوا من مولاهم؛ لأنهم تعجلوا حرية النفس، وتقلبهم[7] في دنياهم وشهواتهم، استبطؤوا[8] الحرية، فتعجلوها[9]، فهربوا من العبودة، ولو وجدوا لذة العبودة، لم يهربوا، وإنما

(١) في «ن»: لا.

(٢) من: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٣) في الأصل: به وصلاً، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: الخلق.

(٥) في «ن»: دنياه.

(٦) في الأصل: السيد، وما أثبتناه من «ن».

(٧) وتقلبهم: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٨) في الأصل: استطابوا، والصواب من «ن».

(٩) في الأصل: الحرية فتعجلوا بها، والصواب من «ن».

فقدوا لذة العبودة؛ لأنهم جهال، بمنزلة العبودة، فقد عرفوه وهم به جهال، لم ينكروه بعد أن عرفوه، ولم يشكوا فيـه بعد أن أيقنوا، وعلموه علم[1] اللسان أنه عظيم، وأنه جليل، وأنه كبير، وأنه مـاجد بهي، وأنه كريم واحد عَلي، وأنه حنان منان، وأنه محسن مفضل.

ولكنه لم يتراء على قلوبهم نور جلاله، ولا حل بقلوبهم عظمة الله، ولا تجلل عليهم كبرياء الله، ولا عارضها سلطانه، ولا طالعت مجده وبهاءه، ولا عـاينت منـنه وإحسانه وأياديه، ولا فهمت تدبيره ولطفه في الأمور، ولا انتبهت لربوبيته التي قد ملكت الخلق، ولا شربت بالكأس الأوفى من محبته، ولا ظمئت من الشوق إليه، ولا ولهت وَلَهَ العُكَّف ببابه، ولا حملت حمول الوُفَّد من مهابته، ولا تفسحت في ساحات توحيده مستأنسة بجماله، ولا انفردت لأحدية الأحد الصمد، ولا حييت بحياة الحي القيوم، ولا خلصت لواحدية[2] الواحد، ولا طابت بنسيم قربه، ولا انشرحت صدورهم بذلك من قلوبهم، إنما علموا جميع ما ذكرنا علماً مجملاً، اقتضاهم الإيمان الإقرار بذلك قولاً، والاعتقاد لـه قلباً، وصدورهم[3] غير منشرحة[4] بباطن علمه، فمن جهل هـذا، اكتفى بهيئة العبيد، والملك فقير معدم.

فالغافل ينظر إلى صلاته، وصيامه، وحجـه، وجهاده، وأعمال بره؛ من الصدقة، وعتق الرقاب، وبناء الرباطات والقناطر، وغسل المـوتى، وحفر

---

(١) في الأصل: علماً، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: لوحدانية.

(٣) في الأصل: ولا شرحت صدور، والصواب مع الزيادة من «ن».

(٤) في الأصل: مرحة، والصواب من «ن».

القبور، وتشييع الجنائز، وعيادة المرضى، فكأنه نظر إلى أركان، وجوارح كهيئة[1] عبيد عليهم ثياب جدد، وهيئة مرتفعة، ومراكب سرية، وأسلحة وافرة.

فإذا نظر إلى باطن أحدهم، وجد خوف الرزق على قلبه كالجبال، كاد[2] يموت من همه، وخوف الخلق، وخوف سقوط المنزلة من قلوبهم، والفرح بمدحهم والثناء عليه[3]، وحب الرياسة، فطلب العلو[4]، والتبصبص للأغنياء، والاستحقار للفقراء، وتناول النعمة على أيدي الغفلة، والأنفة من الفقراء[5]، والاستكبار في موضع الحق، والحقد على أخيه المسلم، والعداوة، والبغضاء، وترك الحق لمخافة ذل ينزل به، والقول بالهوى، والحمية والرغبة في الدنيا، والحرص عليها، والشح، والبخل، وطول الأمل، والأشر، والبطر، والغل، والغش[6]، والمباهاة، والرياء، والسمعة، والاشتغال بعيوب الخلق، والمداهنة، والإعجاب بالنفس، والتزين للمخلوقين، والصلف، والتجبر، وغرة النفس، والقسوة، والفظاظة، وغلظ القلب، والغفلة، وسوء الخلق، وضيق الصدر، والفرح بالدنيا، والحزن على فوتها، وترك القناعة، والمراء في الكلام، والجفاء، والبطش[7]، والعجلة، والحدة[8]، والجرأة،

---

(١) في الأصل: لهيئة، وما أثبتناه من «ن».

(٢) كاد: ليست في «ن».

(٣) عليه: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٤) العلو: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٥) في «ن»: من الفقر.

(٦) والغل والغش: ليست في «ن».

(٧) في «ن»: والطيش.

(٨) في «ن»: والحدة والحقدة.

وقلة الرحمة[1]، وقلـة الحياء، والاتكال على الطاعـات، والأمن لسلب ما أعطي، وفضول الكلام، والشهوة الخفية، وطلب العز، واتخاذ إخوان في العلانية على عداوة في السر، واختبار الأحوال، والتملك، والاقتدار في الله[2]، وذهاب ملك النفس إذا رد عليه قوله، والتماس المغالبة لا لله، والانتصار للنفس[3] إذا نالهـا الذل، والأنس بالمخلـوقين، والوحشـة إذا عجـز عـن رؤوسهم، والتعظيم للأغنياء من أجل غناهم، والاستهانة للفقراء من أجل فقرهم، والحسد، والغيبـة[4]، والنميمة، والجـور، والعـدوان.

فهذه كلها مزابل قد انضمت عليها طوايا[5] صدره، وظـاهره: صوم، وصلاة، وزهادة، وأنواع أعمال[6] البر، فإذا انكشف الغطاء بين يدي الله ﷻ عن هذه الأشياء، كان كمزبلة فيها أنواع الأقذار، غشيت بالديباج[7]، فلما رفع الغشاء، أخذت بالأنف من نتنها، وأعرض الناظرون إليها من[8] قبحها، فهذا عبد مراءٍ، مداهن، متصنع، عَبَدَ شهواته، فلم يقدر أن يخلص من عمله، فإنه لا ينفك من عمل يحتاج[9] إلى أن يجتهد فيه، فكما احتاج أن

---

(١) وقلة الرحمة: ليس في «ن».

(٢) في «ن»: في أمر الله.

(٣) في الأصل: وانتصاف النفس، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: فقرهم والغيبة والحسد.

(٥) في «ن»: طويات.

(٦) أعمال: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٧) في الأصل: بالذبائح، وما أثبتناه من «ن».

(٨) في الأصل: عن، والصواب من «ن».

(٩) في «ن»: عمل أن يحتاج.

يجتهد في صلاته فيخلصها، فكذلك هو محتاج إلى أن يخلص في مشيه، وركوبه، ونزوله، وأكله، وشربه، ومنطقه، وصمته، وأخذه، وإعطائه، وجميع معاملاته، وجميع سعيه[1]، فلم يقدر أن يخلص بهذا الجهل لربه سعيه، ونفسه متقدة بنار الشهوة، وقلبه مشحون بهوى نفسه، ولو أنه اجتهد حتى أخلص[2] في هذا كله أليس هذه المزابل معه، فهذه كلها عيوب، والعبد إذا كثرت عيوبه، انحطت قيمته.

فالعاقل: لا يغرُّه ما[3] رأى من ظاهر أقواله، وتقلبه في أعمال البر، إذا اطلع على باطنه، فوجده على ما وصفناه، وقال في نفسه: هذا كملك له عبيد في زي، وهيئة، ومراكب، والملك بنفسه ليس له مادة من الكنوز، ولا من القوة ما يدوم لعبيده هذا الذي أرى، فلم يعبأ بما عاين من عبيده، وعلم أن الملوك إذا اجتمعوا، وهذا معدم فيما بينهم، تبين عدمه عند محاولتهم ومشاكلتهم الأمور، وأنه إذا ناب نائب فالملوك على مراتبهم، وقواهم، وعدتهم، وهذا فيما بينهم أسير[4]، أو رجل ناديته من عرض الناس.

وإذا رأى عبيداً في هيئة رثة، والملك صاحب كنوز وجواهر، وقد ملأ من الجواهر بيته، وملأ الخزائن من الأموال، علم هذا العاقل: أن هذه الهيئة لا تضر عبيده؛ لأنه متى عرض أمر، فتح لهم باباً من خزائنه فعرفهم، فكذلك إذا رأى عبداً أركانه معطلة[5] من هذه الأشغال التي ذكرنا من أعمال

---

(١) في الأصل: متعته، وما أثبتناه من «ن».
(٢) في الأصل: خلص، وما أثبتناه من «ن».
(٣) في الأصل: من، وما أثبتناه من «ن».
(٤) في «ن»: أسيراً.
(٥) في الأصل: فكذلك إذا رأى عبداً له، وكأنه معطل، وما أثبتناه من «ن».

البر ؛ من غسل الموتى، وبناء القناطر، واتخاذ الرباطات، وعيادة المرضى، وصلاة الضحى، وتشييع الجنائز، وعتق الرقاب، وما أشبه ذلك، وقلبه ملك من الملوك، مملوءة خزائنه أموالاً، وبيته جواهر.

فأما الأموال: فهي غناه بالله، وأي غنى أغنى ممن استغنى بالله تعالى؟! فالأموال كلها مددها منقطع[1]، والله حي دائم لا يزول، فالغنى بالله دائم، والغنى بالأموال منقطع.

وأما الجواهر: فحكمة صفاته، وهي الحكمة العليا، وهي حكمة الحكيم، قد عجز عن دركها الخلق، وإنما خص بها الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ، وخاص الأولياء أهل خدمة الله، فموجود عند هذا القلب الهيبة والحياء والخشية[2] والمحبة، فقد انفرد للفرد الواحد، واحتظى من جلاله، وعظمته، وكبريائه، ومجده، وجماله، فتواضع لله، وخشعت جوارحه بخشوع قلبه، وعظم أمر الله، وحفظ حدوده، وراقب تدبيره؛ إعظاماً لجلال الله، وهيبة له، وتذللاً لربوبيته، فعنده الرأفة بالخلق، والرحمة لهم، واللين[3]، والرفق، والحلم، وسعة الصدر، وتعظيم أمر الله، والإخلاص[4] له، وحراسة القلب، ودوام الفكر، والقناعة، والرضا، والإنابة، والشوق إليه، والتبرم بالحياة، ورؤية المنة، واليقظة في الأمور، والمعاينة لها، والرزانة، والصيانة، والنزاهة، والشفقة، والعطف، والتأني، والوقار، والسكون، والذكر الدائم، والرهبة، والرغبة، والخوف، والرجاء، والأنس بالله،

(١) في الأصل: منقطعة، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: بالخشية، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: والبر، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: وسعة الصدر وبه يقدر على الإخلاص.

والسرور به[1]، والسخاء، والجود، والبشاشة، والنصيحة، وسلامة الصدر.

فهذا قلب قـد امتلأ خيراً، وامتلأت جوارحـه من هذا الخير، فلَساعةٌ من عمره بهذه الصفة أفضل من عبادة[2] الثقلين دهراً، فإن تعطلت أركانه عن كثير من أعمال البر، فهذا الخير[3] كله دائم عليه، بدوام[4] قلبه على ذلك، وقليل من عمله أزكى من عمل ذلك المخلط سنين كثيرة.

(١١١٤) ـ حدثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، قال: حدثنا محمدُ بنُ يزيدَ بنِ خنيسٍ، قال: سمعتُ وهيبَ بنَ الوردِ يقول: بلغني: أن رجلاً جـاء إلى النبي ﷺ، فلما رأى ما بـه[5] من الضر، قال: «مَا بَلَغَ بِكَ[6] مَا أَرَى؟»، قال: بأبي أنت وأمي، السقم والحاجـة، فقال رسـول الله ﷺ: «أَفَلاَ أُعلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا أَنتَ قُلتَهُنَّ، أَذهَبَ اللهُ عَنكَ كُلَّ مَا بِكَ؟»، قال: بأبي أنت وأمي، ما أحب أن لي بما ترى بي وقيعـة[7] بدر وأُحد، فقال رسول الله ﷺ: «يَا أَخَا الأَنصَارِ! وَأَينَ تَقَعُ وَقِيعَةُ بَدرٍ

---

(١) به: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٢) في «ن»: أعمال.

(٣) في «ن»: فهو في الخير.

(٤) في الأصل: يدوم، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في «ن»: ما بلغ.

(٦) في «ن»: بك من الضُّرِّ.

(٧) في «ن»: ما أحب أن لي بما ترى وقعة.

وَأُحُدٍ مِن مَوقِعِ الفَقِيرِ القَانِعِ؟!»[1].

(١١١٥) ـ **حدثنا عبدُالله بنُ أبي زيادٍ**[2]، قال: حدثني سيّارٌ[3]، قال: حدثنا بشرُ بنُ منصور، عن عبدِ العزيزِ بنِ أبي روادٍ، رفعه: أن رجلاً شهد له رسولُ الله ﷺ بالجنة، فلم يُرَ له صوم ولا صلاة، فقيل له في ذلك، فقال: «إِنِّي أَبِيتُ وَلَيسَ لأَحَدٍ في قَلبي غِلٌّ، وَلَو أُعطِيتُ الدُّنيَا، مَا فَرِحتُ بِهَا، وَلَو أُخِذَت مِنِّي، لَم أَحزَن عَلَيهَا»[4].

(١١١٦) ـ **حدثنا أبي** رحمه الله تعالى[5]، قال: حدثنا محمدُ بنُ الحسنِ، عن ابنِ المباركِ[6]، عن معمـرٍ، عن الزهريِّ، عن

---

(١) إسناده ضعيف لإرساله.
أخرج أبو يعلى في «المسند» (٦٦٧١)، والطبراني في «الدعاء» (ص: ٣١٨) نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٢).

(٢) في «ن»: أبي زياد القطواني.

(٣) قال: حدثني سيار: ليس في «ن».

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١١٤) للحكيم الترمذي، عن عبد العزيز ابن أبي رواد.
وإسناده ضعيف؛ لإرساله.

(٥) قوله: حدثنا أبي: ليس في «ن».

(٦) في الأصل: عن المبارك، والصواب من «ن».

أنسٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ، عن النبيِّ ﷺ، نحوه[1].

(١١١٧) ـ حدثنا مؤملُ بنُ هشامٍ، قال: حدثنا إسماعيلُ ابنُ إبراهيمَ، عن غالبٍ القطان، عن بكرِ بنِ عبدِالله المزنيِّ: أن أبا بكرٍ الصدِّيقَ ـ رضي الله تعالى عنه ـ لم يفضُلِ الناسَ بكثرة صلاةٍ ولا صوم[2]، وإنما فضلهم بشيء كان في قلبه[3].

(١١١٨) ـ حدثنا أبي ﵀، قال: أخبرنا الحسنُ[4] بنُ سوارٍ، قال: حدثنا المباركِ[5]، عن الحسنِ، قال: إن عمرَ ﵁ لم يغلب الناسَ بالأعمال، إنما غلبهم بالصبر واليقين والزهد[6].

(١١١٩) ـ حدثنا أبو السائب سلم[7] بنُ جنادةَ السوائيُّ،

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٦٦)، وابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢٤١ ـ ٢٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٦٤) من طريق معمر، به.
(٢) في «ن»: بكثرة صوم ولا صلاة.
(٣) سيأتي تخريجه في الأصل الثاني والأربعين والمئتين برقم (١٢٦٩).
(٤) في الأصل: الحسين، والصواب من «ن».
(٥) في الأصل: حدثنا ابن المبارك، والصواب من «ن».
(٦) المبارك تقدم أنه صدوق مدلس.
(٧) في الأصل: ابن السائب سلمة، وفي «ن»: حدثنا أبو السائب سالم. وصوابه: سلم بن جنادة السوائي أبو السائب، كما مر في الحديث رقم: (١٢٩).

قال: حدثنا أبو معاويةَ، عن الأعمشِ، عن عمارةَ بنِ عميرٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ، قال: قال عبدُالله: أنتم اليومَ أكثرُ صلاةً وصياماً[1] وجهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ[2]، وهم كانوا خيراً منكم، قالوا: بما ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: كانوا أزهدَ في الدنيا، وأرغبَ في الآخرة[3].

فالزهادة في الدنيا والرغبة في الآخرة إنما[4] تؤتى العبد من فضل اليقين، وإشراق الصدر بنوره.

(١١٢٠) ـ حدثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، قال: حدثنا عونُ بنُ موسى الليثيُّ، قال: تذاكروا[5] عند الحسن: أيُّ الأعمال أفضلُ؟ فكلهم[6] اتفقوا على قيام الليل، فقال معاوية بن

---

(١) في «ن»: أكثر صياماً وصلاة.

(٢) في «ن»: أصحاب محمد ﷺ.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٠٦)، وهناد في «الزهد» (ص: ٣٢٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٥٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٦) من طريق أبي معاوية، به.

(٤) فالزهادة في الدنيا والرغبة في الآخرة: زيادة من «ن».

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٢٥): وفيه: عمارة بن يزيد صاحبُ ابن مسعود، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

كذا قال، وعمارة هو ابن عمير، وهو ثقة. انظر: «تهذيب التهذيب» (٧/ ٣٦٩).

(٥) في «ن»: تذاكرنا.

(٦) في «ن»: فكأنهم.

قرة: تركُ المحارم، فقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أصبتَ[1].

(١١٢١) ـ قال: حدثنا سعيدُ بنُ عبدِ الرحمنِ المخزوميُّ، قال: حدثنا سفيانُ، عن يحيى بنِ سعيدٍ[2]، و[3]عليُّ بنُ زيدِ بن جدعانَ، عن سعيدِ بنِ المسيبِ: أن عبدَالله بنَ سلامٍ رأى سلمانَ في المنام بعدَ موته، فقال: كيف أنت يا أبا عبدالله[4]؟ قال: بخير، أبشر؛ فإني وجدت الأعمال فلم أر شيئاً أفضلَ[5] من التوكل[6].

(١١٢٢) ـ حدثنا صالحُ بنُ محمدٍ[7]، قال: حدثنا أبو معشرٍ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القرظيِّ[8]، عن المغيرةِ

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص: ٢٦٣)، وابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ٥٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٩٩) من طريق عون، عن معاوية بن قرة.

(٢) في الأصل: ابن أبي سعيد، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: ابن، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: عبد الرحمن، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: خيراً.

(٦) علي بن زيد مشهور بالضعف، وعلى العطف هو متابع.
ففي «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١/ ٢٠٥): رواه علي بن زيد ويحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب، مثله.

(٧) ابن محمد: ليس في «ن».

(٨) في الأصل: القرطبي، والصواب من «ن».

ابنِ[1] عبدِ الرحمن، عن عبدِالله بنِ سلامٍ، بمثله، قال له: وجدتُ التوكلَ شيئاً عجيباً[2].

(١١٢٣) ـ حدثنا أبو بكرِ بنُ سابقٍ الأمويُّ، قال: حدثنا أبو[3] مالكٍ الجنبيُّ، عن جويبرٍ، عن الضحاكِ، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ فيما يحكي عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ أنه قال: «يَا مُوسَى! لَم يَتَصَنَّع المُتَصَنِّعُونَ بِمِثلِ الزُّهدِ في الدُّنيَا، وَلَم يَتَقَرَّبِ المُتَقَرِّبُونَ بِمِثلِ الوَرَعِ عَمَّا حَرَّمَتُ عَلَيهِم، وَلَم يَتَعَبَّدِ[4] العَابِدُونَ بِمِثلِ البُكَاءِ مِن خَشيَتِي. فَأَمَّا الزَّاهِدُونَ، فَأَمنَحُهُمُ[5] الجَنَّةَ حَتَّى يُصِيبُوا[6] مِنهَا حَيثُ شَاؤوا، وَأَمَّا الوَرِعُونَ عَمَّا حَرَّمَت عَلَيهِم، فَإِنَّهُ لَيسَ عَبدٌ يَلقَانِي يَومَ القِيَامَةِ إِلاَّ أُنَاقِشُهُ الحِسَابَ، وَفَتَّشتُهُ عَمَّا فِي يَدَيهِ، إِلاَّ مَا كَانَ مِنَ الوَرِعِينَ، فَإِنِّي أُجِلُّهُم،

---

(١) في الأصل: عن، والصواب من «ن».

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ٩٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٠٥) من طريق أبي معشر، به.

(٣) في الأصل: ابن، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: يتعبدني.

(٥) في «ن»: فأبيحهم.

(٦) في «ن»: يتبوؤوا.

وَأُكرِمُهُم، فَأُدخِلُهُمُ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا البَكَّاؤُونَ مِن خَشْيَـتي، فَلَهُم الرَّفِيقُ الأَعلَى لاَ يُشرَكُونَ فِيهِ»[1].

(١١٢٤) ـ حدثنا محمدُ بنُ محمدِ بنِ حسينٍ، قال: حدثتنا حكامةُ بنتُ عثمانَ بنِ دينارٍ، قالت: حدثنا أبي، عن مالكِ بنِ دينارٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ، قال[2]: قال رسولُ الله ﷺ[3]: «الوَرَعُ سَيِّدُ العَمَلِ مَن لمْ يكُن لهُ ورعٌ يردُّه عَن مَعصيةِ اللهِ تَعالى إذا خَلا بهَا، لمْ يَعبأ اللهُ بسَائرِ عَملهِ شَيئاً، فذلكَ مَخافةُ اللهِ في السِّر والعَلانيةِ، والاقتصادِ في الفقرِ والغِنى، والصِّدق[4] عندَ الرِّضا والسّخطِ، أَلا وإنَّ

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٢٠)، وفي «المعجم الأوسط» (٤/ ١٨٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٣٤٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٣٢٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١١٢) من طريق أبي مالك الجنبي، به.

وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٣٢٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١١٣) من طريق جويبر، به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٩٦): وفيه: جويبر بن سعيد، وهو ضعيف.

(٢) قال: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: أن رسول الله ﷺ قال.

(٤) في «ن»: والعدل.

المؤمِنَ حَاكِمٌ عَلى نفسهِ، يَرضى للنَّاس مَا يَرضى لنفسهِ»[1].

فهذه الخصال لا تكون إلا لأهل القلوب، فأما أهل الأعمال، فإنهم أعجز من أن يكون هذا لهم.

(١١٢٥) ـ حدثنا عبدُالله بنُ أبي زيادٍ[2]، قال: حدثنا خالـدُ بنُ مخلدٍ القطوانيُّ، قال: حدثنـا حمـزةُ الزياتُ، عن الأعمشِ، عن مصعبِ بنِ سعدٍ، عن أبيـه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «فَضـلُ العِلمِ أَحَبُّ إِليَّ مِن فَضلِ العِبَـادَةِ، وَخَيـرُ دِينكُم الوَرَعُ»[3].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٩٥) من طريق الحكيم الترمذي، به.
وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ٤٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٨٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٥٩) من طريق حكامة بنت عثمان بنت دينار، به.
وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣/ ١٧٣) للحكيم، عن أنس رضي الله عنه.
وهو حديث ضعيف، حكامة تقدم مراراً أنها لا شيء.

(٢) في الأصل: رواد، والصواب من «ن».

(٣) أخرجه الشاشي في «المسند» (١/ ١٣٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧٠)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢/ ٣٠٩)، والمقدسي في «المختـارة» (٣/ ٢٦٤) من طريق خالد بن مخلد، به.
وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧٠) كذلك من طريق خالد بن مخلد، فزاد: عن الأعمش، عن الحكم، عن مصعب، عن أبيه رضي الله عنهما.
وأخرجـه أبـو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهـان» (٣/ ٢٧٦)، والحاكـم =

لأن فضل العلم بالله يحكم العبادة، ويخلصها إلى الله[1]، ويصيغها إلى صاحبه[2] غداً، وخير الدين الورع، والدين الخضوع، فخير ما خضع العباد لله عند محارمه ونهيه، فانتهوا، وتركوا شهواتهم خضوعاً وذلة.

ومن هاهنا قال أبو الدراء: «مَا أَعرفُ مِن أَمر أصحاب محمدٍ ﷺ شَيئاً إلاَّ أَنهُم يُصلُّون جميعاً».

(١١٢٦) ـ حدثنا بذلك عمرُ بنُ أبي عمرَ، عن ابنِ نميرٍ، عن الأعمشِ، عن سالمِ بنِ أبي الجعدِ[3]، عن أمِّ الدرداءِ ـ رضي الله عنها ـ، عن أبي الدرداء ﷺ[4][5].

= في «المستدرك» (١/ ١٧٠) من طريق بكر عن حمزة الزيات، عن الأعمش، عن رجل، عن مصعب بن سعد، عن أبيه.

وأخرجه الإسماعيلي في «معجم الشيوخ» (١/ ٣٥٦) من طريق حمزة الزيات، به.

وأخرج نحوه من حديث حذيفة ﷺ: الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ١٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٦٤).

إلا أن مخرجهما واحد، وهو الأعمش، وعليه اختلف، وانظر: «العلل» للدارقطني (٤/ ٣١٨) و(١٠/ ١٤٥).

(١) في «ن»: ويخلصها لله.

(٢) في «ن»: ويصيغها لصاحبها.

(٣) في الأصل: عن الأعمش بن أبي الجعد، والصواب من «ن».

(٤) عن أبي الدرداء ﷺ: زيادة من «ن».

(٥) أخرجه البخاري (٦٢٢)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٩٥)، وفي «الزهد» =

وإنما نظر أبو الدرداء إلى القلوب، فرآها خربة، قد سقطت عنها هذه الأشياء التي ذكرناها، فلم يعبأ بأعمال الأركان منهم.

(١١٢٧) ـ حدثنا إبراهيمُ بنُ إسماعيلَ بنِ يحيى بنِ سلمةَ بنِ كهيلٍ، قال: حدثني أبي، عن جدِّي، عن سلمةَ ابنِ[1] كهيلٍ، قال: لقيني أبو جحيفةَ السوائيُّ، فقال: يا سلمةُ! ما نعرف اليوم شيئاً إلا أنهم يتوجهون إلى الصلاة[2].

(١١٢٨) ـ حدثنا عتبةُ[3] بنُ عبدِالله اليحمديُّ، قال: حدثنا عبدُالله بنُ المباركِ، قال: أخبرني عيسى بنُ عمرَ، قال: حدثني سهلُ[4] بنُ أبي أمامةَ بنِ سهلِ بنِ حنيفٍ، قال:

= (ص: ١٣٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٥٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ١٩١) من طريق الأعمش، به.

وأخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ٢٢١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٨٥) من طريق أم الدرداء، به.

(١) في الأصل: عن، والصواب من «ن».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٤٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٢٥) من طريق سلمة بن كهيل: «قال: لقيني أبو جحيفة، فقال: يا سلمة! ما بقي شيء مما كنت أعرفه إلا هذه الصلاة، وما من نفس تسرني أن توقيني الموت ولا نفس ذباب».

(٣) في الأصل: قتيبة، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: سهيل، والصواب من «ن».

قال أبي لأنسِ بنِ مالكٍ ﷺ: يا خال! ليسوا بالناس الذين[1] كنت تعهدهم، إنما هم الذئاب عليهم الثياب، فاحذرهم، قال: أما والله! لئن[2] قلتَ ذاك، لقد رأيتني منهم هنيهة، إني أحدثهم بالحديث عن رسول الله ﷺ، فيقولوا أنت[3] سمعت هذا بأذنيك[4]؟

(١١٢٩) ـ حدثنا محمدُ بنُ محمدِ بنِ حسينٍ، قال: حدثنا عليُّ بنُ الجعدِ، عن سليمانَ[5] بنِ المغيرةِ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ، قال: ما أعرفُ اليومَ فيكم شيئاً عهدتُه[6] على عهدِ رسولِ الله ﷺ، ليس[7] قولكم: لا إله إلا الله[8].

---

(١) في الأصل: الذي، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: إني، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: فيقول إنك، وما أثبتناه من «ن».

(٤) هو في «المسند» لابن المبارك (ص: ١٤٤).

(٥) في الأصل: سليم، والصواب من «ن».

(٦) في «ن»: شيئاً قد عهدته.

(٧) في الأصل: أي، وما أثبتناه من «ن».

(٨) أخرجه علي بن الجعد في «المسند» (ص: ٤٥١).

وأخرجه ابن المبارك في «المسند» (ص: ٥٣)، وفي «الزهد» (ص: ٥٣١)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٣٣٠)، والمقدسي في «المختارة» (٥/ ١٠٢) من طريق سليمان، به.

فصلاح القلب صلاح الجسد، وعمارته عمارة دينه.

وروي عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «مَن كَانَ لَهُ قَلبٌ صَالِحٌ، تَحَنَّنَ اللهُ عَلَيهِ»[1].

وروي عن عيسى عليه السلام: أنه قال[2]: «بِالقُلُوبِ الصَّالِحَةِ يعمرُ اللهُ الأَرضَ، وَبِهَا يخرِّبُ الأَرضَ، إِذَا كَانَت عَلَى غَيرِ ذَلِكَ».

(١١٣٠) ـ حدثنا بذلك أبو سنانٌ، قال: حدثنا الحكمُ ابنُ نافعٍ، عن صفوانَ بنِ عمروٍ، عن شريحِ بنِ عبيدٍ، عن يزيدَ بنِ ميسرةَ[3].

❐ ❐ ❐

---

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١/ ١٣٣) للحكيم عن يزيد.
فكأنه يريد أن المصنف رحمه الله ساق الإسناد الآتي للمتنين، والله أعلم.
وأخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ٤٤٨)، وفي «المعجم الكبير» (٣/ ٢٩٧) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) قال: زيادة من «ن».

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٢٠٢) للحكيم الترمذي، عن يزيد بن ميسرة رحمه الله.
رجاله ثقات، إلا شيخ المصنف، فلم أهتد لترجمته، والله أعلم.



الأصل الثالث والعشرون والمئتان

(١١٣١) ـ حدثنا صالحُ بنُ عبدِالله، قال: حدثنا يوسفُ ابنُ عطيةَ، عن ثابتٍ البنانيِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ أن بعض أصحاب رسولِ الله ﷺ شكا[١] إلى رسول الله ﷺ ما يجدون في صدورهم من الوسوسة، فقال رسولُ الله ﷺ: «كَيفَ أَنتُم وَرَبُّـكُم؟»، قالوا: لا نشكُّ في ربنا، ولأَنْ يقع أحـدُنا من السماء، فيتقطعَ أحبُّ إليه من أن يتكلم بما يجد في صدره، فقال[٢] رسولُ الله ﷺ: «اللهُ أَكبَرُ! ذَاكَ مَحضُ الإِيمَانِ».

وكان ثابت يقول: «اللَّهُمَّ أَكثِر لَنَا مِنهُ»[٣].

---

(١) في الأصل: فشكا، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: فقال له.

(٣) يوسف بن عطية متروك كما تقدم.

أخرج المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٧٢٥)، وأبو يعلى في «المسند» (٤١٢٨) بلفظ: قالوا: يا رسول الله! أرأيت أحدنا يحدث نفسه بالشيء الذي لأن يخر من السماء فينقطع أحبُّ إليه من أن يتكلم به؟ فقال رسول الله ﷺ: =

وقال عطاء السلمي: اللهم اذهب به عني؛ فإني أخاف أن أكون قد هلكت، فقال لي عطاء: ليتك سألت ثابتاً: لم[1] يقول هذا؟ فانتهيت إلى ثابت وهو يقول: ألا أقول لشيء قال رسول الله ﷺ: «هو محض الإيمان» أن يزيدنا الله منه.

فقد أحكم الله الإيمان في قلوب من اجتباهم وهداهم، ووقعت مشيئته عليهم يوم اختارهم في سابق علمه، وأبرز أسماءهم بالسعادة في اللوح المحفوظ، وأخرجهم في أصحاب اليمين يوم الميثاق، وفزع الشيطان من أين يوسوس إليهم في توحيدهم ما يبطله عنهم، وكيف يجوز ذلك، وقد أخذ الله بقلبه وناصيته، وفي قلبه نوره؟ فكيف يقوم العدو لنوره حتى يطفئه؟ وليس أحد ينشرح صدره بالله، ولم ينطق بلا إله إلا الله إلا بمنة الله عليه، والله أكرم من أن يرجع في منته، فيسلط عليه العدو حتى يبطله.

ألا ترى إلى قوله تعالى[2] للعدو: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ

= «ذاك محض الإيمان» من طريق يزيد الرقاشي عن أنس، به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٣ ـ ٣٤): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح، إلا يزيد بن أبان الرقاشي.

والحديث مروي عن عائشة، أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ١٠٦)، وابن راهويه في «المسند» (٣/ ١٠٢٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨/ ٢٤٩).

وعن أبي هريرة أخرجه مسلم (١٣٢)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٥٦)، وابن منده في «الإيمان» (١/ ٤٧١)، وغيرهم.

وعن ابن مسعود أخرجه ابن منده في «الإيمان» (١/ ٤٧٤)، وغيره.

(١) لم: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٢) في الأصل: ألا ترى أن قوله، وما أثبتناه من «ن».

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[الإسراء: ٦٥]؛ أي: لم أعطك عليهم من السلطان ما يدخل عليهم في قلوبهم، فتفسد عليهم توحيدهم، وإنما سلطانه في الصدر؛ لأن الصدر بيت القلب، والنفس معدن الشهوات.

ألا ترى إلى قوله ﷻ: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[الناس: ٥]، والشيطان يزين، ويشهي، ويمني، ويحدث في هذا الصدر بهذه الشهوات[1] التي في النفس حتى يضله ويفتنه[2]، فأما القلب، ففيه نور الله، وقد استقر فيه توحيده، وهو الإيمان به، فليس للكفر فيه شهوة، فيدخل الشيطان هناك بظلمته، فيزين له الشرك حتى يفسد توحيده، ولا له إليه سبيل، إنما سبيله فتنة[3] الصدر لهذه الشهوات.

ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[الإسراء: ٦٥]؛ أي: مانعاً شيطانه من أن يدخل قلبه، والقلب إذا جعل الله فيه نوراً، وأحياه، فقد توكل له بالعصمة، والحفظ، والستر، والتأييد[4]، فهو يكلؤه ويرعاه، والشيطان أخسأ، وأذل، وأقل من أن يقدر إليه لحاظاً، إنما حديثه على أذن القلب في صدره.

فأما قلبه، فقد كفاه الله وكيلاً له، وقال: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات: ٧]؛ أي: وصل نوره إلى حبة قلوبكم، وحبة القلب هو بضعة اللحم الباطنة[5]، وهذه البضعة الظاهرة يقال لها: فؤاد، وفيها العينان

---

(١) في الأصل: فهذه الشهوة، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: يضله بفتنته، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: إلى فتنة.

(٤) في «ن»: والتدبير.

(٥) قوله: وحبة القلب هو بضعة اللحم الباطنة: ليس في الأصل، وزدناه من «ن».

والأذنان، وباب القلب، والبضعة التي في جوفها هو القلب، يقلبها من لم يكلها إلى أحد، ولم يطلع عليها أحد من خلقه، فنزع شهوة الكفر والفسوق والعصيان من ذلك القلب حين أوصل إلى حبة قلبه الإيمان، فليس يعصي مؤمن يريد بذلك أن يعصي الله أو يفسق، إنما يريد قضاء نهمته، والكافر عدو لله، يعصي، ويريد معصية الله، والفسق هو[1] الذهاب بالرقبة، والخروج من أمره، والرد[2] عليه والجحود، فحبب الإيمان، وزينه، وكره الكفر والفسوق والعصيان.

فليس يجد المؤمن في نفسه شهوة الكفر؛ لأنه نزعها بإيصال الإيمان إلى حبة قلبه، وهو النور حتى أمن، ثم بقي شهوة الأشياء في قلبه[3]، ثم حرم وأحل؛ ليبلوه، وقال له: جاهد نفسك في هذه الشهوات الباقية، فقد كفيتك الشهوة العظمى التي تدمر وتهلك، وهذه الشهوات الباقية لي أن أحرم وأحل، ولن أجوز أن أحل تلك الشهوة العظمى[4]، وهي الشرك، فما لم أجوزه أن أحله، فقد كفيتك مؤنته؛ بأن نزعت عنك شهوته، وكرهته إليك، وما جاز أن أحله وأحرمه، فقد أمرتك بمجاهدة نفسك؛ لتحل حلالي، وتحرم حرامي، وتجتنبه، فالمؤمن قد حلاَّه[5] الله بالإيمان، وطهره، وطيبه وزين قلبه، فإذا وسوس في صدره، أنكر القلب بما فيه من النور، فإنكاره محض الإيمان، وإنما صار محضاً؛ لأنه اهتاج واستنار، ومثل ذلك مثل

---

(١) في «ن»: وهو.

(٢) في الأصل: والرغبة، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: قلب.

(٤) من قوله: التي تدمر وتهلك . . . إلى قوله: الشهوة العظمى: ليس في «ن».

(٥) في الأصل: قد حلّى له، والصواب من «ن».

جمرة قد علاها الرماد بخمودها، فلا يكاد يضيء مما علاها، فوصلت إليها نفخة، فطار عنها[1] رمادها، فتوقدت، وتلظت، واستضاء البيت بتوقدها[2]، فازدادت تلك الجمرة، فصارت محضة بما طار عنها [من] الرماد.

فكذلك القلب فيه الإيمان، فقد أسقم، وعلاه رماد حريق الشهوات، من أجل ذلك يضعف، حتى آثر شهواته على أمر الله، وآثر رضا نفسه على رضا ربه، فلما جاءه الوسواس بحديثه وكيده، يريد به نقض توحيده، كان ذلك كمن ينفخ في تلك الجمرة؛ لتتقد، ويطير عنها[3] الغبار، وتلك النفخة هو أمن من الله، حتى يلطف لعبده من لطفه؛ ليفي له بما توكل له[4] من قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[الإسراء: ٦٥].

ولذلك قال عبدالله حيث سئل عن الوسوسة، قال: ذلك برزخ الإيمان، والبرزخ ما بين الشيئين، فلما صار إيمانه ذا غبار، رحم الله عبده، ولطف به في تسليط الوسواس عليه، ثم لطف به[5] من حيث خفي على العباد بالعصمة، فمنع كيده من أن يفسد عليه توحيده، واهتاج الإيمان منكِراً لما جاء به، ونافراً عنه، فطار عنه[6] رماد الشهوات، وغبارها، ودخانها[7]، واستوقدت جمرة الإيمان، فأضاءت الصدر، فلذلك صار محض الإيمان؛ لأنه في

---

(١) في الأصل: صفاء، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: يتوقد، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: عنه، والصواب من «ن».

(٤) له: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٥) ثم لطف به: زيادة من «ن».

(٦) فطار عنه: زيادة من «ن».

(٧) في «ن»: وغباره ودخانه.

ذلك بلا رماد، ولا غبار، ولا دخان، ففهم هذا المعنى الذي ذكرنا ثابت البناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فما أحسبه، فلذلك قال: اللَّهمَّ زدنا منه.

فإنما سأل الزيادة من ذلك اللطف الذي يلطف الله لعبده[1]، والبرزخ الحاجز بين الشيئين، فقد كان الإيمان ثابتاً في القلب، فلما جاءت الوسوسة، كان أمر الله أسرع، فدخل بين الوسوسة، وبين الإيمان؛ ليكون حاجزاً؛ ليكون كما دخل بين البحرين حاجزاً[2]: بحر العذب، وبحر المالح، وكلاهما ملتصقان في رأي العين، فلا يعذب المالح، ولا يملح العذب، وهو قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[الرحمن: ١٩ ـ ٢٠]، وقال: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾[النمل: ٦١]، فإنما هو بلطفه حجز بينهما، وقال ﷻ: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[الفرقان: ٥٣].

فإنما قال رسول الله ﷺ: «ذَاكَ محضُ الإيمانِ»؛ لقولهم: لأن يقع أحدنا من السماء أحبُّ إليه من أن يتكلم بما يجد في صدره، فصير ذلك الذي وجدوا في صدورهم[3] من الإنكار محض الإيمان، فبان بما قلنا: أن صاحب الوسوسة إنكاره لما جاء به الوسواس فيه كفاية له؛ لأن من شأن المعرفة أن ينكر غيره، ومن شأن الإيمان أن ينفي الكفر، ومن شأن التوحيد أن ينفي الشرك، ومن شأن النور أن ينفي الظلمة، ومن شأن الرب أن ينفي عدوَّه من حريمه.

فإنما يجد المؤمن الإنكار على قلبه من أجل أن في قلبه معرفته،

---

(١) في الأصل: الذي لطف لعبده، وما أثبتناه من «ن».

(٢) حاجزاً: زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: في نفوسهم.

وتوحيده، والإيمان بـه، وذلك من النـور الذي استقر في قلبه[1]، وأن قلبه حريم الله، وحوزه، وبيته، ومنظره، ولم يكل القلوب إلى أحد من خلقه، ولا لهم أن يطلعوا على ما فيها، ولا يعلم مخلوق ما فيها، ولا يعلم بذلك أحد[2] إلا الله، ثم صاحبها؛ بالإحساس، ووجود البشرية، فإذا جاء العدو بالكفر، فإنما جاء بظلمة يريد أن يمزجها بالنور، فلا يطفئه، ولا سبيل له إلى ذلك، وجاء شك يريد أن يمزجه باليقين، فلا سبيل له إلى ذلك، كما لا سبيل إلى من ينظر إلى شمس[3] تضيء، فقيل له: إن هذا كوكب، أو إلى نهار[4] مبصر، فقيل[5]: هذا ليل، فكذلك، ولا سبيل للشيطان أن يدخل على التوحيد بشركه، ولا على نور الله بظلمته، ولا على حباله بحبالته.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «مَثَلُ المُؤمِنِ مَثَلُ الفَرَسِ فِي آخِيَّـتِهِ، يَجُولُ[6] ثُمَّ يَرجِعُ إِلى آخِيَّـتِهِ»[7].

---

(١) في «ن»: الذي استقر فيه.

(٢) في «ن»: ولا يعلم أحد بذلك.

(٣) في الأصل: الشمس، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: نار، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: فيقال.

(٦) في «ن»: يجول ويحول.

(٧) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٥٥)، وأبو يعلى في «المسند» (١١٠٦)، وابن حبان في «الصحيح» (٦١٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٥٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠١): أخرجه أحمد، وأبو يعلى، ورجالهما رجال الصحيح، غير أبي سليمان الليثي، وعبدالله بن الوليد التجيبي، وكلاهما ثقة.

فالمؤمن يسهو ويسهو، ثم يعود إلى إيمانه؛ لأن الله تعالى أخذ بقلبه، وعرفه، ولا ينكر القلب من عرف إذا كانت المعرفة صحيحة، فإنكار المؤمن من نفار قلبه بما فيه من النور، ومن ظلمة ما جاء به العدو، فلذلك محض الإيمان؛ لأنه إنما هاج إنكاره من اهتياج[1] إيمانه، وإذا اهتاج، استنار وأشرق، فلذلك صار محضاً، فيحق للمؤمن[2] أن يقل عناه بوسوسته، فأخسأ ما يكون إذا استحقرته، ولم تعبأ به، فمن اعتراه ضعف في قلبه، حتى يحزن ويخاف[3] على نفسه، فذاك[4] لضيق صدره، وقلة انشراح صدره، وظلمة الشهوات والذنوب.

فإن وسوس إليه في التشبيه، فالرد عليه أن يقول في نفسه: كل ما تصور في صدري، فربي بخلافه؛ لأنه[5] لا يتصور في صدري إلا مخلوق، أو نعته؛ لأن ما تصور في الصدر فله كيفية، وربي لا يدرى كيف هو، ولا مثل له، فإذا تمثل في الصدر، فهو غير ربي، وإذا كان رجلاً مبتلًى بهذا، ومن كثرة ما يتردد في صدره يخاف على نفسه، ولا يطمئن إلى السكوت[6]، فليقل ما جاء عن رسول الله ﷺ: «اللهُ اللهُ رَبِّي لاَ أُشرِكُ بِهِ شَيئاً»[7].

---

(١) في الأصل: من اهتاج، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: فيحق على المؤمن.

(٣) في الأصل: يحزن أو يخاف، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: فكذلك، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: فإنه.

(٦) في الأصل: على نفسه فلا يطمئن نفسه على السكوت، وما أثبتناه من «ن».

(٧) أخرجه أبو داود (١٥٢٥)، وابن ماجه (٣٨٨٢)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٣٦٩)، =

وإنما هذه كلمة تطيب بها نفسه لما ضاق منه صدره؛ ليخرج من ضيقه، بهذه الكلمة[1] إلى السعة.

❐ ❐ ❐

= وابن حبان في «الصحيح» (٨٦٤) من حديث أسماء بنت عميس ـ رضي الله عنها ـ.

(١) في الأصل: فهذه الكلمة إلى الكلمة، وما أثبتناه من «ن».





الأصل الرابع والعشرون والمئتان

(١١٣٢) ـ حدثنا أبي رحمه الله تعالى، قال: حدثنا الحمانيُّ، قال: حدثنا ابنُ[1] نميرٍ، عن موسى بنِ عبيدةَ، عن إياسِ بنِ سلمةَ ابنِ الأكوعِ، عن أبيه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «النُّجُومُ أَمَانٌ لأَهلِ السَّمَاءِ، وَأَهلُ بَيتي أَمَانٌ لأُمَّتي»[2].

قال أبو عبدالله:

فالنجوم: هن الطوالع السوائر[3] الغوارب، وهن خمس: عطارد، وبهرام[4]، وهو الذي يقال له: المريخ بلغةٍ أخرى، وزحـل، ومشتري،

---

(١) ابن: ساقطة في الأصل، وما أثبتناه من «ن».

(٢) أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٣٦) من طريق ابن نمير، به.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٢٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٢٠) من طريق موسى بن عبيدة، به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢): وفيه موسى بن عبيدة، وهو متروك.

(٣) في الأصل: السواري، وما أثبتناه من «ن».

(٤) من قوله: عطارد وبهرام... إلى قوله: قال له قائل: وكيف ذلك: ساقط من الأصل، وزدناه من «ن».

والزهرة، وهن اللاتي ذكرن في التنزيل في قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾[التكوير: ١٥ ـ ١٦] ينخنسن في ضوء النهار، ويظهرن في سواد الليل، ويكنسن؛ أي: يغبن في مغاربهن، ولذلك سُمين نجوماً؛ لأنها تنجم؛ أي: تطلع من مطالعها في أفلاكها، كالشمس والقمر، وسائرها كواكب، قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾[التكوير: ١ ـ ٢]؛ أي: تناثرت، وذهب ضوءها، وقال: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا﴾[الأنعام: ٩٧]، فالاهتداء بالنجوم، وجعل الكواكب زينة، وقال: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾[الصافات: ٦]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾[الحجر: ١٦].

فالكواكب معلقات من السماء كالقناديل، والنجوم لها مطالع ومغارب، تنجم وتغرب، فهي أمان لأهل السماء، فإذا ذهبت، أتى السماء ما توعد؛ لأنه قد ذكر في تنزيله فقال: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾[التكوير: ٢]، ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾[التكوير: ١١]؛ أي: نزعت، فقد ذهبت مقاومهم ومصافهم.

وعلى هذا تأويل قول رسول الله ﷺ: «أصحابي مثل النجوم، بأيها اقتديت اهتديت»[١].

فليس كل من لقي رسول الله ﷺ وبايعه، أو رآه رؤية واحدة يدخل في الصحبة، إنما أصحابه من لازمه غدوة وعشياً، وعرف بصحبته، فكان يتلقى الوحي منه طرياً، ويأخذ عنه الشريعة التي جعلت منهجاً للأمة،

---

(١) هذا الحديث مروي عن عدة من أصحاب رسول الله ﷺ بطرق مختلفة، إلا أنها لا تخلو من ضعيف، أو متهم، لذلك عد بعضهم هذا الحديث في الموضوعات، أو الواهيات.

وينظر منه إلى أدب الإسلام وشمائله، فصاروا من بعده أئمة أدلة، فبهم الاقتداء، وعلى سيرتهم الاحتذاء، فكانوا يمسون عنده، ويصبحون عنده، يدعون ربهم بالغداة والعشي، وأثنى عليهم في تنزيله، وأمر نبيه ﷺ بالصبر معهم، فقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

(١١٣٣) ـ حدثنا الجارودُ، ثنا يحيى بنُ الحكمِ، ثنا خلفُ بنُ خليفةَ، عن أبي هاشمٍ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ في قوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾، قال: المخاطبة في الحلال والحرام[1].

فقوله: «مثل أصحابي مثل النجوم».

تأويله عندنا ـ والله أعلم ـ:

أنه إنما عنى به أولئك الذين صحبوه بدوام الصحبة، ولزموه في الحضر والسفر، وفقهوا في دين الله، وعرفوا الناسخ والمنسوخ والسنن، حتى صلحوا من بعده للخلافة، فكانوا خلفاء مهديين، وأمراء في الأمصار مرضيين، فهم الذين بأيهم اقتديت اهتديت؛ مثل: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وأبي عبيدة، ومعاذ، وابن مسعود، وأبي الدرداء، وأشباههم ممن قد عرفوا

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٨٣) للحكيم الترمذي، عن سعيد بن جبير رضي الله عنه.

رجاله ثقات، إلا يحيى بن الحكم، فلم يتبين لي من هو.

بالفقه في دين الله، والصحبة لرسول الله ﷺ؛ فهم النجوم الأدلة، فإنما شبههم رسول الله ﷺ بالنجوم، والكواكبُ ليست بأدلة، ولا بهم اهتداء، وهؤلاء القوم من أصحابه هم قليل عددهم كالنجوم؛ لأنهم أهل بصائر ويقين، وإنما جاز لهم اجتهاد الرأي بفضل اليقين والبصائر، فلما اختلفوا في اجتهادهم، كان كل من أخذ بقول من أقوالهم تقليداً له كان مهتدياً إذا لم يكن من أهل النظر والتمييز، فمن كان من أهل النظر، فاستنبط واختار قولاً من أقوالهم مجتهداً، كان له ذلك، فأما من لم يكن له صحبة، وإنما رآه رؤية واحدة؛ مثل: طارق بن عبدالله المحاربي، ومثل: رويفع بن ثابت البلوي، ومثل: نبيشة الهذلي، فهؤلاء مثل الكواكب يضئن لأنفسهن، وليسوا بأدلة، ولا بأئمة.

وأما قوله: «أهل بيتي أمان لأمتي».

فإن أهل بيته مَنْ خلفه من بعده على منهاجه، وهم الصديقون.

وروي في الخبر: أن الأرض شكت إلى ربها انقطاع النبوة، فقال: سوف أجعل على ظهرك أربعين صديقاً، كلما مات منهم رجل، أبدلت مكانه رجلاً.

ولذلك سموا: أبدالاً، بدَّل الله أخلاقهم، فطيبها، وطهرها، وصفاها، وكلما مات رجل، أبدل مكانه مثله، قد هيأه لذلك، وربَّاه، وهذبه، وأدبه حتى يقوم مقامه، فهم أوتاد الأرض، وبهم تقوم الأرض، وبهم تمطرون.

(١١٣٤) ـ حدثنا عمرُ بنُ يحيى بنِ نافعٍ الأبليُّ، ثنا العلاءُ بنُ زيدلٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، قال: الأبدالُ أربعون

رجلاً، كلما مات واحد، بدل آخر، فإذا كان عند القيامة، ماتوا كلهم، اثنان وعشرون منهم بالشام، وثمانية عشر بالعراق[1].

(١١٣٥) ـ حدثنا حميدُ بنُ الربيعِ اللخميُّ، ثنا يزيدُ بنُ حيانَ[2]، حدثني عمرُ البزازُ جليسُ حمادِ بنِ سلمةَ، ثنا الحسنُ بنُ ذكوانَ، عن عبدِ الواحدِ[3] بنِ قيسٍ، عن عبادةَ ابنِ الصامتِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الأَبدَالُ ثَلاَثُونَ رَجُلاً: قُلُوبُهُم عَلَى قَلبِ إِبرَاهِيمَ ـ عَلَيهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ، إِذَا مَاتَ رَجُلٌ مِنهُم، أَبدَلَ اللهُ مَكَانَهُ آخَرَ»[4].

فليس في الحديثين اختلاف، وإنما هم أربعون رجلاً، فثلاثون منهم قلوبهم على قلب إبراهيم.

وكذلك روي لنا عن أبي الدرداء:

(١١٣٦) ـ حدثنا بذلك عبدُ الرحيمِ بنُ حبيبٍ الفاريابيُّ، ثنا داودُ بنُ محبرٍ، عن ميسرةَ، عن أبي عبدِالله الشاميِّ، عن

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الحادي والخمسين.

(٢) في «ن»: زيد بن حباب، وما أثبتناه مما تقدم عند المصنف برقم (٢٩٨).

(٣) في «ن»: عبد الرحمن، والصواب ما أثبتناه.

(٤) تقدم تخريجه في الأصل الحادي والخمسين.

مكحولٍ، عن أبـي الدرداءِ، قـال: إن الأنبيـاء كانـوا أوتاد الأرض، فلما انقطعت النبوةُ، أبدل الله مكانهم قوماً من أمة أحمد يقال لهم: الأبدال، لم يفضُلوا الناسَ بكثـرة صوم ولا صلاة، ولكن بحسن الخلق، وصدق الورع، وحسن النية، وسلامـة القلوب لجميـع المسلمين، والنصيحةِ لهم ابتغـاءَ مرضاة الله، بصبر وحلم ولب، وتواضع في غير مذلة، فهم خلفاء عن الأنبياء، قوم اصطفاهم الله لنفسه، واستخلصهم بعلمه لنفسه، وهم أربعون صدِّيقاً، منهم ثلاثون رجلاً على مثل يقيـن إبراهيم خليلِ الرحمن، بهم يدفع المكاره عن أهل الأرض، والبلايـا عن الناس، فبهـم يمطـرون، ويـرزقون، لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من خلقه من يخلفه[1].

(١١٣٧) ـ حدثنا أبي رَحِمَهُ اللهُ، ثنا عبدُ العزيزِ بنُ المغيرةِ البصريُّ، ثنـا صالـح المريُّ، عـن الحسنِ، قـال: قـال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ بُدَلاَءَ أُمَّتِي لم يَدخُلُوا الجَنَّةَ بِكَثْرَةِ صَومٍ وَلاَ صَلاَةٍ، وَلَكِن دَخَلُوهَا بِرَحمَةِ اللهِ، وَسَلاَمَةِ الصُّدُورِ،

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الحادي والخمسين مطولاً.

وَسَخَاوَةِ الأَنفُسِ، وَالرَّحمَةِ لِجَمِيعِ المُسلِمِينَ»[1].

(١١٣٨) ـ حدثنا عليُّ بنُ حجرٍ، ثنا إسماعيلُ بنُ عياشٍ، قال: حدثني صفوانُ بنُ عمرٍو، عن شريحِ بنِ عبيدٍ الحضرميِّ، عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ الأَبدالَ يَكُونونَ بالشَّامِ، وَهم أَربَعونَ رَجُلاً، كُلَّما مَاتَ مِنهُم رَجلٌ، أَبدَلَ اللهُ مَكانهُ رَجُلاً، يُسقَى بِهمُ الغَيثُ، وَيُنصرُ بِهِم عَلَى الأَعداءِ، وَيُصرَفُ عَن أَهلِ الأَرضِ بِهمُ البَلاءُ»[2].

فهؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ، وأمان هذه الأمة، فإذا ماتوا، فسدت الأرض، وخربت الدنيا، وهو قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾[البقرة: ٢٥١]، فبهم يدفع الله عن أهل الأرض، وهو قوله تعالى: «يَا مُوسَى! لَولا مَن يَحمَدُني مِن خَلقِي، وَيوحِّدني، لسَبَّلتُ جَهنَّم عَلَى الأرضِ تَسبيلاً»[3].

فخالص الحمد، وخالص التوحيد على الحقيقة لهؤلاء الأربعين.

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الحادي والخمسين.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١١٢)، وفي «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٠٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٨٩) من طريق صفوان بن عمرو، به.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٥٠) عن كعب الأحبار، مطولاً.

والبيت من تبوئة الذكر، وإن رسول الله ﷺ بُعث ليبوىء ذكره في الأرض، فطُرد من حرمه، ولم يؤووه، فجعل الله له مهاجَراً ومستقراً، فمن هاجر إليه، فأووا إليه، ولزموه، فصاروا أهل الذكر، فهم أهل بيته، ومن أوى إليه، ولم يصر من أهل الذكر، فهم ليسوا من أهل البيت، وهم من أصحابه وتُبَّاعه، وإنما يكون من أهل التبوئة؛ من بوَّأ لذكره على طريقه.

قال له قائل: وكيف ذلك[1].

قال: إن الذكر قد اشترك فيه الجميع، حتى المنافق، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء: ١٤٢].

وقال الحسن البصري: إنما قلَّ؛ لأنه كان لغير الله، فذاك وإن كثر[2] منه، فهو قليل، فكذلك من المخلط، وإن كثر، فهو ضعيف سقيم، وكلٌّ إنما يصفو ذكره على قدر صفاء خلقه، وطهارة قلبه، والذكر المغشوش من الإيمان المغشوش.

قال له قائل: وكيف يكون الإيمان مغشوشاً؟ قال: كما قال رسول الله ﷺ لسلمان: «قُلِ: اللَّهمَّ إنِّي أَسألكَ صِحةً في إيمانٍ»[3]، فهل يسأله الصحة إلا من السقم؟ فسقم الإيمان أن يمازجه الهوى، وهو شهوة النفس حتى يميل به عن الله، وينقله عن[4] أمره، ويشغله عنه، ويلهيه

---

(١) من قوله: عطارد وبهرام. . . إلى قوله: قال له قائل: وكيف ذلك: ساقط من الأصل، وزدناه من «ن».

(٢) في الأصل: كثرت، وما أثبتناه من «ن».

(٣) تقدم تخريجه في الأصل العاشر.

(٤) في الأصل: من، وما أثبتناه من «ن».

عن ذكره، قال الله تعالى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[المنافقون: ٩].

والإيمان: هو طمأنينة القلب إلى ذكر[١] الله في كل أموره، فإذا ذكر[٢]، أمن به جملة، ثم مال يميناً وشمالاً ليطمئن إلى الأسباب والخلق، فذاك غش الإيمان، قد خلط به ما ليس منه، والأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ، والأولياء من بعدهم[٣] قد اطمأنوا إليه، فأقدامهم بين يديه كالجبال الرواسي، وهو نصب أعينهم، يراقبون ما يخرج من حجب الغيب من مشيئته وتدبيره[٤]، فإنه كل يوم هو في شأن، فيقبلون منه اهتشاشاً، وتسارعاً، ونفوسهم ألين لمشيئته وأحكامه وتدبيره من الدهن باللبن، قد أخبتوا إليه، وانخشعت نفوسهم؛ لأن شهواتهم قد ماتت من هيبة جلاله، (والمستحقون للذكر هم أهل الذكر.

قال له قائل: ومن المستحقون للذكر؟

قال: من ذكره)[٥] بحقيقة الذكر.

قال: وكيف حقيقة الذكر؟ قال: أن لا يبقى على قلبه مع ذكره في ذلك الوقت ذكر نفسه، ولا ذكر مخلوق، فذلك الذكر الصافي.

قال: ويكون هذا؟

---

(١) ذكر: ليست في «ن».

(٢) ذكر: ليست في «ن».

(٣) في الأصل: بعده، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: وتدابيره، والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: والمستحقون للذكر من ذكره، والزيادة من «ن».

قال: وكيف لا يكون، وإنما هو قلب واحد؟ فإذا شغل بشيء، ذهل عما سواه.

هذا موجود في المخلوقين: لو أن رجلاً دخل على بعض ملوك الدنيا وسلاطينها، لأخذه من هيبته ما لا يذكر في ذلك الوقت غيره[1]، ولو سُئل: من كان معه في المجلس؟ فقال: لا أدري، لعذر في ذلك، هذا في سلطانٍ[2] كائن موجود، فكيف بمالك الملوك إذا انكشف لك الغطاء عن جلاله، وحل بقلبك هيبته، وعمل في صدرك سلطانه، وطالع قلبُك كبرياءه وعظمته، لو كان فيك عقل مئة، ثم شغل عن ذلك كله به حتى لها عن سواه، ما كان بمستنكر[3]، فكلما كان عقله أوفر، كان الاشتغال به أشد وأكثر، فهذا هو الذكر الصافي.

يحقق ما قلنا: حديث عمر ﵁ عن رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالى ـ: مَن شَغَلَهُ ذِكرِي عَن مَسأَلَتِي، أَعطَيتُهُ أَفضَلَ مَا أُعطِي السَّائِلِينَ»[4].

هذا فيمن شغله ذكر الخالق، فكيف بمن شغله الخالق بأنسه؟!.

---

(١) في الأصل: خبره، والصواب من «ن».

(٢) الدنيا: ليست في «ن».

(٣) في الأصل: ثم شغل ذلك كله حتى لها على سواه، ما كان بمتكبر، وما أثبتناه من «ن».

(٤) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص: ١٠٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤١٣)، وفي «فضائل الأوقات» (ص: ٣٧٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٤٣٦).

هذا فيمن شغله الخالق بأنسه، فكيف بمن شغله الخالق بجلاله وجماله؟!.

هذا فيمن شغله الخالق[1] بجلاله وجماله، فكيف بمن شغله الخالق في فردانيته بنفسه في وحدانيته؟!.

ولهذا ما قال رسول الله ﷺ: «سِيرُوا، سَبَقَ المُفَرِّدُونَ»، قالوا[2]: يا رسول الله! ومن المفردون؟ قال: «الذِينَ أُهتِرُوا فِي ذِكرِ الله[3]، يَأتُونَ يَومَ القِيَامَةِ خِفَافاً، يَضَعُ الذِّكرُ عَنهُم أَثقَالَهُم»[4].

فالمُهتَر: الذي إذا نطق عن ربه، يشبه كلامه كلام من لم يستعمله عقله؛ لأن العقل يخرج الكلام على اللسان بتدبير وتؤدة وتأنٍّ، وهذا المهتر إنما ينطقه ربه، فكأنه الماء على لسانه يجري، حتى يشبه الهذيان في بعض أحواله عند العامة، وهو في الباطن مع الله من أصفى الناطقين، وأطهرهم، وأصدقهم، ومن ذلك قيل: التهاتر: إذا قال قولاً بالعجلة بلا نظام يشبه الجزاف[5].

والمهتر في اللغة: الشيخ الكبير الذي قد أفسد عقله، فهو يهتر في الكلام كالخَرِف، فهذا قد أفسد عقله الكبر الذي حل به، فلا يعمل عقله ذلك العمل، فالذي خمد عقله الكبر لا يستوجب العصمة، والحفظ، والتأييد،

---

(١) الخالق: زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: قيل.

(٣) في الأصل: في ذكره، وما أثبتناه من «ن».

(٤) تقدم تخريجه في الأصل الثالث والعشرين والمئة.

(٥) في الأصل: الخراف، وما أثبتناه من «ن».

والذي خمد عقله القرب والدنو قد استوجب من الله كرامة، أنطق لسانه، وحفظ عليه شأنه، وأيده، وعصمه، فالذي خمد عقله الكبر بمنزلة[1] قمر حل به الكسوف[2]، فذهبت[3] منفعته، والذي خمد عقله للقربة والنور الذي حل[4] به بمنزلة قمر فيمن طلعت عليه شمس، فخمد نور القمر لضوء الشمس، ولم يعمل شيئاً، فبيت رسول الله ﷺ هو مستقره، وسواد ذكره، وهو كما قال الله تعالى في تنزيله: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾[يونس: ٩٣]، وهي الأرض المقدسة.

فبعث رسول الله ﷺ ليبوئ الذكر في أرض الله، فبدأ بمكة، فطرد، وبقي الذكر، قال الله ـ جل ذكره ـ: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[الأنعام: ٨٩]، وهم المهاجرون والأنصار، فتبوؤوا الذكر[5] والإيمان، فصار أهل بيت رسول الله ﷺ؛ لتبوئه الذكر.

والأهل والآل: بمعنى واحد، والهاء والهمزة أختان تجزي إحداهما عن الأخرى[6]، وإنما قيل: أهل؛ لأنه حيثما ذهب، فهو راجع إلى ذلك المستقر، وكذلك الآل؛ حيثما تفرق، فالنسبة تؤول إلى الأصل[7]،

---

(١) بمنزلة: ليست في الأصل، زدتها من «ن».

(٢) في «ن»: كسوف.

(٣) في الأصل: فذهب، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: حلت، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: الدار.

(٦) عن الأخرى: ليست في الأصل، وزدناها من «ن».

(٧) في الأصل: الآل حيث لا يفرق النسب يؤول إلى الأصل، وما أثبتناه من «ن».

وأهـل البيت: كل من رجع نسبه إليك مـن[1] الأصل، وأمـا أهل بيت رسول الله ﷺ، فهو كذلك أيضاً، إلا أن رسول[2] الله ﷺ قد أخذه الله من خلقه، فاختصه لنفسه، واصطنعه، واصطفاه لذكره، فكان في كل أمرٍ قلبُه راجع[3] إلى الله، من عنده يصدر، ومعه يدور، وإليه يرجع، فكان هذا البيت أشرف، وأعلى من البيت الذي هيئ له في أرضه من النسب، فكان أهل هذا البيت غالباً على ذلك البيت.

ألا ترى أنه غلب على نفسه ما أكرمه الله به من النسبة، فمن قبل ذلك كان يقال: محمد بن عبدالله، فإذا نسب إلى فعل، قيل: محمد الأمين، فلما جاءت الكرامة، غلب على اسمه هذا الاسم، فقيل: نبي الله، ورسول الله، فكذلك هناك كان له بيت النسبة، فلما جاءه بيت الكرامة والنبوة، فغلب[4] على ذلك البيت، كان[5] كل من كان قلبه راجعاً[6] إلى الله تعالى طريقه من أهل ذلك البيت، فأهل بيته هم الأربعون الذين خلفوه من بعده حتى تقوم بهم الأرض، و[بهم] يمطرون[7] ويرزقون، قاموا مقامه، ولو كان كما ذهب إليه هؤلاء المفتونين بخدع الشيطان في صدورهم، إذاً لاستحال.

---

(١) في الأصل: في، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: الرسول، والصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل: راجعاً، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: غلب، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: فكان، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في «ن»: كل من كان راجع قلبه.

(٧) في الأصل: حتى تقوم بهم، وبهم يمطرون، وما أثبتناه من «ن».

وذلك أنه روي في الحديث: «فَإِذَا ذَهَبَ أَهلُ بَيتي، أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[1]، فكيف يذهب أهل بيته حتى لا يبقى منهم أحد، وذريتهم ونسلهم أكثر من أن تحصى في الأرض، وبركة الله عليهم دائمة، ورحمته مظلة من فوقهم؟!.

ذلك ليعلم أن أهل بيته هؤلاء الأربعون الذين هم[2] أهل الذكر الصافي، بهم تقوم الأرض، وهم أوتاد الأرض، وخلفاء النبيين، فإذا كان في دنو الساعة، أماتهم في يوم واحد، فذهب نورهم من الأرض، وذهبت الأدلة والأعلام، فأتى أهل الأرض ما يوعدون، كما أن النجوم إذا تهافتت[3] وانكدرت، أتى أهل السماء ما يوعدون.

وقال[4] له قائل: قد ذهب قوم إلى أن أهل بيته الذين عناهم في الحديث هم أهل بيته في النسب.

قال: هذا مذهب لا نظام له، ولا وفاق، ولا مساغ، وذلك أن أهل بيته بنو هاشم، وبنو عبد المطلب، وبنو أمية، وبنو عبد مناف، فمتى كانوا هؤلاء أماناً لهذه الأمة، حتى إذا ذهبوا ذهبت الدنيا؟.

إنما يكون هذا لمن بهم[5] تقوم الدنيا، وهم أعلامه، وأدلة الهدى في

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٨)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ١٩٠)، وابن حبان في «الصحيح» (١٦/ ٢٣٤)، وابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص: ٥٨) من حديث أبي موسى ﷺ.

(٢) في الأصل: الأربعين ألذ منهم، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: تهافت، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: قال.

(٥) في «ن»: به.

كل وقت، فإذا ماتوا[1]، لم يبقى لأهل الأرض[2] حرمة، فيعمهم[3] البلاء، فمن قال: إن أهل بيته ذريته، فموجود في ذريته ﷺ الميل والفساد، كما يوجد في غير ذريته، فمنهم المحسن، ومنهم المسيء، فبأي شيء صاروا أماناً لأهل الأرض؟.

فإن قال: بحرمة رسول الله ﷺ، فحرمة رسول الله ﷺ عظيمة جليلة، وفي الأرض ما هو أعظم حرمة من حرمة ذرية رسول الله ﷺ، وهو كتاب الله، فلا نجد ذكره في الحديث، فإنما الحرمة لأهل التقوى، فإنما عظمت حرمة رسول الله ﷺ بفضل النبوة، وما أكرمه الله به.

(١١٣٩) ـ حدثنا صالحُ بنُ عبدِالله، قال: حدثنا أبو صيفيٍّ الواسطيُّ، عن سعيدٍ المقبريِّ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، قال: دخل رسولُ الله ﷺ على فاطمةَ ـ رضي الله عنها ـ، وعندها صفيةُ عمةُ رسولِ الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «يَا بَنِي عَبدِ مَنَاف! يَا[4] بَنِي عَبدِ المُطَّلِبَ! يَا فَاطِمَةُ بِنتَ مُحَمَّدٍ عليه السلام! يَا صَفِيَّةُ[5] عَمَّةَ رَسُولِ الله ﷺ! اشتَرُوا

---

(١) في «ن»: تفانوا.

(٢) في الأصل: لم يبق للأرض، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: فعمهم، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: ويا، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في «ن»: يا صفية بنت عبد المطلب.

أَنفُسَكُم[1]، لاَ أُغني عَنكُم مِنَ اللهِ شَيئاً، سَلُوني من مالي ما[2] شِئتُم، وَاعلَموا: أَنَّ أَولَى[3] النَّاسِ بِي[4] يَومَ القِيَامَةِ: المُتَّقُونَ، فَإِن يَكُونُوا أَنتُم مَع قَرَابَتِكُم، فَذَاكَ، لاَ يَأتيني النَّاسُ[5] بِالأَعمَالِ، وتَأتُوني بِالدُّنيا[6] تَحمِلُونَهَا عَلَى أَعنَاقِكُم، فَتَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! فَأَقُولُ هَكَذَا، ثُمَّ تَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! فَأَقُول هَكَذَا، أُعرِضُ بِوَجهِي عَنكُم، فَتَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنَا فُلاَنُ بنُ فُلاَنٍ، فَأَقُولُ: أَمَّا النَّسَبُ، فَأَعرِفُ[7]، وَأَمَّا العَمَلُ، فَلاَ أَعرِفُ، نَبَذتُمُ الكِتَابَ، فَارجِعُوا، فَلاَ قَرَابَةَ بَيني وَبَينَكُم»[8].

---

(١) في الأصل: اشتروا أنفسكم من الله.

(٢) في الأصل: سلوني عما، والمثبت من «ن».

(٣) في الأصل: أن أول، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: الناس فيَّ، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: للناس، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: بالأعمال فأتوا أنتم بالدنيا، والصواب من «ن».

(٧) فأعرف: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

(٨) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٦/ ٩) للحكيم الترمذي، عن أبي هريرة ﷺ.

في سنده بشر بن ميمون الواسطي أبو صيفي، متروك؛ كما في «تهذيب التهذيب» (١/ ٤١٢).

(١١٤٠) ـ حدثنا الفضلُ بنُ محمدٍ، قال: حدثنا الحسنُ بنُ عليٍّ الحلوانيُّ، قال: حدثنا يحيى بنُ معينٍ، قال: حدثنا محمدُ بنُ جعفرٍ، قال: حدثنا شعبةُ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ، عن قيسِ بنِ أبي حازمٍ، عن عمرِو ابنِ العاصِ ﷺ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ جهاراً غيرَ سِر: «أَلاَ إِنَّ أَولِيَائِي مِنكُم لَيسُوا بِبَنِي فُلاَنٍ[1]، وَلَكِن أَولِيَائِي مِنكُمُ المُتَّقُونَ، مَن كَانُوا، أَو حَيثُ كَانُوا»[2].

(١١٤١) ـ حدثنا أبو بكرٍ الواسطيُّ، ويعقوبُ بنُ إسحاقَ القشيريُّ، و[3]محمدِ بنِ أبانَ، عن أبي خالدٍ الأحمرِ، عن ابنِ سوقةَ، عن عليِّ بنِ [أبي] طلحةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «النُّجومُ أَمانٌ لأَهلِ السَّماءِ، فَإِذَا ذَهبتِ النُّجومُ أَتى أَهلَ السَّماءِ مَا يُوعَدونَ، وَأَنَا أَمانٌ لأَصحَابي، فَإِذَا ذَهبتُ، أَتى أَصحَابي مَا يُوعَدونَ، وَأَصحَابي أَمانٌ لأُمَّتي، فَإِذَا ذَهبُوا،

---

(١) الأصل: ليسوا بني أبي فلان، والمثبت من «ن».

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣/ ٤٣) للحكيم الترمذي، عن عمرو بن العاص ﷺ.

(٣) في الأصل: عن، وفي «ن» سقط هذا الحديث، ولعل الصواب ما أثبتناه، والله أعلم.

أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[1].

فأصحابه أولياؤه، وأولياؤه المتقون من كل قرن، وهم على سنته، وهديه، وخلقه، كما قال في حديث عمرو بن العاص، فافهم.

(١١٤٢) ـ حدثنا أبو عبدِالله الحسنُ بنُ حامدٍ، قال:

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢٠٠) من طريق محمد بن سوقة عن علي بن أبي طلحة، مرسلاً.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧/ ٦)، ومن طريقه ابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص: ٦١) من طريق محمد بن سوقة عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧): رواه الطبراني في «المعجم الأوسط»، وإسناده جيد، إلا أن علي بن طلحة لم يسمع من ابن عباس.

وقال ابن حجر: رجاله موثقون، لكنهم قالوا: لم يسمع علي بن أبي طلحة من ابن عباس، وإنما أخذ التفسير عن مجاهد، وسعيد بن جبير عنه. قلت: بعد أن عرفت الواسطة، وهي معروفة بالثقة، حصل الوثوق به....

وأخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ١٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥١٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٦٧) عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر، عن أبيه.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٨٦) من طريق محمد بن سوقة عن محمد ابن المنكدر عن جابر.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي: أظنه موضوعاً.

وأخرج نحوه مسلم (٢٥٣١) من حديث سعيد بن أبي بردة، عن أبي بردة، عن أبيه رضي الله عنه.

حدثنا محمدُ بنُ محمدِ بنِ عفانَ الجرجائي[1]، قال: حدثنا محمد بنُ يعقوبَ، عن عبدِ الحميدِ العمريِّ، عن خليدِ بنِ دعلجٍ، عن عطاءِ بنِ أبي رباحٍ، عن ابنِ عباسٍ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَمانُ أَهلِ الأَرضِ مِن الغَرَقِ القَوس[2]، وَأمانُ أَهلِ الأَرضِ مِن الاختِلافِ الموالاةُ لقُريشٍ، إِذَا صَيَّرَ النَّاسُ قُريشاً قَبيلةً مِن العَربِ، صَاروا حِزبَ إبلِيسَ»[3].

قال أبو الحسن: فإذا صاروا حزب إبليس، انقطعت العصمة عنهم، وأتاهم ما يوعدون.

وروى ابن أبي فديك، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: «اللَّهمَّ ارْحَم خُلفَائي»، قلنا: من خلفاؤك

---

(١) كذا في الأصل، ولم أهتد إليه.

(٢) في الأصل: العدو الفرس، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٨٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ١٩٦)، وفي «المعجم الأوسط» (٧/ ١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٦٢)، وتمام الرازي في «الفوائد» (١/ ١٢٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٦٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ٢١٧) من طريق خليد بن دعلج، به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٩٥): رواه الطبراني في «الكبير»، و«الأوسط»، إلا أنه قال: «وأمان أمتي من الاختلاف»، وفي رواية: وقال: «قريش أهل الله ـ ثلاث مرات ـ»، وفيه: خليد بن دعلج، وهو ضعيف.

يا رسول الله؟ قال: «الَّذينَ يَأتُونَ بَعدِي يَروونَ أَحادِيثي وَسنَّتي يُعلِّمونهَا للنَّاسِ»[1].

ومعنى هذا الخبر واضح، فافهم.

(١١٤٣) ـ حدثنا أبو عبدِالله محمدُ بنُ عامرٍ البراجانيُّ، قال: حدثنا أخي الليثُ، قال: حدثنا أبو القاسمِ بنُ المختار[2] الزبيديُّ ببغدادَ، قال: حدثنا الفضلُ بنُ جبيرٍ الوراقُ، قال: حدثنا أبو هاني الأوقصُ[3]، عن هشامِ بنِ حسانَ، عن عمرانَ بنِ حصينٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «اللَّهمَّ لاَ تَجعَلِ الخِلافةَ في وَلدِ عَلِيٍّ»[4].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ٧٧)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (ص: ١٦٣)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ١١١)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٣١) من طريق ابن أبي فديك، به. إلا أن الطبراني لم يذكر علياً.

وأخرجه الخطيب كذلك من طريق ابن أبي فديك، وفيه: عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، ثم قال: والأول أشبه بالصواب.

قال الذهبي في «الميزان» (١/ ٢٧٠): هذا باطل.

(٢) جاءت ترجمته في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤٣٣) بلفظ: القاسم بن المختار.

(٣) كذا في الأصل، ولم أهتد إليه.

(٤) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

وإسناده يحتاج إلى بحث.

ومن حديث آخر: «وَيلٌ لأُمَّتي مِن آلِ أَبي طَالبٍ، وَيلٌ لآلِ أَبي طَالبٍ مِن أُمَّتي»[1][2].

وإن هذه الطائفة[3] الزائغة قلوبهم، المفتونة بحب أهل بيت رسول الله ﷺ نسباً، ما زالت بهم فتنتهم حتى عمدوا إلى كل شيء من مثل هذه الأشياء، فنسبوه إليهم، وحرموا غيرهم ذلك إعجاباً[4] بهم وفتنة، وأن الله تعالى فضلهم بأن طيب عنصرهم، وطهر أخلاقهم، فاختار قبيلتهم على القبائل بذلك، فلهم حرمة التفضيل، والأثرة، ولهم حرمة الاتصال برسول الله ﷺ، فيحق علينا أن نحبهم حباً لا يرجع علينا بوبال، وظلمة، فإن النفس قرينها الشيطان، وهي أرضية شهوانية تخف بزينتها وهواها، فتميل مع كل ريح شهوة، فجاءت بأحاديث مختلفة، وأكاذيب منكرة[5] تنكرها عقول الصادقين، حتى أَدَّاهم ذلك إلى[6] أن طعنوا في إمارة الشيخين المهديين المرضيين اللذين كان علي رضي الله عنه يؤدِّب وينكِّل بمن فضله عليهما، ويقول: لا أجد أحداً يفضلني عليهما، إلا جلدته حدَّ المفتري.

فبلغ من إفراط هذه الطائفة أن رووا أحاديث[7] مختلقة، حتى رووا

---

(١) من قوله: حدثنا أبو بكر الواسطي... إلى قوله: لآل أبي طالب من أمتي: ليس في «ن».

(٢) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

(٣) في «ن»: الطبقة.

(٤) في الأصل: عجباً، وما أثبتناه من «ن».

(٥) منكرة: ليست في «ن».

(٦) إلى: زيادة من «ن».

(٧) في الأصل: أن رووا هذه الأحاديث مختلفة، والصواب من «ن».

أن محمداً ﷺ يبعث لمقام الشفاعة على ألف مرقاة من منبره، وعلي إلى جنبه دونه بمرقاة، فيناوله الله مفاتيح الجنان، فيناولها علياً ليدخل من يشاء، فبمثل هذا يريدون أن يقيموا لعليّ ﷺ فضيلة[1]، وقد فضل الله علياً بأشياء كثيرة قد أغناه الله[2] عن مثل هذه الأكاذيب[3]، فتركوا لظلمة قلوبهم تلك الأشياء، وأقبلوا على الكذب والزور بشقاء جدهم، وزيغ قلوبهم، وتأولوا قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب: ٣٣]: أن أهل البيت إنما هم علي وفاطمة[4]، والحسن والحسين ﷺ، فكيف يجوز هذا؟ ومبتدأ الخطاب بيِّن، وهو كلام منسوق بعضه على إثر بعض إلى آخره، فكيف ينصرف في الوسط إلى غيرهم، وهو على نسق ونظام واحد؟.

فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩].

ثم قال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾[الأحزاب: ٣٠ ـ ٣١].

ثم قال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ

---

(١) في «ن»: فضيلته.

(٢) لفظة الله: زيادة من «ن».

(٣) في الأصل: الأحاديث، والصواب من «ن».

(٤) وفاطمة: زيادة من «ن».

بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[الأحزاب: ٣٢ ـ ٣٤].

ففي أوله ذكر، فقال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ فقال: ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

فقال من بعده: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ﴾[1] فكيف صارت[2] هذه المخاطبات كلها لنساء النبي ﷺ قبلاً وبعداً، وصار في الوسط كلاماً منفصلاً لغيرهنّ، والكلام منسوق متصل بعضه ببعض؟! أليس هذا عناداً ومكابرة واستبداداً؟! وإنما ينظر في مثل[3] هذا إلى اللغة المعقولة، وما عليه بني الكلام[4]، فلا ينبغي أن يترك الأصل المنير[5] بقول الكلبي وأشباهه من هؤلاء المفتونين، فإنا نجد[6] الكلبي [أتى] بأشياء في هذا التفسير ما لو كان في زمن السلف الصالح، لمنعوه عن ذلك، وحجروا

---

(١) من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ . . . إلى قوله: ﴿بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ﴾: ليس في «ن».

(٢) في الأصل: صار، والصواب من «ن».

(٣) مثل: ليست في «ن».

(٤) في الأصل: المعقولة ويأتي عليه الكلام، والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: الأصل للسيئ، وأثبتناه من «ن».

(٦) في الأصل: المفتونين، وأتى بعد، وأثبتناه من «ن».

عليه، وإنما يروج الكلبي وأشباهه مثل هذا على هؤلاء الأغنام من منتحلة العلم الذين جل علمهم هذا السواد في البياض، اقتصروا عليه، وغاب عنهم ما في باطن ذلك السواد، فرب كلمة منها معان بما فيها يملأ[1] وادياً، فيصير نهراً، وما من علم ظاهر إلا وله حكمة، والحكمة ما بطن، يؤتيه من يشاء، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة: ٢٦٩].

فالعلم الظاهر هو الذي سودوه من هذا البياض بالتخليط[2]، وغاب عنهم أصل العلم، وعجزت أفهامهم، وإلا، فكيف[3] يجوز أن يروج عليهم مثل هذه الأشياء، فيقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[الأحزاب: ٣٣]: إنها نزلت في علي، وفاطمة، والحسن، والحسين خاصة، والخطاب موصول بعضُه ببعض من قوله: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾.

فقوله: ﴿عَنكُمُ﴾ هذه الكاف كاف الخطاب على من يقع، ثم قال على إثره: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ فكيف صار ذلك[4] الكاف الثاني خطاباً للنساء، والكاف[5] الأول خطاباً[6] لعلي وفاطمة، وأين

(١) في «ن»: يملأه.

(٢) في الأصل: ليختلط، والصواب من «ن».

(٣) الأصل: ألا وكيف، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: هذا، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: والخطاب.

(٦) خطاباً: ليست في «ن».

ذكرهما في هذه الآيات؟ وإنما هذا شيء جرى في الأخبار: أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية، دخل عليه علي، وفاطمة، والحسن، والحسين رضي الله عنهم، فعمد النبي ﷺ إلى كساء، فلفه عليهم، ثم ألوى بيده إلى السماء، فقال: «هَؤلاَءِ أَهلِي، اللَّهُمَّ أَذهِب عَنهُمُ الرِّجسَ، وَطَهِّرهُم تَطهِيراً».

وهذه دعوة من[1] رسول الله ﷺ لهم[2] بعد نزول الآية، أحبَّ أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج، فذهب المفتون، فصيرها لهم خاصة[3]، وهي في الأصل[4] دعوة لهم خارجة[5] من التنزيل.

(١١٤٤) ـ حدثنا بذلك صالحُ بنُ محمدٍ، قال: حدثنا عبدُ الحميدِ بنُ بهرامَ، قال: حدثنا شهرُ بنُ حوشبٍ، قال: سمعت أمَّ سلمةَ تذكر ذلك عن رسول الله ﷺ[6].

---

(١) من: زيادة من «ن».

(٢) لهم: زيادة من «ن».

(٣) في الأصل: مخلصة، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: ليست في «ن».

(٥) في الأصل: خارج، والصواب من «ن».

(٦) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٧٨٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٥٣) من طريق عبد الحميد بن بهرام، به.

وأخرجه الترمذي (٣٨٧١)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٣٠٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٣٣٣)، وأبو يعلى في «المسند» (٧٠٢١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٢٠٤) من طريق شهر بن حوشب، به. =

قال له[1] قائل: فإن كان الخطاب لنسائه، فكيف قال: ليذهب عنكم الرجس[2]، ولم يقل: عنكنَّ، فأخرج الكلام على مخرج التذكير؟.

فالجواب له في ذلك: أنه إنما[3] ذَكَّره، وقال: ﴿عنكم أهل البيت﴾، وإنما ذكره؛ لقوله: أهل، والأهل مذكر، فسماهن، وإن كن إناثاً. باسم التذكير، فلذلك قال[4]: ﴿عَنكُمُ﴾.

❐ ❐ ❐

= وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٢٨١)، وفي «المعجم الأوسط» (٧/ ٣١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/ ١٤٣) من طريق أم سلمة، به.

(١) له: زيادة من «ن».

(٢) الرجس: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: لما.

(٤) في «ن»: صار.



الأصل الخامس والعشرون والمئتان

(١١٤٥) ـ حدثنا عمرُ بنُ أبي عمرَ، قال: حدثنا سهلُ ابنُ تمامٍ البصريُّ، عن سوارِ أبي[١] حمزةَ، عن عمرِو بنِ شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا اجتَمَعَ القَومُ فِي سَفَرٍ، فَلْيَجمَعُوا نفَقَاتِهِم عِندَ أَحَدِهِم؛ فَإِنَّهُ أَطيَبُ لِنُفُوسِهِم، وَأَحسَنُ لأَخلاَقِهِم»[٢].

فهذه النفوس فيها ضيق، وجهد، ووسواس، وللشيء عندهم قدر، وذلك لضعف يقينهم، وظلمة صدورهم، وما أوتي الشح، والبخل، والدقة، والتعظيم للشيء إلا من قلة اليقين، وذلك أن اليقين[٣] يريك ما في الملكوت، فتصغر عندك الدنيا بما فيها، وتدق في جنبه، وضعف اليقين

---

(١) في «ن»: ابن.

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٦/ ٣٠٢) للحكيم الترمذي، عن ابن عمر[و] رضي الله عنه.

وإسناده ضعيف.

(٣) وذلك أن اليقين: ليس في «ن».

يعجزك عن رؤية الآخرة، وعن رؤية عظيم ما في الملكوت، واليقين نور من نور الله في قلبك، فإذا تمكن في قلبك، صارت عين قلبك ذات بصيرة، فأبصرت[1] الغيب بذلك النور، كما أن بصر عين الرأس يريك الأشياء في الدنيا، وبين اليقين تفاوت للعباد[2]، كما قد ترى الرجل يبصر الكواكب بالنهار، وآخر لا يراها[3] إلا بالليل حين يظلم، فهذا لضعف بصره، وذاك لقوة بصره، فلذلك بصر عين القلب إنما يتقوى بنور اليقين الذي في قلبه.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ في خطبته: «وَخيرُ مَا أُلقِيَ في القَلْبِ اليَقينُ»[4].

وقوله في حديث أبي بكر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «إنَّ النَّاسَ لم يُعطَوا شَيئاً خَيراً مِن اليَقينِ والعَافيةِ، فَاسألوهُما الله»[5].

وأوفرهم حظاً من اليقين أكثرهم معرفة، وأغزرهم علماً بما في

---

(١) في الأصل: وأبصرت، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: للعابد، وأثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: يراه، وأثبتناه من «ن».

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٥٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٠٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٩٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٢٠٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه.
وانظر: «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٣٥).

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٨)، والمروزي في «مسند أبي بكر» (ص: ١٦٥)، والبزار في «المسند» (١/ ٩٠)، وأبو يعلى في «المسند» (١٣٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ١٩٩)، وغيرهم.

الملكوت، وأخشاهم لله، وأعلمهم[1] بتدبير الله، وأغناهم بغنى الله.

هذا قليل في النَّاس، والعامة من الناس قد عجزت عن هذا؛ لما يرون الأشياء بالأسباب، وبذلك[2] تعلقت قلوبهم، ومنها افتتنوا حتى[3] عصوا الله في جنبها[4]، فمحال أن لا يكون للشيء عندهم قدر، وإنما لهم[5] عصمة عن تناول حرامها وأوساخها، ثم هم مع ذلك في الفتنة[6]، ومن أجلها يحرمون[7] عظيم قدر ما في أيديهم من هذا الحطام عندهم، حتى لا تسخو نفس[8] أحدهم أن يخرج مما في يديه فلساً[9] إلا بعربون.

قال له قائل: وما العربون؟ قال: الديون[10] بالأعجمية، ألم تر إلى الرجل يستصنع صانعاً شيئاً، ويبين له المقدار ليتخذه له، فيعطيه العربون، فإنما أخذ منه العربون[11]؛ لأنه لما لم[12] يسكن قلبه على ما واصفه عليه،

---

(١) في «ن»: أعلمهم.

(٢) قوله: والعامة من الناس قد عجزت عن هذا لما يرون الأشياء بالأسباب وبذلك: ليس في الأصل، وزدناه من «ن».

(٣) في الأصل: حين، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: جنبه، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في «ن»: وإنما عصوا الله طائفة من المتقين لخوف العقاب فصارت لهم.

(٦) في «ن»: في الفتنة إلى الخلق لها يغضبون ولها يرضون وبها يفرحون.

(٧) في «ن»: يحزنون.

(٨) في «ن»: أنفس.

(٩) فلساً: ليست في «ن».

(١٠) في الأصل: الزبون، وما أثبتناه من «ن».

(١١) قوله: بالأعجمية ألم تر إلى الرجل يستصنع صانعاً شيئاً ويبين له المقدار ليتخذه له فيعطية العربون فإنما أخذ منه العربون: ليس في الأصل، وزدناه من «ن».

(١٢) في الأصل: لا، وما أثبتناه من «ن».

خاف[1] أن يترك عليه، فأخذ منه العربون وثيقة ليأمن من تركه، كأنه قد عجل له بعض ثمنه، فكذلك هذه الطبقة لا تسخو[2] نفوسهم على إخراج درهم مما في يده إلا على[3] ذكر الخلف من الله[4] يخلفه[5] له في دنياه، كما وعد في تنزيله من قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[سبأ: ٣٩]، وعلى ذكر الثواب أن يعطيه في الآخرة قصوراً، ودوراً، وحوراً، وحبوراً، وسروراً، فهذا عربون أهل الهمة، ثم لا تسخو نفوسهم على إتعاب[6] جوارحهم وأعمالها لله من شيء من أعمال البر إلا على طمع[7] نوال الثواب غداً من الله، ولم ينتهوا عن محرم[8] إلا على خوف العقاب من الله ﷻ.

فهؤلاء عبيد عبدوا الله ﷻ من أجل نفوسهم، لم تأخذهم هيبة عظمته، وسلطان كبريائه، فتركض بهم في ميدان الطاعة ركضاً، وتركض بهم في ميدان الهرب عن مساخطه ركضاً؛ إجلالاً لرؤية الله إياهم على[9]

---

(١) في الأصل: خلف، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: تستحق، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: عند، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: من لسان، والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: يخلف، والصواب من «ن».

(٦) في «ن»: إنفاق.

(٧) طمع: زيادة من «ن».

(٨) في «ن»: محرم الله.

(٩) في الأصل: عن، والصواب من «ن».

الأحوال، وترجياً لمحابه، وتلذذاً لعبودته[1]، فإذا اجتمعت هذه الطبقة التي للشيء عندها قدر في سفر، فانفرد كل واحد منهم بطعامه، كانت في ذلك وحشة، ونزعة البركة، وليس ذلك من خلق الإسلام، وفيه[2] ذهاب الألفة، وظهور الفرقة.

وروي عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَى اللهِ تَعَالى مَا كَثُرَت عَلَيهِ الأَيدِي»[3].

وروي عن أبي أمامة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾[العاديات: ٦]، قال: «الكنودُ: الَّذي يأكلُ وَحدَهُ، ويمنعُ رِفْدَهُ، ويضرِبُ عبدَهُ».

(١١٤٦) ـ حدثنا بذلك الجارودُ، قال: حدثنا أبو قطنٍ عمرُو بنُ الهيثمِ، قال: حدثنا حريزُ بنُ عثمانَ، عن حمزةَ بنِ هانئٍ، قال: سمعتُ أبا أمامةَ يذكر[4] نحوَه[5].

---

(١) في الأصل: وتلذذاً بعبوديته، وأثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: فيه، والصواب من «ن».

(٣) أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٢٠٤٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٧/ ٢١٧)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ٣٤٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٩٨) من حديث جابر ﷺ.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢١): فيه: عبد المجيد بن أبي رواد، وهو ثقة، وفيه ضعف.

(٤) في «ن»: فذكر.

(٥) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص: ٦٨)، وابن معين في «تاريخه ـ رواية =

(١١٤٧) ـ حدثنا عبدُ الوهابِ بنُ[1] فليحٍ، قال: حدثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الصمدِ، قال: حدثنا هشامٌ أبو[2] المقدامِ، عن محمدِ بنِ كعبٍ، عـن ابنِ[3] عباسٍ ﵄، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَلاَ أُنبِّئُكم بِشِرَارِكُم؟»، قالوا: بلى يا رسـول الله، قال: «مَن أَكَـلَ وَحدَهُ، وَمَنَعَ رِفدَهُ، وَجَلَدَ عَبدَهُ»[4].

= الدوري» (٤/ ٤٨٥)، والطبري في «التفسير» (٣٠/ ٢٧٨) من طريق حريز ابن عثمان، به.

وأخرجه الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٢٧٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٨٨) من طرق عن أبي أمامة، مرفوعاً.

والموقوف عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٠٣) لعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن مردويه، عن أبي أمامة ﵁.

والمرفوع عزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي، وابن عساكر بسند ضعيف.

وفي المرفوع قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٢): رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما جعفر بن الزبير، وهو ضعيف، وفي الآخر من لم أعرفه.

(١) في الأصل: عن، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: ابن، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: ابني.

(٤) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٤٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٥/ ١٣٢) من طريق هشام، به. =

فالأكل وحده في صورة أهل البخل والدناءة، فإذا أنفق على الجماعة، ولم يقم لذلك، وعجز عنه، فالسبيل في ذلك ما ندبهم إليه رسول الله ﷺ أن يجمعوا نفقاتهم إلى أحدهم[1] حتى ينفقها عليهم، فيكون أطيب لنفوسهم، وأحسن لأخلاقهم، فكل أحد[2] إنما أخرج من يده مقدار كفايته لم يرد على ذلك، وهو طيب النفس بذلك[3]، ولا يحتشم من الأكل؛ لأنه[4] إنما هو من عند نفسه أكل منه، ولو أنفق واحد واحد[5]، لاحتشم أحدهم من صاحبه، واستحيا، وثقل عليه، حتى تجيء نوبته، وربما ذهبت النوبة، وانقطع السفر، فيبقى ما دل عليه رسول الله ﷺ تسكين للنفوس من الوجهين جميعاً: من وجه الحشمة، ومن وجه التثاقل.

فالنفوس ساكنة، والأيدي مجتمعة، والألفة باقية، والبركة نازلة، وخلق الإسلام باقٍ[6] قائم، وإنما سمي بهذا؛ لنهود النفوس إليها، وينهد؛ أي: يتسارع، ويخف إلى هذا الفعل، وإنما بعث الله الرسل؛ ليدلوا الخلق إلى

= وأخرجه أحمد في «الزهد» (١/ ٢٩٥)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ٢٢٥)، والحارث في «المسند» (٢/ ٩٦٧ زوائد الهيثمي)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٣١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٠٠)، وابن المرزبان في «ذم الثقلاء» (ص: ١٧) من طريق محمد بن كعب، به.

(١) في الأصل: أحد، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: وكل واحد، والصواب من «ن».

(٣) بذلك: زيادة من «ن».

(٤) في الأصل: لا، والصواب من «ن».

(٥) واحد: زيادة من «ن».

(٦) باق: زيادة من «ن».

أشرف الأمور وأكرمها، وقد سبق ذكر هذا النهد في التنزيل مما اقتص الله علينا في شأن أصحاب الكهف من قوله: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾[الكهف: ١٩].

فنسب الرزق إليهم كلهم، فكأنه دل على أنهم اجتمعوا على النفقة، فبعثوا واحداً منهم بورقهم في شراء ما بهم إليه الحاجة من الطعام، وفي هذا دلالة لصحة الوكالة أن الوكيل قد يجوز[1] أن يشتري لغيره، ويتوكل له في أموره، فيجوز عليه، وإنما هذا القول في شأن النهد من رسول الله ﷺ لعامة من عنده، فأما الكرام الذين [هم] ملوك الدين، فهم أرفع شأناً من أن يتناهدوا؛ لأن قدر الشيء عن قلوبهم ساقط، ومن طبيعتهم السخاء، فقلما يجري فيما[2] بينهم إذا انفردوا عن العامة وزن وعدد وتفقد[3]، إنما الوزن والعدد والتفقد[4] للعامة الذين عظم شأن ذلك عندهم، وحل من قلوبهم محل الفتنة.

فأما أهل اليقين والقربة: فهم في خلو من هذا فيما بينهم إذا تفردوا عن الناس، وعلى صدق الأخوة تجري أمورهم، يأخذ أحدهم من مال أخيه عند الحاجة، وإنما طابت نفوسهم بذلك؛ لأنه لا يمد أحدهم يده[5] إلى مال أخيه لرغبة فيه، ولا لشهوة، ولا لقضاء نهمة، إنما يجده

(١) في الأصل: لصحة الوكالة في أموره يجوز، وما أثبتناه من «ن».

(٢) فيما: زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: وزن وعدة وتفقد.

(٤) في الأصل: والعقد، وما أثبتناه من «ن».

(٥) يده: زيادة من «ن».

ويتناوله لله ﷻ، فقد عـرف أخوه ذلك منه، وأمنـه على نفسه وماله، وشهـد له قلبه بالشفقة، والعطف، والرحمة، فلا يتهمه في نفقته، ولا على إمساك.

(١١٤٨) ـ **حدثنا** أبو هشامٍ الرفاعيُّ[١]، قال: حدثنا ابن يمانٍ، قال: حدثنا عمارُ بنُ عمرَ، عن الحسنِ، قال: إن الرجلَ ليُدخل يدَه في كيس أخيه، فما يسأله: كم أخذتَ[٢]؟

(١١٤٩) ـ **حدثنا** أبو هشامٍ الرفاعيُّ، قال: حدثنا ابنُ يمـانٍ، قال: حدثنا شـيخٌ، قال: قال لنا أبو[٣] جعفـرٍ: أَيدخـل[٤] أحدُكم يدَه في كيس أخيـه؟ قلنا: لا، قال: لستم بإخوة[٥].

(١١٥٠) ـ حدثنا أبي رحمه الله، قال: حدثنا ثابتُ بنُ محمدٍ الزاهدُ، قال: حدثنا ابنُ إدريسَ، عن خالدِ بنِ أبي كريمةَ[٦]، عن أبي جعفرٍ، قـال: جاء رجلٌ إلـى رسول الله ﷺ، فقـال: يا رسول الله! ليس لي ثوبٌ أتوارى به، قال: «فَمَا لكَ

---

(١) في الأصل: الرباعي، والصواب من «ن».
(٢) لم أجده.
(٣) أبو: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».
(٤) في الأصل: يدخل، والصواب من «ن».
(٥) أخرجـه ابن أبي الدنيـا في «الإخوان» (ص: ٢٢٨)، وابن قدامـة في «المتحابين في الله» (ص: ٧٦) من طريق أبي جعفر، به.
(٦) في الأصل: ابن كريمة، والصواب من «ن».

جِيرَانٌ؟»، قال: بلى، فقال: «فَهَل مِنهُم أَحَـدٌ[1] لَهُ ثَوبَان؟»، قال: نعم، قال: «فَيَعلَمُ أَنَ[2] لاَ ثَوبَ لَكَ؟»، قال: نعم، قال: «فَلاَ يَعودُ عَليكَ بِأحدِ ثَوبَيهِ؟»[3]، قال: لا، قال: «فَمَا ذَلِكَ بِأَخٍ»[4].

وروي عن عبد الرحمن بن عوف: أنه دخل على عمر[5] وهو يصلي، فعمد إلى مزوده، فأخذ منه سويقاً، أو تمراً، فأكله، فأعجب ذلك عمر رضي الله عنه.

وروي عن الحسن البصري: أنه فعل ذلك.

وروي عن[6] أيوب السختياني: أنه دخل كرمَ[7] صديق له، فأكل منه بغير إذنه[8]، وتأول قول الله عز وجل في كتابه: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿صَدِيقِكُمْ﴾[النور: ٦١].

---

(١) في «ن»: فهل أحد منهم.
(٢) أن: ليست في «ن».
(٣) في الأصل: قال فتقول يأخذ ثوبيه، وما أثبتناه من «ن».
(٤) أخرجه هناد في «الزهد» (٢/ ٥٠٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣٠٦) من طريق خالد بن أبي كريمة، به.
وعبدالله بن مسور بن عون أبو جعفر كان معروفاً عند أهل العلم بوضع الحديث.
انظر: «لسان الميزان» (٣/ ٣٦٠).
(٥) في «ن»: عمر رضي الله عنه.
(٦) في الأصل: أن، والصواب من «ن».
(٧) كرم: زيادة من «ن».
(٨) في «ن»: إذن.

فإنما كفَّ النَّاس من بعد مضي السلف من أجل تغير[1] القلوب، فلم يأمن بعضهم بعضاً؛ لفقد الرحمة والعطف، وذهاب الألفة، وظهور الحسد، والآفات، فامتنعوا عن أن يتناول أحد شيئاً من صاحبه إلا بإذنه، ومن بعد الإذن أيضاً[2] تأنٍّ ونظر، واحتياط[3] وحذر، ولم يبق لأحد على أحد أمنٌ، ولا به[4] ثقة في زماننا هذا، وما[5] أعلمه إلا لأولئك الأربعين الذين بهم تقوم الأرض، وهم البدلاء العارفون المبرؤون من الآفات، الذين دقت الدنيا في جنب الآخرة في أعينهم، فدقت الآخرة في جنب ملك الله، وعظيم ما أبرز من غيبه، ودق ما أبرز من ملكه في جنب عظمته وجلاله، فهم الذين لا قسمة بينهم، ولا وزن، ولا عدد، يتناول أحدُهم من ملك أخيه ما شاء[6] من غير إذن؛ لأن إذنه[7] قد ظهر منه له مرة، وإنما ابتغى الإذن من أجل[8] طيب النفس، فإذا كانت منية نفسه بتناول أخيه من ماله، فالإذن قد عم وظهر.

(١١٥١) ـ وحدثنا الجارودُ، قال: حدثنا جريرٌ، عن

---

(١) في «ن»: تغيير.

(٢) أيضاً: زيادة من «ن».

(٣) في الأصل: تأتي واحتياط، والصواب من «ن».

(٤) به: زيادة من «ن».

(٥) وما: زيادة من «ن».

(٦) في الأصل: أحدهم ما سد من غير إذن، والصواب من «ن».

(٧) في «ن»: إذن.

(٨) في الأصل: ابتغى الآن له من أجل، والصواب من «ن».

مغيرةَ، قال: كان رسولُ الله ﷺ يعمل في مالِ أبي بكر كما يعمل في مال نفسه[1].

فإنما كان يفعل ذلك؛ لما قد عرف منه.

ألا ترى أنه لما قال لهم: «تَصدَّقوا»، فجاء أبو بكر بماله كله، فقال: «يَا أبَا بَكر! مَا تَركتَ لأَهلكَ؟»، قال: الله تعالى ورسوله[2].

فهل كان يفعل في مال غيره مثل ذلك؟ فإنما صارت مخالطة المطبوع على السخاء أطيب، والتناول[3] من شيئه أشهى، والأكل من طعامه أحلى وأطيب، من أجل سقوط قدر ذلك عن قلبه، ولا يكاد أهل[4] الانتباه واليقظة يدخلون لبيوت البخلاء، ويتناولون من أطعمتهم، إلا ويجدون ثقل ذلك على قلوبهم، ويفتقدون[5] ذلك الطيب، وتلك الحلاوة واللذة من طعامهم، والقلوب تحس بما في نفوسهم من قدر ذلك الشيء عندهم، فيذهب طعمه وطيبه منهم.

ألا ترى إلى ما جاء عن قوم موسى عليه السلام من تلك الأمة التي ذكرها الله في

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٢٢٨) عن ابن المسيب، بنحوه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، والدارمي في «السنن» (١/ ٤٨٠)، والبزار في «المسند» (١/ ٢٦٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ١٨٠) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) في الأصل: والمتناول، وما أثبتناه من «ن».

(٤) أهل: زيادة من «ن».

(٥) في الأصل: ويقصدون، وما أثبتناه من «ن».

تنزيله فقال: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾[الأعراف: ١٥٩].

فروي في الخبر: أن رسول الله ﷺ لما أُسري به، نزل عليهم حين رجع حتى أقرأهم عشر سور من القرآن، وعلمهم الشريعة، ومستقرُّهم بأرض الصين من[1] وراء نهر الرمل، فذكر أنه سألهم عن معاشهم، فقالوا: نزرع ونحصد، ونجمعه في بريَّة[2] من الأرض، فيخرج كل من احتاج إلى شيء، فيأخذ منه، وسائرُه متروك هناك[3].

فهذا صدق الأُخوة في أهل الهداية بالحق، وأهل العدل به[4]، فقد صار العدل بقومهم، والحق هاديهم، فقد كانت أوائل هذه الأمة على هذا السبيل، وقد أثنى الله عليهم في تنزيله، فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر: ٩] ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾[الحشر: ٩][5].

وذلك أن رسول الله ﷺ لما افتتح[6] خيبر، فقسم الغنائم للمهاجرين دون الأنصار، وأثنى الله عليهم حين لم يجدوا في صدورهم ضيقاً، ولا حسداً، ولا شكاً، ولا وجدوا على رسول الله ﷺ في فعله، حيث ضربوا

(١) من: زيادة من «ن».

(٢) في الأصل: رثة، والصواب من «ن».

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٧/ ٣٠٢).

(٤) في «ن»: وأما العدالة.

(٥) في «ن»: تبديل بين الآيتين.

(٦) في «ن»: لما فتح.

بالسيوف حتى فتحوا[1] وغنموا، ثم أعطى الغنيمة[2] المهاجرين دونهم، فأثنى الله عليهم، وشهد لهم بالصدق، وسقوط قدر الشيء عن قلوبهم، فقال: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا﴾[الحشر: ٩]؛ يعني: المهاجرين، ثم قال[3]: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

وهذا غاية الطهارة من قدر الشيء، وسقوطه من القلب، فيظن بمثل هذا، ومَن هذه صفتُه أن يتناول من شيئه على طريق الترفق[4]، والمخالطة أن يكون ذلك مكروهاً، وهذا ما أجرأ عبد الرحمن بن عوف، حتى أكل من مزود عمر بن الخطاب بغير إذنه.

وقولُ الله ـ تبارك وتعالى ـ في كتابه: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ إذنٌ بالغ، ولكن الصديق له حقيقة، فما لم تعرف له حقيقة صداقته لم يغرر المتقي المتورع بنفسه في ذلك، وأول حقيقة الصداقة في سقوط قدر الشيء من قلبه، فإذا لم يعرفه بهذا، فهو ـ وإن صادقه بكل قلبه ـ فهو مجتهد في صداقته[5]، ومن يجتهد في صداقته، فلا يخلو من كراهة وثقل إن تناولت من ملكه شيئاً؛ لأنه في جهد[6] من ذلك، وإنما صار في جهد[7]؛ لأن نفسه لا تطاوعه؛ لقدر

---

(١) في «ن»: ضربوا السيف حين فتحوا، والصواب من «ن».

(٢) الغنيمة: زيادة من «ن».

(٣) في الأصل: وقال، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: الرفق، وماأثبتناه من «ن».

(٥) في صداقته: ليست في «ن».

(٦) في الأصل: جهده، والصواب من «ن».

(٧) قوله: وإنما صار في جهد: ليس في «ن».

ذلك الشيء على قلبه، فهو يجاهد نفسه، فصاحب هذا مغرور إذا عامله على ذلك، وإنما أذن الله في الأموال عن طيب النفس.

ألا ترى في قوله تعالى في شأن المهور[1]: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾[النساء: ٤]، ولم يقل: فإن طبن لكم[2] عن شيء منه قلباً[3]، ولكن قال: ﴿نَفْسًا﴾؛ لأن القلب ربما رضي، فطاب بما فيه من الإيمان، والنفس تكره بما فيها من الشهوة، فشرط في شأن المهر طيب النفس.

وروي عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «لاَ يَحِلُّ لامرئٍ مِن عَطَاءِ أَخِيهِ إلاَّ بِطِيبِ نفسِهِ، وَذلكَ لشدَّةِ مَا حرَّم اللهُ مِن مَالِ المؤمنِ[4]».

(١١٥٢) ـ حدثنا بذلك أبي، قال: حدثنا الحمانيُّ، قال: حدثنا سليمانُ بنُ بلالٍ، عن سهيلِ[5] بنِ أبي صالحٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سعيدٍ، عن أبي حميدٍ الساعديِّ، عن رسولِ الله ﷺ: أنه قال: «لاَ يَحِلُّ لامرئٍ أَن يَأْخُذَ مِن عَطَاءِ أَخِيهِ إلاَّ بِطِيبِ نفسِهِ، وَذلكَ لِشِدَّةِ مَا حَرَّمَ اللهُ مِن مَالِ

---

(١) في «ن»: المهور قال.

(٢) لكم: زيادة من «ن».

(٣) في الأصل: شيء قليله منه، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: المؤمن به، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: سهل، والصواب من «ن».

المُسلمِ عَلى أَخيهِ المُسلمِ»[1].

فاليومَ الإقدامُ على هذا جرأة عظيمة، ولا أعلم في هذا ثقة[2] إلا لأولئك الذين خلت قلوبهم من نفوسهم، وتعلقت بالخالق البارئ الماجد الكريم، فلا يبالون ما أقبل وما أدبر، ومن أخذ، ومن أعطى، يتناولون من الدنيا لله[3]، ويمسكونها لله على نوائب الحق، ويعطونها لله، فإن تناولت من أموالهم، لم[4] يرجع عليك وبال منهم[5] إذا أخذتها لله، وهذا فيما بينهم يجوز، وأما غيرهم، فالأخذ[6] من أموالهم فلا؛ لأن الذي يتناوله بغير حق، يتناوله[7]، فيثقل عليه فعله.

ألا ترى إلى قوله ﷺ[8]، وهو من أسخى البشر، والدنيا ساقطة عن قلبه[9]: «إِنَّمَا أَنَا خَازِنٌ، واللهُ[10] يُعطِي، وَأَنَا أَقسِمُ، فَمَن أَخَذَ مِنِّي

(١) أخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٢٤١)، وابن حبان في «الصحيح» (٥٩٧٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١٠٠)، وفي «شعب الإيمان» (٤/ ٣٨٧) من طريق سليمان بن بلال، به.
ووقع عند بعضهم: عبد الرحمن بن سعد، وانظر «تلخيص الحبير» لابن حجر (٣/ ٤٦).

(٢) ثقة: زيادة من «ن».

(٣) لله: زيادة من «ن».

(٤) في الأصل: ممن، والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: منها، وما أثبتناه من «ن».

(٦) فالأخذ: زيادة من «ن».

(٧) في الأصل: يتناول، وما أثبتناه من «ن».

(٨) في «ن»: قول رسول الله ﷺ.

(٩) في «ن»: عن قلبه فقالت.

(١٠) في الأصل: الله، وما أثبتناه من «ن».

شَيئاً بِطِيبِ نفَسٍ، بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَن أَخَذَ مِنِّي شَيئاً وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ، فَإِنَّمَا يَتَأَبَّطُهَا نَاراً»[1].

أي: يأخذ تحت إبطه، فعياذاً بالله أن يُظن برسول الله ﷺ أنه كره ذلك من أجل قدر الشيء؛ فإن ذلك بخل، ولكن إنما كان تطيب نفس رسول الله ﷺ بالإعطاء لمن سأل بحق، وأخذه بحق.

فأما من أحس به أنه[2] يأخذه أشراً، وبطراً، وحرصاً، وجمعاً، فكان يعطيه على كراهة نفس، ويخبرهم: أنه لا يبارك له فيه؛ لأنه أخذه بغير حق[3]، فقيل له: يا رسول الله! فلم تعطه؟ قال: «يَأبَى اللهُ لي البُخلَ»[4].

كأنه كره أن يرى أحد من خلق الله أن الدنيا عنده مما يزن جناح بعوضة؛ لأنه كذا أخبر عن الله: أنها لا تزن عند الله جناح بعوضة[5]، فأبى الله له أن يراه الخلق مانعاً لها[6] أحداً، فيكون عند الخلق في صورة من يعبأ بالدنيا، وتزن عنده شيئاً، فيكون على خلاف ما وصف عن الله ـ تبارك وتعالى ـ.

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل العاشر.

(٢) الأصل: أن، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: حقه.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤)، والبزار في «المسند» (١/ ٣٤٢)، وابن حبان في «الصحيح» (٣٤١٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٠٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٥١٩) من حديث عمر رضي الله عنه.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة، وقد أخرجه عبدالله بن بشر الرقي، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر رضي الله عنه.

(٥) قوله: لأنه كذا أخبر عن الله: أنها لا تزن عند الله جناح بعوضة: ليس في «ن».

(٦) في الأصل: له، وما أثبتناه من «ن».

ألا ترى أنه كان لا يزن، ولا يحصي، وقال لعائشة: «لاَ تُوكِي فَيُوكَى عَلَيكِ»[1].

«وَلاَ تُحصِي فَيُحصَى عَلَيكِ»[2].

«وَكَانَ لاَ يَدَّخِرُ شَيئاً لِغَدٍ»[3].

ليرى الخلق قدره عنده، ويعلمهم صدق موافقته لله فيها.

(١١٥٣) ـ حدثنا بذلك[4] صالحُ بنُ محمدٍ، قال: حدثنا المنكدرُ بنُ محمدٍ، عن أبيه، عن جابرٍ، قال: ما سُئل

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٦)، ومسلم (١٠٢٩)، وأبو داود (١٦٩٩)، والترمذي (١٩٦٠)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٣٥٤)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٩/ ١٢٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٩٣) من حديث أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنها ـ.

وحديث عائشة أخرجه الحارث في «المسند» (١/ ٣٩١ زوائد الهيثمي).

(٢) أخرجه أبو داود (١٧٠٠)، والنسائي (٥/ ٧٣)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٧٠)، وأبو يعلى في «المسند» (٤٤٦٣)، وابن حبان في «الصحيح» (٣٣٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وأخرجه البخاري (٢٤٥١)، ومسلم (١٠٢٩) من حديث أسماء.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٦٢)، وابن حبان (٦٣٥٦)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ١٤٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٧١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٩٧) عن أنس رضي الله عنه.

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث عن جعفر بن سليمان عن ثابت، عن النبي ﷺ، مرسلاً.

(٤) بذلك: ليست في «ن».

رسولُ الله ﷺ[1] شيئاً قَطُّ، فقال: لا[2].

❐ ❐ ❐

(١) قوله: عن أبيه، عن جابر قال: ما سئل رسول الله ﷺ: زدته من «ن».

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٨٧)، ومسلم (٢٣١١)، والترمذي في «الشمائل المحمدية» (١/ ٢٩٢)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٠٧)، وفي «الزهد» (ص: ٤)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٢٣٨)، والحميدي في «المسند» (٢/ ٥١٥)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٦٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٢٩)، وهناد في «الزهد» (١/ ٣٤٢)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ٣٢٨)، والدارمي في «السنن» (١/ ٤٧)، وغيرهم من طريق محمد بن المنكدر عن جابر، به.





الأصل السادس والعشرون والمئتان

(١١٥٤) ـ حدثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، عن مالكِ بنِ أنسٍ، عن ابنِ شهابٍ، عن عطاءِ بنِ يزيدَ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن تَصَبَّر، يُصبِرهُ الله[1]، وَمَن يَستَعفِف، يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَن يَستَغنِ، يُغنِهِ اللهُ، ومَا[2] أُعطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً هُوَ خَيرٌ وَأَوسَعُ مِنَ الصَّبرِ»[3].

فأما قوله: «مَن تَصَبَّرَ، يُصَبِّرهُ[4] اللهُ، وَمَن يَستَعفِف، يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَن يَستَغنِ، يُغنِهِ اللهُ».

---

(١) في الأصل في هذا الموضع والموضع التالي: بصره الله، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: ما، والصواب من «ن».

(٣) أخرجه مسلم (١٠٥٣)، والنسائي (٥/ ٩٥)، وفي «السنن الكبرى» (٢٣٦٩) من طريق قتيبة، به.

وأخرجه البخاري (١٤٠٠)، والترمذي (٢٠٢٤)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٩٢)، والدارمي في «السنن» (١/ ٤٧٤)، وابن حبان في «الصحيح» (٣٤٠٠) من طريق مالك بن أنس، به.

(٤) جاء في هذا الموضع والذي قبله في «ن»: من يصبر يصبره الله.

فإن الله ـ تبارك اسمه ـ أعطاهم العقول، ومنَّ عليهم بالإيمان، فالصبر والعفة والغنى إنما يخرج كله من الإيمان، فإذا أعطي الإيمان، فقد أعطي هذا كله.

فبقوة الإيمان يصبر على طاعة الله، ويستعفُّ عن محارم الله، وعن تناول شبهات الدنيا، ويقوم في العبودة على سبيل الاستقامة، ثم لا يتم له ذلك إلا بعون من الله؛ لأن النفس تقوم بهدم ذلك كله، وتدعو إلى خلافه، فوقع العبد في مجاهدة[1] معها، فلولا عون الله للعبد، لمالت به النفس، ولكن سبيل العبد أن لا يتخير، فإذا جاءه موضع[2] الصبر، فصبر، وعزم عليه، فوشيكاً يجيئه العون من الله، فوجد اليسر في أمره، فذاك عون الله، ومن قبل ذلك كان عليه[3] ثقيلاً، دخل[4] في الأمر مع الجهد؛ لأن النفس تأبى[5] ذلك، فدخلت فيه[6] بإكراه صاحبها لها على ذلك، فجاءه العون من الله، فيسير عليها، وعلى ذلك دل عباده بقوله[7]: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥].

فأمره بالعبادة، وسؤال العون، فما لم يقدم العبد على ذلك، فسؤاله[8] المعونة كالمحال، وذلك أنه أعطي القوة على القيام بما أمره الله، إلا أن النفس

---

(١) في الأصل: في المجاهدة، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: فإذا جاء موضع، وفي الأصل: فإذا جاءه وضع، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) في «ن»: قلبه.

(٤) في الأصل: أدخل، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: تأبى من، وما أثبتناه من «ن».

(٦) فيه: ليست في «ن».

(٧) في «ن»: عباده من قوله، وفي الأصل: عباده وبقوله، والصواب ما أثبتناه.

(٨) في الأصل: فيسأله، والصواب من «ن».

قامت تدعو إلى خلاف ذلك، فجاءت بشهواتها تريد أن تغلب القلب على ما أمـن، فاحتاج عند مجاهدة النفس إلى عون مـن الله، وهو نور يرد علـى القلب، فيستنير الإيمان، ويمتزج به النور، فيقوى[1] القلب، وتذل النفس، وتخمد شهواتها؛ لأن الخوف يحل بها من النور الوارد، فتذل النفس.

فينبغي للعبد أن يقدم على كل أمر أمرَ به، وأن ينتهي عن كل ما نهي عنه بما أعطي من العلم[2]، والعقل، والإيمان بالله، وذلك مع جهد شديد، وينتظر العون من الله، ولا يلقي بيديه إلى التهلكة، وكذلك التوبة، يخرج إلى الله من جميع ما نهي عزماً بالقلب، وجهداً على النفس، وتخلياً بالأركان مع عسر، وشدة، وجهد، فإذا العون من الله قد جاء، فيسر عليه كل ذلك، ولم يأمرنا الله أن نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥] على العبودة، ثم يحبس عنا العون، ما هذا بمظنون به، وقال: ﴿فَإِنَّ[3] مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[الشرح: ٦]، فأخـرج العسر مخـرج المعونة، واليسـر نكرة[4]؛ كـأنه يقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[الشرح: ٥ ـ ٦] آخرَ، لا هذا[5]، فلذلك قال رسول الله ﷺ: «لَن يَغلِبَ عُسرٌ يُسرَينِ»[6].

---

(١) في الأصل: فيتقوى، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: من العمل، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: إن، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: والعسر يكره، والصواب من «ن».

(٥) لا هذا: ليست في «ن».

(٦) أخرجه الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٧٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٠٦) عن الحسن، مرسلاً.

فاليسر الأول: هو ما أعطي العبد من الآلة، والعلم، والمعرفة[1]، والقوة، فلولا النفس التي تحارب صاحبها بدفع ما يريد، وإفساده عليه، لكان الأمر قد تم، فإنه قد أعطي يسراً بأنه يقوم بالأمر الذي قد أمر[2]، ولكن جاءت النفس بشهوتها، والعدو بكيده، فاحتاج العبد إلى يسر آخر، فوعده، فقال: عسر عليك الأمر، فأعطيتك مع العسر يسراً.

ثم قال: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[الشرح: ٥] فيسراً قبل الأمر، وهو اليسر الأصلي، وهو حجة الله على عبده، وقال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦] ويسراً بعد[3] الأمر حين[4] يأخذ فيه، وهو العون له، فإذا جاء العون، انهزمت النفس، وخمدت الشهوة، وهرب العدو، وبطل كيده، فهذا يسر، فهما[5] يسران لن يغلبهما[6] هذا العسر الذي بينهما، وهو مجاهدة النفس حتى يأتيك بحربها وجهادها؛ ليصدك، ويقهرك بشهواتها، فذلك عسر قد حل بك، فقال رسول الله ﷺ: «لَن يَغلِبَ عُسرٌ يُسرَينِ».

فبشرهم أن العبد إذا لم يلق بيديه وبصره، واستعمل ما أعطي من اليسر في وقت هذا العسر الذي عارضت[7] النفس به، جاءه اليسر الثاني،

---

(١) في الأصل: والمعونة، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: إلا من الذي أمن، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: وأبعد، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: حتى، والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: منهما، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: يسران في تقلبهما، والصواب من «ن».

(٧) في الأصل: عارضته، وما أثبتناه من «ن».

ولن يغلب هذا العسر هذين اليسرين، واليسر[1] الثاني هو عونه، وهو عطف الله على العباد ورحمته، وإذا عطف على عبده، لم يَبق للنفس عليه سبيل، ولا للعدو فيه[2] مطمع؛ لأنه قد جاءه من العطف مدد[3]، وجند عظيم، وهو نوره الذي قد أثار نور التوحيد، فصار[4] كجمرة قد طار عنها غبارها، فأخذت تتوقد وتضيء.

فقوله: «مَن تَصَبَّرَ، يُصَبِّرُهُ اللهُ»؛ أي: يستعمل ما أعطي من الصبر الذي يخرج له من الإيمان، فإذا فعل ذلك، صبره الله؛ أي[5]: جاءه المدد والعون، حتى يتم له صبره في يسر.

وكذلك قوله: «مَن يَستَعفِف، يُعِفَّهُ اللهُ».

وأما قوله: «مَن يَستَغنِ، يُغنِهِ اللهُ»؛ فإن التجأت[6] إليه في الحوائج صدقاً، فهو[7] أكرم من أن يردك ويلجئك إلى عبيده.

(١١٥٥) ـ حدثنا ابنُ أبي زيادٍ، قال: حدثنا سيارٌ، عن جعفرٍ، عن ثابتٍ، قال: حُبس ابنُ أخٍ لصفوانَ بنِ محرزٍ،

---

(١) في الأصل: وأن، والصواب من «ن».

(٢) فيه: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: ومدد.

(٤) في «ن»: فصارت.

(٥) في «ن»: بأن.

(٦) في الأصل: فإنه التجأ، وفي «ن»: فإنه الالتجاء، والصواب ما أثبتناه.

(٧) في الأصل: وهو، والصواب من «ن».

فلم يبق بالبصرة رجلٌ له وجهٌ عند الأمير إلا تجمل به عليه، فلم يزده إلا شدةً، فبات ليلةً، فقيل له في منامه: يا صفوان! اطلب الأمر من وجهه، فقام فتوضأ، وصلى ركعتين، وسأل ربه[1]، ثم عاد إلى مضجعه، فنودي بالباب: يا صفوان! إن هذا ابن أخيك قد جئنا به، فصار إلى الباب، فإذا ابن أخيه، فقال له: نبه الأمير في جوف الليل حتى بعث إلى السجون، فنودي: أين ابن أخي صفوان؟ فطلب حتى جيء به، فها هو ذا.

(١١٥٦) ـ حدثنا أبي رَحِمَهُ اللهُ، قال: حدثنا الحكمُ بنُ المبارك، قال: حدثنا بقيةُ، قال: حدثني[2] بكرُ بنُ حذلمٍ الأسديُّ، قال: حدثني وهبُ بنُ أبان، عن عبدِالله بنِ عمرَ: أنه خرج في سفرٍ له، فإذا بجماعة على طريق، فقال: ما هذه الجماعة؟ فقالوا: أَسَدٌ قطعَ الطريق، قال: فنزل، فمشى إليه حتى قَفَدَهُ بيده، ونَحَّاه عن الطريق، ثم قال: ما كذبَ عليكَ رسولُ الله ﷺ، قال: «إنَّما يُسلَّط عَلى

---

(١) في «ن»: الله.

(٢) في «ن»: حدثنا.

ابنِ آدمَ مَن يخَافهُ ابنُ آدمَ، ولَو أَن ابنَ آدمَ لم يخفْ غيرَ اللهَ، لم يُسلِّط اللهُ عليهِ غيرَهُ، وإنّما وُكِل ابنُ آدمَ لمنْ رَجا ابنُ آدمَ، ولَو أنَّ ابنَ آدمَ لم يَرجُ إلاَّ اللهَ، لم يَكلِهُ اللهُ إِلى غَيرِهِ»[1].

وقال الله ـ جلَّ ذكره ـ لنبيه ﷺ: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[النحل: ١٢٧]، يعلمه أنه لا[2] يتم له ذلك إلا بعون من الله، وغياث منه.

وأما قوله: «ومَا[3] أُعطِيَ عَبدٌ عَطَاءً هُوَ أَوسَعُ مِنَ الصَّبرِ»؛ لأن الصدر[4] قد انشرح، واتسع للنور الوارد على قلبه، فإذا اتسع الصدر، يسرت عليه الأمور كلها، وهو قوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[الزمر: ٢٢]، فإذا استقر النور في القلب، انفسح الصدر وانشرح، وألقى بيديه سلماً لمولاه في أمره ونهيه، وجميع أحكامه عليه، وتدبيره له، ولم يبق للقلب منازع؛ لأن النفس إنما تذل، وتنقمع، وتموت شهواتها، وتلقي بيديها حين يشرق الصدر، فيحل بها من ذلك الإشراق خوف الله[5]، وخوف عقابه.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ١٧٠ ـ ١٧١) من طريق بقية، به.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٨٦) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وابن عساكر، عن ابن عمر ﷺ.

(٢) في الأصل: لم، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: ما، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: الصبر، والصواب من «ن».

(٥) خوف الله: زيادة من «ن».

ثم يزداد النور، فتدخله الخشية، وهو نور القربة، فيحل بها الرهبة من الله، ثم يزداد النور، فتدخله العظمة، فتحل بها[1] الهيبة من الله، والخوف الخالص منه، فتيبس، وتذهب شهواتها، وتخشع لله، وتصير تابعة للقلب، فمنه بدأ أول النور[2]، فوجد العبد متسعاً في صدره، فقيل: صابر، ثم زيد، فهو صابر قانع، ثم زيد، فهو صابر راضٍ مراقب[3]، ثم زيد، فهو صابر راضٍ مراقب واله، ثم زيد، فهو منفرد، قد انفرد لربه، ولها عن الصبر والرضا، والمراقبة، والوله، وهذا كله له، والانفراد غالب عليه، فهو في قبضته يستعمله، وهو قول رسول الله ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن الله عز وجل حيث يقول: «كُنتُ سَمعَهُ وَبَصَرَهُ، وَيَدَهُ وَرِجلَهُ، وَلِسَانَهُ وَفُؤَادَهُ، فَبِي يَنطِقُ، وبي يَعقلُ، وَبي يَمشِي، وَبي يُبصِرُ، وَبي يَبطِشُ[4]»[5].

وهو قول عمر ـ رضي الله عنه ـ حيث شج عليٌّ رضي الله عنه ذلك الرجلَ، فأتى عمر رضي الله عنه، فقال: من فعل بك ويحك؟! قال: علي، فسأل علياً، فقال: إني مررت به، فأصغيت إليه بسمعي، فإذا هو يكلم امرأة بكلام، فلم أملك حتى ضربته، فقال عمر: أيها الرجل! أصابتك عين من عيون الله عز وجل،

(١) في الأصل: فيحل به، والصواب من «ن».

(٢) فتيبس، وتذهب شهواتها، وتخشع لله، وتصير تابعة للقلب، فمنه بدأ أول النور: زيادة من «ن».

(٣) مراقب: زيادة من «ن».

(٤) في «ن»: وفؤاده، فبي يبطش، وبي يعقل، وبي يمشي، وبي يسمع، وبي يبصر، وبي ينطق.

(٥) تقدم تخريجه في الأصل الحادي والخمسين.

وإن لله في الأرض عيوناً[1].

والصبر: هو ثبات النفس على حكم الله، وتدبيره، وأمره، ونهيه، ويرمي[2] بشهوته، ومنيته، والنفس لا ترمي[3] بذلك، حتى تبصر ما هو أفضل من شهواتها[4] ومنيتها، وإنما يبصر ذلك[5] بذلك النور الوارد على القلب فتطيب، وتستقر، وتوقن، فأي شيء أوسع منه، وبذلك يثقل ميزانه، ويملأ منه ميزانه، وسعة كفة الميزان سعة السموات والأرض.



---

(١) سيأتي تخريجه في الأصل الثاني والستين والمئتين.

(٢) في «ن»: ويرى.

(٣) في «ن»: لا يرى، وفي الأصل: لا يرمي، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٤) في «ن»: شهوتها.

(٥) ذلك: زيادة من «ن».





الأصل السابع والعشرون والمئتان

(١١٥٧) ـ حدثنا حميدُ بنُ عليٍّ مولى رسولِ الله ﷺ، قال: حدثنا جعفرُ بنُ محمدٍ[1] الهمدانيُّ، قال: حدثنا ابنُ مباركٍ، عن حمادِ بنِ سلمةَ، عن الزبيرِ أبي[2] عبد السلام، عن أيوبَ بنِ عبدِالله الفهريِّ، عن عبدِالله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لاَ تُسكِنُوا النِّسَاءَ[3] الغُرَفَ، وَلاَ تُعَلِّمُوهُنَّ الكِتَابَةَ»[4].

---

(١) في الأصل: محمد بن جعفر، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: عن، وفي «ن»: ابن، والصواب ما أثبتناه.

(٣) في «ن»: لا تسكنوا نساءكم.

(٤) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٦/ ١٥٩) للحكيم الترمذي، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

في السند من لم أهتد إلى تراجمهم، والله أعلم.

وأخرج نحوه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٧٧) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ. =

فإنما حذرهم رسول الله ﷺ ذلك؛ لأن في إسكانهن الغرف تطلعاً إلى الرجال، وليس في ذلك تحصين لهن، ولا ستر، وذلك أنهن لا يملكن أنفسهن حتى يشرفن على الرجال، فتحدث[1] الفتنة والبلاء، فحذرهم أن يجعلوا لها ذريعة إلى الفتنة، وهو كما قال رسول الله ﷺ: «لَيسَ لِلنِّسَاءِ شَيءٌ خَيرٌ لَهُنَّ مِن أَنْ لاَ يَرَاهُنَّ الرِّجَالُ، وَلاَ يَرَيْنَ الرِّجَالَ»[2].

وذلك أنها خلقت من الرجل، فنهمتها في الرجل، والرجل خلق فيه الشهوة، وجعلت سكناً له، فغير[3] مأمون كل واحد منهما في[4] صاحبه، وكذلك تعليم الكتابة، ربما كانت سبباً للفتنة[5].

وذلك أنها إذا علمت الكتابة، كتبت إلى من تهوى، والكتابة عين[6] من العيون، به يبصر الشاهد الغائب، والخط هو آثار يده، وفي ذلك تعبير

= وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي: بل موضوع.

(١) في الأصل: فيجدن، والصواب من «ن».

(٢) لم أجده بهذا اللفظ.

وذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٠٠): عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس للنساء نصيب في الخروج إلا مضطرة ـ يعني: ليس لها خادم ـ إلا في العيدين: الأضحى، والفطر، وليس لهن نصيب في الطريق إلا في الحواشي».

وقال: رواه الطبراني في «الكبير»، وفيه: سوار بن مصعب، وهو متروك الحديث.

(٣) في الأصل: مسكناً له، فيصير، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: منها في، والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: لفتنته، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: والكتابة تصير، والصواب من «ن».

عن الضمير بما لا ينطق به اللسان، فهو أبلغ من اللسان، وأحبَّ رسول الله ﷺ أن يقطع عنهن[1] أسباب الفتنة؛ تحصيناً لهن، وطهارة لقلوبهن، والله سبحانه أعلم[2].

❐ ❐ ❐

---

(١) في الأصل: عنهم، والصواب من «ن».

(٢) والله سبحانه أعلم: زيادة من «ن».





الأصل الثامن والعشرون المئتان

(١١٥٨) ـ حدثنا محمدُ بنُ عبدِالله بنِ يزيدَ[1] المقرىء، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الحسنُ[2] بنُ عمارةَ، عن عبدِ الرحمنِ[3] بنِ عابسِ بنِ ربيعةَ، عن أبيه[4]، عن عبدِالله ابنِ مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رَأسُ الحِكمَةِ مَخَافَةُ اللهِ»[5].

---

(١) في «ن»: زيد.

(٢) في الأصل: الحسين، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: عبد الوهاب، وما أثبتناه من «ن».

(٤) عن أبيه: ليسَ في «ن».

(٥) أخرجه هناد في «الزهد» (ص: ٢٨٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣/ ١٧٩) من طريق الثوري عن عبد الرحمن ابن عابس، عن أناس، عن ابن مسعودٍ من قوله.
ثم قال البيهقي: هذا موقوف، وقد روي من وجه آخر ضعيف مرفوعاً إلى النبي ﷺ.
ثم أخرجه من طريق بقية بن الوليد، ثنا عثمان بن زفر عن أبي عمار الأسدي، عن ابن مسعود، مرفوعاً.
ثم قال: وروي ذلك من حديث عقبة بن عامر في خطبة النبي ﷺ بتبوك. =

فمخافة الله[1] هي التي ألهته عن الأشياء حتى صارت[2] رأس الحكمة وهو تعلق القلب بمشيئة الله لما صار إلى المشيئة، أبهم الأمر عليه، فقد علم أنه شاء فخلقه، ولا يدري لماذا خلقه، فظهر له بعض المشيئة، وخفي عليه آخر شأنه من مشيئة الله[3]، فأقلقه، وألهاه، فهذا رأس الحكمة، ومن هاهنا مبتدأ تدبيره له بالحكمة البالغة، وقال في تنزيله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات: ٧] إلى قوله: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الحجرات: ٨].

فهو حكيم بالحكمة[4] دبَّر له: أموره من مبتدئها إلى آخرها، فخوف المشيئة أذهله عن النفس، وعن دنياه، فلما زايلته نفسه ودنياه، انشرح صدره، واتسع في الحكمة.

❒ ❒ ❒

= وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣/ ٦٠) للحكيم، وابن لال، عن ابن مسعود ﷺ.

(١) فمخافة الله: زيادة من «ن».

(٢) في الأصل: التي ألهت عن الأشياء صارت، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: من مشيئته.

(٤) في الأصل: وهو حكم بالحكم، وما أثبتناه من «ن».



(١١٥٩) ـ حدثنا إبراهيمُ بنُ عبدِ الحميدِ الحلوانيُّ، قال: حدثنا عبدُالله بنُ صالحٍ كاتبُ الليثِ، قال: حدثنا معاويةُ بنُ صالحٍ، عن راشدِ بنِ سعدٍ، عن أبي أمامةَ الباهليِّ[1] رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنظُرُ بِنُورِ اللهِ تَعَالى»[2].

فالفراسة: هي مشتقة من الفروسية، فركضُه بالجوارح على الفرس هو فروسية، وركضُه ببصر قلبه بنور الله هو[3] فراسة، فبالفرس تقطع مسافة

---

(١) الباهلي: ليست في «ن».

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٠٢)، وفي «المعجم الأوسط» (٣/ ٣١٢)، وفي «مسند الشاميين» (٣/ ١٨٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ٢٠٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١١٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٣٨٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٩٩) من طريق عبدالله بن صالح، به.

(٣) هو: زيادة من «ن».

الدنيا، وبنور الله تقطع مسافة الغيب، وذلك: أن على[1] الأشياء دلائل وسمات، قد وسم الله خلقه بها[2]، وبنوره تدرك تلك السمات حتى يدرك ما لم يأت[3] بعد.

وروي عن[4] عمر بن الخطاب ﷺ: أنه تفرس.

(١١٦٠) ـ حدثنا بذلك يعقوبُ بنُ شيبةَ، حدثنا بشرُ ابنُ موسى، قال: حدثنا يزيدُ بنُ زريعٍ[5]، قال: حدثنا شعبةُ، قال: أنبأني عمرُو بنُ مرةَ، عن عبدِالله بنِ سلمةَ[6]، قال: دخلنا على عمرَ ـ معاشرَ وفدِ مذحج ـ، وكنت من أقربهم منه مجلساً، فجعل عمر ينظر إلى الأشتر، ويصوب ببصره، فقال لي[7]: أمنكم هذا؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين! هذا مالك بن الحارث[8]، قال: ما له قاتله الله! كفى الله أمة محمد ﷺ شره!، والله إني لأحسب أن للمسلمين

---

(١) على: زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: خلقه بذلك.

(٣) في الأصل: تلك السمات فيه ما لم يأت، وما أثبتناه من «ن».

(٤) عن: ساقطة من الأصل، وزدتها من «ن».

(٥) في الأصل: ربيع، والصواب من «ن».

(٦) من قوله: قال أنبأني. . . إلى قوله: ابن سلمة: ليس في «ن».

(٧) في «ن»: فقال لصاحبي.

(٨) هذا مالك بن الحارث: زيادة من «ن».

منه يوماً عصيباً[1].

(١١٦١) ـ حدثنا الجارودُ، قال: حدثنا الفضلُ بنُ موسى، عن زكريا بنِ أبي زائدةَ[2]، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ، عن ابنِ عمرَ رضي الله عنه، قال: ما حذر عمرُ رضي الله عنه شيئاً قط، فتكلم به، إلا كان[3].

(١١٦٢) ـ حدثنا عبدُ الأعلى بنُ واصلٍ، قال: حدثنا سعيدُ بنُ محمدٍ المخزوميُّ، قال: حدثنا عبدُ الواحدِ بنُ واصلٍ[4]، قال: حدثنا أبو البشرِ المزلقُ، عن ثابتٍ البنانيِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ[5] رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ للهِ عِبَاداً يَعرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ»[6].

---

(١) أخرجه أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» (١/ ٣١٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ١١٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ٣٧٧)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٤/ ٨٧) من طريق يزيد، به.

(٢) في الأصل: يزيد، والصواب من «ن».

(٣) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.
رجاله ثقات، ولم أجد لسعد رواية عن ابن عمر، والتاريخ يقبله، والله أعلم.

(٤) قوله: قال: حدثنا سعيد. . . إلى قوله: واصل: ليس في «ن».

(٥) ابن مالك: ليست في «ن».

(٦) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٤/ ٤٦) من طريق عبد الأعلى بن واصل، به. =

(١١٦٣) ـ حدثنا صالحٌ، قال: حدثنا محمدُ بنُ مروانَ، عن عمرِو بنِ قيسٍ الملائيِّ، عن عطيةَ، عن أبي سعيدٍ، عن رسولِ الله ﷺ في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، قال: «للمتفرسين»[1].

فالتوسم: هو مأخوذ من السمة؛ أن تعرف سمات الله، وعلائمه[2] في الأمور.

والتفرس: أن يركض قلبه فارساً بنور الله، إلى أمر لم يكن بعد،

= أخرجه البزار في «المسند» (٢/ ٧٣٢ تفسير ابن كثير)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٢٠٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ١١٦) من طريق سعيد بن محمد الجرمي، به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٦٨): رواه البزار، والطبراني في «الأوسط»، وإسناده حسن.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٩١) للحكيم الترمذي، والبزار، وابن السني، وأبي نعيم، عن أنس ﷺ.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٨١ ـ ٢٨٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٩١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/ ٦٧) من طريق محمد ابن كثير عن عمرو بن قيس الملائي، به.

قال الخطيب: كذا قال في هذا الحديث: عن محمد بن كثير عن سفيان، عن عمرو بن قيس، والأول المحفوظ، وهو غريب من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد، لا نعلم رواه عنه غير عمرو بن قيس الملائي، وتفرد به محمد بن كثير عن عمرو، وهو وهم، والصواب ما رواه سفيان عن عمرو بن قيس الملائي، قال: كان يقال: اتقوا فراسة المؤمن، وساق الحديث.

(٢) في الأصل: وعلامته، وما أثبتناه من «ن».

فيدركه مثلما أدركه عمر.

وروي عن الحسن البصري رحمه الله: أنه قال لعمرو بن عبيد: هذا سيد فتيان أهل البصرة (إن لم يحدث.

وقال لأيوب: هذا سيد فتيان أهل البصرة)[1]، فلم يستثن[2].

وروي عن الشعبي: أنه قال لداود الأودي وهو يماريه: إنك لا تموت حتى تكوى في رأسك، وكان كذلك.

فإذا امتلأ قلب العبد من نور الله، نظرت عينا قلبه بنور الله، فأبصر في صدره ما لا يحاط به وصفاً.

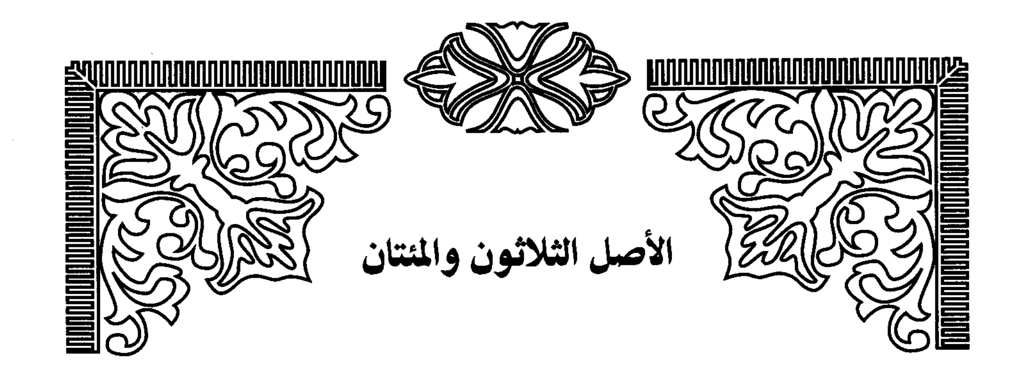
فالفراسة من الله تعالى لعبده كائنة.

❐ ❐ ❐

(١) ما بين قوسين ساقط من الأصل، وزدناه من «ن».

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ١٠٦).





الأصل الثلاثون والمئتان

(١١٦٤) ـ حدثنا أبي رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: حدثنا ابنُ الأصبهانيِّ(١)، قال: حدثنا عبدُ الرحيمِ بنُ سليمانَ، عن واصلِ بنِ السائبِ الرقاشيِّ، عن أبي سورةَ، عن أبي أيوبَ الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلنا: يا رسول الله! هذا السلام، فما الاستئناس؟ قال: «يتكلَّمُ الرَّجُلُ بِالتَّسبِيحَةِ وَالتَّحمِيدَةِ وَالتَّكبِيرَةِ(٢)، أَو يَتَنَحنَحُ، فَيُؤذِنُ أَهلَ البَيتِ»(٣).

---

(١) في «ن»: ابن الأصفهاني.

(٢) في «ن»: بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٧٠٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٤٢)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨/ ٢٥٦٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤/ ١٧٨)، من طريق عبد الرحيم بن سليمان، به.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧١ ـ ١٧٢) لابن أبي شيبة، والحكيم الترمذي، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه. =

فالاستئناس: تنبيه[1]، والاستئذان: عهد، فندب إلى أن يبدأ بالتنبيه[2]، ثم بالعهد، فيكون آكد للعهد، وأقوى للحجة، فإنه إذا فوجئ بالسلام، والإنسان[3] في غفلة، والعقل عازب عنه، مشغول بغير ذلك، كانت الحجة عليه غداً أضعف[4] أن يقول: فوجئت بالسلام، وعوجلت به، فلم أقبله بالتثبت.

ألا ترى أن الله ـ تبارك وتعالى اسمه ـ (خاطب الخلق، فدعاهم مرة بأسمائهم، ومرة بكناهم، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾[البقرة: ٢١]، فهذه أسماؤهم)[5]، ثم قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[النور: ٢٧]، وهذه كناهم، فقدم على الدعوة تنبيهاً، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا﴾، وإنما هو: يا، ويا: كلمة تنبيه، إنما هي حروف ذات أصداء؛ لينبهك عما أنت به مشتغل؛ ليرجع إليك عقلك بصوته.

ثم قال: أَيُّ، وهي كلمة الفتش مضمر[6] فيها من.

ثم قال: ها، فهو تنبيه آخر، مشيراً إلى شيء معلوم عينه.

= وقال ابن كثير في «التفسير» (٣/ ٢٨٢): هذا حديث غريب.

وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٨): سنده ضعيف.

(١) في الأصل: تشبيه، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: بالشبيه، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: والإتيان، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: لضعف، وما أثبتناه من «ن».

(٥) ومرة بكناهم، فقال: يا أيها الناس، فهذه أسماؤهم: زيادة من «ن».

(٦) في الأصل: مضمرة، والصواب من «ن».

ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، فكناه[1] كأنه يعني بها: ذا؛ أي: بقولي ما دعوت دعوة تنبيه، ثم قلت: أَيُّ؛ أي[2]: أيهم أريد بدعوتي.

ثم قلت: هذا[3]؛ أشير إلى من أذكر اسمه أني أريده بدعوتي، ثم أبرزت اسمه، أو كنيته[4]، فقلت: الناس، أو الذين آمنوا[5]، فهذه التنبيهات من إلقاء العذر، وإتمام الحجة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[التوبة: ١١٥]، و«لا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ من الله، ولذلك بعث الرسل».

وروي لنا ذلك عن[6] رسول الله ﷺ، وروي عنه أيضاً: أنه قال[7]: «يَعتَذرُ اللهُ إلى آدمَ بثَلاثة[8] مَعاذيرَ يومَ القيَامةِ»[9].

وروي عنه أيضاً أنه قال[10]: «إنَّ الخلقَ يُعرضُونَ ثَلاثَ عَرضاتٍ،

---

(١) في الأصل: فكأنه، وما أثبتناه من «ن».

(٢) أي أي: ليس في «ن».

(٣) في الأصل: ها، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: اسمه وكنيته، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: فقلت للناس، أو للذين آمنوا، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في الأصل: لنا عن، والصواب من «ن».

(٧) وروي عنه أيضاً أنه قال: زيادة من «ن».

(٨) في الأصل: بثلاث، والصواب من «ن».

(٩) أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ٩٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٤٥٤) عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ.

(١٠) أنه قال: زيادة من «ن».

فَعرضَتانِ جِدالٌ ومَعاذيرُ، وَفي العَرضةِ الثَّالثةِ تَطايرُ الصُّحُفِ»[1].

فقال هاهنا: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[النور: ٢٧].

فالاستئناس: تنبيه، ثم يكون التسليم بعده، والتسليم كان عندهم الاستئذان، فإذا رُؤوا[2]، جاء الإذن بعد ذلك، ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْ﴾[النور: ٢٨].

وأدنى الاستئناس: النحنحة، وأعلاه: ذكر الله، فيسر عليهم الأعلى، والأدنى، فقال: تسبيحة أو تكبيرة أو تحميدة، ثم ذكر الأدنى.

وإنما قيل: استئناس؛ لأن الحس حسَّ المجيء قد يختلف، فإذا سمع الحس، لم يدر السامع ما هو، ولعله سبع من السباع، أو بهيمة[3]، أو داهية من الدواهي، فإذا تنحنح، عرف هذا أنه من جنسه، فأنس به؛ لأن الآدمي إنما يأنس بجنسه، ويستوحش من غير جنسه، فأعلاه: تسبيحة، أو كلمة نحوها؛ ليعلم هذا السامع أنه أخوه المسلم، فذاك أفضل، فربما كان تنحنح ذا شبهة لا يعرف السامع مسلم هو أو كافر، ولي هو أو عدو[4]؟ فدخله روعة لمجيئه، فإذا ذكر الله، كان أوفر للاستئناس.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٧٧)، وأحمد (٤/ ٤١٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/ ٣٨١) من حديث أبي موسى ﷺ.

وقال الدارقطني في «العلل» (٧/ ٢٥١): وروي موقوفاً، وهو الصحيح.

(٢) في الأصل: فإذا ردوا، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: أو تهمة، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: أو عبد، والصواب من «ن».

وإنما قيل: استفعال؛ كأنه يدل على أنه يفعل فعلاً يستدعي أنسه إلى نفسه[1] حتى يأتلفا.

والعجب من هؤلاء الرواة، أحدهم يروي عن ابن عباس: أنه قال في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا﴾[النور: ٢٧]: هو خطأ من الكاتب، إنما هو: حتى تستأذنوا وتسلموا[2].

وما أرى مثل هذه الروايات إلا من كيد الزنادقة في هذه الأحاديث، إنما يريدون أن يكيدوا الإسلام بمثل هذه الروايات، فيا سبحان الله! أكان كتاب الله بين ظهراني أصحاب رسول الله ﷺ في مضيعة، حتى كتب الكتاب فيها ما شاؤوا، أو زادوا، أو نقصوا؟!

وروي عنه أيضاً: أنه قال: هو خطأ من الكاتب قوله: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾[الرعد: ٣١]، إنما هو: أفلم يتبين[3].

فهذه كلمات[4] إنما تتغير معانيها بزيادة حرف، ونقصان حرف، أفيحسب ذو عقل أن أصحاب محمد ﷺ أهملوا أمر دينهم، حتى فوضوا عهد ربهم إلى كاتب يخطئ فيه، ثم يقرؤها أبو بكر، وعمر، وأبي بن كعب ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ حيث جمعوه في خلافة أبي بكر، ثم من

---

(١) في «ن»: يستدعي عن أنسه إلى أنسه.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٨٢).

(٣) انظر لهذا: «فتح الباري» (٨/ ٣٧٣).

(٤) في الأصل: فهذه اللغات، وما أثبتناه من «ن».

بعده مرة أخرى في زمن عثمان رضي الله عنه فقارُّوهم على الخطأ.

هذا كلام أحد رجلين: جاهل لا يعرف ما وراء هذه الكلمة، أو ملحد يريد أن يكيد الدين، فليس[1] فيما رواه أبو أيوب عن رسول الله ﷺ في تفسير الاستئناس ما يبطل رواية من روى عن ابن عباس رضي الله عنه أن هذا خطأ من الكاتب.

قال له قائل: فقد روى شعبة هذا الحديث عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الكاتب[2] أخطأ في ذلك، وإنما هو: حتى تستأذنوا[3].

قال: هؤلاء رواة إنما ينكر هذه الأشياء ويدفعها الرعاة، والرواة[4] كالطُّوَّاف والخدم، ليس لهم من الطعام إلا الشم[5]، إنما الحظ من الطعام للأكلة[6]، والعارفُ بالطعام الطُّهاةُ، وصاحبُ المطبخ، فأما الذين يتداولون القصاع على أيديهم طُوَّافاً وخُدَّاماً، فهم جياع، ليس لهم إلا المشام، فكذلك الرواة، ما يدري مثل شعبة ما غور هذا، وإنما هو

---

(١) في الأصل: أفليس، وما أثبتناه من «ن».

(٢) قال له قائل: فقد روى شعبة هذا الحديث عن أبي بشرٍ، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الكاتب: زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: حتى إذا استأذنوا.

(٤) في «ن»: الراوي.

(٥) في الأصل: شم، والصواب من «ن».

(٦) في «ن»: من الطعم للأكلة، وفي الأصل: من الطعام المؤاكلة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

نقَّال[1]، فإذا خرج من نقله[2]، لم يبق معه إلا ذرو الكلام، وأين مكان أبي بشر من هذا الدين والعلم حتى تصغي إليه الأذن؟! هؤلاء شيوخ منسوبون إلى العبادة، فللزنادقة وأهل كيد الدين فيهم مطمع أن يدسوا إليهم مثل هذا، كما دسَّ الكلبي، وأبو صالح[3] تلك المناكر[4] في تفسير ابن عباس.

قال له قائل: فإن كان[5] هؤلاء رواة من الرعاة؟

قال: الذين عن الله عقلوا، وعن تدبيره فهموا، أو هم المقربون أهل اليقين، وقد[6] وصفهم رسول الله ﷺ فيما[7] يحكي عن[8] الله ـ تبارك وتعالى ـ: أنه قال: «فإذَا أَحببتُ عَبدِي، كُنتُ سَمعهُ وَبصرهُ، وَفؤادَهُ وَلسانَهُ، فَبي يَعقلُ، وَبي يُبصرُ، وَبي يَسمعُ[9]، وَبي يَنطقُ»[10].

---

(١) كلام الحكيم رحمه الله لا غبار عليه إلا أنه لا يقال في مثل شعبة، والله أعلم

(٢) في «ن»: نقلانه.

(٣) هذا التفسير المنقول عن محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس والكلبي منهم بالكذب كما في «تهذيب التهذيب» (٩/ ١٥٧)، وأما صالح باذام فلم يتهم، وغاية ما فيه الضعف والعلة من الكلبي، انظر «تهذيب التهذيب» (١/ ٣٦٤).

(٤) في الأصل: تلك المساكين، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: كانوا، وما أثبتناه من «ن».

(٦) وقد: زيادة من «ن».

(٧) فيما: زيادة من «ن».

(٨) في الأصل: حق، والصواب من «ن».

(٩) في «ن»: فبي يعقل وبي يسمع وبي يبصر.

(١٠) تقدم تخريجه في الأصل الحادي والخمسين.

فهذا[1] الذي ينفي مثل هذه الأشياء، ويدفعها[2]، فإذا نفاه ودفعه، فبه ينفي[3]، وبه يدفع؛ لأنه به يعقل، وبه ينطق، فهو حجة الله على خلقه، وراعي غنمه، وطبيب عباده، فمن عارضه، هلك وهو لا يشعر.

فكم من منتحل لهذا العلم الظاهر عارض هذه الطبقة التي ولي الله أمرها، ولم يعرفها بالتيه الذي فيه، فاستخف بها، ولم يعلم[4] أن صفوة العلم الذي في يديه عند هذه الطبقة، وأنهم قد طالعوا تدبير الله في هذا العلم الذي عندهم، فقبلوه على بينة من ربهم، فلم يخرج المعارض من الدنيا حتى صغره الله، وحل به عاقبة السوء، ولهذا ما حذر رسول الله ﷺ، فقال عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ: «مَن آذَى لي[5] وَلِيّاً، فَقَد بَارزَني بِالمُحَارَبَةِ، وَإنِّي لأَسرعُ شَيءٍ نُصرَةً لأَولِيَائِي، أَفَيَظُنُّ أَن يَفُوتَنِي كَيفَ، وَأَنَا الثائِرُ لَهُم؟»[6].

(١١٦٥) ـ حدثنا سليمانُ بنُ منصورٍ[7]، قال: حدثنا بقيةُ، عن معانِ[8] بنِ رفاعةَ السلاميِّ، عن القاسمِ[9] بنِ

---

(١) في «ن»: فهو.

(٢) في الأصل: ويدفعه، والصواب من «ن».

(٣) فبه ينفي: زيادة من «ن».

(٤) في الأصل: يعلموا، والصواب من «ن».

(٥) لي: زيادة من «ن».

(٦) تقدم تخريجه في الأصل الرابع والستين والمئة.

(٧) في «ن» زيادة: الذهبي.

(٨) في الأصل و«ن»: معاذ، والصواب ما أثبتناه.

(٩) كذا ذكره بعض الرواة، وأكثرهم سماه: إبراهيم، وهو الصواب.

عبدِ الرحمنِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لِيَحْمِلْ هَذا العِلمَ مِن كُلِّ خَلَفٍ عُدولُهُ، يَنفُونَ عَنهُ تحرِيفَ الغَالِينَ، وَانتِحالَ المبطِلينَ، وَتأوِيلَ الجَاهِلينَ»[1].

فهذا فعل العدول، من استقام قلبه بعدل الله، فهم حملة هذا[2] العلم، وأما هؤلاء النقلة الرواة، فليسوا من العلم في شيء[3] إلا الأداء، فعليهم التثبت حتى لا يكيدهم الزنادقة، فيلقون في كتبهم، أو على ألسنتهم الكذب، والخطأ، والإلحاد.

❒ ❒ ❒

(١) أخرجه ابن حبان في «الثقات» (٤/ ١٠)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٧٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٩)، من طريق بقية، به.
وأخرجه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٥٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧/ ٣٨) من طريق معان، به.
وهذا إسناد ضعيف، ونقل عن أحمد ﷺ تصحيحه، فانظر: «تدريب الراوي» (١/ ٣٠٣)، وغيره.

(٢) هذا: زيادة من «ن».

(٣) في الأصل: بشيء، والصواب من «ن».





الأصل الحادي والثلاثون والمئتان

(١١٦٦) ـ حدثنا رزقُ الله بنُ موسى الناجيُّ، قال: حدثنا معنُ بنُ عيسى، قال: حدثنا مالكُ بنُ أنسٍ، عن صفوانَ بنِ سليمٍ[١]، عن عطاءِ بنِ يسارٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَهلَ الجَنَّةِ لَيَتَراءَونَ أَهلَ الغُرَفِ مِن فَوقِهِم، كَمَا تَـتَراءونَ الكَوكَبَ الدُّرِّيَّ الغَايِرَ فِـي الأُفُقِ مِـن المَشرِقِ أَو المَغرِبِ؛ لِتَفَـاضُلِ مَا بَينَهُم»، قالوا: يا رسول الله! تلك منازلُ الأنبياء فلا يبلغُها إلا هم؟ قالَ: «بَلَى، وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ! رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ، وَصَدَّقُوا المُرسَلِينَ»[٢].

---

(١) في الأصل: سليمان، والصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٧٣٩٣) من طريق معن، به.

وأخرجه البخاري (٣٠٨٣)، ومسلم (٢٨٣١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٨١) من طريق مالك بن أنس، به. =

فأهل الغرف: أهل عليين الذين قد ارتفعت درجاتهم إلى قرب العرش، فالاغتراف: الارتفاع[1]، ويقال في اللغة: اغترف؛ أي: رفع بيده، قال[2] في تنزيله: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾[البقرة: ٢٤٩].

فالغُرفة: ما ارتفع، والغُرف جمعهُ[3]، وهذه التعالـ[ي]: الغرف، ومنها سميت؛ لارتفاعها عن الأرض.

فالجنة ثلاثة أثلاث: أعلاها للسابقين المقربين، وأوسطها للمقتصدين، وأدناها للمخلطين، وما فيها دني، وعدن: مقصورة الرحمن، خلقها بيده، وزينها ونجدها، وهي معدن النعيم، وجنة عدن: محل الرسل، وجنات عدن: محل الأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ، والفردوس: محل الصديقين والأولياء، وهي الغرف، وهي سُدَّة الجنة بحيال باب العرش، فوصف[4] رسول الله ﷺ: أن أهل الجنان من دونهم يتراءون أهل الغرف من البعد، كما يتراءى أهل الأرض الكوكب الدُّري في السماء، فتوهم أصحابه أن تلك منازل الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، فلا يبلغها غيرهم[5]، فأعلمهم بقوله[6]: «بلى، والذي نفسي بيده!»: أنه[7] يبلغها من ليسوا بأنبياء.

= وأخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٣٦) من طريق أبي سعيد، به.

(١) في «ن»: والارتفاع.

(٢) في «ن»: وقال.

(٣) في الأصل: ما ارتفع من الغرف جميعه، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: فوصفهم، وما أثبتناه من «ن».

(٥) غيرهم: زيادة من «ن».

(٦) في «ن»: في قوله.

(٧) أنه: ليست في «ن».

وفي هذه الكلمة ما يؤدي أن تلك الغرف ليست بمنازل الأنبياء، وأن الأنبياء فوقهم؛ لأن الأنبياء والأولياء لا يجتمعون في درجة واحدة؛ لأن درجة النبوة فوق درجة الولاية، فالأولياء فوق الغرف في جنات عدن، وعدن كالمدينة، وجنات عدن كالقرى حولها، والفردوس حول جنات عدن كعوالي القرى، والفردوس مضموم إلى جنات عدن، ومنسوب إليها، وما دونها[1] من الجنان كالخيام، والمحلات حول عوالي القرى، وكذلك نجد المساكن في الدنيا إنما هي مدينة، ثم قرى، ثم عوالي القرى، ثم محلات، وخيام، ومراعي في براري[2].

فأعلم في هذا الحديث شأن[3] الغرف؛ لأنها درجة من اتقى، فقال: «رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين»، وهذا إيمان الصديقين، لا إيمان الموحدين المخلطين، ولم يعلم[4] للمخلطين في الغرف حظاً، إنما أهل الغرف أهل الدرجات العلا، وقد وصف الله ـ جل ذكره ـ في كتابه فقال: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾[طه: ٧٥ ـ ٧٦].

ثم قال: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾[5]؛ أي: تطهر من مساخط الله قلباً

---

(١) في الأصل: وملازمها، والصواب من «ن».

(٢) في براري: زيادة من «ن».

(٣) في الأصل: فأعلى هذا الحبيب شأن، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: ولا نعلم.

(٥) ثم قال: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾: ليس في «ن».

وقولاً[1] وفعلاً، فإيمان الصديقين إيمان طمأنينة به، وبجميع أحكامه، وتصديقهم المرسلين تصديق ثقة وسكون.

(١١٦٧) ـ حدثنا[2] صالحُ بنُ محمدٍ، قال: حدثنا سليمانُ بنُ عمرٍو، عن أبي حازمٍ، عن سهلِ بنِ سعدٍ، عن رسولِ الله ﷺ في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾[الفرقان: ٧٥]، وقوله: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[سبأ: ٣٧] قال:

«الغُرفَةُ مِن يَاقُوتَةٍ حَمرَاءَ، وَزَبَرجَدَةٍ[3] خَضرَاءَ، وَدُرَّةٍ[4] بيضَاءَ، لَيسَ فِيهَا فَصمٌ وَلاَ وَصمٌ، فَإنَّ أَهلَ الجنَّةِ لَيترَاءَونَ الغُرفَةَ منهَا، كَما تَتراءونَ الكَوكبَ الدُّرِّيَّ الشَّرقيَّ، أَو الغَربيَّ في أُفُقِ السَّماء، وَإنَّ أبَا بَكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما مِنهُم[5] وَأنعمَا»[6].

---

(١) في الأصل: قولاً، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: وحدثنا.

(٣) في الأصل: زمردة، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: أو درة.

(٥) منهم: ليست في «ن».

(٦) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٨٥)، والمتقي الهندي في «كنز العمال» (١١/ ٢٥٧) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن سهل بن سعد رضي الله عنه. =

(١١٦٨) ـ حدثنا صالحُ بنُ عبدِالله، وقتيبةُ بنُ سعيدٍ، وعليُّ بنُ حجرٍ، قالوا: حدثنا خلفُ بنُ خليفةَ، عن حميدٍ الأعرجِ، عن عبدِالله بنِ الحارثِ، عن ابنِ مسعودٍ[١] رضي الله عنه: أن[٢] رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ المُتَحَابِّينَ فِي اللهِ تَعَالى عَلى عَمُودٍ مِن يَاقُوتَة حَمرَاءَ، في رَأسِ العَمُودِ سَبعُونَ أَلفَ غُرفَةٍ، يُضِيءُ حُسنُهُمْ أَهلَ الجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمسُ أَهلَ الدُّنيَا، يَقُولُ أَهلُ الجَنَّةِ بَعضُهُم لِبَعضٍ: انطَلِقُوا بِنَا حَتَّى نَنظُرَ إِلَى المُتَحَابِّينَ فِي اللهِ، فَإِذَا أَشرَفُوا عَلَيهِم، أَضَاءَ حُسنُهُم أَهلَ الجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمسُ أَهلَ الدُّنيَا، عَلَيهِم ثِيَابٌ خُضرٌ [من] سُندُسٍ، مَكتُوبٌ عَلَى جِبَاهِهِم: هَؤُلاَءِ المُتَحَابُّونَ فِي اللهِ»[٣].

فهؤلاء أهل الغرف، وهم أهل محبة الله، وإنما[٤] تحابوا في الله

= وهذا إسناد تالف موضوع، شيخ المصنف ساقط كما في «اللسان» (٣/ ١٧٦) وسليمان بن عمرو هو النخعي ـ والله أعلم ـ، وهو كذاب تالف كما في «اللسان» (٣/ ٩٧).

(١) في «ن»: عن عبدالله بن مسعود.

(٢) في «ن»: عن.

(٣) تقدم تخريجه في الأصل الثالث والمئة.

(٤) في الأصل: إنما، وما أثبتناه من «ن».

لمحبة[1] الله، وهو قوله: «حَقَّت مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ بِجَلاَلي»[2].

فمن تحاب في أموره، ومن أجل أموره، ودخل التقصير في أعمالهم، درس ذلك منهم فيما بينهم، ومن تحاب لجلاله[3] ومحبته، لم ينظر إلى تقصير من أحبه، إنما ينظر إلى ما يجد من قلبه، وإنما آلفهم بروحه، فما دام روحه بينهم، فإنما موصلتهم قائمة، ولا يلتفتون إلى الأعمال، فقد وصف الله أهل الغرف في تنزيله، فقال[4]: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾[الفرقان: ٦٣]، فنسبهم إلى اسمه الرحمن، يوهمنا أنه خرج لهم ذلك من اسمه حتى نالوا ذلك، فقال: ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[الفرقان: ٦٣] إلى قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان: ٧٤].

فوصف مشيهم، وخطابهم، وانتصابهم له، ودعاءهم، ونفقاتهم، ونزاهتهم، ويقظتهم، وانتباههم، وصدقهم، ومحبتهم، ونصحهم، ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾[الفرقان: ٧٥].

والصبر: بذل النفس، والثبات له وقوفاً بين يديه بالقلوب عبودة، فهذه صفة المقربين، وقال في آية أخرى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي

---

(١) في «ن»: لمحابة.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٤٥)، وابن حبان في «الصحيح» (٥٧٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٨١)، وفي «مسند الشاميين» (١/ ٣٦٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٤٢٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٤٢٦)، وغيرهم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) في «ن»: بجلاله.

(٤) فقال: زيادة من «ن».

﴿تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

فذكر شأن القربة أنها لا تنال بالأموال والأولاد، إنما تنال بالإيمان والعمل الصالح، ثم بين أن لهم جزاء الضعف، ومحلهم الغرفات، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة، وتعلق قلب به مطمئناً به في كل ما نابه[١]، وبجميع أموره وأحكامه، وإذا عمل عملاً صالحاً، ولا يخلطه بضده، وهو[٢] الفاسد، فلا يكون العمل الصالح الذي لا يشوبه فاسد إلا مع إيمان بالغ، مطمئن صاحبه بمن آمن، وبجميع أموره وأحكامه، والمخلط معه إيمان الموحدين، غير مطمئن بأموره، وأحكامه، مقر بربه، موحد له، تابع لهوى نفسه، يعمل على شهوته، ويقضي منيته، فهذا إيمان الموحدين، وذاك إيمان المطمئنين المخبتين، وكلاهما[٣] إيمان واحد برب واحد[٤].

إلا أن ذلك قد جثمت على قلبه شهوات نفسه، فأظلمت صدره، وانكمن نوره، فلا يعمل شيئاً من الإشراق والإنارة[٥]، وهذا البالغ من الله تعالى عليه بنوره فهتك هذه الحجب من الظلمات، وأمات منه[٦] الشهوات مما حل بقلبه من الخشية؛ فأورثه[٧] ذلك النور والعلم بالله، وولج قلبه من

---

(١) في كل ما نابه: زيادة من «ن».

(٢) هو: زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: وكليهما.

(٤) برب واحد: زيادة من «ن».

(٥) في الأصل: من الإسراف والإفادة، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: صفة، والصواب من «ن».

(٧) في الأصل: لما أورثه، وما أثبتناه من «ن».

عظمة الله وجلاله، فأذهل نفسه، واستقام القلب لله، وهو قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤ ـ ٣٥].

فإنما ذكر رسول الله ﷺ شأن أهل الغرف، فقال: «رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرسَلِينَ»، فلم[1] يذكر هاهنا عملاً، ولا شيئاً سوى الإيمان والتصديق للمرسلين، ذلك ليعلم أنه إنما عنى الإيمان البالغ، وتصديق المرسلين من غير سؤال آيةٍ أو تلجلجٍ، وإلا فكيف ينال الغرف بالإيمان والتصديق الذي للعامة، ولو كان كذلك، لكان جميع الموحدين في أعالي الدرجات، فهذا محال.

❐ ❐ ❐

(١) في «ن»: ولم.



الأصل الثاني والثلاثون والمئتان

(١١٦٩) ـ حدثنا أبي رحمه الله، قال: حدثنا الفضلُ بنُ دُكينٍ، قال: حدثنا سلمةُ[1] بنُ وردانَ الكنانيُّ الجندعيُّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن تَرَكَ الكَذِبَ وَهُوَ بَاطِلٌ، بُنِيَ لَهُ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ، وَمَن تَركَ المِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ، بُنِيَ لَهُ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ، وَمَن حَسُنَ خُلقُهُ، بُنِيَ لَهُ فِي أَعلاَهَا»[2].

فترك الكذب هو ترك الشرك، ولا كذب أعظم من الشرك، فمحل تاركه في ربض الجنة، وهو أدانيها، وهذا الصنف هو[3] الظالم.

---

(١) في الأصل: سليمان، والصواب من «ن».

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٩٣)، وابن ماجه (٥١)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٣٣٤)، وابن طولون في «الأحاديث المئة» (ص: ٦٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/ ٢٠٩) من طريق سلمة بن وردان، به.
قال الترمذي: وهذا الحديث حديث حسن، لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن وردان عن أنس بن مالك.

(٣) في الأصل: هم، والصواب من «ن».

وترك المراء إذا اقتضاه الحق أمراً لله؛ من أداء فرائضه، واجتناب محارمه: أن يخضع للحق، ولا يماريه، فيُذهب برفضه فرض الله[1] تعالى في أمره ونهيه، فهذا مقتصد محله في وسط الجنة.

وأما حسن الخلق، فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ دبر لعبده من قبل أن يخلقه شأنه من الرزق، والأحوال، والآثار[2]، كل ذلك مقدر موقت، يبرزه له في وقته كما قدره، والعبد ذو شهوات قد اعتادها، وتخلق بها، ودبر الله لعبده غير ما تخلق به من الشهوات، فمرة سقم، ومرة صحة، ومرة غنى، ومرة فقر، ومرة عز، ومرة ذل، ومرة مكروه، ومرة محبوب.

فأحوال الدنيا تتداوله، ولا ينفك من قضائه وتدبيره، والعبد يدبر ما وافقه واشتهاه، وتدبير الله فيه غير ذلك، فإذا راض نفسه وقمعها، وخشعت لله[3] بما أيده الله من نور اليقين، حسن خلقه، واستقام قلبه، فقد ترك جميع مشيئاته لمشيئة الله تعالى، ينتظر ما يبرز له من تدبير الله في جميع أحواله، فيتلقاه[4] بهشاشة قلب، وطيب نفس، فهذا أحسن الخلق، فمحله في أعالي الدرجات.

فالأول: ظالم، والثاني: مقتصد، والثالث: مقرَّب.

وسوء الخلق حجاب بين العبد وبين ربه؛ لأن سوء الخلق من نفس

---

(١) في «ن»: فيذهب برقبته من حق الله.

(٢) في «ن»: والآثار والأخلاق.

(٣) في الأصل: وخشعت إليه، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: فيتقلده، والصواب من «ن».

شهوانية، والنفس ما لم تمت شهواتها، لا تنقاد للحق[1]، ولا يتخلص القلب من مخاليبها، ولا يبرأ الإيمان من سقمه، وهوى النفس سقم الإيمان.

وروي عن رسول الله ﷺ في حديث الرؤيا: أنه قال: «رَأَيتُ رَجُلاً مِن أُمَّتِي جَاثِياً عَلَى رُكبَتَيهِ، وَبَينَهُ وَبَينَ اللهِ حِجَابٌ، فَجَاءَهُ حُسنُ خُلُقِهِ، فَأَدخَلَهُ عَلَى اللهِ تَعَالى[2]»[3].

فحسن الخلق على ثلاث منازل:

أولاها[4]: أن يحسن خلقه مع أمره ونهيه.

والمنزلة الثانية: أن يحسن خلقه مع جميع خلقه.

والمنزلة الثالثة: أن يحسن خلقه مع تدبير ربه، فلا يشاء إلا ما يشاء له ربه.

ومن أسوأ خلقاً من رجل دبر الله ـ تبارك وتعالى اسمه ـ سُقياً لعباده وبلاده[5] من بركات السماء، فجعل فيه أرزاقهم، وأرزاق حيوانهم، ومعاشاً لهم، فهو بتدبيره ولطفه يحيي بذلك أمة من الأمم، والعبد يكرهه ويأباه من أجل أنه في أرض براز، فتبتل ثيابه، أو يُنفَى عن سفر يريده، فهذا العبد إنما ثقل عليه تدبير الله لهذا الخَلق؛ لشهوته لذلك العمل الذي هو

---

(١) للحق: ليست في «ن».

(٢) في «ن»: على ربه.

(٣) تقدم تخريجه في الأصل الثاني والتسعين والمئة.

(٤) في «ن»: وهو أن.

(٥) في الأصل: من بلاده، وما أثبتناه من «ن».

فيه، ولو كـان ميتَ الشهوة، أعمـالُه عبودةٌ لله تعالى، مـا كـان ليثقل عليه تدبيره.

(١١٧٠) ـ حدثنا عمرُ بنُ أبي عمرَ، قال: حدثنا سليمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ، عن مؤمِّلِ بنِ عبدِ الرحمنِ الثقفيِّ، قال: حدثنا أبو أميةَ بنُ يعلى، عن سعيدِ بنِ أبي سعيدٍ، عن أبي هريرةَ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَوحَى اللهُ تَعَالى إِلى إِبرَاهِيمَ عليه السلام: أنْ[1] يَا إِبرَاهِيمُ خَلِيلِي! حَسِّن خُلُقَكَ وَلَو مَعَ الكُفَّارِ، تَدخُل مَدَاخِلَ الأَبرَارِ، فَإِنَّ كَلِمَتي سَبقَت لِمَن حَسُنَ خُلقُهُ أَن أُظِلَّهُ فِي عَرشِي، وَأَن أُسكِنَهُ حَظِيرَةَ قُدُسِي[2]، وَأَن أُدنِيَهُ مِن جِوَارِي»[3].

---

(١) أن: زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: القدسي.

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٢٤) من طريق سليمان بن عبد الرحمن، به.
أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ٣١٥)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٤٤٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٢٥)، وابن حجر في «الأمالي المطلقة» (ص: ١١٠) من طريق مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي، به.
وفي «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠): فيه مؤمل بن عبد الرحمن، ضعيف.
وقال ابن حجر: هذا حديث غريب.
وأخرجه ابن عساكر (٦/ ٢٢٤) من طريق أبي أمية بن يعلى، به.
وأخرجه كذلك من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة، به.

وإن محاسن الأخلاق جاءت من الله ﷻ، قد خزنها الله عن خلقه، فلا يعطيها إلا من أحبه، فسعد جده، فيمنحه خلقاً من تلك الأخلاق، وبخلقٍ واحدٍ منها، يـرى عليه بهجة ذلك في شمائلـه، وفي منطقه، وفـي معاشرته، حتى في سيماء وجهه.

❐ ❐ ❐





الأصل الثالث والثلاثون والمئتان

(١١٧١) ـ حدثنا أبي رَحِمَهُ اللهُ، قال: حدثنا محمدُ بنُ الحسنِ، قال: أخبرنا[١] عبدُالله بنُ المباركِ، قال: حدثنا هشامُ بنُ الغازِ، عن حيانَ أبي النضرِ حدثه، قال: سمعتُ واثلةَ بنَ الأسقع يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «يَقولُ اللهُ ـ تبارَكَ وتَعالى ـ: أَنَا عِندَ ظَنِّ عَبدِي بي، فَلْيَظُنَّ بي مَا شَاءَ»[٢].

---

(١) قوله: محمد بن الحسن قال: أخبرنا: ليس في «ن».

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٣١٨)، وفي «المسند» (ص: ٢٢).
ومن طريقه أخرجه الدارمي في «السنن» (٢/ ٣٩٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٨٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/ ٣٧٣).
وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٦)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (ص: ١٥)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٦٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/ ٣٧٣) من طريق هشام بن الغاز، به.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٩١)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٤١)، =

فالظن: هو ما يُرَدَّدُ في الصدر، وإنما يحدث من الوهم؛ لأن النفس رُكِّبت على وجود الأشياء بحواسها، فلقريحة الوهم، وهي غريزتها هواجسُ، فالظن هاجسُه النفس، وللنفس إحساس بالأشياء[1] كلها، عليها نشأ منذ لدن بدأ من بطن أمه، فإنما علمها الحس، فإذا عرض أمر، دبرت[2] له الحسة ببيان الأمر العارض، ممثلة ما تقدم من الأمر بما يشبهه، فما خرج لها من التدبير، فهو هاجس النفس.

فأيد الله المؤمن بنور التوحيد في القلب، ونور في الصدر يطوف حول القلب حجاباً لذلك النور الأعظم، فأصل هذا النور هو[3] النار، فهو حجاب لذلك النور الأعظم.

وروي عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إنَّ اللهَ تَعالى لاَ يَنامُ، وَلا يَنبغِي لهُ أَن يَنامَ، بَاسطٌ يَدَهُ لمسيءِ النَّهارِ أَن يَتوبَ، وَلمسيءِ الليلِ أَن يَتوبَ، بِيدِهِ الميزَان، يَرفَع أَقواماً، وَيخَفِضُ أَقواماً، حِجابهُ النَّار، وَلو كَشفَها، لأَحرَقَتْ سُبُحاتُ وَجههِ كُلَّ[4] شَيء أَدركَه بَصرهُ».

= والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٨٧)، وفي «المعجم الأوسط» (١/ ١٢٦)، وفي «مسند الشاميين» (٢/ ٢٢٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥/ ١١٥) من طريق حيان، به.

وأخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٣/ ٢٥٢) من طريق واثلة، به.

(١) في الأصل: الأشياء، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: فإذا غفر له أمر دبرت، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: هي.

(٤) في الأصل: على كل، وما أثبتناه من «ن».

(١١٧٢) ـ حدثنا بذلك أبي رحمه الله، حدثنا الفضل بن دكين قال: حدثنا المسعوديُّ، عن عمرٍو[1] بنِ مرةَ، عن أبي عبيدةَ، عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه، عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم[2].

فحجابه النار هناك، وكذلك هاهنا نوره في القلب، فيه هداه[3]، وحجابه في[4] الصدر نور، أصله من النار، يطوف حول الفؤاد، فإذا[5] هجست النفس بعارض أمر، ونورُ الصدر بمكانه يضيء في صدره، استقرت[6] النفس، واطمأن القلب، وحسن الظن، كمن ذلك النور الذي

---

(١) حدثنا الفضل بن دكين: زيادة من «ن».

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٩٦)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٠)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٦٧)، وأبو يعلى في «المسند» (٧٢٦٢) من طريق المسعودي، به.
وأخرجه مسلم (١٧٩)، وابن ماجه (١٩٥)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٥)، وابن حبان في «الصحيح» (٢٦٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ١٣٩)، وابن منده في «الإيمان» (٢/ ٧٦٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٣٠) من طريق عمرو بن مرة، به.
وأخرجه النسائي في «جزء إملاء النسائي» (ص: ٤٦)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ١٩١)، والجرجاني في «تاريخ جرجان» (ص: ١٣٠) من طريق أبي موسى، به.

(٣) في «ن»: فيه هدايته.

(٤) في: ليست في «ن».

(٥) فإذا: زيادة من «ن».

(٦) في «ن»: واستقرت.

في صدره، يريه من علائم التوحيد وشواهده في صدره[1] ما تسكن إليه النفس[2]، ويطمئن القلب؛ لأن النور الذي في قلبه[3] يؤدي إلى القلب حسه، وحسة القلب أن الله كافيه، وحسبه في كل أموره، وأنه كريم رحيم عطوف، يكفيه، ويرحمه، ويعطف عليه، ويتكرم لعبده في كفايته.

فهذه حسة العبد إنما وجدها من نور التوحيد[4]، فأداها إلى النفس من الصدر، فإذا كان الصدر مضيئاً بذلك النور الذي يطوف حول قلبه تصور لعيني الفؤاد في الصدر ذلك الأمر على الثقة بصنائع ربنا، وبكرمه، ومجده، وعلى أحسنه وأجمله، فإذا تصور للفؤاد هكذا، علمت النفس بذلك[5]؛ لأنها مقرونة بالفؤاد، فاستقرت[6]، فإذا استقرت، لم تزعزع[7] القلب، فاطمأن القلب بما فيه من النور، فهذا حسنُ الظن بالله.

فإذا كانت النفس جديدة ذات شره، وحدة، وشهوة غالبة، فارت بدخان شهواتها كدخان الحريق، فأظلمت الصدر[8]، فإذا التفت هذا النور الطواف في الصدر إلى ذلك الدخان الذي جاءت به النفس مصغياً إلى

---

(١) في «ن»: في الصدر.

(٢) في «ن»: ما تسكن النفس إليه.

(٣) في قلبه: ليست في «ن».

(٤) في الأصل: إنما أوجدها التوحيد، وما أثبتناه من «ن».

(٥) بذلك: زيادة من «ن».

(٦) في «ن»: قد استقرت.

(٧) في «ن»: لم يتزعزع.

(٨) الصدر: زيادة من «ن».

ما جاءت به، عوقب وخذل، فانكشف في تلك الظلمة، فلم يبق له ضوء؛ بمنزلة قمر ينكسف[1]، فصار الصدر مظلماً، فجاءت النفس بهواجسها، واضطربت، فذلك سوء ظنها بالله.

فإذا اضطربت النفس، زعزعت القلب عن استقرارها واستقرها[2]، وفقد القلب طمأنينته وسكونه بالله، ولم تقبل النفس ما تؤدي التوحيد إلى الفؤاد؛ لأن الفؤاد قد صارت عيناه[3] في ظلمة الصدر، فضعف، وفقد ضوء ذلك النور.

فإذا أراد الله بعبد خيراً، أعطاه حسن الظن، وهو أن يزيده نوراً يقذف في قلبه؛ ليقوى ذلك النور الذي[4] كان يطوف حول القلب، وتنقشع ظلمة الصدر كسحابة تنقشع، ويصفو ضوء القمر، فهذا حسن الظن من طريق العطاء.

ولذلك قال عبدالله بن مسعود:

«واللهِ الَّذي لاَ إلهَ إلاَّ هُو! مَا أُعطيَ عَبدٌ عَطاءً هُو[5] خَيرٌ مِن حُسن الظَّن بِاللهِ تَعالى».

(١١٧٣) ـ حدثنا بذلك إبراهيمُ بنُ يوسفَ، قال:

---

(١) في الأصل: يكسف، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: عن استقرارها فاستقرها.

(٣) في الأصل: عيناً، والصواب من «ن».

(٤) الذي: زيادة من «ن».

(٥) هو: ليست في «ن».

حدثنا عبدُ الواحدِ بنُ زيادٍ، عن الأعمشِ، عن خيثمةَ، عن عبدِالله[1].

وهو كما[2] روي عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «مَن أُعطيَ الشُّكرَ، لم يُمنَع الزِّيادةَ، ومَن أُعطِي الدُّعاءَ، لم يُحرَم الإجَابةَ، ومَن أُعطيَ التَّوبةَ، لم يُمنَع القَبولَ، ومَن أُعطيَ الاستغفَارَ، لم يمنَع المغفِرةَ»[3].

فإنما صار هكذا؛ لأنه لما أعطي النور، وصل العبد إلى حقيقة الشكر، وحقيقة الدعاء، وحقيقة الاستغفار[4]، ولم يمنع المغفرة[5]، وإنما وعد الله العباد على حقائق أعمالهم[6]، فقال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٠٨)، وابن المبارك في «الزهد» (ص: ٣٦٦)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (ص: ٩٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٥٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٨) من طريق الأعمش، به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٨): أخرجه الطبراني موقوفاً، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن الأعمش لم يدرك ابن مسعود.

كذا قال، مع أنه صرح بالواسطة عنده، والله أعلم.

(٢) في «ن»: كما قال.

(٣) تقدم تخريجه في الأصل الخامس والخمسين والمئة.

(٤) في «ن»: وحقيقة التوبة وحقيقة الاستغفار.

(٥) ولم يمنع المغفرة: ليس في «ن».

(٦) في «ن»: أفعالهم.

وإنما وقع هذا على أن يشكره[1] بحقيقة الشكر، ويدعو بحقيقة الدعاء، فإذا أعطي النور، وصل العبد إلى حقيقة الشكر، وحقيقة الدعاء، فأعطي ما وعد عليه، فلذلك قيل لذلك: عطاء.

وقد فسرنا ذلك على وجهه مشروحاً في بابه فيما تقدم من هذا الكتاب، فكذلك حسن الظن، إذا كان عطاء، فإنما يأتيه نور من الله مدداً لذلك النور، فاستنار الصدر، وانقشعت الظلمة، وبرز ما أداه نور التوحيد، وهي حسة القلب إلى الفؤاد أدى ذلك إلى الصدر على الثقة بصنائع ربنا كرماً، وجوداً، ومجداً، وعلى أحسنه وأجمله، فاستقام القلب[2]، فتصور في الصدر صنائع ربنا بالعبد من كرمه، ومجده، ولطفه، وعطفه، فاستقرت النفس، واطمأن القلب.

فذلك حسن الظن بالله الذي من طريق العطاء.

فإذا لم يكن من طريق العطاء، فهو النور الطواف حول القلب، فإذا هجست النفس بحسها، والصدر مضيء بذلك النور، جاءت حسَّة القلب مخبرة عن نور التوحيد بكرم ربنا، ورحمته، وعطفه، وصنائعه، فتصور في ذلك الضوء، واستقرت النفس، وقبلت ذلك، وذلك بمشيئة الله[3]، فإذا كانت[4] مشيئة الله في العبد غير ذلك، وفارت النفس بفور[5] شهواتها، ودخان

---

(١) في الأصل: يشكر، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: القلب إلى الفؤاد.

(٣) في الأصل: ذلك مشيئة الله، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: كان، والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: بقوة، والصواب من «ن».

حريقها، والتفت النور إلى ما جاءت به النفس، فخذلت، فغاب[1] ذلك النور في ظلمة هذا الصدر، وبقيت هواجس النفس عاملة على القلب، فقال الله ـ تبارك اسمه ـ: «أَنَا عِندَ ظَنِّ عَبدِي بي».

معناه: أن[2] القلوب بيدي، لم أكِلها إلى أحد سواي، فأنا عند قلوب عبادي، وعند ظنونهم، فإذا ظن بي حسناً، حققت له ذلك، ولم أخيبه، فإذا ظن بي سيئاً، وكلته إلى سيئ ظنه[3]، وتخليت عنه؛ لأني قد أعطيته من النور في القلب ما يؤدي إلى الصدر، وأعطيته في الصدر ما يضيء له، فيتصور له ما يؤدي القلب إليه، فإنما[4] ضاع ذلك الضوء؛ لقوة ما أتت به النفس من دخان شهواتها، فالعبد ملوم على تقوية الشهوات؛ لأن تقوية الشهوات[5] من استعمالها، فإذا استعملها، فقد قواها، وذلك بمنزلة أتون أو تنور، كلما ألقيت فيه الحطب، ازداد تلظياً ودخاناً، وإذا أمسكت عنه الحطب، انقطع الدخان، وسكنت الحرارة.

ألا ترى إلى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[المنافقون: ٩]، فنسب الفعل في مبتدئه إلى الأموال والأولاد، فهما يلهيان القلب، ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[المنافقون: ٩]، فعوقب العبد عليه،

---

(١) في «ن»: فخذلت وذهب.

(٢) في «ن»: معناه أي أن.

(٣) في «ن»: سيئ ما ظن.

(٤) في الأصل: فلما، والصواب من «ن».

(٥) لأن تقوية الشهوات: زيادة من «ن».

ونسب إليه بتركه تعاهدَ القلب حتى استولت النفس عليه، وألهته عن ذكر الله.

فالظن ظنان:

ظن عطائي[1]: فذلك الذي تستقر عليه[2] النفس، ويطمئن القلب، ويوفي له بذلك، ولا يخيبه.

والظن الآخر: ظن خالطه[3] تهمة، فلم يطمئن القلب، فإن خيب، فغير مستنكر.

قال له قائل: كيف يكون قرار القلب عند ذلك الظن؟.

قال: أضرب لكم مثلاً كي تفهموه ـ إن شاء الله ـ: رجل خرج في مفازة، وبه حاجة إلى الماء، فوجد على طريق المفازة رجلاً يعرفه باسمه وشخصه، معه ماء، فسقاه ماء[4]، ثم خرج مرة أخرى كذلك، وبه حاجة إلى الماء، فأبصر ذلك الرجل في ذلك المكان من بعيد، فطمع أن يسقيه، بحسن ظنه به، ثم وجد[5] في نفسه حزازة مخافة أن لا يسقيه، فلم يستقر قلبه على حسن الظن به، حتى مازجه بسوء الظن، فعرف[6] هذا الرجل ذلك منه، فخيبه، فكان حقيقاً.

ورجل خرج في مفازة، وبه حاجة إلى الماء، فوجد على طرف[7] المفازة

---

(١) في الأصل: عياني، والصواب من «ن».
(٢) عليه: ليست في «ن».
(٣) في الأصل: خالص، وما أثبتناه من «ن».
(٤) في «ن»: الماء.
(٥) في الأصل: وجدته، والصواب من «ن».
(٦) في «ن»: فإن عرف.
(٧) في الأصل: على طريق، وما أثبتناه من «ن».

أمه، وبيدها ماء، فسقته، ثم خرج مرة أخرى كذلك، فوجدها كذلك على طرف المفازة، فلما نظر إليها، لم يجد في نفسه حزازة، وسكنت نفسه إلى علمه برأفة أمه، وتحننها عليه، فلو خرج على هذه الصفة مئة مرة، فوجدها كذلك، لم تحز نفسه، ولم تدخله تهمة في أمه أن لا تسقيه، فذاك لعلمه برأفة أمه، قد اطلعت نفسه على ذلك[1] من رأفتها مطلعاً لو قيل له غير ذلك، لم يصدق، ولم تضطرب نفسه على ذلك منها، فإنما وثق بها من قبل علمه برأفتها به.

فالعبيد الموحدون إنما ظفروا بتوحيده لما أدركتهم رأفته، ورحمته، فوحدوه، ثم مع[2] رأفته ورحمته عليهم، ستر عنهم رأفته ورحمته، ولو كشف عن[3] القلب [4] ذلك الغطاء حتى يعاينوا رحمته ورأفته[5] معاينة اليقين منهم[6]، ومعهم شهواتهم التي ركبت فيها، إذاً لاستبدوا، وجمحت بهم شهواتهم، فركبوا العظائم من الأمور، وضيعوا الحدود، فإذا ضيعوا[7] الحدود، فسد التدبير في معاشهم، وخلق النار لأعدائه، ثم أشاع في المؤمنين خبرها ووصفها، كي يكون زجراً لنفوسهم، وقمعاً لشهواتهم، وستر عنهم الرأفة والرحمة التي ينالونها بحظوظهم منه، كي لا يستبدوا ويفسدوا.

---

(١) على ذلك: ليس في «ن».

(٢) في الأصل: من، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: على، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: القلب عن، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: تعاينوا رأفته ورحمته.

(٦) في «ن»: ورأفته فعاينت النفس.

(٧) الحدود، فإذا ضيعوا: زيادة من «ن».

فمن أدب نفسه، وقمعها، وراضها، ورفض شهواتها، انكشف الغطاء عن قلبه، فبالمعرفة[1] استنار قلبه، ونظر إلى رأفته، ورحمته، وعطفه، وشفقته لم يكن بقي[2] في نفسه من قوة الشهوة ما يستبد، ويجمح على حق الله تعالى، ففي النوائب يحسن ظنه بالله، ثم لا يحيك في نفسه شيء لمعرفته برأفته ورحمته، فاستقر قلبه، فهو الذي يقول له: «أَنَا عِندَ ظَنِّ عَبدِي بي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ».

معناه: أنه يجدني قريباً وفياً بما أَمِلَ ورجا، وإنما يحسن ظن من انفرد له بين يديه، وأعرض عن نفسه، ورفع عنه بالها، وانكشف له الغطاء عن رأفته ورحمته، فاستقر قلبه، والآخر صاحب شهوات، واشتغال بنفسه، لو انكشف له الغطاء عن رأفته عليه، لأفسد أمره، وضيع حدوده، وركب شهواته، واستبد، واجترأ، فستر رأفته[3] عنه، حتى يكون في مخافة وحذر.

ألا ترى أن[4] الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ لما سكنت شهواتهم، وماتت نفوسهم، وحييت بالله قلوبهم، بُشِّرُوا بالنجاة، وبشر رسولنا ﷺ بالمغفرة؛ للزائد من الخوف له من الله، والهيبة له والتعظيم، فلم تضره البشرى، بل زاده ذلك حتى تورمت[5] قدماه من القيام بين يدي الله تعالى؛

(١) في الأصل: المعرفة، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: يلقى.

(٣) رأفته: زيادة من «ن».

(٤) في الأصل: إلى، والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: حتى ورمت، والصواب من «ن».

شكراً لله تعالى، فأثقال المنة عملت فيه حيث منَّ الله عليه بالبشرى ما لم تعمل قبل ذلك في[1] غيره.

❑ ❑ ❑

(١) في: ليست في «ن».



الأصل الرابع والثلاثون والمئتان

(١١٧٤) ـ حدثنا صالحُ بنُ عبدِالله، قال: حدثنا يوسفُ بنُ عطيةَ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ ﵁: أن رسولَ الله ﷺ قال يوماً: «هَل تَدرُونَ مَن المُؤمِنُ؟»، قالوا: الله ورسولُه أعلم، قال: «المؤمنُ مَن لاَ يموتُ حَتَّى يملأَ اللهُ مَسامِعَهُ مِمَّا يُحِبُّ، وَلو أنَّ عَبداً اتَّقى اللهَ في جَوفِ بَيتٍ إِلى سَبعينَ[١] بَيتاً، عَلى كُلِّ بيتٍ بَابٌ مِن حَديدٍ، أَلبسهُ اللهُ رداءَ عمَلهِ حَتى يَتَحَدَّثَ[٢] النَّاسُ بهِ، وَيزيدُونَ»، قالوا: وكيف يزيدون يا رسول الله؟ قال: «إِن التَّقيَ لَو يَستطيعُ أَن يَزيدَ في بِرِّه، لَزادَ، وَكذلكَ الفَاجرُ[٣] يتحدَّثُ النَّاسُ بِفُجُورِهِ، وَيَزيدونَ؛ لأنَّهُ لَو يَستطيعُ أَن يَزيدَ

---

(١) في الأصل: تسعين، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: يحدث، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: الكافر، وما أثبتناه من «ن».

في فُجُـورِه، لَزادَ»[1].

وكان ثابت إذا حدث بهذا الحديث يقول: بلغني أن رسول الله ﷺ كان يقول: «نيَّةُ المؤمنِ أَبلَغُ مِن عَملهِ»[2].

(١١٧٥) ـ حدثنا عمرُ بنُ أبي عمرَ، عن نعيمِ بنِ[3] حمادٍ، عن عبدِ الوهابِ بنِ همامٍ الحِميريِّ، قال: سمعتُ أبي يقول: سمعتُ وهباً يحدث، عن ابن عباس: أن رجلاً قال: يا رسول الله ﷺ! ما أفضلُ العملِ؟ قال: «النِّيَّةُ الصَّادِقَةُ»[4].

(١١٧٦) ـ حدثنا عمرُ، عن عمرَ بنِ عمرٍو الربعيِّ، عن ابنِ جريجٍ، قال: قلتُ لعطاءٍ: ما نيةُ المؤمنِ خيرٌ

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣/ ١٤) للحكيم الترمذي، والحاكم في «تاريخه» عن أنس رضي الله عنه.
أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٥٩) من طريق يوسف بن عطية، به.
وقال: تفرد به يوسف بن عطية عن ثابت، وروايته عنه أكثرها مناكير، لا يتابع عليه.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «الأمثال في الحديث» (ص: ٩٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٢٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ١١٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٤٢) عن ثابت عن أنس.

(٣) في الأصل: عن، والصواب من «ن».

(٤) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣/ ١٧٠) للحكيم، عن ابن عباس رضي الله عنه، وإسناده ضعيف.

من عملِه؟ قال: لأن النية لا يكون فيها رياء فيهدرها[1].

(١١٧٧) ـ حدثنا عمرُ، عن فهد[2] بنِ سلامٍ، عن يزيد[3]، عن مالكِ بنِ دينارٍ، قال: رأيتُ رجلاً بمكة يقول: اللهم كما قبلتَ[4] حجاتي الأربعَ، فاقبل هذه الحجةَ، فتعجبتُ منه، وقلت: كيف علمتَ أن الله قبلَها منك؟ قال: أربع سنين كنت أنوي كلَّ سنة أن أحجَّ، وعلمَ من نيتي، وحججتُ من عامي، فأنا خائفٌ أن لا يقبل مني، قال مالك: فيومئذ علمت أن النية أفضلُ من[5] العمل.

قال أبو عبدالله:

وجدنا من طريق الاعتبار عندما[6] مثلنا بين النية والعمل: أن العمل منقطع، والنية دائمة، وتصديقه في حديث ثابت عن أنس.

والعمل علانية، والنية سر، وتصديقه في حديث عطاء.

---

(١) لم أجده فيما بين يدي من المراجع.
وأخرج نحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٤٣) من حديث علي بن عبدالله.

(٢) في الأصل مهديّ، والصواب من «ن» فإني لم أجد ترجمة مهدي بن سلام، وإنما المترجم في «الجرح والتعديل»: فهد بن سلام فلعله الصواب والله أعلم.

(٣) عن يزيد: زيادة من «ن»، ولعله الصواب إن شاء الله.

(٤) في الأصل: اللهم قبلت، وما أثبتناه من «ن».

(٥) من: زيادة من «ن».

(٦) في الأصل: ما، وما أثبتناه من «ن».

أعمال السر مضاعفة، والعمل سعي الأركان إلى الله[1]، والنية سعي القلوب إلى الله تعالى، والقلب ملك، والأركان جنوده، ولا يستوي سعي الملك، وسعي جنوده، والعمل يوضع في الخزائن، والنية عنده؛ لأنه[2] الذكر الخفي، والعمل موقوف[3] على نهايته، والنية لا تحصى[4] نهايتها، والعمل تحقيق الإيمان وإظهاره، والنية فرع الإيمان بمنزلة الشجرة؛ لأن الشجرة هي خشبة منصوبة، فبظهور ورقها هي شجرة، وليس للورق ثمر[5]، إنما هي زينة الشجرة، والثمرة من الفرع، والفرع سقياه من الأصل، وذلك قول الله ـ تبارك وتعالى ـ في كتابه: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[إبراهيم: ٢٤]، فالأصل هو الإيمان الذي في القلب، والنية هي فروعها في السماء، والعمل هو الأكل: ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[إبراهيم: ٢٥]، والعمل موكل به الحفظة، والنية لم يطلع عليها الحفظة، والعمل في ديوان الملائكة، والنية في ديوان الله.

ألا ترى إلى قوله: «أَنتُم حَفظةٌ عَلى عَبدِي، وَأَنَا رَقيبٌ عَلى مَا في نَفسهِ»[6].

---

(١) إلى الله: زيادة من «ن».

(٢) في الأصل: لأن، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: موقوف يوضع، والصواب من «ن».

(٤) لا تحصى: زيادة من «ن».

(٥) في الأصل: شجر، وما أثبتناه من «ن».

(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ١٥٣)، وابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (ص: ٤٦) عن ضمرة بن حبيب رحمه الله.

والعمل الواحد لا يعدو نفس ذلك العمل، ولا ينتظم غيره، والنية تنتظم بالأعمال[1]، والعمل ثوابه من الجنة، والنية ثوابها من منازل القربة، والعمل أجناس لا يشبه بعضها بعضاً، فلا يقدر العبد أن يعمل عملاً ينتظم جميع الأعمال، والنية تشمل الأشياء، وذلك إذا نوى بلوغ مرضاته، فمرضاته جميع الطاعات، فهو في ذلك الوقت كأنه قد أخذ يعبده بالطاعات كلها، فهو كالعامل[2] بجميع الطاعات، وهذه النية كلها للصادقين من عمال الله يحتاجون إلى نية في كل أمر؛ لأن قلوبهم مع الأشياء، فيحتاجون إلى أن ينووا إلى الله عند مبتدأ كل أمر[3].

وكذلك جاءنا عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «إِنَّما الأَعمَالُ بِالنِّياتِ»[4]، وقال: «لاَ عَملَ لمَن لاَ نِيَّةَ لَهُ، ولاَ أَجرَ لمَن لاَ حَسَنَةَ لَهُ»[5].

وأصل النية من طريق الإعراب هو النهوض بقول ما ينوء؛ أي: نهض ينهض، فإذا كان القلب في حبس النفس، فإنه يحتاج إلى النهوض إلى الله عند مبتدأ كل أمر، وهو الإرادة والقصد إليه، وإذا تخلى القلب من حصار النفس، فصار إلى الله، وتعلق به، وجيء به، فمحال أن يقول: نهض إليه؛ لأنه عنده، ولا يحتاج إلى نية، هو في كل أموره عند ربه، فقد سقط عنه

---

(١) في «ن»: والنية الأعمال.

(٢) جميع الطاعات فهو في ذلك الوقت كأنه قد أخذ يعبده بالطاعات كلها، فهو كالعامل: زيادة من «ن»

(٣) في الأصل: كلام، والصواب من «ن».

(٤) سيأتي تخريجه في الأصل الرابع والأربعين والمئتين.

(٥) سيأتي تخريجه في الأصل الرابع والأربعين والمئتين.

هذا النظر، وهذا عنده محال[1] بعد أن استقام لله قلبه عبودة، وقام بين يديه، فهذا دائم له في كل حالة.

❐ ❐ ❐

(١) في الأصل: قال، والصواب من «ن».



الأصل الخامس والثلاثون والمئتان

(١١٧٨) ـ حدثنا صالحُ بنُ عبدِالله، قال: حدثنا يوسفُ بنُ عطيةَ، عن يزيدَ الرقاشيِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه: أن رسولَ الله ﷺ كان إذا أصابه الرمد، أو أحداً من أهله[١]، أو من[٢] أصحابه، دعا[٣] بهؤلاء الدعوات: «اللَّهُمَّ أَمتِعني بِبَصَرِي وَاجعَلهُ الوَارِثَ مِنِّي، وَأَرِني ثَأرِي فِيهِ، وَانصُرنِي عَلَى مَن ظَلَمَني»[٤].

قال أبو عبدالله:

فالمتعة بالبصر: استعماله فيما له ركب في العين، فإن الله ـ تبارك

---

(١) في الأصل: أئمته، والصواب من «ن».

(٢) من: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: دعا بها.

(٤) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٢٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٥٩) من طريق يوسف بن عطية، به.
قال الذهبي في «التلخيص»: فيه ضعيفان.

وتعالى ـ جعل البصر من هذا الجسد بمكان عليّ، ومحل رفيع.

ألا ترى أنه قد جاء في الخبر: «إِنَّ العَبدَ يُؤخَذُ يَومَ القِيَامَةِ بِنِعمَةِ البَصَرِ، فَيُوجَدُ قَدِ استَفرَغَ[1] جَمِيعَ حَسَنَاتِ العَبدِ، وَبَقِيَ سَائِرُ النِّعَمِ عَلَيهِ مَعَ التَّبِعَةِ»[2].

ومن رفيع درجة البصر على سائر الجوارح: أنه به ينظر إلى الله في داره يوم الزيادة، وبه يلذ تنعماً برؤيته[3]، فمن يقدر أن يحيط بكنه هذه المرتبة؟ وبه ينظر إلى العبيد[4] في الدنيا، فالعين قالب البصر، والبصر من نور الروح، ولكل ذي جسم لطافة، والروح مسكنه في الدماغ، ومقامه[5] في الوتين، وهو نياط القلب، ثم هو متفشٍّ[6] في سائر الجسد، من الظفر إلى شعر الرأس، فنفخ[7] فيه الروح من طرف إبهامه في المبتدأ[8]، ثم يخرج منه عند القبض من طرف لسانه؛ لأنه ـ تبارك وتعالى ـ اسمه رفع درجة

---

(١) في الأصل: استفرغ عن، والصواب من «ن».

(٢) لم أجده.

وانظر نحوه للخرائطي في «فضيلة الشكر» (ص: ٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ١٥٠).

(٣) في الأصل: يلذ بنعم الرؤية، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: إلى الغير، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: ومعلقة، والصواب من «ن».

(٦) في «ن»: هو منفشٌ.

(٧) في الأصل: فصح، وما أثبتناه من «ن».

(٨) في الأصل: في الابتداء، وما أثبتناه من «ن».

اللسان على سائر الجوارح بالتوحيد، فبه يظهر ما في القلب.

وروي عن أبي أمامة الباهلي[1] ﷺ: أنه قال: «مَا مِن شَيءٍ أَحَبُّ إِلى اللهِ مِن بَضعَةِ لَحمٍ، وَذَلِكَ لِسَانُ المُؤمِنِ، وَمَا مِن شَيءٍ أَبغَضُ إِلَى اللهِ مِن بَضعَةِ لَحمٍ، وَذَلِكَ لِسَانُ الكَافِرِ»[2].

فجعل سبيل الروح عند خروجه من طرف لسانه؛ ليكون آخر الجوارح موتاً، فتكون حركة لسانه عند خروج الروح منه بالتوحيد، فإن التوحيد والحياة[3] مع العقل والمعرفة، وبالحياة يتحرك، وكما أن النفس قالب للروح، فكذلك الروح قالب للحياة، فإذا خرج الروح[4]، كان ما لَطُفَ منه، باقياً مع الحياة والمعرفة والعقل، فبالحياة حركة لسانه، والمعرفة والعقل معه، فيمتلئ الجسد من تلك الحركة نوراً يصعد بذلك النور ما لطف من الروح إلى الله، فيلحق بما خرج منه من المتجشم.

ألا ترى أن الميت قد تراه يهدأ ساعة بعد اضطراب شدقيه[5]،

---

(١) في الأصل: أبي أمامة. وما أثبتناه من «ن».

(٢) لم أجده بلفظه.

وأخرج عبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص: ١٣٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٢٠) عن أبي الدرداء ﷺ موقوفاً بلفظ: «ما في المؤمن مضغة أحب إلى الله ﷻ من لسانه، به يدخل الجنة، وما في الكافر مضغة أبغض إلى الله ﷻ من لسانه، به يدخل النار».

(٣) في الأصل: فإن الحياة، والصواب من «ن».

(٤) قوله: للروح، فكذلك الروح قالب للحياة، فإذا خرج الروح: زيادة من «ن».

(٥) في الأصل: اضطراب ساقية، والصواب من «ن».

وخروج[1] الروح، حتى تظن أنه لم يبق شيء، ثم تجده يحرك لسانه، ويتحرك بعض جوانب شدقيه، فذاك الباقي ما لطف من روحه، يلتمس من المؤمن نوراً من ذكر في نفسه ربه بباقي الحياة والعقل والمعرفة، فالروح نور، والعقل نور، والمعرفة نور، ولكل نور بصر، (وللعقل بصر)[2]، والمعرفة بصر، وبصر العقل متصل ببصر الروح، ولطافة الروح ما رق منه وصفا، فهو في العين، فإذا نظر الناظر إلى حدقة عين، أبصر تلك الرقة واللطافة في الحدقة في ذلك السواد، فتلك لطافة الروح كالماء، وبصر الروح في تلك الإنسانة[3] التي في الحدقة، فذلك النور المشرق فيه، فهو بصر الروح، والضوء من خارج، وإدراك الألوان من بين هذا النور الذي في الإنسانة، وبين هذا الضوء الذي[4] من خارج، وإدراك الألوان من بين هذا النور الذي في الإنسان، وبين هذا الضوء الذي هو خارج، ضوء نهار كان أو ضوء سراج بالليل، وحين لا يجتمعان، لا يدرك الناظر بعينيه الألوان، فهذا لعامة الآدميين.

ثم خص الموحدون من ولد آدم عليه السلام بأن أرواحهم من النور أصله، وأرواح الكفار من نار، ليس للكافر عقل، فخلص الموحد بالعقل، فاجتمع نور التوحيد، ونور العقل، ونور الروح في تلك الإنسانة، فإن لكل نور بصراً، فاجتمعت هذه الأسرار في هذه الإنسانة المركبة في هذه

---

(١) في الأصل: وخرج، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: فللروح بصر وللعقل بصر.

(٣) في الأصل: وبصر الروح في تلك الإنسان، والصواب ما أثبتناه.

(٤) الذي: ليست في «ن».

الحدقة، فبها يبصر العبد نور الدنيا، وسهل له أمور الآخرة، ثم خص الأولياء من الموحدين بنور القربة، ولذلك النور أيضاً بصر، فالنور في القلب[1]، وبصره في بصر العين؛ فبقوة ذلك يتفرس، والفراسة هي شبيهة بالغيب.

وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ: أنه دخل عليه الأشتر في زمانه من قبل أن يظهر منه ما ظهر يوم الجمل وصفين، قدم على عمر في وفد اليمن، فصعَّد فيه البصر وصوبه، فقال: أيكم هذا؟ قالوا: هذا مالك بن الحارث، فقال عمر: ما له قاتله الله؟! كفى الله أمة محمد شرَّه، إني لأحسب أن للمسلمين منه يوماً عصيباً.

(١١٧٩) ـ حدثنا بذلك يعقوبُ بنُ شيبةَ، ثنا بشرُ بنُ موسى، ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ، عن شعبةَ، قال: أنبأني عمرُو ابنُ مرةَ عن عبدِالله بنِ سلمةَ، قال: دخلنا على عمرَ ﷺ[2].

فذكر ما وصفنا، فظهر الذي قال عمر، وتفرس فيه بعد عشرين سنة، أو نحوه، فإنما نظر إليه عمر بعينه، فأبصر بالنور الذي أشرق من نور القربة في إنسانة العين ما كان بعد عشرين سنة أو نحوه.

ولهذا ما قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤمِنِ؛ فَإِنَّـهُ يَنظُرُ بِنُـورِ اللهِ».

---

(١) تتمة هذا الأصل مع الأصول الثلاثة التالية عندما لفقنا بين نسختي الأصل لم تتم الأصول كاملة فيهما، فقمت بزيادتها من النسخة الفرع، وهي «ن»؛ لتتم الأصول، والله الموفق للصواب.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل التاسع والعشرين والمئتين.

(١١٨٠) ـ حدثنا بذلك إبراهيمُ بنُ عبدِ الحميدِ الحلوانيُّ، ثنا عبدُالله بنُ صالحٍ المصريُّ، ثنا معاويةُ بنُ صالحٍ، عن راشدِ ابنِ سعدٍ، عن أبي أمامةَ، عن رسولِ الله ﷺ[١].

فليس هذا نور الروح، ولا نور العقل، إنما هذا نور الله من القربة، له إشراق في إنسانة أعين أولياء الله، وذلك قوله في كتابه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

(١١٨١) ـ حدثنا صالحُ بنُ محمدٍ، ثنا محمدُ بنُ مروانَ، عن عمرِو بنِ قيسٍ الملائيِّ، عن عطيةَ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ: أنه قال: «للمُتفرِّسينَ»[٢].

(١١٨٢) ـ وحدثنا عبدُ الأعلى بنُ واصلٍ الكوفيُّ، ثنا سعيدُ بنُ محمدٍ الجرميُّ، ثنا عبدُ الواحدِ بنُ واصلٍ، ثنا أبو بشرٍ المزلّق، عن ثابتٍ البنانيِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ للهِ عِباداً يَعرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ»[٣].

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل التاسع والعشرين والمئتين.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل التاسع والعشرين والمئتين.

(٣) تقدم تخريجه في الأصل التاسع والعشرين والمئتين.

وروي عن الحسن البصري: أنه دخل عليه عمرو بن عبيد، فقال: هذا سيد فتيان البصرة إن لم يُحدِث، فكان من أمره ما كان حتى هجره عامة إخوانه[1].

وروي عن جندب بن عبدالله البجلي: أنه أتى على رجل يقرأ القرآن، فوقف فقال: من سَمَّعَ، سَمَّعَ الله به، ومن راءى، رَاءى الله به، فقلنا له: كأنك عَرَّضت بهذا الرجل؟ فقال: إن هذا يقرأ عليك القرآنَ اليومَ، ويخرج غداً حرورياً، فكان رأسَ الحرورية، واسمه: مِرداس.

(١١٨٣) ـ حدثنا بذلك صالحُ بنُ محمدٍ، ثنا الربيعُ بنُ بدرٍ، عن الجريريِّ، عن أبي تميمةَ، وسيارِ بنِ سلامةَ[2]، عن خالدِ الأحدبِ ابنِ أخي صفوانَ بنِ محرزٍ، عن جندبٍ البجليِّ[3].

فالفراسة أمر جليل من أمور الغيب خص بها الأولياء، ينظرون بنور الله إلى سمات القدرة على عبيدالله في الغيب، فتوسُّمهم: نظرهم ببصر ذلك

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل التاسع والعشرين والمئتين.

(٢) في «ن»: سيار بن سلام، والصواب ما أثبتناه.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من مراجع، وفيه الربيع بن بدر، وهو واهٍ. انظر: «تهذيب التهذيب» (٣/ ٢٠٧).

وأخرج البخاري (٦١٣٤)، ومسلم (٢٩٨٧)، وابن ماجه (٤٢٠٧)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣١٣)، والحميدي في «المسند» (٢/ ٣٤٢) من حديث جندب ﵁ بلفظ: «من يسمع، يسمِّع الله به، ومن يرائي، يرائي الله به».

العين الذي اتصلت الأبصار فيها بعضها ببعض، وغشيها نور القربة، فيدركون سمات القدرة والتدبير، فيتحيرون بالعجائب، فهذا بصر للأولياء، ثم للأنبياء ـ عليهم السلام ـ زيادة نور في أبصارهم، وهو بصر النبوة، ثم للرسل ـ عليهم السلام ـ بصر الرسالة، ثم لرسولنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ بصر قيادة الرسل وسيادتهم، وذلك أنه سيد المرسلين وقائدهم، فاجتمعت هذه الأبصار كلها له في إنسانة تلك الحدقة من عينه ﷺ.

فروي عنه أنه قال: «لَيلةَ أُسرِيَ بِي رَأيتُ مِنَ العُلا الذَّرَّةَ تدُبُّ عَلَى وَجهِ الأَرضِ مِن سدرةِ المُنتَهى»[1]؛ لاحتداد بصره.

فكان يقول: «اللَّهُم أَمتِعنِي بِبصَري»[2].

فالإمتاع بالبصر: أن ترى هذه العجائب التي ذكرنا من تدبير الله في أمور الدنيا والآخرة، وترى كل شيء كما خلقه الله.

بلغنا: أن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: يا رب! أرني الأشياء كما خلقتها.

فمن يقدر أن يرى هذا إلا بأمر عظيم في ذلك العين الذي كان قالباً للروح، فسأله الإمتاع ببصره؛ ليتقرب إلى الله بما ينظر إليه من العِبر.

ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾[قٓ: ٧]؛ أي: من كل لون بهيج، ثم قال: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾[قٓ: ٨].

فوصف الله تعالى نبات الأرض وألوانها بالبهجة، فأين البهجة من

---

(١) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل الخامس والثلاثين والمئتين.

قلوب العباد عند نظرهم إلى هذه الألوان؟ هل هو إلا سخنة عيونهم؟ وكيف لا تسخن عيونهم، وهم عُميٌ عن لطائف الله، وبره وتدبيره ورحمته؟.

فلو نظر العبد إلى ورقة؛ لحار عقله فيها من العجائب التي في تلك الورقة؛ في رطوبتها، ولونها، وطعمها، وريحها، وقشرها، ولبها، ومقدارها، وتقطيعها، وهيئتها، ونقوشها، وتخطيطها، واللطف الذي حواها على هذه الصفة، هذه ورقة واحدة، فكيف بالثمرة؟ ثم كل شجرة لها ورق لا يشبه الأخرى.

فللمؤمن في هذا البصر بهجة، وأن تكون البهجة للمنيب، والمنيب الذي قد أناب بقلبه، فأقبل على الله، وفرغ قلبه لله من حشو الدنيا، وطهر قلبه من أدناس المعاصي، وكُدُورة الأخلاق، وفضول الدنيا، فقربه ربه وأدناه، ونقى قلبه بنوره، فاحتد بصره في خلقه، وفي صنعه وتدبيره، والمكِبُّ على نفسه في خُلوٍّ من هذا الأمر إنما به شغل نفسه ماذا ينال منها من عاجل النفع أكلاً وتمتعاً واعتداداً؛ لما فضل منه؛ حرصاً على الدنيا، وجمعاً لها، قد اتخذ لنوائبه عدة دون الله، واعتمد عليه، كما وصف الله في تنزيله أعداءه فقال: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾[مريم: ٨١ ـ ٨٢].

فهذه الطبقة من الموحدين قد شبهت سيرتهم، أولئك [الذين] حرصوا على جميع ما نالوا من هذه الدنيا، فاستولت عليهم بهجة النفوس؛ لينالوا بها عزاً، فجمعوا ومنعوا، ولهوا وسهوا، وقد تقدم إليهم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[المنافقون: ٩].

فوقعوا في الخسران، وحرموا رؤية البهجة، فصار عاقبة أمرهم إلى الخسران والكفران، وقال في تنزيله: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[السجدة: ٧].

ثم وصف على إثره خلق الإنسان، ثم ذكر أنه أعطاه السمع والبصر والفؤاد، ثم نسبه إلى قلة الشكر، يعلم العباد أنه إنما خلق ما في الأرض جميعاً لهذا الآدمي بقوله: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[البقرة: ٢٩].

وأنه أحسن كل شيء خلقه؛ لتنظر إلى خلقه الذي خلقه لك، وتعقل بقلبك، وتبصر بفؤادك حسن كل شيء في باطنه، وقلدك شكر ذلك كله، فإذا أظلم صدرك، غابت عنك رؤية حسن الأشياء، وافتقدت البهجة؛ فسأل رسول الله ﷺ أن يمتعه ببصره الذي به ينال هذه الأشياء، وأن يجعله الوارث منه؛ أي: يختم له بالنبوة والتوحيد والعقل، وأن لا يسلبه ذلك؛ فيكون بحال إذا خرج الروح منه كان الذي يرثه بصره الذي اجتمعت فيه هذه الأبصار.

فإن الروح إذا خرج، فإنما يخرج المتجشم منه أولاً، ثم ما لطف منه، وكذلك كل شيء في وعاء إذا صببته؛ فإنما يخرج منه المتجشم منه، ثم ما لطف يبقَى بدقته ورِقَّته على الوعاء، فكذلك الروح لما خرج، فإنما لطافة الروح في العين، ثم البصر في تلك اللطافة ألطف منه؛ فهي تنتظم هذه الأبصار التي ذكرنا بدءاً.

(١١٨٤) ـ حدثنا عبدُ الجبارِ، ثنا سفيانُ، عن أيوبَ السختيانيِّ، عن أبي قِلابةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الرُّوحَ إذَا فَارقَ الجَسدَ، تَبِعَهُ البَصَرُ، أَلا تَرى إِلى

شُخُوصِ عَينَيهِ»[1].

(١١٨٥) ـ حدثنا صالحُ بنُ محمدٍ، ثنا داودُ بنُ عبدِ الرحمنِ المكيُّ، عن ابنِ أبي ذئبٍ، عن ابنِ شهابٍ، عن قَبيصةَ بنِ ذؤيبٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الرُّوحَ إذَا عُرِجَ بهِ، يَشخَصُ البَصرُ»[2].

فسأل رسول الله ﷺ أن يمتعه أيام حياته حتى يتوسم فيه آيات الله التي ذكرها في تنزيله، فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[الحجر: ٧٥]، فينظر به إلى سمات القدرة، ويكون ممن يعبد الله بكل نظرة، فإنما أعطي العبادُ هذه الأبصار؛ ليعبدوا الله بها، لا ليتمتعوا بها تمتع الكفار.

ألا ترى إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[محمد: ١٢]، وقال: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[الحجر: ٣].

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٤١) من طريق أيوب، به.
وأخرج مسلم (٩٢٠)، وابن ماجه (١٤٥٤)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٢٩٧)، وأبو يعلى في «المسند» (٧٠٣٠)، وابن حبان في «الصحيح» (٧٠٤١)، وغيرهم عن أبي قلابة عن قبيصة بن ذؤيب، عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ بلفظ: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: «إن الروح إذا قبض، تبعه البصر»، فضج ناس من أهله. . . .

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٥/ ٢٣٩) عن قبيصة بن ذؤيب.

فالمؤمن يتزود في جميع نظره وسعيه وعقله، والكافر يتمتع، فإذا نظر بعين الغفلة والشهوة، كان تمتعاً، وإذا نظر بعين العبرة والفكرة في أمر الله، كان تزوداً يتقرب إلى الله به، ويتزود لآخرته.

فالأول: عبد بطال شهواني عبد نفسه.

والثاني: عبد ذا كبر كثير، يتقلب في العبودة، فعارٌ على المؤمن أن يأخذ من الدنيا على التمتع أشراً وبطراً.

فالعاقل المنتبه كلما نظر إلى شيء، ازداد علماً، وكان بصره في رأس ماله، والمزيد من العلم ربحه، وإنما استعمل تلك الآلة التي ركب فيها، والنور الذي استقر في الآلة.

ألا ترى إلى ما جاءت به الأخبار، وأن النظر إلى البحر عبادة، والنظر إلى العالم عبادة، والنظر إلى الكعبة عبادة، والنظر إلى وجه الأبوين عبادة، فإنما صارت عبادة؛ لأنه عبدالله بتلك النظرة، نظر إلى البحر، بعين: القدرة إلى سعته وعرضه وأهواله، وعظيم ما أعطي من السلطان، وحفظ حده الذي حُدَّ له، فلم يجاوزه، فاعتبر ونظر إلى العالم، وإلى ما ألبس من نور العلم، فأجلَّه، ووقره في ذاته، ونظر إلى الكعبة، فتلذذ بها شوقاً إلى ربها، ونظر إلى أبويه؛ فذل لهما، ورق وأشفق شكراً لتربيتهما إياه، وتعظيماً لحرمتهما.

وقد كان السلف الصالح يستمعون إلى النوح، وهذا أمر منهي عنه؛ يلتمسون بذلك رقة قلوبهم، ومنهم من يستمع إلى المزمار، وهذا أمر منهي عنه؛ يعتبر بذلك لنفخ الصور.

بلغنا ذلك عن محمد بن المنكدر.

فكانوا لا يرضون بذلك من فعلهم، ويحتظون من أفعالهم الاعتبار بذلك.

وبلغنا: أن رسول الله ﷺ سمع نعيق راعٍ بغنمه، وهو ينفخ في قصبة، فخرج يجر رداءه فزعاً، يظن أن القيامة قد قامت، وذلك أنه قد قيل: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[ق: ٤١]، فظن أنها تلك.

فسأل الإمتاع ببصره كي يعتبر.

ثم قال: «واجعله الوارث مني» لم يقل: واجعله وارثي، ولو كان هكذا؛ لكان يقول: فصلاً بين خروج الروح وخروج البصر، فإنه إنما يرثه من خلفه، ولكنه قال: «اجعله الوارث مني».

أي: اجعل بصري آخر ما يخرج مني، فتكون قد ختمت لي بالنبوة والسعادة، فيكون بصري هو الوارث لجوارحي من بين جوارحي؛ فإن هذه الأبصار قد اجتمعت في هذا البصر، فإني إن سلبتني النبوة والعقل والتوحيد، كان آخر ما يخرج مني لطافة الروح، وهو بصر العين فقط، وقد سلبتني قبل ذلك تلك الأبصار التي اجتمعت في ذلك البصر، وذلك لا يغني عني شيئاً؛ لأن نور الروح لا يعمل شيئاً دون نور العقل، والنبوة إذا كانت المعرفة مع نور العقل، فالسعيد من قبض روحه، وكان آخر ما يخرج منه بصر روحه فقط.

فلذلك سأل رسول الله ﷺ الإمتاع ببصره؛ أي: يديم له ذلك إلى أن يفارقه روحه، وكان آخر ما يخرج منه بصره؛ لأنه كان متصلاً ببصر العقل، وبصر التوحيد، وبصر الولاية، وبصر النبوة، وبصر الرسالة، وبصر القيادة، حتى يكون ذلك ختاماً لأمره، وكان رسول الله ﷺ لا يأمن من مكر الله، ولا يقنط من رحمة الله، فإنما آمن بعد ما أُمِّن، وبشر بالمغفرة بما كان ويكون، ووضع عنه وزره، فأما في بدء الأمر، فكان يخاف، وكيف لا يخاف وهو الذي يقال له: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾[الأحقاف: ٩].

وقيل له: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[الإسراء: ٨٦]، وقيل له: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[الشورى: ٢٤]، وقال: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[الأعراف: ٩٩].

فجرت هذه الدعوة على سبيل ما هو ماضٍ إليه؛ حتى إذا بشر بأن قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتم نعمته عليك، ويهديك صراطاً مستقيماً، أَمِن، وهذا في آخر عمره.

ولهذه الدعوة وجه آخر، وذلك أن النبي ﷺ كان يثقل عليه شأن هذا الملك كاتب السيئات، وقد علم أنه لابد له من أن يرفع ما كتب إلى الله، فهاب ذلك؛ لتعظيم عظمة الله في قلبه، وإجلاله لجلاله، فكان يشتهي أن يكون آخر من يكون مصيره إلى الله كاتب السيئات؛ حتى تكون على مقدمته حسناته، وكاتب حسناته، وخليفته الروح، وبقي لتلك اللطافة التي ذكرنا بدءاً.

فإن السمع والبصر من تلك اللطيفة، فأحب أن يكون الخليفة منها السمع والبصر، وإرثه الذي يرثه، لا الملك الذي يكتب السيئات، فيكون خروج الروح على إثره، ووارثه، وهو خليفة الروح، وهي اللطافة، ثم هذا[ن] الملكان: كاتب الحسنات، وكاتب السيئات، فيكون الذي يؤديه خليفة الروح بعد خروج الروح، والاشتياق إليه قبل مقدم كاتب السيئات على الله تعالى.

وفي بعض الروايات: «اللَّهمَّ مَتِّعني بِسمعِي وَبَصرِي»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص: ٢٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فإنما قرن السمع والبصر؛ لأن السمع أيضاً من لطافة الروح، فإنما يحمل السمع أخف الأشياء، وهو الصوت، والريح ذرو الكلام، كلاهما من شيء واحد.

وأما قوله: «أَرِنِي ثَأْرِي فِيهِ».

أي: في البصر، والثأر: النصرة والانتقام، كأنه يقول: أرني ببصري هذا ما يكون في أمتي إلى آخر الدهر من النصرة لما جئت به؛ فاستجيب له، فأُري ملك فارس والروم، وأُري الصديقين في أمته، ومنازلهم، والحكماء، والعلماء، والأئمة الهادية بالحق، والقائمة بالعدل، وعُرضت عليه الفتن التي هي كائنة في أمته، ثم أُري الرحمة التي عمتهم، حتى قال: «أُمَّتِي مَرحُومةٌ، عَذابُهَا بَأَيدِيهَا: القَتلُ وَالزَّلازِلُ»[1].

وأما قوله: «انصُرنِي عَلَى مَن ظَلَمَنِي».

فإن ظلم الرسول ﷺ: أن يُكذَّب، وأن ينفى عنه منة الله العظيمة عليه في شأن النبوة، فليس هذا ظلم النفس، ولا ظلم المال، إنما ظلمه في أعظم الأشياء؛ حيث برأه من سمة الله، ونفى عنه منَّة الله، ووسمه بالكذب؛ فسأله إظهار حقه الذي جاء به من عنده؛ حتى يغلبه وينصر حزبه، فتكون كلمة الله هي العليا، وحقه الغالب، وحزبه المنصور، فقد قال: ﴿وَكَانَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٧٨)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٤١٠)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ١٩٠)، وأبو يعلى في «المسند» (٧٢٧٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ٢٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٩١) من حديث أبي موسى ﷺ.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

﴿حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم: ٤٧].

فكانت تلك نصرة النبوة، فإنما كان يستعدي على من ظلمه في نبوته، لا على من ظلمه في ماله أو عرضه، فكان المستعدي عليه على أحد أمرين: إما أن يهديه الله، وإما أن يقتله.

❐ ❐ ❐



الأصل السادس والثلاثون والمئتان

(١١٨٦) ـ حدثنا عمرُ بنُ أبي عمرَ العبديُّ، ثنا عمرُ بنُ حفصِ بنِ غياثٍ، ثنا أبي، عن الحجاجِ بنِ أَرطاةَ، عن قتادةَ، عن شهرِ بنِ حوشبٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ غنمٍ، عن معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَو خِفتُمُ اللهَ حَقَّ خِيفَتِهِ، لَعَلِمتُمُ العِلمَ الَّذِي لاَ جَهلَ مَعَهُ، وَلَو عَرَفتُمُ اللهَ حَقَّ مَعرِفَتِهِ، لَزَالَت لِدُعَائِكُمُ الجِبَال»[١].

قال أبو عبدالله:

فحقيقة الخوف لمن وصل قلبه إلى فردانيته، فامتلأ من عظمة الفردية، فبهِ يعقل الأشياء، بهت في جلاله، فأينما وقع بصره على شيء، وأينما دارت فكره، واطلعت نفسه تلك المطالع، علم العلم الصافي الذي لا يمازجه شبهةٌ، ولا جهلٌ، بمنزلة الشمس إذا أشرق على أهل الدنيا، فضوءه يريك الأشياء كلها، من اللون والهيبة والمقادير، فحيثما وقعت من بلاد الله،

(١) تقدم تخريجه في الأصل السادس والعشرين والمئة.

فضوءه معك يريك الأشياء؛ حتى لا يخفى عليك منه شيء، فإنما تمت لك هذه الرؤية بعموم إشراقه على الأشياء كلها، فكذلك شأن القلب، إذا كمل علمهُ، أشرق نور الله في صدره، وذلك الضوء يريك أمور الملكوت، وأمور الدنيا والآخرة، فذلك قوله: «لَعَلِمتُم العِلمَ الَّذِي لاَ جَهلَ مَعَهُ».

فإنما نال هذا العلم بنور الخوف، ونور الخوف: هو ما أشرق في صدره من نور عظمة الفردية، فخاف حق خيفته، وعلم العلم الذي لا جهل معه؛ لأنه يريك ذلك النور باطن الأمور والأسرار التي في الغيوب، التي خص الله بالكشف عنها الأنبياء والأولياء.

وأما قوله: «لَو عَرَفتُمُ اللهَ حَقَّ مَعرِفَتِهِ».

فحق المعرفة: أن تعرفه بصفاته العلا، وبأسمائه الحسنى معرفةً يستنير قلبك بها، فإذا عرفته بذلك؛ كان دعاؤك عن معرفةٍ، وحسن ظَنٍّ به، وقد قال: «أَنَا عِندَ ظَنِّ عَبدِي بِي»[1].

والكريم يستحيي أن يُعرف بشيءٍ، ثم لا يكون من ذلك الشيء منه نوالٌ، فما ظنك بعبدٍ يعرف ربه بالكريم، ثم يدعوه فيقول: يا كريم! هل يخيب العارف له بذلك، وقد عرفه بالكرم معرفة يقين، لا معرفة خبر وعلم؟ وقد عرف الموحدون كلهم أن ربهم كريمٌ، ولكن تلك معرفة التوحيد، لا معرفة أهل اليقين.

ألا ترى أنهم يعاملونه معاملة اللئام، ولا يأتمنونه على أحوالهم، من ائتمن الله على أحواله، لم يتخير الأحوال، وألقى مفاتيح الأمور إليه، حتى

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل السابع والسبعين والمئة.

يكون الله هو الذي يختار له.

فإذا اختار له ما تكره نفسه، ويثقل عليها، راضَ نفسهُ، وأدَّبها، حتى إذا اختار الله له ذلك، اهتشَّ إلى المكروه، كما يهتشُّ إلى المحبوب؛ ثقةً به، وتفويضاً إليه، فهؤلاء الراضون عن الله، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[التوبة: ١٠٠]، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[البينة: ٨]، فهم أهل الخشية.

والذين عرفوه بالكرم معرفة التوحيد، يتخيرون الأحوال، فيهربون من الفقر والذل، ويختارون لأنفسهم أحوال المحبوب، ويطلبونها، ويدبرون لأنفسهم أموراً، فمنها ما يقضى لهم، ومنها ما لا يقضى، فإذا جاءهم المكروه من الأمور، وذلك له صنعٌ من اللهِ جميلٌ، رأيت له نفساً دنيّةً لئيمةً، وخلقاً شكياً، وظناً سيئاً، فلا يزال ذلك السوء يتردد في صدره حتى يتكدر عليه عيشهُ، فإن كان صاحب تقوى، اتقى الله بجوارحه وصدره بهذه الصفة، وإن خذل، فترك تقواه، خرج ذلك من صدره إلى الجوارح، فافتُضح عند الملائكة، وعند عقلاءِ خلقه في أرضه.







الأصل السابع والثلاثون والمئتان

(١١٨٧) ـ حدثنا يحيى بنُ المغيرةِ بنِ سلمة[١] المخزوميُّ، ثنا ابنُ أبي فديكٍ، عن يزيدَ بنِ عياضٍ، سمع معنَ بنَ محمدٍ الغفاريَّ، عن حنظلةَ بنِ عليٍّ الأسلميِّ، عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ»[٢].

(١١٨٨) ـ حدثنا عمرُو بنُ عليٍّ الصيرفيُّ، ثنا عمرُ بنُ عليِّ بن مقدم، ثنا معنُ بنُ محمدٍ الغفاريُّ، قال: سمعتُ حنظلةَ بنَ عليٍّ الأسلميَّ يحدِّثُ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، قال: سمعتُ أبا القاسم ﷺ بهذا الوادي يقول: «الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ كَالصَّائِمِ الصَّابِرِ»[٣].

---

(١) في «ن»: عبد الرحمن، والصواب ما أثبتناه كما مر مراراً في شيوخ الحكيم.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل السادس والثلاثين.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «الصحيح» (٣/ ١٩٧)، والحاكم في «المستدرك» =

وقال: «الصَّومُ لِي وَأَنَا أَجزِي بِهِ»[1].

قال أبو عبدالله:

فقوله: «الصَّومُ لِي» هذا فيما يحكي عن مقالة ربه، وقد جاءت أحاديث فيها: أنه قال: «قَالَ رَبُّكُم: الصَّومُ لي»[2].

فالأعمال كلها لله، وإنما صار الصوم مختصاً من بين الأعمال بأنه نسبه إلى نفسه؛ لأن الصوم ليس بعمل الأركان فتكتبه الحفظة، ويصير علانية، ولكنه سرٌّ فيما بينه وبين ربه، وهو أن يعزم على أن يكف عن الطعام، والشراب، ومباشرة النساء إلى الليل.

فهذا يسمى: صوماً، وفي اللغة السائرة: إذا كفَّ عن شيء، يقال: صام عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾[مريم: ٢٦]؛ أي: صمتاً، فإنما صار الكفُّ عن الكلام لها صوماً؛ أي: صمتاً؛ لينطق عيسى عليه السلام بحجة الله حين أنطقه في المهد صبياً.

= (٤/ ١٥١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٠٦) من طريق عمر بن علي، به.

إلا أن في سند الحاكم: سمعت معن بن محمد يحدث عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، قال: كنت أنا وحنظلة بالبقيع مع أبي هريرة، فحدثنا...

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال البيهقي رحمه الله: وقد قيل: عن عمر بن علي، عن معن، عن المقبري وحنظلة، عن أبي هريرة.

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٧٦٤)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٥٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ٣٠)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فالصائم كل ساعة يتردد فيه شهوة من طعام، أو شراب، أو غير ذلك مما هو ممنوع، فرد شهوته، وتجرعت نفسه مرارة الرد، فهو صابر، يتجدد عليه الصبر ساعة بعد ساعة.

فلذلك قال: «الصَّائمُ الصَّابرُ».

لأنه يتجدد عليه الصبر عند تحرك كل شهوة في نفسه، ومنع منها، فهو يؤديها، ويثبت على الوفاء بنذره.

فلذلك قال: «هَو لي، وَأنَا أَجزِي بهِ».

لأن الحفظة لا تعلم ذلك، ولا تطَّلع عليه، إنما ذلك بينه وبين ربه، وخفي على الحفظة أن يعلموا جزاءه، ومقدار ثوابه، فولي الله ذلك لعبده؛ لأنه كلما ترددت شهوة، تجددت للعبد عزمةٌ على الثبات، فله بكل عزمة ثواب جديد.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «مَا مِن نِعمَةٍ، وَإِن تَقَادمَ عَهدُهَا، فَذَكَرَهَا العَبدُ، فَحَمِدَ اللهَ عَلَيهَا، إلاَّ جَدَّدَ اللهُ لَهُ ثَوَابَ شُكرِهَا كَيَوم شُكرِهِ، وَمَا مِن مُصِيبَةٍ، وَإِن تَقَادمَ عَهدُهَا، فَذَكَرَهَا العَبدُ، فَاستَرجَعَ، إلاَّ جَدَّدَ اللهُ لَهُ ثَوَابَهَا كَهَيئَةِ يَومَ أُصِيبَ بِهَا»(١).

فللصائم بكل عزمةٍ في ساعات يومه استئناف صبر، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر: ١٠]، فقد خرج هذا من عمل الحفظة وإدراكهم.

ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «الأَعمَالُ كُلُّ حَسَنَةٍ

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الرابع والخمسين والمئة.

بِعَشرِ أَمثَالِهَا إِلَى سَبعِ مِئَةٍ، إِلاَّ الصَّومَ، فَإِنَّـهُ لاَ يَعلَمُ ثَوَابَ عَامِلِهِ إِلاَّ اللهُ».

(١١٨٩) ـ حدثنا نصرُ بنُ يحيى، ثنا سعيدُ بنُ سليمانَ، ثنا أبو عقيلٍ، ثنا عمرُ بنُ محمدِ بنِ زيدٍ، عن عبدِالله بنِ دينارٍ، عن ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الأَعمَالُ عِندَ اللهِ سَبعَةٌ: عَمَلاَنِ مُوجِبَانِ، وَعَمَلاَنِ بِأَمثَالِهِمَا، وَعَمَلٌ[1] بِعَشرَةِ أَمثَالِهِمَا، وَعَمَلٌ بِسَبعِ مِئَة ضِـعفٍ، وَعَمَلٌ لاَ يَعلَمُ ثَوَابَ عَامِلِهِ إِلاَّ اللهُ، فَأَمَّا المُوجِبَانِ: فَمَن لَقِيَ اللهَ يَعبُدُهُ مُخلِصاً، لاَ يُشرِكُ بِهِ شَيئاً، وَجَبَت لَهُ الجَنَّةُ، وَمَن لَقِيَ اللهَ قَد أَشرَكَ بِهِ، وَجَبَت لَهُ النَّارُ، وَمَن عَمِلَ سَيِّئَةً، جُزِيَ بِمِثلِهَا، وَمَن أَرَادَ أَن يَعمَلَ حَسَنَةً، وَلَم يَعمَلهَا، جُزِيَ بِمِثلِهَا، وَمَن عَمِلَ حَسَنَةً، جُزِيَ عَشراً، وَمَن أَنفَقَ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ضُعِّفَت بِسَبعِ مِئَةٍ، فَالدِّرهَمُ بِسَبعِ مِئَةٍ، وَالدِّينَارُ بِسَبعِ مِئَةٍ، وَالصِّيَامُ الَّذِي لاَ يَعلَمُ ثَوَابَ عَامِلِهِ إِلاَّ اللهُ»[2].

---

(١) في «ن» وعملان، والصواب ما أثبتناه.

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٦/ ١٦٢) للحكيم عن ابن عمر رضي الله عنهما.
وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ١٨٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٢٩٨) من طريق سعيد بن سليمان، به.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٨٢): وفيه يحيى بن المتوكل ـ أبو عقيـل ـ، =

فالموجبان هما: الإيمان والشرك، فإنما ذكر مخلصاً؛ لأنه قد يكون مؤمن مشرك.

ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[يوسف: ١٠٦]، ليس من مشرك فيها، إلا وهو يعرف ربه معرفة الفطرة، ويؤمن به، ثم يجد العدو إليه سبيلاً، فيغويه حتى يشرك به؛ لأنه لم يمن عليه بمعرفة التوحيد.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: «قَالَ رَبّكُم: خَلَقتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، فَأَتَتهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجتَالَتهُم عَن دِينِهِم، وَأَمَرَتهُم أَن يُشرِكُوا بِي»[(١)].

فإنما قال: «من لقي الله يعبده مخلصاً»؛ أي: لقيه بإيمان خالص، لا شرك فيه لأحد، فهو موجبه للجنة، ثم من قبل وصوله إلى الجنة حساب بالأعمال التي هي وفاء الإيمان.

وأما قوله: «عَملانِ بَأمثَالِهمَا».

فصير السيئة مع إرادة الحسنة؛ لأن إرادة الحسنة هو عمل القلب وحده، لم تنحط تلك الإرادة إلى النفس فتقهرها، حتى تستتم الجوارح ذلك العمل؛ لأن الجوارح هي للنفس، والنفس غالبة عليها.

ألا ترى أنها إذا خرجت النفس في حال منامها، ذهب السمع والبصر واللسان، وقوة كل شيء من جوارحه، فالحسنة الواحدة قد اشترك فيها مع

= وقد ضعفه جمهور الأئمة، ووثقه ابن معين في رواية، وضعفه في أخرى.
وأخرجه أيضاً البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٢٩٨) من طريق عبدالله بن وهب، قال: أخبرني عمر بن محمد بن زيد العمري: أن زيداً حدثه، قال: لا أعلم إلا أنه عن رسول الله ﷺ، قال... وقال في آخره: هكذا رواه ابن وهب منقطعاً.

(١) تقدم تخريجه في الأصل الرابع والستين.

القلب تسعة: الروح، والنفس، والجوارح السبعة اللاتي أخـذ عليهن العهد والميثاق، وألزمت التزكية بالأعجمية، فحسب له بعشر أمثالها، والسيئة اشترك فيها التسعة، فأنكر القلب.

فالروح، والنفس، والجوارح، عوامل بتلك السيئة، والقلب منكر لذلك بما فيه من الإيمان، فبالإنكار له حسبت له بواحدة، ووجدنا أعمال العباد على ثلاث منـازل، فحسـنة بعشـر أمثالها، ذلك للعامة، وقـد بين ذلك في تنزيله فقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾[الأنعام: ١٦٠]، فعم الجميع بقوله: ﴿مَن جَآءَ﴾.

فدخل فيه أهل التخليط من الموحدين.

ومنزلة أخرى: الحسنة فيها بسبع مئة، وذلك للصادقين؛ لأن أبدانهم قد صارت سبيلية، فكل حسنة إنما خرجت من بدن عليه سبع جوارح، فحسبت له كل حسنة بسبعة، ثم ضوعفت بسبعة، ثم ضوعفت كل واحدة بمئة، فصارت سبع مئة، فقال في تنزيله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ﴾[البقرة: ٢٦١].

فهذا مثل كأنه ضُرب للجوارح السـبع، هاجت تلك الحسـنة من حبة القلب، فأعملت الجوارح؛ حتى عملت جارحة منها، وأعانتها عليها سائر الجوارح، فصارت بمنزلة السنابل السبع، فضوعفت بمئة، فالقلب والنفس قد استقاما لله، فالقلب أمير، والنفس عريف الأمير.

والعوامل سبع جوارح؛ فالحياء والكرامة للقلب وللنفس من مزيد الله، والجزاء للجوارح السبع، فإنما صارت كل واحدة بمئة من المزيد الذي ناله القلب والنفس، وأن الجارحة الواحدة إذا عملت، فمادتها من الجوارح الباقية؛

لأن العهد المقبول قد تمكن فيهن، وبذلك العهد يعين بعضها بعضاً.

ومنزلة أخرى: وذلك أن الحسنة فيها بأضعاف، ثم الأضعاف مضاعفة، فأما الأضعاف فهي السبع مئة المذكورة، وأما المضاعفة لتلك الأضعاف؛ فقد انقطع عن الملائكة أن يحصوه، فهذا للمحسنين أهل الصفاء الذين وصفهم رسول الله ﷺ حيث سأله جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ما الإحسان؟ قال: «أَن تَعبدَ اللهَ كأنَّكَ تَراهُ»[1].

فالحسنة من هذا الصنف؛ تضاعف بسبع مئة، وهو العلم الذي أعطي الملائكة، ثم يضاعف الله تلك الأضعاف من عنده بما ينقطع العلم عنه، وهو قول رسول الله ﷺ في هذا الحديث: أنه قال: «الصِّيامُ الَّذي لاَ يَعلمُ ثَوابَ عَامله إلاَّ الله».

وإذا بلغ العبد منزلة المحسنين، وصارت أعماله كما وصف رسول الله ﷺ: أن يعبد الله كأنه يراه؛ وَلِيَ الله جزاءه؛ لأن الملائكة تعجز عن أن تطلع في قلبه من أين هاجت هذه الحسنة؟ وأما طريق الجنة والجزاء فيها؛ فقد أعطي الملائكة علم ذلك.

وأما قوله: «الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ».

فالإيمان: ينقسم على الشكر والصبر.

فلذلك قال رسول الله ﷺ: «الإِيمَانُ نِصفَانِ: نِصفٌ لِلشُّكرِ، وَنِصفٌ لِلصَّبرِ»[2].

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الخامس والعشرين والمئة.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل السادس والثلاثين.

لأن العبد في جميع عمره بين محبوب ومكروه.

فالإيمان يقتضيه: الشكر عند المحبوب، والصبر عند المكروه، وإذا وفى بهما، وفر إيمانه، فإذا طعم، فقد أتى بمحبوب النفس، فإذا شكرت، فقد أتت بنصف وفاء الإيمان، وإذا جاعت، فذلك مكروهها، فإذا صبرت، فقد أتت بالنصف الباقي، ثم هو في جميع الأعمال كذلك.

وإن العبد لما آمن بقلبه، واعترف بلسانه، امتحنَ صدق ما في قلبه، وامتحن طمأنينة نفسه بالإيمان بهذا المحبوب والمكروه، فإن أبرزهما بالجوارح في كل أمر، فأبرز عند المحبوب شكراً، وعند المكروه صبراً، فقد أتى بوفاء الإيمان، وهو قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾[العنكبوت: ١ ـ ٢].

فقوله: ﴿الٓمٓ﴾ كأنه يقول: أنا أعلم بالناس، ولم أمتحنهم، وأنا أعلم بسرائرهم، فلم أتركهم وسرائرهم، وإن أظهروا القول حتى أبرز بالأعمال ما أعلم أنا منهم.

ثم قال: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[العنكبوت: ٣].

فهذا علم الظاهر، وقد علم من قبل علم السرائر، والفَتْن: الحرق، وذلك أن الشهوة التي في بني آدم من المحفوف بباب النار فيها حرقة، فإذا أثارها محبوب من الأمور، فهي حرقة يقتضي عليها الشكر، وهو رؤيتها من خالقها، والمقدرِ لها، وإذا أثارها بمكروه، فهي حرقة يقتضي عليها الصبر للمقدر الحاكم القاضي عليه بذلك؛ ليظهر صحة إيمانه، فيباهي الله به يوم الموقف ملائكته وجنوده، إذا أتى اللهَ بالشكر والصبر.



الأصل الثامن والثلاثون والمئتان

(١١٩٠) ـ حدثنا عمرُ بنُ أبي عمرَ العبديُّ، ثنا الحارثُ ابنُ عبدِالله، عن أبي معشرٍ، عن هشامِ بنِ عروةَ، عن أبيه، عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا شَرِبتُم، فَاشرَبُوا بِثَلَاثَةِ أَنفَاسٍ، فَالأَوَّلُ: شُكرٌ لِشَرَابِهِ، وَالثَّانِي: شِفَاءٌ فِي جَوفِهِ، وَالثَّالِثُ: مَطرَدَةٌ لِلشَّيطَانِ، وَإِذَا شَرِبتُم، فَمُصُّوهُ مَصاً؛ فَإِنَّهُ أَجدَرُ أَن يَجرِيَ مجرَاهُ، وَإِنَّهُ أَهنَأُ وَأَمرَأُ»(١).

قال أبو عبدالله:

فإنما صار الأول شكراً للمنتبهين عن الله، لمَّا خلص إليه عذوبة الماء ورطوبته وبرده، تراءى لقلبه لطف الله له في ذلك الماء، كيف جرت ربوبيته

---

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٥/ ١٢٦) للحكيم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

وهذا إسناد واهٍ، شيخ المصنف واهٍ، وأبو معشر ضعيف.

في ذلك الماء، حتى رطبه وأعذبه وبرَّده، فكانت رؤيته لذلك شكراً.

وأما النفَس الثاني: إنما صار شفاء؛ لأن النفَس الأول لما كان بهذه الهيئة، أذهب بالداء، وإذا ذهب الداء، جاءت نوبة الشفاء، فلما شكر هذا العبدُ في النَّفَس الأول، استوجب من الله المزيد، وهو قوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم: ٧]، فاجتلب في النفس الثاني المزيد، فصار شفاء؛ لأن البركة قد اشتملت على المزيد.

وأما النَّفَس الثالث: فإنما صار مطردة للشيطان؛ للوترية التي فيه، فإن الله تعالى وِترٌ يحب الوتر.

فالنفس الثالث: محبوبه، والنفس الثاني: شكره لعبده، وهو بمزيده، والنفس الأول: رحمته، فإنما انطرد الشيطان من صدره وقلبه؛ للوترية التي في النفس الثالث.

فعلى النفس الأول: سمة رحمته، وعلى النفس الثاني: سمة مزيده، وعلى النفس الثالث: سمة الوتر الذي هو فرد أحدٌ واحد، فوتريته نفت كل خلط في الأعمال مما يريد الشيطان أن يزاوجه؛ لأن الله ـ تبارك وتعالى ـ أبدى وتريته؛ لتكون الأعمال لله خالصاً، والشيطان مستعد لأن يزاوج الأعمال بما يورد على القلوب في تلك الصدور، والموحد ينفي مزاوجته بحظه من وترية الله تعالى، حتى يبطل كيده، ويصفو عمله للوتر.

ولذلك كانت العلماء تتوخى الوتر في كل شيء.

فأهل الباطن نالوا هذا العلم من الذي وَصَفتُ من الأصل، وأهل الظاهر اقتدوا بالظاهر من أمر الله ـ تبارك وتعالى ـ، وقول رسول الله ﷺ وفعله، فأما قول الله تعالى في تنزيله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ

﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

ثم لما صار إلى حد العدد، أبدى محبوبه في خلقه الذي خلق، فجعل سرير الملك واحداً، وكرسي القضاء واحداً، وقلم المقادير واحداً، ولوح الأعمال واحداً، والجنة دار الأحباب واحداً، والسجن دار الأعداء واحداً، ثم جعل للجنة سبعة أبواب، وللنار سبعة أبواب، لكل باب منهم جزء مقسوم، وجعل باباً واحداً، وهو باب محمد ﷺ، وهو باب الرحمة، فهو باب التوبة، فهو منذ خلقه الله مفتوح لا يغلق، فإذا طلعت الشمس من مغربها، أغلق، فلم يفتح إلى يوم القيامة، وسائر الأبواب باب الأعمال مقسومة على أعمال البر، فباب منها للصلاة، وباب للصوم، وباب للزكاة والصدقة، وباب للحج، وباب للجهاد، وباب للصلة، وباب للعمرة.

وأما أبواب النيران: فلكل باب من الكفار[1] جزء مقسوم، فباب منها للشرك، وباب للشك، وباب للغفلة، وباب للشهوة، وباب للرَّغبة، وباب للرَّهبة، وباب للغضب.

فأما باب التوبة من الجنة الزائد على الأبواب، فليس هو باب عمل، إنما هو باب الرحمة العظمى الذي منه تدخل توبة العباد إلى الله، فلذلك قال رسول الله ﷺ: «أَنَا نَبيُّ التَّوبةِ، وَنَبيُّ المَلحَمَةِ».

(١١٩١) ـ حدثنا بذلك علقمةُ بنُ عمرٍو التميميُّ، ثنا أبو بكرِ بنُ عياشٍ[2].

---

(١) كذا في «ن»، ولعل الصواب: النار.

(٢) ساقه المصنف في الأصل الأربعين والمئتين بإسناده كاملاً، فانظره.

«وَأنَا رَحمةٌ مُهدَاةٌ»[1] بإسناد له.

وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧] لنفس محمد ﷺ: كانت رحمة للعالمين، وسائر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يبعثهم رحمة للعالمين، فمن كان من الأنبياء مبعثهم رحمة للعالمين، فيبعث بالهدى والنبوة والرسالة إليهم، فمن أجابهم، سَعِدَ، ومن أعرض عنهم، عُوجل بالعذاب.

ومحمد ﷺ مولده ونفسه كانت رحمة للعالمين، فصار مولده وخروجه إلى الدنيا أماناً للعالمين، فمن أبى وأعرض، لم يعاجل بالعذاب، وأخر إلى يوم القيامة؛ لحرمة خروجه إلى الدنيا من الأصلاب والأرحام، ولدفنه حيث دفن إلى نفخ الصور؛ فحرمه تلك الرحمة، وأمانه قائم.

فروي في الخبر أنه: ما من فجر يوم يطلع إلا نزل قبره سبعون ألفَ ملك يحفون بالقبر[2].

عدنا إلى ما ذكرنا من الوترية:

فالسموات سبع، والأرضون سبع، والأيام سبع، والسجود على سبع، والجوارح المثاني والعاقب سبع، والرزق من سبع، وخلق الإنسان من سبع، وأيام الدنيا كلها سبعة، فهذه الأشياء كلها وتر، وأمر بصلاة المغرب وتراً؛ ليرفع عمل النهار إلى الله وتراً، وإذا صلى العشاء أمر بالوتر؛ ليرفع عمل الليل

---

(١) سيأتي تخريجه في الأصل الأربعين والمئتين.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٥٥٨)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ١٠١٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٩٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٤٩٢) عن كعب بن مالك رضي الله عنهما.

إلى الله وتراً؛ لأن ملائكة الليل غير ملائكة النهار، وكان رسول الله ﷺ يتوضأ وتراً، وإذا تكلم فأعاد الحديث أعاد وتراً، وكان متوخياً للوترية في كل شيء.

وروي عن أبي هريرة ﷺ: أنه كان يتوخى الوترية في كل شيء؛ حتى إنه كان يقرأ في صلاته أم القرآن بثلاثة أنفاس.

وكان ابن سيرين يتفقد ذلك، حتى يأمر الخادم أن تضع على مائدته من كل شيء وتراً، يتوخون بذلك محبوب الله، والتماس البركة، وانطراد الشيطان ونفوره، وإذا انطرد الشيطان في النفس الثالث، كأنما ينطرد لتوخي هذا الشارب بتلك الوترية في هذا النفس، وبقي الشفاء على هيئته، وثبت الشكر لصاحبه في النفس الأول، فلذلك قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ اللهَ لَيَرضَى عَنِ العَبدِ بِالشَّربَةِ الوَاحِدَةِ، وَبِالأَكلَةِ الوَاحِدَةِ، يَشرَبُهَا، أَو يَأكُلُهَا، فَيَحمَدُ اللهَ عَلَيهَا».

(١١٩٢) ـ حدثنا بذلك الجاورِدُ بنُ معاذٍ، ثنا إسماعيلُ ابنُ أبانَ الأكبرُ، عن زكريا بنِ أبي زائدةَ، قال: حدثني سعيدُ ابنُ أبي بردةَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، عن رسول الله ﷺ[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٤)، والترمذي (١٨١٦)، وفي «الشمائل المحمدية» (ص: ١٦١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٨٩٩)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٠٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ١٣٨)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٣٩٩)، وأبو يعلى في «المسند» (٤٣٣٢)، والطبراني في «الدعاء» (ص: ٢٨١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ١٢٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ١٦٠) من طريق زكريا ابن أبي زائدة، به. =

(١١٩٣) ـ وحدثنا الجارودُ، ثنا وكيعٌ، عن يوسفَ أبي خزيمةَ، عن الحسنِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَا أَنعَمَ اللهُ عَلَى عَبدٍ مِن نِعمَةٍ صَغِيرَةٍ وَلاَ كَبِيرَةٍ، فَحَمِدَ اللهَ عَلَيهَا، إِلاَّ كَانَ قَد أُعطِيَ خَيراً مِمَّا أَخَذَ»[١].

(١١٩٤) ـ قال الجارودُ: قال وكيعٌ: كان يقال: الحمدُ لله شكرُ لا إله إلا الله.

قال أبو عبدالله:

فيا لها من كلمة لوكيع؛ لأنَّ لا إله إلا الله أعظم النعم، فإذا حمد الله عليها، كان في كلمة الحمد قول: لا إله إلا الله متضمنة مشتملة عليها الحمد لله.

فالنفس الأول: للشكر، وإنما ثبت له هذا الشكر بهذه الوترية في الثالثة؛ لانطراد الشيطان؛ لأنه إذا لم يكن مطروداً، أدخل عليه بوسوسته ما يبطل شكره، وذلك أنه يوسوس إليه في عذوبته، أو في صفائه، أو في برده خللاً ينغِّصُ عليه النعمة، حتى يغيب عن قلبه لطف ربوبية الله في ذلك

= وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد رواه غير واحد عن زكريا بن أبي زائدة نحوه، ولا نعرفه إلا من حديث زكريا بن أبي زائدة.

(١) أخرجه هناد في «الزهد» (٢/ ٣٩٩) عن يوسف بن ميمون، به.

وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣/ ١٠٨) لهناد والحكيم عن الحسن، مرسلاً.

وهو مع إرساله فيه يوسف بن ميمون ضعيف. انظر: «تهذيب التهذيب» (١١/ ٣٧٥).

الماء، فربما أولج في الماء خللاً حتى يشغله عن رؤية اللطف والربوبية.

فإنما ثبت له شكر النفس الأول بتوخيه الوترية، حين قطع النفس في الثانية طالباً لوترية الله فيه بالنفس الثالث، فإنما استوجب العبد رضا الله عنه في شربةٍ واحدة؛ لهذه الآداب التي دأَبَ عليها مطيعاً لله، طالباً فيها حسن العمل، فإن الله ـ تبارك اسمه ـ قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك: ٢].

فأعلمَ أنه يبلونا أينا أحسن عملاً في الحياة؛ ليجزينا به بعد الممات، يبتغي منا حُسن العمل، لا الكثرة والتخليط؛ فإن الكثرة في العدد إنما تكثر عند من يجوز أن يموه عليه ويخادع، والله تعالى لا يخادَع، ولا يُمَوَّهُ عليه، فقليل العمل إذا كان حشوه الحسن، فهو كثير؛ لأنه إنما حسَّنه العبد من حبِّ الله تعالى وهيبته وإجلاله، فحسن العمل في كل شيء: أن لا يلتفت إلى رشوة من ربه، وطهارته: أن يكون لله خالصاً.

فهذه الشربة الواحدة إنما رضي الله عن العبد بها؛ لأنه يسمي في أولها، ويتنفس حين قطع الشرب للمزيد ليجتلبه؛ فإن المزيد أكثر من الشكر، ثم تنفس، فقطع؛ ليجتلب الوترية، فيتقي العدو الحاسد الذي قد أعدَّ له في كل شيء حسداً، فيثبت له الشكر، ويدوم.

فإذا حمد الله، فقد ختمه بكلمة الصدق، فرضي عنه بتلك الكلمة الصادقة، وإذا حمده حمداً، مع تركه الأدب الذي وصفنا، كانت كلمته بالحمد مدخولة، يخاف ألا يستوجب الرضا، فإن رضا الله عن العبد له خطبٌ جليل، وشأن رفيع، وإذا رضي الله عن عبده، أثنى عليه في سمائه على عرشه،

وأحبه جبريل والملائكة ـ عليهم السلام ـ، فإذا حمد مع ترك الأدب باستيلاء الغفلة، كان حمده حمد السكارى.

(١١٩٥) ـ حدثنا عمرُ، ثنا سليمانُ بنُ شرحبيلَ، عن البختريِّ بنِ عبيدٍ، ثنا أبي، ثنا أبو هريرة ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن شَرِبَ مَاءً بِثَلاَثَةِ أَنفَاسٍ، بدَأَ فَسَمَّى فِي كُلِّ مَرَّةٍ، وَحَمِدَ بَعدَ كُلِّ مَرَّةٍ، سَبَّحَ ذَلِكَ المَاءُ فِي جَوفِهِ حَتَّى يَشرَبَ مَاءً غَيرَهُ»[١].

قال أبو عبدالله:

فإن صار الماء بعد ما صار مواتاً بالشرب، والاستهلاك حياً في جوفه، فإنما حيي بتلك التسمية، وذلك الحمد بحياة قلب العبد الشارب له.

وأما قوله: «إِذَا شَرِبتُم فَمُصُّوهُ».

لأن اللَّهَاةَ تيبس من حرارة الجوف، ولهبان الكبد، فتعطش اللَّهاة، فإذا مصَّ الماء، كان لبث البرودة على اللهاة، وتمكث الروح الذي تضمنه الماء بوروده على اللهاة أكثر، فتسكن العطش، فاستغنى به عن كثرته، وكثرةُ الماء تُتخم، وتبقى تلك التخمة في العروق، فتُحدث داء كبيراً،

---

(١) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

وهذا إسناد تالف، شيخ المصنف واهٍ، والبختري قال ابن حجر: ضعيف متروك؛ كما في «التقريب» (ص: ١٢٠)، وعبيد بن سليمان مجهول؛ كما في «تهذيب الكمال» (١٩/ ٢١١).

فكثرةُ شرب الماء ليس محمود عند العلماء بالدين، ولا عند العلماء بالطب؛ لأنه إذا أكثر شربَ الماء، امتلأت العروق، فثقلت، وخلص ذلك إلى عروق القلب، فأورثت النوم، فإذا مصَّه أسرع برودة الماء إلى تسكين عطش اللهاة، فاستغنى عن الازدياد.

وأيضاً خلة أخرى: إذا شربه مصّاً، كان أرفق لمجراه في العروق، ولذلك كان رسول الله ﷺ يثقل عليه أن يرى أحداً يشرب بنفس واحد، وكان يقول: «لاَ تَعُبَّهُ عَبّاً؛ فَإِنَّ الكُبَادَ مِنَ العُبَابِ»[1].

معناه: إذا عبَّ، أضرَّ بالكبد، وذلك أن مجمع العروق عند الكبد، ومنه ينقسم في العروق، فإذا عبَّه في دفعة واحدة؛ أي: أحدره وصوبه واحدة، فقد أوعب، وكان ذلك بمنزلة نهر فتحت مفتحه، فإذا فتحت بمرة واحدة، فدخل الماء جملةً، لم يؤمن البَثقُ، والفساد، وخرب عِضادتي النهر، ففاض وأفسد، فكذلك إذا شربه عباباً في دفعة واحدة صباً لا مصاً، لم تحتمل العروق ذلك، وفاضت من المعدة إلى العروق، فربما كان على الطريق سدد في العروق، واحتبس الماء هناك، من أجل السدة، فروي، فصار خاماً، وقوي البلغم، فحدثت منه أدواء، وأورث ذلك البلغم كسلاً عن عبادة الله وفتوراً، ففيه ضرر للدين، وهذا من حقوق النفس التي أوصاك الله بها في تنزيله فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، ثم قال: ﴿وَمَن

---

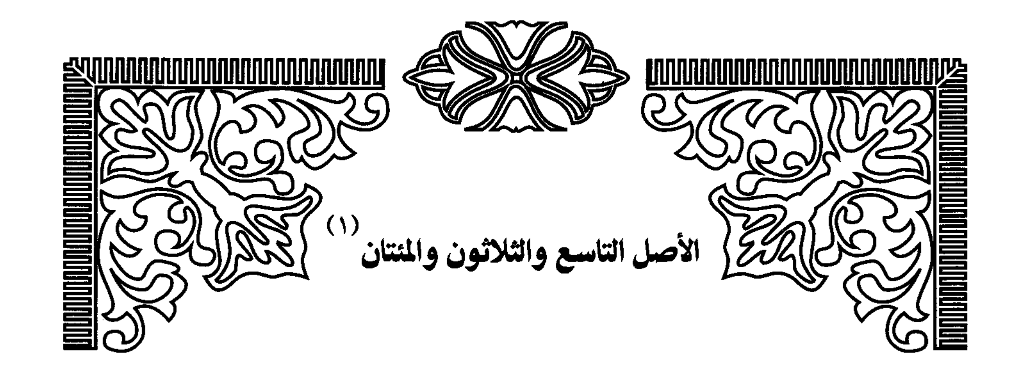
(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ١١٥)، وفي «السنن الكبرى» (٧/ ٢٨٤) عن ابن أبي حسين، مرسلاً.
العَبُّ: شُربُ الماء من غير مَصٍّ، وقيل: أَن يَشربَ الماءَ ولا يَتَنفَّس، وهو يُورِثُ الكُبادَ، وهو: داء يعرض للكبد. انظر: «لسان العرب» (١/ ٥٧٢).

﴿يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗا﴾[النساء: ٣٠].

فمن لها عند تفقد إقامة مثل هذه الحقوق التي وصفنا، يوشك أن يؤديه إلى ما أكثر منه، وكان آخذاً بحظه من الظلم والعدوان في هذا القدر، فكان رسول الله ﷺ شفيقاً على الأمة، ولله ناصحاً، وبالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، عزيز عليه ما عَنَت الأمة، حريص بالمؤمنين أن يؤديهم إلى الله، مع ذروة الإسلام، وبهاء الإيمان، فعلمهم تناول الشراب والطعام واللباس، وكل شيء للنفس فيه حق، وقال الله تعالى في تنزيله: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾[الأحزاب: ٢١].

فطهره الله وأدبه، وأحيا قلبه ونفسه، فقبل أدبه، وصار مهذباً، فأمر بالاتساء به، لمن رجا الله ورجا اليوم الآخر، وجعل الاتباع له علامة محبة الله في قلوب العباد، فقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ٣١]، فأوجب الله محبته لمن اتبعه.

❐ ❐ ❐



الأصل التاسع والثلاثون والمئتان[1]

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

(١١٩٦) ـ نا يعقوبُ بنُ شيبةَ، قال: نا موسى بنُ إسماعيلَ، قال: نا عبدُ العزيزِ الدراورديُّ، عن إسماعيلَ بنِ رافعٍ، عن محمدِ بنِ يحيى بنِ حبانَ عن عمه واسع بن حبان[2]، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الرُّغبِ»[3].

---

(١) الملاحظ أن الترقيم حتى قبل هذا الأصل متطابق إلا أن هذا الأصل بمضمونه يختلف عن النسخة الأصل فتم إلحاقه بآخر الكتاب برقم (٢٩٢) لذا اختلف الترقيم بين «ن» والنسخة الأصل.

(٢) عن عمه واسع بن حبان: زيادة من «ن».

(٣) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (ص: ٤١٣) من طريق عبد العزيز، به.

وأخرجه العسكري في «جمهرة الأمثال» (١/ ٤٨٦) من طريق الدراوردي، به وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٥/ ١١٤) للحكيم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قال: وكانت لهُ ابنةٌ رغيبةٌ، فَدَعَا الله عليها، فماتت.

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ:

فالرغب: كثرة الأكل، والشبع مفقود، حتى يحتاج صاحبه إلى أن يثابر عليه[1] في اليوم مرات، وصاحب هذا هو ممن الحرص عليه غالب، فلهبان نار الحرص يهضم ذلك الطعام، وينشف رطوبته حتى يسرع في يبسه، فيصير ثفلاً يحتاج إلى أن ينفضه نفضاً.

وزاد في هذا الحديث في رواية أخرى أنه قال: «الرُّغبُ شُؤمٌ»[2].

فإنما شامه هذا الحريق الذي فيه من الحرص الغالب عليه، والحرص على الطعام جعامة النفس، وإذا كانت النفس جعمة، فصاحبها مفتون[3]، وابتلى الله هذا الآدمي بهذه الشهوات واللذات، فإنما ظهرت جعامة النفس من قلة حظه من الله، وبعد قلبه منه، فرُبَّتَ نفسٍ مالت جعامتها بها إلى بطنه، وربَّت نفسٍ مالت جعامتها[4] إلى فرجه، فلذلك تجد الناس على ذلك، ترى أحدهم مفتوناً ببطنه ولذة حلقه، هالعاً لا يدع رطباً ولا يابساً إلا ابتلعه، وآخر مفتوناً بفرجه، مهتماً بشأنه، فإذا عجز عنه فعلاً؛ لكبر، أو ضعف، فقلبه منهوم، ولسانه رافث، وعينه طماحة خائنة، ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ:

(١١٩٧) ـ نا بذلك صالحُ بنُ عبدِالله، قال: نا ابنُ إدريسَ،

---

(١) في الأصل: عليها، والصواب من «ن».

(٢) هي رواية الطبراني كما تقدم.

(٣) مفتون: ليست في الأصل، زدتها من «ن».

(٤) بها إلى بطنه، وربت نفس مالت جعامتها: زيادة من «ن».

عن أبيه، عن جدِّهِ، عن أبي هريرةَ، قال: قيل: يا رسول الله! ما أكثرُ ما يُدخلُ الناسَ الجنةَ؟ قال: «تقوى اللهِ، وَحُسنُ الخُلقِ». قيل: ما أكثرُ ما يُدخلُ الناسَ النارَ؟ قال ﷺ: «الأَجوَفَانِ: البَطنُ، وَالفَرجُ»[1].

قال: وتصديق مجيء هذا الخبر عن رسول الله في كتاب الله قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[الأحقاف: ٢٠].

فعير الله الكافرين عند المؤمنين، فلم يعيرهم بالكفر، إنما عيرهم بالاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا، والطيبات هي الشهوات التي تلتذ بها النفس ببطنه وفرجه بلا ورع ولا شكر، فهذا كله من الحرص، وقد حذر الله على ألسنة الرسل هذا الشأن.

(١١٩٨) ـ نا أبي رحمه الله، قال: نا أبو نعيمٍ، قال: نا موسى

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (ص: ١١٠)، وابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ٩٣)، وفي «التواضع والخمول» (ص: ٢١٧)، وفي «الصمت» (ص: ٤٤)، وابن حبان في «الصحيح» (٤٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٦٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٥٥)، والرامهرمزي في «أمثال الحديث» (ص: ١٥٩) من طريق ابن إدريس، به.

وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص: ١٠٨)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٩٢)، وابن المبارك في «الزهد» (ص: ٣٧٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٢٣٥) من طريق أبي هريرة، به.

ابنُ عليِّ بنِ رباحٍ اللخميُّ، عن أبيه، عن عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ، عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَشَرُّ مَا في الإِنسَانِ: شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبنٌ خَالِعٌ»[1].

فالشح الهالع عندنا: هو الحرص الذي له حريق في الجوف، وصاحبه لا يشبع.

والجبن الخالع: هو الذي إذا وقع الخوف في الرئة، انتفخ من الجبن، وسوء الظن، حتى يرحل القلب من مكانه، فيبقى القلب معلقاً كالمنخلع من مكانه.

فالرغب: مشتق اسمه من الرغبة، وهو شعبة من الرغبة، والرغبة خلق من أخلاق الكفر.

(١١٩٩) ـ نا الجارودُ، قال: نا عمرُ بنُ هارونَ، عن صالحٍ المريِّ، عن أبانَ، عن وهبِ بنِ منبهٍ، قال: وجدتُ في الحكمة مكتوباً: بُني الكفرُ على أربعة أركانٍ: على الرغبة، والرهبة،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣٣٢) من طريق أبي نعيم، به.

وأخرجه أبو داود (٢٥١١)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٢)، وابن المبارك في «الجهاد» (ص: ٩٣)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ٤١٧)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (ص: ٣٤٦)، وابن حبان في «الصحيح» (٣٢٥٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٢٧٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٢٤)، وفي «السنن الكبرى» (٩/ ١٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٦/ ٣٤٦) من طريق موسى، به.

والشهوة، والغضب[1].

قال أبو عبدالله:

فعلى قول وهب الرغبةُ ربعُ الكفر، والمؤمن لا يرغب، بل يتناول على الحاجة، والمؤمن لا يستمتع، بل يتزود؛ لأن المؤمن مسافر قد أيقن بالبعث، فهو في السير إلى ربه، فما أخذ من الدنيا، أخذه تزوداً؛ ليقطع مسافة أيام الدنيا إلى يوم مقدمه عليه بالموت الذي حل به، فأورده على الله، والكافر قد ركن إلى الدنيا ونعيمها، ولم يقر بالبعث، ولا اطمأن إلى أنه صائر إلى الله؛ لأنه لم يعـرفه معرفة التوحيـد، فيرجوه ويأمله، ومن التوحيد امتدت عيون الموحـدين إلى الله بالرجاء العظيم، والأمل الفسيح؛ لأن في حشو التوحيد ما يصيرهم بهذه الصفة.

قال له قائل: وما في حشوه؟.

قال: أُجملُ أو أُطنب؟.

قال: بل أجمِلْ.

قال: حـبُّ الله في حشو توحيد كل مؤمن، فحبه لا يدعـه حتى يمد عينه إلى رجاء عظيم، وأمل فسيح، وكذلك تجد نفسك في الدنيا كل من أحببته وثقتَ به، واطمأننت إليه، وعلى حسب[2] ذلك يعظم رجاؤك لديه،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٧٠) من طريق صالح، بلفظ: قال: قرأت في الحكمة: للكفر أربعة أركان: ركن منه الغضب، وركن منه الشهوة، وركن منه الطمع، وركن منه الخوف.

(٢) في «ن»: حب.

وينفسح أملك، وربنا أحق بالوفاء بالعهد[1]، ولذلك قال رسول الله ﷺ:

«مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِن بَطنٍ، بِحَسبِ[2] ابنِ آدَمَ لُقَيمَاتٌ يُقِمنَ صُلبَهُ، فَإِن كَانَ لابُدَّ، فَثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ، وَثُلُثٌ نَفَسٌ».

(١٢٠٠) ـ نا بذلك عليُّ بنُ حجرٍ، قال: نا إسماعيلُ ابنُ عياشٍ، قال: حدثني سليمانُ بنُ سليمٍ[3]، وحبيبُ بنُ صالحٍ، عن يحيى بنِ جابرٍ[4]، عن المقدامِ بنِ معدي كربَ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ ذلك[5].

---

(١) في «ن»: للعهد.

(٢) في الأصل: حسب، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: سلم، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: خالد، والصواب ما أثبتناه.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، وابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢١٣)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٢٧١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٨) من طريق إسماعيل، به.

وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٦٧٦٩)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٣٢)، وابن حبان في «الصحيح» (٥٢٣٦)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ٢٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٦٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٣٢٥) من طريق سليمان، به.

وأخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٦٧٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢٧٢)، وفي «مسند الشاميين» (٣/ ١٣٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٤٥) من طريق يحيى، به.

وأخرجه ابن ماجه (٣٣٤٩) من طريق المقدام، به.

وقال لأبي جُحيفةَ حيث تجشأ[1]: «يَا أَبَا جُحَيفَةَ! أَقصِر مِن جُشائِكَ؛ فَإِنَّ أَطوَلَ النَّاسِ جُوعاً يَومَ القِيامَةِ أَكثَرُهُم شِبَعاً في الدُّنيَا»[2].

ولذلك كان يقال: الشبع أبو الكفر؛ لأن الإنسان إذا امتلأ، حدث عن امتلائه الأشر والبطر، ومنها يتجبر ويتكبر.

وقال فيما روي عنه ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ القَسَّ[3] مِن أُمَّتِي»، قيل: يا رسول الله، وما القس[4]؟ قال: «قَلِيلُ الطَّعَامِ[5]»[6].

وما روي عن يحيى بن زكريا عليه السلام: أنه قال لإبليس: هل وجدت مني شيئاً قط؟ قال: لا، إلا أنك ربما شبعت، فثقلت عن الصلاة.

فعاهد اللهَ أن لا يشبع حتى يخرج من الدنيا، فإنما أمر رسول الله ﷺ بالتعوذ بالله من الرُّغب كي يعافى[7] من هذه الآفات التي وصفنا، والله أعلم.



---

(١) في «ن»: تجشأ فقال.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٢٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٦) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٢٣): أخرجه البزار بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات.

(٣) في «ن»: الفتين، ولعلها الصواب.

(٤) في «ن»: الفتين.

(٥) في «ن»: المطعم.

(٦) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

(٧) كي يعافى: زيادة من «ن».





الأصل الأربعون والمئتان

(١٢٠١) ـ نا محمدُ بنُ عليٍّ، قال: نا صالحُ بنُ محمدٍ، قال: نا جريرٌ، عن يزيدَ بنِ أبي زيادٍ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُعطِيتُ خَمساً لَم يُعطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبلِي، وَلاَ أَفخَرُ: بُعِثتُ إِلى الأَحمَرِ وَالأَسوَدِ، وَكَانَ النَّبِـيُّ قَبلِي يُبعَثُ إِلى قَومِهِ، وَجُعِلَت لِيَ الأَرضُ مَسجِداً وَطَهُوراً، وَنُصِرتُ بِالرُّعبِ أَمَامِي مَسِيرَةَ شَهرٍ، وَأُحِلَّت لِيَ الغَنَائِمُ، ولَم تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبلِي، وَأُعطِيتُ الشَّفَاعَةَ، فَأَخَّرتُهَا لأُمَّتِي، فَهِيَ نَائِلَةٌ ـ إِن شَاءَ اللهُ ـ لِمَن لاَ يُشرِكُ بِاللهِ شَيئاً»[1].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٦١) من طريق جرير، به.

وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٥٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٠٣)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ٢١٥) من طريق يزيد عن مقسم ومجاهد، عن ابن عباس.

وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٠١) من طريق يزيد عن مقسم، عن ابن عباس. =

(١٢٠٢) ـ نا إبراهيمُ بنُ إسماعيلَ بنِ يحيى بنِ سلمةَ ابنِ كهيلٍ، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن سلمةَ بنِ كهيلٍ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عمرَ، عن رسولِ الله ﷺ، بمثله، ولم يذكر ابنَ عباس[1].

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ:

فالرسول مبعوث إلى الخلق بمنزلة الأمير المؤمن يعطى الولاية والإمارة والرعاية، فهو بمنزلة الراعي يرعى غنمه في مراعي شتى[2]، ويوردهم صفوَ الماء، ويرتاد لهم في الصيف مشتاهم، وفي الشتاء مصيفهم، وقد أعد لهم لكل[3] ليلة مأوى قبل هجومه، ويفر بهم عن مراتع الهلكة، ويجنبهم الأرض[4] الوبئة، ويحرسهم من السباع، ويحوطهم عن الشذوذ، ويلحق شذاذهم بهم، ويجبر كسيرهم، ويداوي مريضهم، ويجمع رِسْلَهم من الألبان والصوف لرب

= وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٦١) من طريق مجاهد، به.
وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٣٣) من طريق ابن عباس، به.

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٤١٣) من طريق إبراهيم بن إسماعيل، به.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٦١): أخرجه البزار، والطبراني... وفيه: إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن كهيل، وهو ضعيف، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: في روايته عن أبيه بعض المناكير.

(٢) في «ن»: تمن عليها.

(٣) في «ن»: كل.

(٤) في الأصل: الأرضين، وما أثبتناه من «ن».

الغنم، فهذا راعٍ ناصحٌ لمولاه في غنمه، وأجره موفور عليه يوم الجزاء، ومتوقع من رب الغنم فضل هدية على قدر ملكه.

فالرسول ﷺ هو راعي الخلق، والخلق غنمه، بُعث ليرعاهم، فيشرع لكل جارحة في واديها ماذا تباشر؟ وماذا تجتنب؟ فأحل من كل جارحة بعضاً، وحرم بعضاً، وأوردهم من[1] المياه أصفاها، وهو العلم الصافي، وينزلهم المشتى والمصيف، وهو الاستعداد في الحياة، وأيام الصحة والقوة قبل الهرم، والمرض والموت، وأعد لهم المأوى، فبين لهم عند حدوث الفتن كالليل المظلم، إلى أين يأوون، وبمن يعتصمون؟ ويفر بهم عن مراتع الهلكة، وهي الشهوات الدنياوية المشوبة بالحرص، ويجنبهم الأرض الوبئة، وهي الأفراح التي يحل بالقلب سمها فيوبأ ويمرض منها القلب، ويحرسهم عن الشذوذ مخافة الذئاب، وهو العدو، ويجبر كسيرهم، ويداوي مريضهم[2]، وهو أن يعظ مفتونهم حتى يخلصهم بالمواعظ من فتن النفوس، ويحمل شذاذهم، وهو أن يتولى رعاية أطفالهم بالتأديب.

ويجمع رسلهم وألبانهم، وهو أن يدعو لهم، ويستغفر لهم، ويسأل الله تعالى قبول أعمالهم، فهذا راعٍ، وهو مع[3] ذلك أمير، يؤدبهم، ويحملهم على المكاره، ويسوقهم، ويسيِّرهم بسوط الأدب على شارع الاستقامة؛ ليوافي

---

(١) في الأصل: في، والصواب من «ن».

(٢) في «ن» زيادة: ويجبر كسيرهم إذا وقعوا في المعاصي، ويدعوهم إلى التوبة، ويعينهم عليها حتى يجبر كسيرهم ويداوي مريضهم. . . .

(٣) في «ن»: ومع.

بهم الموقف بين يدي الله سبحانه، فكل راعٍ ومعه عصًا يهش بها على الغنم، ويؤدبهم بها.

وقد ذكر الله تعالى عصا موسى في تنزيله، فكل راع مؤنته على قدر غنمه، وكل أمير مؤنته على قدر رعيته، فالأمير المبعوث إلى كورة محتاج على قدر ولايته إلى آلة الولاية؛ من الخدم، والدواب، والمراكب، والكنز؛ لينفق في إمارته.

فمن أُمِّر على طخارستان، فهو أقل حظاً من هذه الأشياء التي وصفنا، ومن أُمِّر على خراسان، كانت حاجته إلى ما ذكرنا أكثر، ومن كان أمير المؤمنين، احتاج إلى[1] كنز عظيم.

ومن ملك المشرق والمغرب، والأرضَ كلها، احتاج إلى خزائن الأموال، حتى يضبط[2] ذلك الملك، فكذلك كل رسول بعث إلى قومه، أعطي[3] من كنز التوحيد، وجواهر المعرفة، على قدر ما حمل من الرسالة.

فالمرسل إلى قومه في ناحية من الأرض إنما يعطى من النبوة من[4] هذه الكنوز على قدر ما يقوم به في شأن نبوته، ورعاية قومه.

والمرسل إلى جميع[5] الأرض كافة إنسِها وجنِّها أُعطي من المعرفة بقدر ما يقوم بها في شأن النبوة إلى جميع أهل الأرض كافة.

---

(١) من قوله: ما ذكرنا... إلى قوله: احتاج إلى: ليس في «ن».

(٢) في «ن»: يضبط به.

(٣) في «ن»: فأعطي.

(٤) في «ن»: ومن.

(٥) في الأصل: كافة، وما أثبتناه من «ن».

فحظه[1] من قوله: «بُعِثتُ إلى الأحمَرِ وَالأَسوَدِ»، ومن قول الله له: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾[سبأ: ٢٨] كحظ من ولاية[2] ملك يملك الدنيا شرقها وغربها وما بينهما، ومن ملك الأرض كلها، وجواهر الأرض كلها ومعادنها له، والملك الذي يملك ناحية من الأرض ليس له إلا معدن ناحيته، وجوهر ذلك المعدن فقط، فلذلك قال رسول الله ﷺ: «اختُصِرَ لي الحَديثُ، وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ»[3].

ولذلك صار كتابه مهيمناً على الكتب، ولذلك صار القرآن مشتملاً على التوراة، والإنجيل، والزبور، وبقي المفصل نافلة لهذه الأمة خاصة، وأوحي إليه بالعربية، واللغات كلها فيها موجودة، وبذلك اتسعت بالوفارة حتى برزت على سائر اللغات، وهي لسان أهل الجنة لسان الأنبياء.

فلما أعطي الرسالة إلى أهل الأرض كافة إنسها وجنها، أعطي من الكنوز بمقدار الكفاية للجميع، ومن الجنود كذلك، فأوتي من الحكمة العليا، وأوتي جواهرها كلها بمنزلة الملك الذي ملك الأرض بما فيها من الجواهر، وأوتي ختم الرسالة، وأوتي الرعب، ولم يؤتَ أحد قبله جواهر الرسالة كلها، ولا ختم الرسالة، ولا الرعب، فبجواهر الرسالة قوي على علم مختصر الحديث وجوامع الكلم.

---

(١) في «ن»: كافة للناس فحظه.

(٢) في الأصل: ومن وليه، والصواب من «ن».

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٦/ ١١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٦٠) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

وروي في الخبر: أن التوراة كان يحملها[1] سبعون جملاً موقرة، والزبور من بعدها، والإنجيل من بعده.

فجمع الله لمحمد ﷺ ذلك كله في الفرقان، ثم جمع الله الفرقان كله في فاتحة الكتاب، ولذلك سميت[2]: أمَّ الكتاب؛ لأن القرآن كله منها[3] تولد وخرج، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[الحجر: ٧٨].

فسماها[4]: القرآن العظيم، وهي[5] سبع آيات، سميت مثاني؛ لأن الله كتب جميع الكتب كلها في اللوح المحفوظ، ثم أنزل منها على الرسل ـ عليهم السلام ـ على كل رسول ما علم أنه محتاج إليه ذلك الرسول ﷺ وأمته، فاستثنى فاتحة الكتاب من جميع ذلك، وخزنها لهذه الأمة، فقيل: مثاني؛ لأنه استثناها لنا.

فجميع علم التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، مستخرج من أم القرآن، فالقرآن مستخرج من أمه، وسائر الكتب في الفرقان.

ومما يحقق ذلك: قول رسول الله ﷺ ما:

(١٢٠٣) ـ نا به قتيبةُ بنُ سعيدٍ، قال: نا عبدُ الوهابِ،

---

(١) في «ن»: كلها كان يحملها.

(٢) في الأصل: سمي، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: منه، والصواب من «ن».

(٤) فسماها: ليست في «ن».

(٥) في الأصل: وهو، والصواب من «ن».

قال: نا أيوب، عن أبي قلابة: أن رسولَ الله ﷺ كان يقول: «أُعطِيتُ السَّبعَ - يَعنِي: الطُّولَ - مَكَانَ التوراةِ، وَأُعطِيتُ المَثَانيَ مكَانَ الإِنجِيلِ، وَأُعطِيتُ المِئِينَ مَكَانَ الزَّبُورِ، وَفُضِّلتُ بِالمُفصَّلِ»[1].

قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[الأعراف: ١٩٨] أي: ينظرن إليك بعيون رؤوسهم، وهم لا يبصرونك بعيون قلوبهم.

فمن عمي قلبه عن الله، ولم يكن في قلبه نور الهداية، لم يبصر آثار النبوة على محمد ﷺ، وإنما كان يبصر منه شخص الجثة، ومن هداه الله تعالى لنوره، فانفتح عين قلبه بذلك النور، واستقرت[2] المعرفة في قلبه، أبصر من محمد ﷺ شخص النبوة بارزاً، وعلى شخص النبوة شخص الرسالة فائقاً.

قال له قائل: وما شخص النبوة؟.

قال: الحياة، والذكاء، واليقظة، والإنفاذ، والسرعة، والبدار، والسبق، والسماحة والكرم، والسعة والجود، والحياء والسكينة، والوقار والحلم.

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٨٦) لابن الضريس، وابن جرير، عن أبي قلابة.

أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (١/ ٤٤) من طريق خالد الحذاء عن أبي قلابة.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٧)، والطيالسي في «المسند» (ص: ١٣٦)، والطبري في (١/ ٦٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٧٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٦٥) من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ.

(٢) في الأصل: واستقر به، وما أثبتناه من «ن».

ومن الأفعال: السواك، والحجامة، والتعطير، والجماع.

قال: وما شخص الرسالة الذي فاق على شخص النبوة؟.

قال: الجلال والبهاء، والنزاهة، والحلاوة، والطلاوة، والملاحة، والمهابة، والسلطان، وأصل هذا كله من ثلاثة أشياء: من اليقين، والحب، والحياة.

فإنما نال المؤمنون من معرفة محمد ﷺ على قدر معرفتهم بالله، وعلمهم به، فمن صدق محمداً ﷺ في الصحبة له، كان صدق صحبته على قدر معرفته إياه، وعلمه به، وعلى حسب ذلك كان يتراءى لبصر عينه في الظاهر ما ذكرنا من الخلال التي عددنا، فأوفرهم حظاً من نور الله: أوفرُهم علماً بمحمد عليه السلام، وقدره، وجلالته، وحظه ومنزلته، فأوفرهم علماً به: أسرعهم إجابة لدعوته، وأبذلهم له نفساً ومالاً.

ألا ترى أن أبا بكر رضي الله عنه لما أفشى إليه رسول الله ﷺ أنه رسول مبعوث، صدقه على المكان، ولم يتردد، ولم يضطرب؟

قال علي ـ كرم الله وجهه ـ: حتى أسأل أبي، ثم رجع من الطريق، وصدقه.

وعمر صدقه بعد مدة، وبعد ما أسلم تسعة وثلاثون نفساً، فتم بإسلامه عدد أربعين[1]، بعد دعوةِ رسولِ الله ﷺ ليلةَ أسلم عمرُ رضي الله عنه من الغد: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الدِّينَ بِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، أَو بِعَمرِو بنِ هِشَامٍ ـ يَعنِي: أَبَا جَهلٍ ـ»[2].

---

(١) في «ن»: الأربعين.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل الثالث والأربعين.

فجرت الدعوة من عمرٍو عدوٍّ الله إلى عمرَ بحق الله[1]، فسعد عمر، وشقي عمرٌو، ودل أسماؤهما على حظيهما من الله تعالى، والمقدار الكائن من أمريهما؛ لأن عمر أول اسمه عين مضموم[2] مثقل، وعمرو أول اسمه عين مفتوح مخفف، والمضموم الذي قد آواه الله وضمه إلى باله، والمفتوح هو الذي أهمله الله، وأخرجه من باله، وكلا الاسمين مشتق من العمر، والعمر حجة الله على ابن آدم، والأسماء من علم آدم الذي برز به على الملائكة، وورثته[3] الأنبياء، والأولياء من ولده.

قال له قائل: ما العمر؟.

قال: إنما هو ثلاثة أشياء: مهلة، وأجل، وعمر.

فالمهلة: أنه أعطاه القرار حين خرج من بطن أمه على جديد الأرض.

والعمر: ما يخلص إليه من تدبير الله في جميع متقلبه من التربية.

والأجل: هو الغاية التي إذا بلغها، انقطع القرار والتربية، وتبدد المجتمع[4] من الروح والنفس، والحياة والذهن، والعقل والعلم والملك، فرجع الروح إلى معدنه، والنفس إلى جوهرها، والذهن إلى مجراه، والعقل إلى أصله، والعلم إلى معدنه، والملك إلى موضع الميراث ميراث الله تعالى حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[آل عمران: ١٨٠].

---

(١) قوله: فجرت الدعوة من عمرو عدو الله إلى عمر بحق الله: ليس في «ن».

(٢) مضموم: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: وورثه.

(٤) في «ن»: الجميع.

فضمة الاسم الأول دليله إلى أنه كان مضموماً إلى بال الله، وقد كان الله به عليماً، فوضع مبتدأ اسمه من القالب في موضع ضمة يعلم ورثة آدم عليه السلام قصة شأنه في مبتدأ خلقه[1]؛ ليدركوا به ما يكون من شأنه في جميع متقلبه، ومحياه من طريق علم الفراسة.

فأعز الله به الإسلام عزاً حتى صار بمحل[2] أن جاء جبريل عليه السلام فقال: «يَا مُحَمَّدُ! أَقْرِئْ عُمَرَ السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُ: أَنَّ غَضَبَهُ عِزٌّ، وَرِضَاهُ حُكْمٌ».

(١٢٠٤) ـ نا بذلك حسينُ بنُ الحسنِ المروزيُّ بمكةَ، قال: نا إبراهيمُ بنُ رستمَ، عن يعقوبَ القميِّ، عن جعفرِ بنِ أبي المغيرةِ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، عن رسولِ الله ﷺ[3].

---

(١) في الأصل: خلقته، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: محل.

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١/ ٢٦٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٧٠) من طريق حسين، به.

وقال ابن عدي: هذا الحديث لم يوصله عن يعقوب القمي غير إبراهيم بن رستم، رواه جماعة عن يعقوب القمي عن جعفر، عن سعيد بن جبير، مرسلاً، ولم يذكروا فيه أنساً.

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٧٠) من طريق عمرو بن رافع عن يعقوب، به، موصولاً.

ورواه جماعة عنه، فقالوا: عن ابن عباس؛ كما أخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٦/ ٢٨٧)، وابن عساكر (٤٤/ ٦٩ ـ ٧٠). =

(١٢٠٥) ـ حدثنا أبي رَحِمَهُ اللهُ، ثنا يوسفُ بنُ واقدٍ، عن يعقوبَ القميِّ، عن جعفرِ بنِ أبي المغيرةِ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ، عن رسولِ الله ﷺ[١].

ولم يذكر فيه أنساً[٢].

كأن معناه: أن قلب عمر[٣] في الاستقامة لله، وبين يديه بمحل إذا غضبت، أمضى الله غضبك، وجعل له سلطاناً يعز به دين الله، وإذا رضيت، كان رضاك ماضياً، ورضي الله به، كأنك إذا حكمت على الله برضى لشيء، أو عن عبد، أمضى حكمك، ورضي بما حكمت، وهذا موضع القسم، وهو قول رسول الله ﷺ: «إنَّ مِن عِبادِ اللهِ مَن لَو أَقسمَ عَلى اللهِ لأَبَرَّهُ»[٤].

ففي القسم درجات في السرعة والبطء، وفي الانبساط والانقباض،

= قال ابن عدي: وإنما روي عن يعقوب مرسلاً.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ٢٤٢)، وفي «المعجم الكبير» (١٢/ ٦٠) من طريق زيد العمي عن ابن جبير، عن ابن عباس.

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١/ ٢٦٣) من طريق محمد بن حميد الرازي عن يعقوب، به.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٥٩)، والطوسي في «المستخرج» (ص: ١٨٩)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٢/ ٣٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٧٠) من طرق عن يعقوب، به.

(٢) هذا الإسناد زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: أن قال لعمر أنت في.

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٥٦)، ومسلم (١٦٧٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وفي الاتساع في الدالة، وفي التقرر.

وأما فتحة الاسم التي دلت على أن عمرو بن هشام خرج من بال الله، فقد انكشف الغطاء عن شأنه، وكانت كنيته في قريش أبا الحكم، فجرت كنيته في الإسلام بأبي جهل؛ لعظيم جهله، وكثرة بلاهته، وشِرَّة نفسه الخبيثة، فعلى حسب خروجه من بال الله عظمت آفته على رسول الله ﷺ، وعلى الإسلام، حتى قتله الله أذل قتلة، وسحب برجله[1]، فألقي في قليب بدر، ووقف رسول الله ﷺ على القليب فقال: «يَا أَبَا جَهلِ بنَ هِشَامٍ، ويَا عُتبةُ، ويَا شَيبةُ! هَل وَجدتُم مَا وَعدَ رَبُّكُم حَقّاً؟»[2].

فلم يلقَ رسول الله من جميع المشركين من الأذى والعداوة ما لقي منه وحده، ولم يعمل في الصد عن الإسلام قولاً وفعلاً[3]، ونفقة في الحروب ما عمل هو، وهو الذي حرض الناس يوم بدر على الحرب، وقد هم الناس بالرجوع لمَّا وصل الخبرُ إليهم أن العير قد سلم، فما زال يسلبهم، ويعير قومه بالجبن حتى نصب الحرب لهم، حتى وافته لعنة الله والخزي الذي حل به، وكان يقول: إني لأعلم أنه نبي، ولكن قالت بنو عبد مناف: لنا السقاية والحجابة واللواء، فأطعمنا ونحرنا، وقلنا: لنا المجد، حتى إذا تماست الركب، قالوا: منا نبي، ومتى كنا تبعاً لبني عبد مناف، فوالله! لو ينزل عليَّ

---

(١) في «ن»: بوجهه.

(٢) أخرجه النسائي (٤/ ١٠٩)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٠٤)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ٤١٢)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٣٢٦)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٥٢٥) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) في «ن»: ولا فعلاً.

من فوق سبع سموات، لجاهدته.

وضم الله عمرَ إلى باله، فخرج من تقدير الله له اسمٌ مضمومٌ مثقَّل على تقدير فُعَل، وكان له حظ[1] من البال حتى أعز[2] به الدين، ونصر به الرسول، ودعم ظهر الإسلام، فبه فتح الفتوح، وبه مَصَّر الأمصارَ، وبه أحيا سنن المرسلين، وترك المسلمين على الواضح من الطريق، فلم يقم أحد مقامه إلى يومنا هذا، فأكرم الله محمداً ﷺ، وأبرز كرامته وفضيلته بأن جعل لكل نبي من الأنبياء وزيراً، وجعل لمحمد ﷺ أربعة من الوزراء، فأبو بكر وعمر وزيرا الرسالة، وعلي وعثمان وزيرا النبوة، ثم نحلهم من الحظوظ من عنده، فحظ أبي بكر منه: العظمة، والحياء، وحظ عمر منه[3]: الحق، والوكالة، وحظ علي منه: الحرية، والخلة، وحظ عثمان: النور، والحياء.

قال له قائل: نور ماذا؟.

قال: نور الحق، فتفاوتُ[4] أعمالهم في صحبتهم الرسول أيام الحياة، وفي سيرتهم في الأمة بعده[5] على قدر حظوظهم.

فلما أحس رسول الله ﷺ بالارتحال إلى الله من الدنيا، وابتدئ له[6] في وجعه، وعجز عن الخروج إلى الصلاة بالأمة، أمر أبا بكر بالصلاة.

---

(١) في «ن»: وقوله حظاً.

(٢) في الأصل: عز، وما أثبتناه من «ن».

(٣) منه: زيادة من «ن».

(٤) في الأصل: بتفاوت، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: بعد.

(٦) في الأصل: وابتدائه، والمثبت من «ن».

تتابعت الروايات بذلك من وجوه شتى، كلهم ثقات، وتداولته ألسنة العامة خبراً متفقاً: أنه هو الذي ولي الصلاة، وكان من صنع الله للأمة: أن خفف الله عنه يوم قُبض، فخرج، والمسلمون في صلاة الغداة، ورجلاه تخطان في الأرض، حتى جلس إلى جنب أبي بكر، فصلى؛ ليعلم الجميع أن رسول الله ﷺ رضي بذلك من فعله؛ لئلا يبقى لمعاندٍ، أو طاعنٍ مقالٌ أنه لم يأمر بذلك في مرضه، وأنه كان مغلوباً على عقله؛ لشدة غلبة[1] المرض[2]، فأظهر الله ذلك بما خفف عنه، حتى خرج وقعد إلى جنبه، فصلى من حيث انتهى أبو بكر.

ثم صار المتأولون لذلك على صنفين: فقال قائلون: صلى بصلاة أبي بكر، وأبو بكر الإمام، وقال قائلون: بل رسول الله ﷺ الإمام، وأبو بكر المقتدي.

(١٢٠٦) ـ نا صالحُ بنُ عبدِالله، قال: نا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ، عن حميدٍ، عن أنسٍ، قال: «آخِرُ صَلاَةٍ صَلاَّهَا رَسُولُ الله ﷺ: خَلفَ أَبي بَكرٍ رضي الله عنه»[3].

---

(١) في «ن»: علته.

(٢) المرض: ليست في «ن».

(٣) أخرجه النسائي (٢/ ٧٩)، وفي «السنن الكبرى» (٨٦٠)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٥٩) من طريق إسماعيل بن جعفر، به.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢١٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١/ ٣٥٠)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٤٠٦)، وابن حبان في «الصحيح» =

(١٢٠٧) ـ نا محمدُ بنُ الفضلِ[1] السمسارُ، قال: نا محمدُ بنُ عمرَ الواقديُّ، قال: نا الضحاكُ بنُ عثمانَ، عن حبيبٍ مولى عروةَ، عن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ، قالت: سمعتُ أبي يقـول: «آخِرُ صَـلاَةٍ صَـلاَّهَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ خَلفِـي في ثَوبٍ وَاحِدٍ»[2].

فهذا أوضح حديث في هذا الباب؛ إذ حكاه أبو بكر، وهو أعلم بهذه القصة من جميع من كان في المسجد، فالصلاة عماد الدين، وأول شيء فرضه الله على المسلمين يوم أوحي إليه، والصلاة إقبال الله على العبيد؛ ليقبلوا إليه في صورة العبيد تذللاً وتسلماً وتبذلاً وتخضعاً وتخشعاً وترغباً وتملقاً.

فالوقوف تذلل، والتكبير تسـلم، والثنـاء والتلاوة تبـذل، والركوع تخضع، والسجود تخشع، والجلوس ترغب، والتشهد تملق.

فأقبل العبيد إلى الله بهذه الصورة؛ ليقبل الله عليهم بالترحم والتقبل[3]،

= (٢١٢٥) من طريق حميد، به.

إلا أن عند ابن حبان والطحاوي: حميد عن ثابت البناني، عن أنس.

(١) في الأصل: صالح بن محمد بن الفضل، والصواب ما أثبتناه، وسيعيده كما أثبتناه، والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١/ ٢٧٨)، وأبو يعلى في «المسند» (٥١)، من طريق الضحاك بن عثمان، به.

(٣) في «ن»: والتعطف والتقبل.

والتكرم والتقرب والتكنف، فليس شيء من أمر الدين أعظم من هذا.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «الصَّلاَةُ عِمَادُ الدِّينِ»[1].

وقال في حديث آخر: «الصَّلاَةُ نُورٌ»[2].

وقال: «لاَ يَزالُ اللهُ تَعالى مُقبِلاً عَلى العَبدِ بِوجهِهِ مَا دَامَ العَبدُ في صَلاتهِ، وَإِنَّ اللهَ لَينَصِبُ لأَحدِكُم وَجهَهُ مَا دَامَ العَبدُ مُقبِلاً عَليهِ»[3].

وقد رخص في الدخول في أعمال[4] البر كلها، والعبد محدِثٌ على غير وضوء، وجوز له ذلك، إلا الصلاة، فإنها لا تجوز بغير طهور، وأنزل من السماء ماء طهوراً؛ ليتطهر العبد للقيام منتصباً بين يديه، مقبلاً بما ذكرنا من الخلال؛ لينال من الإقبال[5] عليه ظاهر ما وصفنا، ولم نصف بعد شيئاً مما ينال من إقباله عليه[6] في الباطن، فلذلك قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٩) من حديث عمر رضي الله عنه.
وانظر: «الدر المنثور» (١/ ٧٠٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧)، والنسائي (٥/ ٥)، وابن ماجه (٢٨٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٢)، وابن حبان في «الصحيح» (٨٤٤) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٣) أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٢٦٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «لا يزال الله مقبلاً على العبد بوجهه ما لم يلتفت أو يحدث».
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٨١): أخرجه الطبراني في «الكبير»، وأبو قلابة لم يسمع من ابن مسعود.

(٤) في «ن»: جميع أعمال.

(٥) في «ن»: إقباله.

(٦) في «ن»: عليه ظاهر.

«إِنَّ اللهَ جَعلَ قُرَّة عَيني في الصَّلاةِ»[1].

وكان ينشر من منة الله عليه في أمر الصلاة:

(١٢٠٨) ـ ما نا به الجارودُ، عن عمرَ بنِ هارونَ، عن حمادِ بنِ سلمةَ، عن عليٍّ بنِ زيدٍ، عن يوسفَ بنِ مِهرانَ، عن ابنِ عباسٍ، عن رسولِ الله ﷺ، قال: «أَتَاني جِبريلُ عليه السلام، فَقالَ: إنَّه حُبِب إليكَ الصَّلاةُ، فَخُذ مِنهَا مَا شِئتَ»[2].

قال أبو عبدالله:

فقد حببت[3] الصلاة إلى الأنبياء كلهم، ولكن من حظه حببت[4] إليه،

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢٢٠) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.
وأخرج النسائي (٧/ ٦١)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٢٨)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٤٨٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٢٤١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ: «حبب إلي النساء، والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة».
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٤٥)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ٢٢٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٢١٥) من طريق حماد بن سلمة، به.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٧٠): أخرجه أحمد، والطبراني في الكبير»، وفيه: علي بن زيد، وفيه كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) في «ن»: حبب.

(٤) في «ن»: حبب.

فإبراهيم عليه السلام من الخلة، وموسى من المناجاة[1]، وعيسى من الروح، ويحيى من الحياة والحنان، ومحمد من الحب ـ عليهم صلوات الله ـ، فلذلك قال له: خذ منها ما شئت، فلكل ممن تقدم شيء مقدر، وأبيح لمحمد كلها، وكذلك وجدنا[2] فيما[3] سواها: أن لمحمد ﷺ من ربه بحر المشيئة[4]، ولمن سواه منه من المشيئة أنهار وأودية، فكل واحد[5] إنما ينال من الصلاة من مقامه.

فالأنبياء والأولياء من بعدهم لهم مقاوم، ينالون من الصلاة من مقاومهم، وليس للزهاد ولا للعباد ولا للمتقين مقام إلا مقام الصدق، ومجاهدة الوسوسة، ومن بعدهم من المسلمين عامة، فلهم مقام[6] التوحيد في الصلاة، والوسواس معهم بلا مجاهدة، فالأنبياء والأولياء في مفاوز الملكوت، وليس للشيطان أن يدخل في تلك المفاوز، وما وراء المفاوز حجب وبساتين شغلت القلوب بما فيها عن أن يخطر[7] ببالهم ما وراءها.

فذلك الذي قال رسول الله ﷺ من ذكره[8] قرة العين.

فأبو بكر وعمر لهما وزارة[9] الرسالة، وعثمان وعلي لهما وزارة النبوة،

---

(١) في «ن»: النجوة.

(٢) في الأصل: وجد، والمثبت من «ن».

(٣) في الأصل: بأسماء، والمثبت من «ن».

(٤) في الأصل: بحراً لمشيئته، والمثبت من «ن».

(٥) واحد: ليست في «ن».

(٦) في الأصل: مقاوم، والمثبت من «ن».

(٧) في الأصل: بما فيها لن يخطر، والمثبت من «ن».

(٨) في الأصل: ذكر، والمثبت من «ن».

(٩) في «ن»: من وزارة.

وحاجة الخلق إلى الرسالة.

ولذلك أمر رسول الله ﷺ بالاقتداء بهما[1].

(١٢٠٩) ـ نا بذلك إبراهيمُ بنُ إسماعيلَ بنِ يحيى بنِ سلمةَ بنِ كهيلٍ، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن سلمةَ بنِ كهيلٍ، عن أبي الزعراء، عن عبدِالله بنِ مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اقتَدُوا بِاللَّذَينِ مِن بَعدِي: أَبي بَكرٍ، وَعُمَرَ»[2].

(١٢١٠) ـ نا زيادُ بنُ الخزاعيِّ البصريُّ، عن سفيانَ، عن عبدِ الملكِ بنِ عميرٍ، عن رِبعِيِّ بنِ حراشٍ، عن حذيفةَ، عن رسولِ الله ﷺ: أنه قال: «اقتَدُوا بِاللَّذَينِ مِن بَعدِي: أَبي[3] بَكرٍ وَعُمَرَ»[4].

---

(١) في «ن»: بهم.

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٧/ ١٩٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٢٢٧) من طريق يحيى بن سلمة، به.

(٣) في «ن»: أبو.

(٤) أخرجه الحميدي في «المسند» (١/ ٢١٤)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٣٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٤٣٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ١٤٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٠٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٤٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٤٢٢) من طريق سفيان، به.

وفي بعض الطرق زيادة بين سفيان وعبد الملك. =

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالحاجة بالخلق إلى الاقتداء بالرسالة، فلو أعطى وزارة الرسالة غيرهما، لأمر بالاقتداء بمن سواهما، فلذلك أمر رسول الله ﷺ بما عليه مدار الدين، وهو عماد الدين أبا بكر أن يتقدم؛ لتتبعه الأمة، وتقتدي به، فكل[1] شيء من الشريعة من الحدود والأحكام والرعاية، فهو دون الصلاة.

وقال رسول الله ﷺ: «الإمامُ ضَامنٌ»[2].

فمن ذا الذي يعلم كنه هذا الضمان؟ ماذا ضمن هذا الإمام عن المأمومين؟ وماذا ضمن هذا الإمام للمأمومين؟

هذا باب لا ينكشف غطاؤه إلا للعارفين.

فلما رأى أبو بكر رضي الله عنه قوة ما أعطي من تقلده لضمان[3] الصلاة عن الله لعبيده، وعن العبيد لله، ثم[4] عن رسول الله ﷺ بعد وفاته، علم أن الله مؤيده فيما دون الصلاة من أمور الشريعة، وتقلده خلافة[5] رسول الله لأمته، ولذلك قال المهاجرون والأنصار في وقت المشورة: قدمك رسولُ الله ﷺ للصلاة،

= وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٠) من طريق عبد الملك، به.

(١) في الأصل: بكل، والصواب من «ن».

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٧)، والترمذي (٢٠٧)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٢)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٣/ ١٥)، وابن حبان في «الصحيح» (١٦٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في «ن»: من ضمان.

(٤) ثم: زيادة من «ن».

(٥) في «ن»: بخلافة.

فمن يؤخرك؟[1].

وقال عمر رضي الله عنه: يقول الله تعالى في كتابه: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ من هو[2]؟ ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ من هما؟ ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ من صاحبه؟[3] ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠] مع من؟ ابسط يدك، فبايعوه[4].

(١٢١١) ـ نا أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: نا يحيى بنُ يعلى المحاربيُّ، قال: نا زائدةُ بنُ قدامةَ الثقفيُّ، قال: نا عاصمُ بنُ أبي النجودِ الأسديُّ، عن زِرٍّ[5]، عن عبدِالله، قال: لما قُبض رسولُ الله ﷺ، قالت الأنصار: مِنَّا أميرٌ، ومنكم أميرٌ، فبلغ ذلك عمرَ، فأتاهم، فقال: يا معشرَ الأنصار! ألستم تعلمون أن رسولَ الله ﷺ قال: «مُروا[6] أَبَا بَكرٍ فَلْيُصَلِّ[7] بِالنَّاسِ»؟

---

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ١٣٢).

(٢) من هو: ليست في «ن» ولعله الصواب.

(٣) من صاحبه: ليست في «ن».

(٤) أخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ٣٣٧)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ١٤٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٥٦)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص: ٣٤٩) عن سالم بن عبيد.

قال الهيثمي «مجمع الزوائد» (٥/ ١٨٢ ـ ١٨٣): رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

(٥) في الأصل: زبير، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: مر، والصواب من «ن».

(٧) في «ن»: أن يصلي.

فأيكم تطيبُ نفسُه أن يتقدم أبا بكر؟[1] فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر[2].

(١٢١٢) ـ نا إبراهيمُ البغداديُّ[3] قال: نا حسينٌ الجعفيُّ، عن زائدةَ، عن عاصمٍ، عن زِرٍّ، عن عبدِالله، عن رسولِ الله، بمثله[4].

(١٢١٣) ـ نا أبي رَحِمَهُ اللهُ، قال: نا أحمدُ بنُ يونسَ، عن زائدةَ، عن موسى بنِ أبي عائشةَ[5]، عن عبيدِالله بنِ عبدِالله، قال: دخلتُ على عائشةَ، فحدثتني عن مرض رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٨٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٢٧١) من طريق زائدة، به.
وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٨٨) من طريق عاصم، به.

(٢) فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر: زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: إبراهيم بن يعيش البغدادي.

(٤) أخرجه النسائي (٢/ ٧٤)، وفي «السنن الكبرى» (٨٥٣)، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٩٦)، وفي «فضائل الصحابة» (١/ ١٨٢)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢٢٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ١١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٥٢) من طريق حسين بن علي الجعفي، به.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٥) في الأصل: شيبة، والصواب ما أثبتناه.

فقالت: إنه لما ثَقُل، أرسل إلى أبي[1] بكر بأن يصلِّيَ بالناس، قال عبيدُالله: فدخلتُ على ابن عباسٍ، فعرضت عليه حديثَها، فما أنكرَ منه[2] شيئاً، قال: فخرج رسولُ الله ﷺ آخرَ يومٍ، وأبو بكر في الصلاة، فذهبَ ليتأخرَ، فأومَأَ إليه النبيُّ عليه السلام أن لا يتأخرَ، وقال للعباسِ ولرجلٍ آخر: «أَجلِسانِي إلى جَنبِهِ»، فأجلساه إلى جنب أبي بكر، فجعل أبو بكر يصلي وهو قائمٌ بصلاة النبي عليه السلام، والنبيُّ قاعدٌ، والناسُ يصلون بصلاة أبي بكر[3].

(١٢١٤) ـ نا سفيانُ بنُ وكيعٍ، قال: نا أبي، عن الأعمشِ، عن إبراهيمَ، عن الأسودِ، عن عائشةَ، قالت: لما مرضَ رسولُ الله ﷺ مرضَه الذي مات فيه، جاءه بلالٌ يُؤْذِنُهُ بالصلاة، فقال ﷺ: «مُرُوا أَبَا بَكرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»،

---

(١) في «ن»: أبو.

(٢) منه: زيادة من «ن».

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٥)، ومسلم (٤١٨)، والدارمي في «السنن» (١/ ٣٢٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٨٠) من طريق أحمد بن يونس، به.
وأخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٥١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ١١٨)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢١٨)، وابن حبان في «الصحيح» (٢١١٦) من طريق زائدة، به.

فقلت: إن أبا بكر رجلٌ أَسِيفٌ، ومتى ما يقومُ مقامَك يبكي، فلا يستطيعُ، فلو أَمرتَ عمرَ يصلِّي بالناس، قال: «مُرُوا أَبَا بَكرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ؛ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبَاتُ[1] يُوسُفَ».

قالت[2]: فأرسلنا إلى أبي بكر، فخرج فصلَّى بالناس، ووجد رسولُ الله ﷺ من نفسه خِفَّةً، فخرج وهو يُهادَى بين رجلين، ورجلاه تَخُطَّان بالأرض، فلما أحسَّ أبو بكر، ذهب ليتأخرَ، فأومَأَ إليه النبيُّ ﷺ: أَنْ مكانَكَ، فجاء النبيُّ حتى جلس إلى جنبه، فكان أبو بكر يَأْتَمُّ بالنبيِّ، والناسُ يأتَمُّون بأبي بكرٍ[3].

---

(١) في «ن»: صواحب.

(٢) في «ن»: قال.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٢٣٢)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٢١٠)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٣/ ٥٣)، وابن حبان في «الصحيح» (٢١٢٠) من طريق وكيع، به.
وأخرجه البخاري (٦٣٣)، ومسلم (٤١٨)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (٣/ ٨٣١)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٨٧٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٩٤) من طريق الأعمش، به.
وأخرجه مسلم (٤١٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٢٧٣)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٢٢٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ١١٨)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (٢/ ١١٠)، وابن حبان في «الصحيح» (٢١٢٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ٢٥٣) من طريق عائشة، به.

(١٢١٥) ـ نا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، قال: نا حميدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الرؤاسيُّ، عن سلمةَ بنِ نبيطٍ، عن نعيمٍ، أراه عن نبيطٍ، عن عن سالمِ بنِ عبيدٍ، وكان من أهل الصُّفَّة، قال: أُغمي على النبيِّ ﷺ في مرضه، فأفاق، وقال: «حَضَرتِ الصَّلاةُ؟». قالوا: نعم، قال ﷺ: «مُروا بِلالاً فَليؤَذِّن، وَمُروا أَبَا بَكرٍ فَليُصَلِّ بِالنَّاسِ». قالت عائشة: إن أبي رجل أَسيفٌ، فقال: «إِنَّكنَّ صَواحباتُ يُوسفَ، مُروا بِلالاً فَليُؤَذِّن، وَمُروا أَبَا بَكرٍ فَليصَلِّ بِالنَّاسِ». ففعلوا، فلما أُقيمت الصلاة، قال النبيُّ ﷺ: «ادعُ لي إِنساناً أَعتَمدُ عَليهِ». فجاءت بَريرةُ، وآخرُ معها، فاعتمد عليهما، وإن رجليه لتخُطَّان بالأرض، وأبو بكر يصلِّي بالناس، فجلس إلى جنبه، فذهب أبو بكر ليتأخرَ، فحبسه حتى فرغ من الصلاة، ثم تُوفي ﷺ[1].

(١٢١٦) ـ نا صالحُ بنُ عبدِالله، قال: نا إسماعيلُ

---

(١) أخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ٣٣٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧١١٩)، وابن ماجه (١٢٣٤)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ١٤٢)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ ١٢)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٣/ ٥٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٥٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٧١) من طريق سلمة بن نبيط، به.

ابنُ جعفرٍ، عن حُميدٍ، عن أنسٍ، قال: آخرُ صلاةٍ صلاها رسولُ الله ﷺ في ثوبٍ واحدٍ، وقعد متوشِّحاً خلفَ أبي بكر رضي الله عنه[١].

قال أبو عبدالله:

فحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ حيث قالت: فجعل أبو بكر يصلي بصلاة النبي ﷺ وهو قاعد لجنبه[٢] ظَنٌّ من عائشة، هكذا حسبت، وهي في البيت، وأنسٌ خارجٌ مع رسول الله على رأي العين، والدليل على ذلك: أن القول قول أنس: إن رسول الله ﷺ خرج، فجلس إلى جنب أبي بكر، فذهب أبو بكر يتأخر، فحبسه، فلو كان رسول الله ﷺ هو الإمام، لكان[٣] لا يحبسه عن التأخر، وكان يقوم مقام الأئمة.

ومما يحقق ذلك:

(١٢١٧) ـ ما نا به محمدُ بنُ الفضلِ السمسارُ، قال: نا محمدُ بنُ عمرَ الواقديُّ، قال: نا الضحاكُ بنُ عثمانَ، عن حبيبٍ مولى عروةَ، سمع أسماءَ بنتَ أبي بكر تقول: رأيتُ أبي يصلِّي في ثوب واحد، وثيابه موضوعة، فقلت له في ذلك، فقال: آخرُ صلاة صلاها رسولُ الله خلفي في ثوب واحد[٤].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) لجنبه: زيادة من «ن».

(٣) لكان: زيادة من «ن».

(٤) تقدم تخريجه.

قال أبو عبدالله:

فأبو بكر ﷺ أعلمُ بهذه القصة من كان الإمام، ومن المأموم من عائشة، ومن أنس، ومن الجميع، فاستحكم تقديمُ أبي بكر على جميع أصحابه في الصلاة من هذه الوجوه، وبخروج رسول الله ﷺ في اليوم الذي قُبض فيه، وقوله لعائشة: «إنَّكنَّ صَواحِبات[1] يُوسفَ»، فعد ذلك القول منها زيغاً وفتنة عن الطريق، وأنكر عليها.

(١٢١٨) ـ نا عبدُالله بنُ أبي زيادٍ القطوانيُّ، قال: نا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ بنِ سعدٍ، قال: نا أبي، عن ابنِ إسحاقَ، قال: حدثني عبدُ الملكِ بنُ أبي بكرٍ، عن أبيه، عن عبدِالله بنِ زمعةَ بنِ الأسودِ بنِ المطلبِ، قال: لما استقرَّ برسول الله ﷺ، ونحن عنده في نفر من المسلمين، وبلال يُؤذِنُه بالصلاة، فقال ﷺ: «مُرُوا مَن يُصلِّي بِالنَّاسِ»، فخرجت، فإذا عمر[2] في الناس، وكان أبو بكر غائباً، فقلت: يا عمرُ! صلِّ بالناس، فقام، فلما كبر، سمع رسولُ الله ﷺ صوتَه[3]، وكان عمر رجلاً مجهراً، فقال: «هذا صوتُ ابنِ الخطاب، فأينَ أَبو

---

(١) في «ن»: صواحب.

(٢) في الأصل: نحن، والصواب من «ن».

(٣) صوته: زيادة من «ن».

بكرٍ؟ يأبى[1] الله ذلكَ، والمسلمونَ»، فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صــلى عمرُ تلك الصــلاة[2]، فقال عمر: ويحك يا ابن[3] زمعة! ماذا صنعت بي؟ ما ظننتُ إذ قلتَ لي إلا أن رسولَ الله أمَرَكَ بذلك، ولولا ذلك، ما صليت بالناس، فقال: والله! ما أمرني به رسولُ الله ﷺ، ولكن لم أر أبا بكرٍ، فرأيتك أحقَّ مَنْ حضرَ بالصلاة[4].

قال أبو عبدالله:

فهذا في مبتدأ علته في بيت ميمونة من قبل أن يحول إلى بيت[5] عائشة، ثم كان الكلام الذي كان من عائشة بعد ذلك.

---

(١) في الأصل: أبى، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: تلك الصلاة فصلى بالناس.

(٣) ابن: ليست في «ن».

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٢٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٢٦٢) من طريق يعقوب، به.

وأخرجه أبو داود (٤٦٦٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ١١)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٤٣) من طريق ابن إسحاق، به.

وهو عند الجميع عن ابن إسحاق، قال: حدثني الزهري عن عبد الملك، به، وكأنه سقط عند المصنف، والله أعلم.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٥) بيت: ليست في «ن».

ومما يحقق ما قلنا: أن أبا بكر وعمر وزيرا الرسالة، ومن بعدهما وزيرا النبوة:

(١٢١٩) ـ ما نا به أبي رَحِمَهُ اللهُ، قال: نا الحمانيُّ، قال: نا أبو بكرِ بنُ عياشٍ، قال: نا أبو المهلبِ، عن عبيدِالله بنِ زحرَ، عن عليِّ بنِ يزيدَ، عن القاسمِ، عن أبي أمامةَ، قال: قال رسـولُ الله ﷺ: «إِنِّي رَأَيتُنـي أُدخِـلتُ الجَنَّـةَ، فَلَمَّا خَرَجتُ مِنهَا، أُتِيتُ بِكِفَّةٍ، فَوُضِـعتُ فِيهَا، وَوُضِـعَت أُمَّتِي في الكِفَّةِ الأُخرَى، فَرَجَحَت بِأُمَّتِي، ثُمَّ رُفِعَت، ثُمَّ جِيء بِأَبي بَكرٍ، فَوُضـعَ في كِفَّةِ المِيزَان، وَجِيء بِأُمَّتي، فَوُضِـعَت في الكِفَّةِ الأُخرَى، فَرَجَحَ بِأُمَّتِي، ثُمَّ رُفِعَ أَبُو بَكرٍ، وَجِيءَ بِعُمَرَ، فَوُضـعَ في كِفَّةِ المِيزَانِ، وَجِيءَ بِأُمَّتي، فَوُضِـعَت في الكِفَّةِ الأُخرَى، فَرَجَحَ بِهَا، ثُمَّ رُفِعَ المِيزَانُ إِلى السَّمَاءِ»[١].

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

---

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١١/ ٢٦٠) لأبي نعيم في «فضائل الصحابة» عن أبي أمامة رضي الله عنه.

وأخرجه الحارث في «المسند» (٢/ ٨٩٠ زوائد الهيثمي) من طريق أبي بكر بن عياش، به.

وقد تقدم مراراً أنه إسناد ضعيف، والله أعلم.

فرؤيا الأنبياء كلها حق، ليس يخالطها من العدو شيء، فكأنه أعلم الأمة ما أعطي أبو بكر من قوة الوزارة حتى قابل بها جميع الأمة، وعمر في الأمة[1]، ثم أعلم قوة وزارة عمر بما قابل به الأمة، وأبو بكر خارج من الأمة؛ لأنه قد كان رفع من الكفة وعمر في الأمة شيء[2]، ثم رفع الميزان، يدلك على أن وزارة الرسالة كانت فيهما.

(١٢٢٠) ـ نا رزقُ الله بنُ موسى الناجيُّ البصريُّ، قال: نا مؤملُ بنُ إسماعيلَ، قال: نا حمادُ بنُ سلمةَ، قال: نا سعيدُ بنُ جمهان[3]، عن سفينةَ مولى أمِّ سلمةَ، قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا صلى الصبحَ، أقبل على أصحابه، فقال: «أَيُّكُم رَأَى اللَّيلَةَ رُؤيَا؟»، قال: فصلى ذاتَ يوم، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أَيُّكُم رَأَى اللَّيلَةَ رُؤيَا؟»[4]، فقال رجل: أنا يا رسولَ الله، رأيت كأن ميزاناً أُدلِيَ من السماء، فوُضِعْتَ في كِفَّة الميزان، ووضع أبو بكر في كِفَّةٍ أخرى، فرجَحْتَ

---

(١) وعمر في الأمة: زيادة من «ن».

(٢) وعمر في الأمة شيء: ليست في «ن».

(٣) في الأصل: جهمان، والصواب من «ن».

(٤) قوله: قال: فصلى ذات يوم ثم أقبل على أصحابه فقال: «أيكم رأى الليلة رؤيا؟»: زيادة من «ن».

أنت بأبي[1] بكـر، فَرُفعـتَ، وتُرك أبو بكـر، فجيء بعمـرَ، فوُضع في الكفة الأخرى، فوزن بأبي بكر[2]، فرجح أبو بكر بعمرَ، ورُفع أبو بكر، وتُرك عمرُ مكانَه، فجيء بعثمان، فوُضع في الكِفة الأخرى، فرجح عمرُ بعثمانَ، ورُفع عمرُ، وتُرك عثمانُ مكانَه، فجيء بعليٍّ، فوضع في الكِفة الأخرى، فرجح عثمانُ بعليٍّ، ورُفع الميزان. فتغيرَ وجهُ رسولِ الله ﷺ، ثم قال: «خِلاَفَةُ نُبُوَّةٍ ثَلاثِينَ عَامَاً، ثُمَّ يَكُونُ مُلكاً».

فقال لي سفينة: أمسك سنتي أبي[3] بكر، وعشرَ عمر، وثنتي عشر عثمان، وستَّ علي[4].

قال أبو عبدالله:

فمضى أبو بكر رضي الله عنه محموداً بنعمة الله عليه في الخلافة، ثم نظر بحظه من الله، وبما وجد من تأييد الله[5] بعد الرسول عليه السلام نظراً شافياً لحق[6] الله،

---

(١) في «ن»: أبا.

(٢) فوضع في الكفة الأخرى، فوزن بأبي بكر: زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: أبو.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٥) من طريق المؤمل بن إسماعيل، به.
وقال: وقد أسندت هذه الروايات بإسناد صحيح، مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

(٥) في الأصل: تأييد الخلافة، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: بحق، والصواب من «ن».

ثم لنفسه، فلم يجد[1] أحداً أحق بأن يخلف خلافة رسول الله من عمر، فقد كان وزراء[2] النبوة وأنصار النبوة حوله، فاختار منهم عمرَ، ورأى الحق له حتى جادلوه فقالوا له: استَخلَفتَ علينا فظاً غليظاً، فماذا تقول لربك؟ قال: أتهددوني وتخوفوني[3] بربي؟ أقول: استخلفتُ عليهم يا ربِّ خيرَ أهلك.

فانظر إلى صلابة قلبه، وانبلاج الحق في صدره في وقت حضور أمر الله، وإشرافه على المقدم على الله ماذا خرج من لسانه؟ يحكم أنه يقول لربه: خير أهلك، فإنما أنطقه لسان الحق باليقين الواضح، فمضى لسبيله، وولي الصلاة عمرُ، وما بعد الصلاة من أمور الأمة، فحقق الله[4] فراسة أبي بكر وإلهامه، فوطأ الإسلام، ومهّده وزينه، وملأه زياً من العز.

وكان الإسلام بمنزلة ضيف بعثه الله إلى الخلق على يدي أحب خلقه إليه[5]، وأطهرهم وأنزههم، وأعظمهم أمانة، فآواه طائفة قليلة مستضعفة، فلم يتهيأ لهم إيواؤه، وطردته العامة، فنصر الله هذه الطائفة المستضعفة، وهيَّأ لهم دار الهجرة، وأنشأ لهم علم النصرة بالأنصار، فتبوؤوا الدار والإيمان، وأحبوا من هاجر إليهم، وآثروهم على أنفسهم، حتى صارت الفئة القليلة المستضعفة كثيرة مؤيدة منصورة، وكسر الله قرن الكفر،

---

(١) في «ن»: ير.

(٢) في الأصل: وزيرا، والمثبت من «ن».

(٣) في «ن»: أتهددونني وتخوفونني.

(٤) في «ن»: فحقق ﷺ.

(٥) إليه: ليست في «ن».

وأكمل الله الدين بالوحي المنزل.

وقبض الرسول ﷺ إلى ما عنده، فامتحن الله المؤمنين بجولة الباطل أن ارتدت العرب، فقام أبو بكر رضي الله عنه، وسل سيف الله، وتحرك لأمره حتى رد هذا الضيف الذي أنكروه، فلم يزل في مدته متجرداً لأمر الله، يبعث[1] السرايا حتى رد هذا الضيف[2] إلى السرر[3] والمهاد، فلم يمهل، وقبضه الله إلى ما عنده، وتوسم في عمر رضي الله عنه[4] سمات الله، فاستخلفه.

وقد تقدم القول من رسول الله ﷺ في المقال: أنه قال: «مَا مِن أُمَّةٍ إِلاَّ وَفِيهَا مُحَدَّثٌ، فَإِن يَكُن في أُمَّتِي، فَعُمَرُ مِنهُم».

(١٢٢١) ـ نا بذلك عبدُ الجبارِ، عن سفيانَ، عن ابنِ عجلانَ، عن أبي سلمةَ، عن عائشةَ، عن رسولِ الله ﷺ[5].

---

(١) في «ن»: فبعث، والثبت من «ن».

(٢) في «ن»: الصنف.

(٣) في «ن»: السرير.

(٤) في «ن»: عنهما.

(٥) أخرجه إسحاق بن راهويه في «المسند» (٢/ ٤٧٩)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٨٩٤)، والسلفي في «مشيخة ابن الحطاب» (ص: ٢٨١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٩١) من طريق سفيان، به.

وأخرجه الترمذي (٣٦٩٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨١١٩)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٥٥)، وفي «فضائل الصحابة» (١/ ٣٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٩٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٩١) من طريق ابن عجلان، به. =

(١٢٢٢) ـ ونا أحمدُ بنُ أبي بكرٍ العمريُّ، قال: نا ابنُ أَبي أُويسٍ، عن نافعِ[1] بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي نعيمٍ المقرئِ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، عن رسولِ الله ﷺ، قال: «إِنَّ اللهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلبِـهِ»[2].

وما روي عنه ﷺ: أنه قال: «الحَقُّ بَعدِي مَعَ عُمَرَ حَيثُ كَانَ».

= وهو عند الجميع من رواية سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة، فكأنه سقط عند المصنف، والله أعلم.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

قلت: أخرجه مسلم (٢٣٩٨) من طريق سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة، به.

وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٣٥٥)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٣٣٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٩٥) من طريق عائشة، به.

وأخرجه البخاري (٣٢٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) في الأصل: محمد، والصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٥٣)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ٢٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ١٠٣) من طريق نافع بن عبد الرحمن، به.

وأخرجه الترمذي (٣٦٨٢)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٣٥٩)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ٢٠٧)، وتمام في «الفوائد» (٢/ ١٩)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٨٩٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ٨٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ١٠٤) من طريق نافع، به.

وقال الترمذي: وفي الباب: عن الفضل بن العباس، وأبي ذر، وأبي هريرة، وهذا حديث حسن غريب.

(١٢٢٣) ـ نا أبي رَحِمَهُ اللهُ، قال: نا أبو نعيمٍ الطحانُ، قال: نا معنُ بنُ عيسى القزازُ، عن الحارثِ بنِ عبدِ الملكِ، عن القاسمِ بنِ يزيدَ بنِ عبدِالله بنِ قسيطٍ[1]، عن عطاءِ بنِ أبي رباحٍ، عن ابنِ عباسٍ، عن أخيه الفضلِ بنِ عباسٍ: أن رسولَ الله ﷺ خطبهم في شكواه الذي توفي فيه، فقال في خطبته: «الحَقُّ بَعدِي مَعَ عُمَرَ حَيثُ كَانَ»[2].

وما روي عنه ﷺ أنه قال: «لَو كَانَ بَعدِي نَبِيٌّ، لَكَانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ».

---

(١) في الأصل: قسط، والصواب من «ن».

(٢) أخرجه البزار في «المسند» (٦/ ٩٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٨٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٢٨٠)، وفي «المعجم الأوسط» (٣/ ١٠٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ١٢٦) من طريق معن بن عيسى، به.

وهو عندهم عن القاسم بن يزيد عن أبيه، عن عطاء، به، فلعله سقط عند المصنف، والله أعلم.

وأخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ١٥٠)، وابن عساكر (٤٤/ ١٢٦) من طريق ابن لهيعة عن عطاء، عن ابن عباس.

قال علي بن المديني: هو عندي عطاء بن يسار، وليس لهذا الحديث أصل من حديث عطاء بن أبي رباح، ولا عطاء بن يسار، وأخاف أن يكون عطاء الخراساني؛ لأن عطاء الخراساني يرسل عن عبدالله بن عباس.

والحديث منكر. انظر: «لسان الميزان» (٤/ ٤٦٧) ترجمة القاسم بن يزيد.

(١٢٢٤) ـ نا بذلك سليمانُ بنُ نصير[1]، قال: نا المقرئُ، عن حيوةَ بنِ شريحٍ، عن بكرِ بنِ عمرٍو المعافريِّ، عن مشرحِ ابنِ هاعانَ، عن عقبةَ بنِ عامرٍ الجهنيِّ، عن رسولِ الله ﷺ: أنه قال: «لَو كَانَ بَعدِي نَبيٌّ، لَكَانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ»[2].

فهذه الأشياء قد امتثلها أبو بكر مع إلهامه وفراسته، فاستخلفه، ففتح الله الفتوح على يده، ومَصَّر الأمصار، ودرَّر الأرزاق، وبث السرايا وجنودَ الله في نواحي أقطار الأرض، حتى تمهد الإسلام في الوطن الذي منه بدأ، وصار

---

(١) في الأصل: نصر، والمثبت من «ن».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٨٦)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٥٤)، وفي «فضائل الصحابة» (١/ ٣٥٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٩٢)، والقطيعي في «جزء الألف دينار» (ص: ٣٠٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٣٨٤) من طريق المقرئ، به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث مشرح بن هاعان.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٤٣٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ١١٤) من طريق حيوة، به.

وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٣٤٦)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ١٥٥) من طريق مشرح، به.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٣١٠) من طريق عقبة، به.

كالجبال الرواسي، وارتبع وانبسطت[1] أكارعه، وامتدت ثغوره، وانفسحت مقاومه، فأكرمه الله بالشهادة، ففوض ذلك[2] إلى ستة نفر؛ إذ كمنَ[3] فيهم كلٌّ[4] أركان من الخير، وأحسن بهم الظن.

ولو وجد في واحد منهم مساغاً للفراسة[5]، أو حظاً من الإلهام[6]، لنصه[7] باسمه، ولكنه انسدَّ عليه باب الفراسة، وانقطع حظ الإلهام، فرأى التفويض إلى هؤلاء خيراً من الإهمال لأمر أمة محمد ﷺ، ورأى أن في[8] الستة إذا اجتمعوا بحظوظهم من الله ما يفي بذلك الحظ أن يريهم الحق، ومن يصلح للأمة، فقبض إلى الله، وترك الأمر شورى بينهم، فاختاروا من بينهم واحداً بعد الاحتياط والتأني والتشاور.

وافتقدت الأمة وزارة الرسالة، وحضرت نوبة وزارة النبوة، فاتفق أمر الستة على أحد[9] وزيري النبوة، إذ لم يبق في الستة إلا هذان[10] من

---

(١) في الأصل: وانبسط، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: بذلك، والصواب من «ن».

(٣) إذ كمن: زيادة من «ن».

(٤) كل: زيادة من «ن».

(٥) في الأصل: للإلهام، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: الفراسة، والصواب من «ن».

(٧) في الأصل: لنص، والصواب من «ن».

(٨) في: ليست في «ن».

(٩) في الأصل واحد، والصواب من «ن».

(١٠) في «ن»: هذين.

الأربعة الوزراء علي وعثمان، فلم يزالوا يستخيرون الله، ويميلون بين الصفقتين، حتى اتفقوا على عثمان.

ثم أقبلت الدنيا، وجاء كفران النعمة، وهاجت الفتنة، وعز اليقين، وأدبر الحق راجعاً إلى الله عند[1] إقبال الدنيا، وذهبت حياة القلب بكفران[2] النعمة، وتبديل الأمور، وغلبة الهوى، حتى قتل عثمان ﷺ، فجاءت نوبة علي، والزمان بتلك الحالة، فلم يكن لوزارة النبوة من القوة ما يقوم مقام أبي بكر، ولا مقام عمر، بايعوا أبا بكر، وسلُّوا على أهل الردة سيوفهم، فلم يغمدوها، ولم يخذلوه، ولم ينكثوا البيعة.

وبقي السيف مسلولاً إلى انقضاء وزارة الرسالة بموت عمر، وبايعوا علياً في وقته، ثم نكثوا بيعته، وسلُّوا السيوف له، ثم خرجوا عليه مارقين حرورية، وآخرون بايعوه، وسلُّوا السيوف[3]، وهم أهل الكوفة، ثم خذلوه.

وآخرون: امتنعوا من بيعته، وحاربوه، وأبوا خلافته، ولو كانت له وزارة الرسالة، لأتته نصرة الرسالة، فصارت القلوب كلها له كقلبٍ واحد، وكانت الفئة المستضعفة غالبة على الفئة الكثيرة، كما كان في زمن أبي بكر، فمن خفي عليه هذا السبيل الذي شرحنا، وهذه الصفة التي وصفنا يلحظ إلى علي[4] بسبب القرابة والختونة، وإلى معانٍ ليست من هذا الأمر

---

(١) عند: ليست في «ن».

(٢) في الأصل: لكفران، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: السيوف له، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: شرحناه وهذه الصفة فإنما تهوَّد يعلم من تلقاء نفسه فلحظ إلى علي.

في[1] شيء، إنما هذا أمر الرسالة، وأمر الأمة إنما يقوم بها القائم، ويقوى بها بحظه من الله الذي ضمن حشو الرسالة.

فمن لحظ إلى القرابة والميراث، وإلى مقالات جاءت عن رسول الله ﷺ: «مَن كُنتُ مَولاَهُ، فَعَلِيٌّ مَولاَهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَن وَالاَهُ، وَعَادِ مَن عَادَاهُ»[2]، فقد أخذ[3] سبيل المتجبرين، ولعلي من الفضائل والمناقب ما يستحق أن يوالي من والاه، ويعادي من عاداه، فليس في هذا القول من الموالاة والمعاداة ما يثبت له الخلافة لرسول الله ﷺ في الأمة، ويختار على أبي بكر، وقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾[محمد: ١١].

والله مولى المؤمنين، ورسول الله مولى المؤمنين، وكل من مضى بعد رسول الله ﷺ على سبيله[4]، وكان له تابعاً على سبيله، فهو مولى المؤمنين، فهذه كلمة جامعة، وإن كان قد خص بها[5] علي ـ كرم الله وجهه ـ في وقت من الأوقات.

(١٢٢٥) ـ نا أحمدُ بنُ الحنظليِّ، قال: نا شَبابةُ[6] بنُ

---

(١) في «ن»: من.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٨١٤٨)، وأحمد في «المسند» (١/ ١١٩)، والبزار في «المسند» (٤/ ٣٧٠)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٩٣١) من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) في الأصل: فأخذ، والصواب من «ن».

(٤) على سبيله: زيادة من «ن».

(٥) في الأصل: به، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: نسابة، والصواب من «ن».

سوارٍ المدائنيُّ، قال: نا فضيلُ بنُ مرزوقٍ، قال: سألتُ عمرَ[1] ابنَ عليٍّ، فقلتُ: هل فيكم إنسانٌ مفترضةٌ[2] طاعته، ومن لم يعرفه[3]، ومات، مات ميتة الجاهلية؟ قال: لا، والله! ما هذا فينا، من قال فينا، فهو كذاب، قلت[4] لعمر: رحمك الله! إن ناساً يقولون: إن رسول الله ﷺ أوصى إلى عليٍّ، وإن علياً أوصى إلى الحسن، وإن الحسن أوصى إلى حسين، وإن الحسين أوصى إلى عليٍّ بنِ الحسين[5]، قال: والله! لقد مات أبي، وما أوصى بحرفين، والله! إن هؤلاء لمتأكلين بنا[6].

(١٢٢٦) ـ قال الفضيلُ: وسمعتُ الحسنَ بنَ الحسنِ أخا عبدِالله بنِ الحسنِ وهو يقول لرجلٍ ممن يغلو فيهم: وَيْحَكُم! أحبونا في الله، فإن أطعنا الله، فأحبونا، وإن عصينا الله،

---

(١) في الأصل: محمد، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: مفترض، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: تعرفون له ومن لم يعرف له.

(٤) في «ن»: فقلت.

(٥) قوله: وإن الحسين أوصى إلى علي بن الحسين: زيادة من «ن».

(٦) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٣٩٢) من طريق شبابة، به. وانظر: «تهذيب الكمال» (٢٠/ ٣٩٦).

فأبغضونا، قال الرجل: إنكم لذو قرابة من رسول الله ﷺ، فقال: والله! لو كان الله نافعاً بقرابة من رسول الله ﷺ، لنفع بذلك من هو[1] أقربُ منه: أباه، وأمه، والله! إني لأخاف أن يضاعف العاصي[2] منا العذاب ضعفين، وإني لأرجو الله أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين، ولو كان الأمر على ما تقولون؛ أن رسول الله أوصى إلى علي، وأمره بقيام الناس، ثم ترك عليٌّ ما أمره رسولُ الله ﷺ إن كان علي في ذلك أعظمَ الناس خطيئة وجرماً؛ إذ ترك ما أمره رسولُ الله ﷺ، فقال له الرافضي: ألم يقل رسولُ الله: «مَن كُنتُ مَولاَهُ، فَعَلِيٌّ مَولاَهُ»؟ فقال: والله! لو عناه الإمرَة والسلطان، لأفصح لهم كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة، ولقال لهم: يا أيها الناس! هذا عليٌّ أميركم[3] بعدي، فما كان من وراء هذا، فإن أنصح الناس للناس كان رسول الله ﷺ[4].

---

(١) من هو: ليست في «ن».

(٢) في الأصل: العصي، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: هذا ولي أمركم.

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥/ ٣١٩)، ومحمد بن عاصم الأصبهاني في «جزء الأصبهاني» (ص: ١٢٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٧٠) من طريق شبابة، به. =

وروي عن زيد بن علي: أنه قال لبعضهم: ويلك! من كان يخاف رسولُ الله ﷺ حتى يعرضَ بالخلافة؟ فيقول: «مَن كُنتُ مَولاَهُ فَعَلِيٌّ مَولاَهُ»؟ ألا قال: هذا خليفتي من بعدي؟

قال أبو عبدالله:

فهؤلاء البهم تعلقوا بمثل هذه الأشياء حتى تردوا منكوسين في بئر الهلاك، حتى خرجوا إلى شتم وزيري رسول الله ﷺ، ونسبوهما إلى الاغتصاب لحق الله.

(١٢٢٧) ـ نا صالحُ بنُ محمدٍ، قال: نا المعلى بنُ هلالٍ، عن ليثٍ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ لي وَزِيرَينِ مِن أَهلِ السَّمَاءِ، وَوَزِيرَينِ مِن أَهلِ الأَرضِ، فَوَزِيرَايَ[١] مِن أَهلِ السَّمَاءِ: جِبرِيلُ، وَمِيكَائِيلُ، وَوَزِيرَايَ[٢] مِن أَهلِ الأَرضِ: أَبُو بَكرٍ، وَعُمَرُ»[٣].

= وأخرجه ابن عساكر مختصراً في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٦٨) من طريق مصعب بن عبدالله عن الفضيل، به.

(١) في «ن»: فوزيري.

(٢) في «ن»: ووزيري.

(٣) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١١/ ٢٥٨) للحكيم، عن ابن عباس رضي الله عنه. وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ١٢١) و(٤٤/ ٦٣) من طريق المعلى، به. =

(١٢٢٨) ـ نا بشرُ بنُ خالدٍ، قال: نا سعيدُ بنُ مسلمةَ، عن إسماعيلَ بنِ أميةَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، قال: خرج النبيُّ ﷺ، ويمينُه على أبي بكرٍ، وشِمالُه على عمر، فقال: «هَكَذَا نُبعَثُ يَومَ القِيَامَةِ»[١].

(١٢٢٩) ـ نا صالحُ بنُ عبدِالله، قال: نا أبو بكرِ بنُ عياشٍ، عن أبي البختريِّ[٢]، عن عبيدِالله، عن نافعٍ، عن

= وأخرجه الترمذي (٣٦٨٠)، وعلي بن الجعد في «المسند» (ص: ٢٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٩٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ١٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٦٩)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ١٠٥)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٣٧٩)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٤/ ٢٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣١٢)، وتمام في «الفوائد» (ص: ٤١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٦٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١/ ٢٩٦) من طريق سعيد بن مسلمة، به.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي: سعيد ابن مسلمة ضعفوه.

قال الترمذي: وسعيد بن مسلمة ليس عندهم بالقوي، وقد روي هذا الحديث أيضاً من غير هذا الوجه عن نافع عن ابن عمر.

(٢) في الأصل: عن البختري، والصواب من «ن».

ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُحشَرُ أَنَا وَأَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ وَنَحنُ مُشرِفُونَ عَلَى النَّاسِ هَكَذَا ـ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثِ: السَّبَّابَة، وَالوُسطَى، وَالبِنصِر ـ»[1].

وروي عنه ﷺ: أن سبابته كانت أطول من الوسطى، فدل معنى هذا القول أنهم في الإشراف على الناس بمنزلة هذه الأصابع.

(١٢٣٠) ـ نا أحمدُ بنُ مصعبٍ الحنظليُّ، قال: نا عمرُ ابنُ إبراهيمَ بنِ خالدِ بنِ مهرانَ[2] البصريُّ، قال: نا إسماعيلُ ابنُ عياشٍ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ، عن أسيدِ بنِ صفوانَ، وكان أدرك النبيَّ ﷺ، قال: لما قُبض أبو بكر الصدِّيقُ، ارتجَّتِ المدينةُ بالبكاء كيوم قُبض رسولُ الله ﷺ، فسَجَّوه، وجاءه عليٌّ ـ كرم الله وجهه ـ باكياً مسرعاً مسترجعاً، وهو يقول: اليومَ انقطعَت خلافةُ النبوة، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر مسجًّى[3]، فقال:

رحمك الله أبا بكر! كنت إلفَ رسولِ الله وأنيسَه[4]،

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الرابع والعشرين.

(٢) في «ن»: بهرام.

(٣) مسجى: ليست في «ن».

(٤) في الأصل: وأنسه، وما أثبتناه من «ن».

ومستراحه، وثقته، وموضعَ سره، ومشاورتِه، كنت أولَ القوم إسلاماً، وأخلصَهم إيماناً، وأشدَّهم يقيناً، وأخوفَهم لله، وأعظمَهم عناءً في دين الله، وأحوطَهم على رسول الله، وأحدبَهم على الإسلام، وأيمنهم[1] على أصحابه، وأحسنَهم صحبة، وأكثرهم مناقباً[2]، وأفضلهم سوابقاً، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسوله هدياً، وسَمتاً، ورحمةً، وفضلاً، وخلقاً، أشرفهم منزلةً، وأكرمهم عليه، وأوثقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام، وعن رسوله وعن المسلمين[3] خيراً، كنت عنده بمنزلة السمع والبصر، صدَّقتَ رسولَ الله حين كذَّبه الناسُ، فسماك الله في تنزيله صِدِّيقاً، فقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾: محمد، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[الزمر: ٣٣]: أبو بكر.

واسيته حين تخلوا، وقمت معه عند المكاره حين عنه قعدوا، وصحبته في الشدة أحسن صحبة؛ ثاني اثنين، وصاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه في

(١) في الأصل: وآمنهم، وما أثبتناه من «ن».
(٢) في الأصل: منافعاً، وما أثبتناه من «ن».
(٣) في «ن»: والمسلمين.

الهجرة، خلفته في دين الله وأمته أحسنَ الخلافة حين ارتد الناس، وقمتَ بالأمر ما لم يقم به خليفةُ نبيٍّ، نهضت حين وهن أصحابُك، وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله إذ هموا، كنت خليفته حقاً، لم تنازع، ولم تصدع برغم المنافقين، وكبت الكافرين، وكره الحاسدين، وصغر الفاسقين، وغيظ الباغين، قمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تتعتعوا[1]، مضيت بنور إذ وقفوا، فاتبعوك، فهدوا، كنت[2] أخفضهم صوتاً، وأعلاهم فرقاً، أقلهم كلاماً، وأصوبهم منطقاً، أطولهم صمتاً[3]، وأبلغهم قولاً، أكثرهم رأياً، وأشجعهم نفساً، وأعرفهم بالأمور، وأشرفهم عملاً.

كنت والله! للدين يعسوباً أولاً حين نفر الناس عنه[4]، وآخراً حين قبلوا، كنت للمؤمنين أباً رحيماً إذ صاروا عليك عيالاً، فحملت أثقال ما ضعفوا[5]، ورعيت ما أهملوا،

---

(١) في «ن»: تتعتوا.

(٢) في «ن»: وكنت.

(٣) أطولهم صمتاً: زيادة من «ن».

(٤) عنه: زيادة من «ن».

(٥) في «ن»: أضعفوا.

وحفظت ما أضاعوا لعلمك ما جهلوا، شمَّرت إذ ضيعوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ جزعوا، فأدركت أوتار ما طلبوا، وراجعوا رشدهم برأيك فظفروا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا.

كنت على الكافرين عذاباً صباً ونهباً، وللمؤمنين رحمة وأنساً وخصباً، فظفرت[1] والله! بعنانها، وفزت بخبائها، وذهبت بفضائلها، وأدركت سوابقها، لم تغلل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك، ولم يزغ قلبك ولم تخن[2]، كنت كالجبل لا تحركه العواصف، ولا تزيله[3] القواصف، وكنت كما قال رسول الله ﷺ: أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيهِ في صُحبتِكَ، وَذَاتِ يَدِكَ.

وكما قال، ضعيفاً في بدنك، قويّاً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، جليلاً في أعين المؤمنين، كبيراً في أنفسهم، لم يكن لأحد فيك مغمز، ولا لقائل مهمز، ولا لأحد مطمع، ولا لمخلوق عندك

---

(١) في «ن»: فطرت.

(٢) ولم تخن: زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: ولا تزايله.

هوادة، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه، والقوي العزيز ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء، أقرب الناس إليك أطوعُهم لله، وأتقاهم له، شأنك الحق، والرفق، والصدق، قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم.

فأقلعت وقد نهج السبيل، وسهل العسير، وأطفئت النيران، واعتدل بك الدين، وقوي الإيمان، وثبت الإسلام والمسلمون، وظهر أمر الله ولو كره الكافرون، فجليت عنهم فأبصروا[1]، فسبقت والله! سبقاً بعيداً[2]، وأتعبت من بعدك إتعاباً شديداً، وفزت بالخير فوزاً مبيناً، فجللت عن البكاء، وعظمت رزيتك في السماء.

وهدَّت مصيبتك الأنام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاءه، وسلمنا له أمره، فوالله! لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبداً.

كنت للدين عزاً وحرزاً وكهفاً، وللمؤمنين فيئة وغيثاً

---

(١) في الأصل: وأقصروا، والمثبت من «ن».

(٢) في «ن»: بصيراً.

وحصناً، وعلى المنافقين غلظةً وكظماً وغيظاً، فألحقك الله بنبيِّه، وجمع بينَه وبينك[1]، ولا حرمنا الله أجرك، ولا أضلّنا بعدك، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قال: وسكت القوم حتى انقضى كلامه، فبكى أصحاب رسول الله حتى علت أصواتهم، وقالوا: صدقت يا ختن رسول الله[2].

وأما قوله ﷺ: «جُعِلَت لِيَ الأَرضَ مَسجِداً وَطَهُوراً»: فهذا بوفارة الحظ البارز له على الرسل كلهم من الله تعالى، ولأمته من بعده من حظه ما برزوا به على سائر الأمم، فحيثما انتصبوا لله قياماً، كان لهم من النور ما يتهيأ لهم الإقبال على الله.

فإذا كان ذلك منهم، أقبل الله عليهم، فبإقبال الله عليهم طهرت بقاع الأرضين حيثما انتصبوا، فإذا كبروا، رفعت الحجب، ودخلوا في ستره، فطهرت البقاع لهم حيثما وقفوا، ولم يكن هذا النور الذي به يقوون على

---

(١) في الأصل: فألحقك نبيه ونبيك، والصواب ما أثبتناه.

(٢) أخرجه الخلال في «السنة» (١/ ٢٨٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٤٤٠) من طريق أحمد بن مصعب، به.

وأخرجه البزار في «المسند» (٣/ ١٣٨)، والخلال في «السنة» (١/ ٢٨٣)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧/ ١٢٩٦) من طريق عمر بن إبراهيم، به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤٨): رواه البزار، وفيه عمر بن إبراهيم الهاشمي، وهو كذاب.

الإقبال بقلوبهم في الأمم قبلنا، إنما كانوا يتكلفون في الظاهر الانتصاب له مع الإيمان به[1].

فأما نور الإيمان[2]: فعز وجوده في الأمم، فوفر الله حظ الرسول ﷺ وفارةً برز بها على الرسل ـ عليهم السلام ـ، واحتوت الأمة من حظه، فصارت الأرض له ولهم مسجداً.

وأما قوله: «طَهُوراً»: فإنهم إذا لم يجدوا الماء الذي جعله الله طهوراً للخلق، وكانوا سفراً، فتعذر عليهم وجوده، أمرهم أن يتطهروا من أحداثهم بالصعيد الطيب، وهو التراب، وإنما سمي صعيداً؛ لأنهم يصعدونه، ويمشون عليه[3]، فجعل ما تحت أقدامهم طهوراً لهم[4] إذا لم يجدوا ما يصبون[5] فوق رؤوسهم من الماء، وهو ماء الحياة الراكد تحت العرش من أجلهم.

وأن الله تعالى قال في تنزيله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾[الفرقان: ٤٨] أي: فَعولاً للطُّهر ﴿لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾[الفرقان: ٤٩]، فالماء الذي ينزل من السماء هو ماء[6] الحياة من تحت العرش، خلقه الله[7] حياة لكل شيء، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء: ٣٠].

---

(١) في «ن»: به قط.

(٢) في «ن»: نور الإقبال.

(٣) في الأصل: يصعدونها ويمشون عليها، وما أثبتناه من «ن».

(٤) لهم: زيادة من «ن».

(٥) يصبون: ليست في «ن».

(٦) في «ن»: هو من بحر الحياة.

(٧) الله: زيادة من «ن».

فمنه حياة القلب، ومنه حياة الأرواح، ومنه حياة قلوب الموحدين، ومنه حياة قلوب المطيعين، ومنه[1] حياة قلوب الأنبياء والأولياء، ومنه يحيون في قبورهم يوم النشور، ومنه يحيون إذا دخلوا الجنة، اغتسلوا بباب الجنة[2]، حتى يكون لهم طهوراً من اللوث والأذى[3] والأدران، وتصير أجسادهم أجساد أهل الجنة، من شرب منه شربة من حوض الرسول ﷺ، لم يظمأ أبداً، ثم إذا شربوا بباب الجنة، زايلهم كل أذى في أجوافهم، وصفت ألوانهم، وجرت النضرة في أجسادهم ووجوههم، وأمِنوا الموت، ولا يجري عليهم سلطان الموت أبداً؛ لقوة الحياة التي في ذلك الماء.

فجعل الله جميع أرزاق العباد[4] من ذلك البحر بقدر الله في ليلة الحكم، وهي ليلة القدر، وأرزاق جميع المرتزقة[5] من خلقه في تلك الليلة إلى مثلها من قابل، فإذا نفد ذلك البحر، نفخ في الصور، وذلك قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾[الذاريات: ٢٢ ـ ٢٣].

فأنزل الله تعالى هذا الماء، وسماه طَهوراً؛ أي: فَعولاً للطهر، وإن هذا العدو لرجاسته[6] ونجاسته قد وجد السبيل إلى الولوج إلى جوف ابن آدم.

---

(١) من قوله: حياة القلب... إلى قوله: المطيعين ومنه: ليس في «ن».

(٢) في «ن» زيادة: اغتسلوا بباب الجنة ولبسوا ثياب الجنة.

(٣) في الأصل: من اللوث عن الأذى، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: الخلق.

(٥) بقدر الله في ليلة الحكم، وهي ليلة القدر، وأرزاق جميع المرتزقة: زيادة من «ن».

(٦) في «ن»: برجاسته.

وبدؤه: أنه لما أكل آدم من الشجرة بما أشار عليه العدو، وجد العدو السبيل إلى المعدة، فجعل له هناك موطناً، فلذلك نتن ما في جوفه حين أخرج من الجنة؛ لرجاسة العدو ونجاسته، ثم ورث ذلك ولده.

وروي في الأخبار: أنه قال: يا رب! أين مسكني؟ قال: صدور بني آدم، وهو قوله: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾[الناس: ٤ ـ ٥][١].

فإنما نتن ما في المعدة حتى صار روثاً؛ لنجاسته، وأمر آدم وولده بالوضوء لذلك، وأمر بغسل أطرافه، والأطراف أربعة: الجناحان، والرأس، والقدمان.

فأعلم العباد أن هذا طهور لكم؛ أي: يطهركم من آفاته الظاهرة والباطنة، فآفاته الظاهرة: ما يخرج منك من الأذى من البول والغائط ورائحتهما، وهي النفخة التي تخرج منها، فهذه كلها آفاته، ويلغ من خبثه[٢] وعداوته لك أن معدنه[٣] في ذلك الموطن الذي صير له منك معدناً هو مجمع الطعام، فإذا انطبخ، صار روثاً ودماً، فالدم غذاؤه، وموضع الروث مجلسه منك، فبلغ من عداوته أنه ينفخ عليك، فإذا خرج منك الصوت، هيج عليك الضحك من الطحال؛ فإن الطحال بيته، ومنه يسخط[٤] الآدمي في أموره، وفيه مجمع نفاية البدن من كدورة الدم وغيره.

---

(١) ذكره الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٣٥٥) عن قتادة.

(٢) في «ن»: إحنه.

(٣) في «ن»: تمعدنه.

(٤) في «ن»: يتسخط.

ألا ترى[1] أن أكله من ذوات الأربع مما قد يعافه الآدمي، وإن كان قد أطلق له؛ لأنه سفالة الكبد، ومجمع ثفله من الدم، فذلك الضحك الذي يهيجه[2] منك، وممن سمعه من الناس من أجل ذلك الصوت هو سخرية بك منه وشماتة[3]، يريد أن يعلمك أني هاهنا؛ كي يصغِّرك عند نفسك، ويريك[4] من باطنك ما ستر عنك؛ ليفسد منن الله عليك في جسدك الذي خلقه لك، وقد قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين: ٤].

فالعدو حاسد لك[5]، يحسدك في كل شيء، ويريد أن يكدر منن الله عليك، ولذلك صار الضحك حدثاً في الصلاة؛ لأنه من تهيج[6] الشيطان من معدنه.

فالضحك في الصلاة حدث، والبلل ورائحة البلل من ذلك حدث، فهذا واجب الوضوء، ثم كان الرسول ﷺ وكثير من الصحابة يتوضؤون لكل صلاة، منهم: علي بن أبي طالب، وعدة، يتوخون بذلك تجديد الطهارة؛ لقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[الفرقان: ٤٨]؛ لأن الآدمي يصيبه ساعة بعد ساعة آفة من آفاته من همزه ونفثه ونفخه ونزغه.

ألا ترى: أنه أمر نبينا ﷺ بالتعوذ منه، فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ

---

(١) ترى: ليست في «ن».

(٢) في «ن»: يهيج.

(٣) في الأصل: هو سخرته منك، وشماتته، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: يريد.

(٥) لك: ليست في «ن».

(٦) في «ن»: ولأنه من هيج.

﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾[المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[فصلت: ٣٦].

وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[الناس: ١ ـ ٦].

فهل أمر أن يتعوذ منه إلا من تتابع الآفات وتواليها؟.

وآفاته تذهب بحياة القلب، وحياة القلب بالله يشد عقد الإيمان، ويؤكد عراه، فجعل الله هذا الماء طهوراً لهذا الآدمي المؤمن من هذه الآفات التي تعتوره من هذا العدو الذي لا يفارقه.

وذلك قول رسول الله ﷺ: «مَا مِن أَحَدٍ مِنَ الآدَمِيِّينَ إلاَّ وَلَهُ قَرِينٌ مِنَ الشَّيطَانِ مُوَكَّلٌ بِهِ»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «وَلاَ أَنَا، إلاَّ أَنَّ اللهَ أَعَانَني عَلَيهِ، فَأَسلَمَ، فَلاَ يَأمُرَني إلاَّ بِخَيرٍ»[١].

قال أبو عبدالله:

فوسواسه ونزغاته وهمزاته ونفخاته ونفثاته تطمس وجه[٢] القلب، وتذهب بحياته، كل على قدره، وذهاب حياة القلب يوهن العقد ويرخي عراه، ويخمد توقده، فبما وصفنا يجد العدو سبيلاً إلى إهاجة النفس بشهواتها

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٤)، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٩٧)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٤١٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٩٣)، والدارقطني في «العلل» (٥/ ٣٤٢) من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.

(٢) في «ن»: وجوه.

وخدائعها[1] وأمانيها، واغترارها بقول العدو الغرور، فإذا هاجت النفس، هاجت رياح الهوى بهبوبها[2]، فنسفت النفس والقلب في الأركان، فرمته في آبار المعاصي، فضرره أعظمُ من أن يوصف.

ولذلك أمر الله تعالى عبيده أن يتخذوه عدواً، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[فاطر: ٦]، وحذر العباد أن يغتروا به، فقال: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[لقمان: ٣٣]، فمن لم يدخل في مأمن الله، وحرزه، ووكالته، ومعاقله، فهو أسيره، وكان ممن أغار عليه العدو فسلبه عطايا ربه.

قال له قائل:

وما مأمنه؟ وما حرزه؟ وما وكالته؟ وما معاقله؟.

قال: مأمنه: حجبه الربانية، وحرزه: الوصول إلى قربه، ووكالته: قبوله ترقي[3] نفسك إليه، ومعاقله: ترادف ذكره الذي هو ذكره، وهذه صفة الأولياء.

وقال الله في تنزيله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[البقرة: ٢٥٧]، وقال في آية أخرى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ٦٨]، فإنما والاهم ليوالوه، فمن والاه، فالله وليه في جميع أحواله ديناً ودنيا، وفي البرزخ، وفي المنشر، وفي المحشر، وفي الموقف، وفي الممر، وفي العرض[4]، وفي داره،

---

(١) وخدائعها: زيادة من «ن».

(٢) في الأصل: بأهبوبها، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: لرقي، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: المعرض، وما أثبتناه من «ن».

ومن والى نفسه، فقد ضيع نفسه عن هذه الأشياء، وبقيت معه ولاية الله له في التوحيد الذي ابتدأه به، ثم العسرة كائنة في جميع أحواله إلى باب الجنة إن سلم له توحيده، فجعل الله هذا الماء طهوراً لهذا المؤمن من آفاته الظاهرة والباطنة.

فأما في الظاهر[١]، فليطهر جوارحه من تلك الأحداث التي حدث عليها، وفي الباطن يرد عليه ما ذهب من حياة القلب بطهارته.

ألا ترى أنه قال تعالى: ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾[الفرقان: ٤٩]، فالبلدة في الظاهر هذه الأرض[٢] التي إذا وصل إليها الماء[٣]، ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[الحج: ٥]، وكذلك قال تعالى في تنزيله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾[فصلت: ٣٩]؛ أي: ميتة، ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ اهتزت: أي: تحركت، وربت: أي[٤]: انتفخت ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾[فصلت: ٣٩][٥]، والبلدة في الباطن: القلوب تخلص إليها آفات العدو، فتموت عن الله، فيحييها الله بذلك الوضوء.

كذلك[٦] روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:

---

(١) من قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً . .﴾ . . . إلى قوله: فأما في الظاهر: جاء مؤخراً في الأصل قدمناه تبعاً للنسخة «ن» لتمام المعنى.

(٢) في الأصل: هي الأراضي، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: ذلك الماء.

(٤) ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ أي: تحركت وربت: زيادة من «ن».

(٥) في «ن» زيادة: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[فصلت: ٣٩].

(٦) في «ن»: وكذلك.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾[الحديد: ١٧]، قال: يلين القلوب من بعد قسوتها.

فالقسوة من موت القلب، واللين من حياته.

ومما يحقق ما قلنا بدءاً: قول رسول الله ﷺ: «لَن يُحافِظَ عَلى الوُضُوءِ إلاَّ مُؤمنٌ»[1].

معناه: أن المؤمن البالغ إيمانه إذا أحدث، لم يقدر أن يدوم على الحدث، ولم يطمئن حتى يتوضأ، فيكون أبداً على الوضوء؛ لأن قلبه في وقت الحدث يفتقد نزاهة الإيمان وطيبه، ووساوسه تصير عاملة على القلب في وقت الحدث؛ لأن طهارة الماء بالتوضؤ قد انقطع عنه، فقوي وسواسه، وكثرت وساوسه، فالتفت القلب إلى بعض تلك الوساوس، فانطفأ بعض توقد نار القلب، وأذهب بعض ذكاء حياة القلب، فشعر به المؤمن، فأسرع إلى الوضوء؛ ليجد بعض ما افتقد، ويعود إلى الحالة الأولى.

معناه: أن هذا الفعل من علامة المؤمن البالغ، وقال ﷺ فيما أوصى به أنساً: «يا بني! حافِظ على الوُضُوءِ».

(١٢٣١) ـ نا مسلمُ بنُ حاتمٍ الأنصاريُّ، قال: نا محمدُ بنُ عبدِالله الأنصاريُّ، عن أبيه، عن عليِّ بنِ زيدٍ،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٧٧)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٦)، وابن حبان في «الصحيح» (١٠٣٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٠١)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٢٠) من حديث ثوبان ﷺ.

عن سعيدِ بنِ المسيبِ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، قال: قال لي رسـولُ الله ﷺ: «يَا بُنَـيَّ! إِنِ اسـتَطعتَ أَن لاَ تَـزالَ على الوُضُوءِ، فَافعلْ؛ فَإِنَّ مَن أَتَاهُ الموتُ وَهُو عَلى وَضوءٍ، أُعطِيَ الشَّهادَةَ»[1].

وأما قوله: «طهوراً»، فإنهم إذا لم يجدوا الماء، وكانوا سفراً، صار هذا الصعيد لهم طهوراً بدل الماء، وإنما هذا لهذه الأمة خاصة، وكان لسائر الأمم الماء طهوراً على ما وصفنا بدءاً، فصار تراب هذه الأرض لهذه الأمة طهوراً يوازي ذلك الماء الذي جعله الله طهوراً للخلق، وجعله بحراً تحت العرش، أعده للعباد كما وصفنا بدءاً، وإنما صارت الأرض هكذا من أجل أنها لما أحست بمولد محمد ﷺ[2]، وبظهوره من بطن أمه على جديد الأرض، انبسطت الأرض، وتمددت، وتطاولت، وازدهرت، وأينعت، ولبست ثياب الدالة، وافتخرت على السماوات وسائر الخلق؛ بأنه[3] مني خلق، ومني تربَّى جسـده، وعلى ظهـري تأتيـه[4] كرامـات الله، ومني يمشي يتقلب نبياً رسولاً، يعبد ربه، ويختلف إليه الرسل، وعلى بقاعي

---

(1) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ١٢٣)، وفي «المعجم الصغير» (٢/ ١٠٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ٣٤٢) من طريق مسلم بن حاتم، به.

وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٩/ ١٣٠) للحكيم عن أنس ﷺ.

(2) في «ن»: النبي ﷺ.

(3) في الأصل: أنه.

(4) في «ن»: تأتي.

يسجد جبهته لله، وفي الجبهة ما فيها، وفي[1] خلال أوديتي يتنزل كلام الله ووحيه البارز على الكتب كلها، وفي بطني مدفنه، وأنا الذي أتضمن أعظُمَه وجسده، وعلى ظهري يكون خاصة الله من أمته، وورثة ميراثه من الحكمة العليا، فجرَّت الأرض رداء[2] فخرها ودالتها، وحق لها ذلك، فجعل ترابها طهور الأمة[3]؛ لمجيء محمد ﷺ على ما وصفنا، فبالأرض يتطهرون، وينتصبون[4] بين يدي الله تعالى، سجداً[5]، وحيثما ضربوا بأقدامهم بين يدي الله تعالى، صارت الأرض من تحت أقدامهم مسجداً.

وقالت عائشة لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! إنك إذا دخلت، صليت في مواضع من البيت، أفلا نهيئ لك موضعاً تصلي فيه؟ فقال ﷺ: «يَا عَائِشَةُ! أَمَا عَلِمتِ أَنَّ المُؤمِنَ إِذَا وَضَعَ جَبِينَهُ للهِ، طَهُرَت تِلكَ البُقعَةُ إِلَى سَبعِ أَرضِينَ؟»[6].

فإنما صار التيمم لهذه الأمة دون سائر الأمم؛ لأنه بمجيء محمد ﷺ

---

(١) في الأصل: من، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: برداء، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: طهوراً لأمته، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: وينتصبون به، وما أثبتناه من «ن».

(٥) سجداً: ليست في «ن».

(٦) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٥٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨/ ٢٩٧)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٢/ ٥٩) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٧): أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وعبدالله بن صالح ضعفه الجمهور، وقال عبد الملك بن شعيب: ثقة مأمون.

طهرت الأرض، فلما جاء بالتيمم عن الله إلى الأمة، قبلوه، فإنما قبلوا عن الله على يدي محمد ﷺ، فحيثما مدوا أيديهم إلى بقعة، صار ذلك التراب طاهراً بمدِّ أيديهم، وزالت أنجاس الشرك والمعاصي التي عليها، فإنما صارت طاهرة بمدِّ أيديهم على ذلك القبول الذي قبلوه عن الله تعالى.

ألا ترى أنه قال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[النساء: ٤٣]؟ فلا يجزئ أحداً أن يَتَمَعَّك في التراب، ثم يكتفي به عن التيمم، كما يجزئ الذي يقع في الماء، فيسبَح فيه من غير قصد للوضوء، فيجزئه عن غسله ووضوئه به، وفي التيمم لو تمعك في التراب من غير قصد للتوضؤ به والتطهر، لم يجزه وهو محدِث، فإنما ابتغى منه التيمم، وهو القصد بالقلب؛ ليطهر بذلك القصد، ومد اليد إليه، قابلاً لما جاء به الهدية، وهو محمد ﷺ من المهدي، هذه النحلة في شأن التيمم كالطرفة والتحفة يتحف بها الملك عبده[1]، يريد بذلك لطفه وبرّه وسروره، فيطهر ذلك التراب بمد اليد إليه، وقبوله للهدية، فلذلك خرج اللفظ بهذه الكلمة على التيمم؛ لتقصد القلوب للهدية، والهدية محمد ﷺ، صار يطهر ما جاء به تراب الأرض طهوراً، كطهور الماء الذي أنزله الله من بحر الحياة.

وقد قال في شأن التيمم في تنزيله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ

(١) في الأصل: عبيده، وما أثبتناه من «ن».

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[المائدة: ٦].

فالحمد لله الذي عطف علينا بأن أكرمنا برسول الله ﷺ بلغ من طهره بطهر الله الذي حشاه به: أنه[1] لما وقعت على ظهر[2] الأرض طهرةُ رسالاته، صارت تربة الأرض له ولأمته الذين نالوا من طهره طهراً حظاً وافراً بقبولهم له طهوراً تطهروا به، ووضوءاً توضؤوا به، وغسلاً تغسلوا به[3]، فيسيل عن أجسادهم آثار العدو.

فأما قولنا في الهدية: فإن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ إِلَيكُم، فَإِنَّمَا أَنَا[4] رَحمَةٌ مُهدَاةٌ»[5].

فمحمد ﷺ من الله لنا هدية[6]، والهدية ليست كالعطية، ولا كالحجة؛ فإن الرسل ـ عليهم السلام ـ بعثوا من قبله[7] على الأمم حجة وعطية، فمن

---

(١) في الأصل: إنما، والصواب من «ن».

(٢) ظهر: زيادة من «ن».

(٣) في الأصل: يتغسلونه، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: وأنا.

(٥) أخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ٢٣٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٢٢٣)، وفي «المعجم الصغير» (١/ ١٦٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٩١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ١٨٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٦٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٤٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرطهما، فقد احتجا جميعاً بمالك بن سعير، والتفرد من الثقات مقبول. ووافقه الذهبي.

(٦) في الأصل: محمد ﷺ لنا هدية، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في «ن»: من قبله بعثوا.

قبل العطية، بورك له، ومن لم يقبل العطية، تأكدت عليه الحجة[1]، وعُذب، ورسولنا ﷺ كان عطية وهدية، فمن قبل محمداً عطية وهدية، سعد، ورشد، وصار سابقاً ومقرباً، ومن قبل محمداً ﷺ عطية، ولم يفطن للهدية، ولم يقبله قبول الهدية، سعد، ولم يصب ثمرة الرشد، ونجا بالسعادة، ومن أباه، وكفر، النعمة، وجحدها[2]، كان حظه من السعادة النجاة من عقوبات الأمم التي[3] عوجلوا بها في الدنيا، فسعدوا بهذا القدر، وتأخر عنهم العذاب إلى يوم القيامة، والأولون عوجلوا بالعقوبة في الدنيا، وبالعذاب إلى أن التحقوا بعذاب الآخرة، فالعطية تغني ولا تمد، والهدية تغني وتمد، فمن قبل محمداً عطية وهدية، اجتباه الله، ومن قبله عطية، هداه الله إليه بالإنابة، وذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[الشورى: ١٣].

قال له قائل: ما الفرق بين العطية والهدية؟.

قال: العطية من الرحمة، والهدية من المحبة، وكذلك تجد الرجل يعطي عبداً من عبيده إذا رق له، ورحمه، إذا رآه في بؤس، أو ضعف قواه، وجبره بدُريهمات وكسوة، يجبره بها، ويذهب عنه[4] بؤسه، فهذه[5] عطية من الرحمة، فإذا أحبه، أهدى إليه خلعاً، وحملان دنانير، يريد بذلك أن يستميل

---

(١) في «ن»: الحجة عليه.

(٢) في الأصل: وجحد، وما أثبتناه «ن».

(٣) في «ن»: الذي.

(٤) عنه: ليست في «ن».

(٥) في الأصل: فهذا، والصواب من «ن».

قلبه، ويختصه، ويتخذه لنفسه خادماً صفياً، وإنما سميت الهدية هدية؛ لاستمالة القلب بها.

ولذلك قيل: فلان يهادى[1] في مشيته؛ أي: يتمايل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[الأعراف: ١٥٦]؛ أي: ملنا.

فالرسل إلى الخلق عطايا من ربنا ورحمته[2]، فبعث إليهم من يهديهم، ويذهب عنهم بؤس فقر الكفر، ويجبر كسرهم، ورحمنا ربنا، فبعث إلينا محمداً ﷺ عطية وهدية. العطية من الرحمة، والهدية من المحبة، فجعل الإيمان والإسلام في العطية، وجعل حكمة الإيمان والإسلام في الهدية، وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ ثم قال: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، ثم قال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[الجمعة: ٢]. فحكمة الإيمان والإسلام هدية لهذه الأمة بمبعث محمد ﷺ خاصة فضلاً على الأمم.

قال له قائل: وما تلك الهدية؟.

قال: كنوز المعرفة من خزائن السبحات، فاحتظينا[3] ـ معاشر الأمة ـ من تلك الكنوز حظاً وافراً برزنا[4] به على سائر الأمم، حتى صرنا موصوفين لبني إسرائيل في التوراة والإنجيل.

وروي في الخبر: أن صفة أمة محمد ﷺ في التوراة: صفوة الرحمن.

---

(١) في الأصل: ولذلك قيل: فلان تهادى، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: رحمتهم.

(٣) في الأصل: فاحتظظنا، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: وبرزنا.

وفي الإنجيل: حكماء، علماء، أبرار، أتقياء، كأنهم من الفقه أنبياء[1].

فإنما ورثنا هذا من حظ محمد ﷺ البارز به[2] على حظوظ سائر الرسل ـ عليهم السلام ـ، فتلك هدايا الله إلى محمد، ثم صير محمداً عليه السلام لنا هدية.

(١٢٣٢) ـ نا إبراهيمُ بنُ عبدِالله العبسيُّ، قال: نا وكيعٌ، عن الأعمشِ، عن أبي صالحٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أيُّها النَّاسُ! إنَّما أَنَا رَحمَةٌ مُهداةٌ»[3].

فهذا يحقق ما قلنا بدءاً: أن الرسل ـ عليهم السلام ـ للأمم عطية، ورسولنا ﷺ للأمة عطية وهدية، ورقي[4] بتلك الهدية حتى تراءى له محل الدرجة الوسيلة، وقال: «إِنِّي لأَرجُو أَن تَكُونَ لي».

وأمرنا ـ معاشر الأمة ـ بما أصبنا من الحظوظ من حظه حتى صرنا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٠) عن مالك بن أنس ﷺ، قال: قال عيسى بن مريم. . . .

(٢) به: زيادة من «ن».

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٩٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٢٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٤٤)، من طريق وكيع، به.
وأخرج الدارمي في «السنن» (١/ ٢١) بلفظ: كان رسول الله ﷺ يناديهم: «يا أيها الناس! إنما أنا رحمة مهداة» من طريق الأغمش، به.
وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٢٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٩١)، وغيرهما من طريق الأعمش، مرفوعاً عن أبي هريرة، وقد تقدم تخريجه.

(٤) في «ن»: وقربه.

بارزين على الأمم، فمنا السابقون، ومنا الأولياء، ومنا الأصفياء، ومنا خاصة الله تعالى.

وقال في تنزيله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾[آل عمران: ٧٣]؛ أي: أن يعطى أحد مثل ما أعطيتم.

وقال رسول الله ﷺ فيما روي عنه: «مَا أُعطِيَت أُمَّةٌ مِنَ اليَقِينِ مَا أُعطِيَت أُمَّتِي»[١].

وليس في الأرض شيء أعز من اليقين ولمقدار رأس إبرة من اليقين[٢] يوسع الله خيراً وبركة، وأقل شيء منه ينفي الشك عن القلوب، ويبلغ به العبد منازل الكرام السادة، فإنما صير محمداً ﷺ لنا هدية؛ ليهدينا إلى أعلى[٣] درجات الدنيا عبودة؛ لنكون غداً في أعالي درجات الجنة، بالقرب من رسولنا عليه السلام؛ لتقر عينه بنا؛ فإن ربنا يحب أن يقر عينه بنا؛ لأنه من بين الرسل حبيب، وقد[٤] جرت الأخبار عنه بهذه الكلمة.

(١٢٣٣) ـ نا عمرُ بنُ أبي عمرَ، قال: نا سعيدُ بنُ أبي مريمَ، قال: نا مسلمةُ بنُ عليٍّ، قال: حدثني زيدُ بنُ واقدٍ، عن القاسمِ بنِ مُخيمرةَ، عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ اتَّخذَ إبراهِيمَ خَليلاً، وَمُوسَى نَجِيّاً، وَاتَّخَذَني حَبِيباً،

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الحادي والعشرين.

(٢) ولمقدار رأس إبرة من اليقين: زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: أعالي.

(٤) في الأصل: قد، وما أثبتناه من «ن».

ثمَّ قَالَ: وَعِزَّتي! لأُوثِرَنَّ حَبِيبِي عَلى خَلِيلِي وَنَجِيِّي»[1].

فالحبيب: يحب أن يقر عين الحبيب بأمته، فقد أعلمنا[2] في تنزيله كيف محلنا من قبله، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾[التوبة: ١٢٨]؛ أي: يعز عليه، ويشتد عليه أن نقع في إثم، وحريص على هدانا وطاعتنا لله تعالى، ثم ذكر رأفته ورحمته علينا، فقال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨]، فمن أصدقُ من الله قيلاً؟

فالله أخبرنا بهذا عن باطن قلبه لنا، فهو يحب أن يقر عينه غداً بنا في الموقف، وفي درجات الجنان، فأعطانا من حظه ما يمد بنا إلى نفسه قرباً بتلك الكنوز، حتى تكون طاعتنا لله، وقلوبنا له، ونفوسنا أكثر انقياداً وتذللاً وعبودة، ومعرفة بالله وعلماً به من سائر الأمم، ويباهي الله بهذه الأمة في سمائه، فيُري ملائكته بها ما يصعد إليه من أعمالهم وبرهم، ووفائهم ويقينهم وصدقهم، وجدهم وجهدهم، واستقامتهم وحبهم له.

عدنا إلى ما كنا فيه من ذكر التيمم، فرد محمدُ بنُ علي السؤال على بعض من حضره، فقال: أرى بعض علمائكم يقولون: إذا وقع في الماء[3]

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ١٨٥) من طريق ابن أبي مريم، به.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٧٠٦) للحكيم الترمذي وابن عساكر والديلمي عن أبي هريرة ﷺ.
وهذا إسناد تالف، مسلمة متروك الحديث. انظر: «تهذيب التهذيب» (١٠/ ١٣٢).

(٢) في «ن»: علمنا.

(٣) في «ن»: ماء.

وخرج منه غيرَ ناوٍ للوضوء، أجزأه ذلك من الوضوء.

وقالوا: إذا تمعَّك في التراب، أو نثر عليه حتى أصاب مواضع الوضوء ذلك الغبار، أنه لا يجزئه حتى ينوي التيمم، فسألوا عن الفرق بينهما، فقالوا: لأن[1] الله تعالى قال: ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾[النساء: ٤٣]، والتيمم هو القصد للصعيد، والقصد[2] لا يكون إلا بالقلب، فلذلك قلنا: إنه لا يجزئه حتى ينوي؛ أي: يقصد.

قلنا: فقد قال هاهنا: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا﴾[المائدة: ٦]، فهذا الذي وقع في الماء لم يغسل أيضاً، فإن قلتم: إنه[3] لما وقع في الماء، انغسل، فكذلك لما تمعك في التراب، انغبر[4]، فإن كان أريد في الوضوء منه سيلان الماء على مواضع الوضوء، فقد أريد منه في التيمم اغبرار مواضع الوضوء، فكما سال الماء عليه بغير إسالة[5]، فأجزأه، فكذلك إذا أهالوا عليه التراب من غير فعل منه، وانغبر، أجزأه ذلك، فالقياس في كليهما مستمر بهما يتساويان.

فإما أن يقول: لا يجزئ ذلك عنه في الوضوء[6] حتى يغسله بفعل منه؛ لأنه أمر بالفعل، فقال: اغسلوا؛ كما قال هاهنا: اقصدوا.

---

(١) في «ن»: إن.

(٢) في الأصل: والفضل، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: إنما، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: انمعك، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: الإسالة.

(٦) في الأصل: لا نجزئ ذلك عن الوضوء، والصواب من «ن».

وإما أن يقول: كلاهما جائز على مذهب ما ذهبت إليه أنه ابتغى منه سيلان الماء عليه بأن الماء جعل له طهوراً، فإذا جرى عليه، فقد[1] طهر، سواء أجراه بنفسه، أو جرى عليه الماء من غير[2] فعله.

قلنا: فكذلك خُص رسول الله ﷺ من بين الرسل، وأمته من بين الأمم بهذه الهدية بأن[3] جعل تراب الأرض له طهوراً، فإنما ابتغى منه الطهارة بذلك التراب، فسواء عليه[4] هو تَرَّبَ نفسه يريد به الطهارة، أو تربه غيرُه، فلم نجدهم التجؤوا إلى شيء يكون بين المسألتين فرقاً[5] مزيلاً، كلما راموا فرقاً، وجدناه متصلاً، فكل حالة من الوضوء بالماء قابلناها بحالة الوضوء بالتراب وجدناها مستوية، ووجدنا مفزعهم إلى هذه الكلمة: أن الله تعالى قال هاهنا: ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾[النساء: ٤٣]، والتيمم: هو القصد بالقلوب.

فقلنا: أي شـيء يقصد؟

قالوا: يقصد إلى أن يتطهر به من الحدث.

فقلنا لهم: أمر هاهنا بالقصد للتراب[6] ليمسح[7]، ولم يأمر هناك بالقصد

---

(١) فقد: زيادة من «ن».

(٢) غير: زيادة من «ن».

(٣) في الأصل: أن، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: فسواء هو، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: يكون فرقاً بين المسألتين، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في الأصل: بالتراب، والصواب من «ن».

(٧) في الأصل: ليتمسح، والصواب من «ن».

للماء ليغسل[1]، فقال هاهنا: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾[المائدة: ٦]، ولم يقل: اقصدوا ماء، واغسلوا وجوهكم وأيديكم[2]؛ لأن الغسل كان متعارفاً في الأمم، وفي الجاهلية: أن الأقذار والنجاسات والأدناس إنما تغسل بالماء، فكان ذلك معروفاً عندهم[3]، فلما جاء الله بالإسلام، وأمرهم بالانتصاب بين يديه مصلين، ولم يخل أحدهم من أدناس الخطايا، لم يرض لهم أن يقوموا بين يديه مصلين، مترضين له، معتذرين إليه، ومعهم غبار العدو وأدناسه، وإن لم يكن على أجسادهم في الظاهر أقذار ونجاسات، فأمرهم أن يغسلوا أطرافهم، وسماه وضوءاً، يعلمهم[4] أن هذه الأطراف تصير وضيئة بهذا الغسل، ويذهب غبار العدو عنها، فيطهروا، وقد قال في تنزيله: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾، ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[المائدة: ٦].

يطهركم بالماء حتى تزول الأدناس، وغبارُ العدو، فإذا زالت، حيي القلب، فتلك الحياة تمام النعمة، فقاموا لله منتصبين بحياة قلب، يعقلون ما يعبدون به، وأنهم بين يدي الله، فذلك منهم شكر، فلما جاءت هذه الأمة، وعطف الله عليهم بكرامته إياهم بمحمد ﷺ، كان التوضؤ بالتراب غير متعارف عندهم، ولم يكن عندهم أن التراب فيه طيب وطهارة، وإنما عرفوا الطهارة في الماء، فأمرهم بالقصد للتراب؛ ليتمسحوا به، فكانوا

---

(١) في الأصل: ولم يأمر هناك بالغسل ليغسل، وما أثبتناه من «ن».

(٢) ولم يقل: اقصدوا ماء، واغسلوا وجوهكم وأيديكم: ليس في «ن».

(٣) في «ن»: عندهم معروفاً.

(٤) في الأصل: فيعلمهم، والصواب ما أثبتناه.

لا يحتاجون إلى قصد الماء[1]؛ لأن الماء لهذا أنزل؛ ليزال به الأقذار والتراب؛ ليطرح عليه الأقذار، فهكذا كان المتعارف[2] في ولد آدم عليه السلام منذ خلقهم الله، فلما جاءت نوبة هذه الأمة، أهدى الله محمداً ﷺ إلى الأمة، مع كنوز المعرفة، ووفارة الطهارة، وطهرت الأرض، فصارت بقاعها مساجد للأمة، وصعيدها طهوراً للأمة، يتوضؤون به[3].

فقيل للأمة في الظاهر: تيمموا؛ أي: اقصدوا التراب؛ لأنه كان من شأنكم وعادتكم التطهر بالماء، فإذا فقدتم الماء أنتم ـ يا معشر أمة محمد ـ، فاقصدوا التراب[4] عند فقد الماء، فتطهروا[5] بالتراب.

وقيل لأهل الباطن من الأمة[6]: اقصدوا للهدية التي في باطن هذا الأمر، فبحرمة قصدِ أهل الباطن قبلَ اللهُ قصدَ أهل الظاهر للتراب، فوجدنا علماءكم قد تعلقوا بهذه الكلمة في شأن الفرق بينهما: أن الله تعالى قال في شأن الوضوء: ﴿فَٱغۡسِلُواْ﴾، ولم يقل: اقصدوا للماء، واغسلوا.

وقال هاهنا: ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾؛ أي: اقصدوا التراب[7]، وامسحوا، والباب

---

(١) في «ن»: إلى الماء.

(٢) في الأصل: التعارف، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: بها، وفي الأصل: منها، والصواب ما أثبتناه.

(٤) في الأصل: للتراب، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: فتطهروا، والصواب من «ن».

(٦) في الأصل: الله، والصواب من «ن».

(٧) في الأصل: للتراب، وما أثبتناه من «ن».

عنهم منغلق، ليس وراء هذا عندهم شيء، فيحتجوا[1] به على الأمم، ويستبشروا[2] بالفضل الذي حباهم الله به.

فقلنا لهم: إن الحجة القاطعة في الفرق بينهما في نفس الآية[3]، ولكن لم[4] يفتح لكم الباب فتفهموا عنه، وصرفتم عنه، فانظروا ما آية هذا الصرف؟ فإنه قال[5]: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾[الأعراف: ١٤٦].

فقال أهل التفسير: صرف الله عن آياته قلوب المتكبرين بغير الحق، فلا يفهمونه، ولا يجدون حلاوته ولا لذاذته، ولا لطائفه ولا دقائق حدوده، فأما الحجة القاطعة في نفس الآية، فإنه قال: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا﴾[النساء: ٤٣].

فالصعيد: هو التراب الذي يصعد الناس عليه بأقدامهم، فيطؤونه.

ثم قال: ﴿طَيِّبًا﴾، فأعلمنا أن الخبث[6] الذي حل بالأرض من نجاسة الشرك، ورجاسة العدو، وارتفع، وزال، وعاد الصعيد الذي تقصدون لتناوله، فتمسحون به مواضع الوضوء طاهراً[7]، وزايله الخبث؛ لعظيم ما جاء به محمد ﷺ من عندي، فإنما أمرنا بقوله: ﴿تَيَمَّمُواْ﴾؛ أي: اقصدوا تلك

---

(١) في الأصل: فجمحوا، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: وتبشروا، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: في الآية، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: لن، والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: فقال، والصواب من «ن»

(٦) في الأصل: الخبيث، والصواب من «ن».

(٧) في الأصل: ظاهر، والصواب من «ن».

الهدية التي بها طاب هذا الصعيد، فإنما القصد للهدية في التراب، لا للتراب، فإذا كانت الهدية مفقودة عن القلب، والقلب بها جاهل، فماذا يغني؟

فالرسول ﷺ يقول: «أُعطيتُ هَذَا، وَلم يُعطَ أَحد مِن الأَنبيَاءِ قَبلِي[1]»[2].

فسماه الله في تنزيله: طيباً، فإنما فرق بين الوضوء والتيمم هذه النكتة أن يقصد للهدية[3] في التراب، فيقبلها من الله؛ فإن الأرض قد عادت لك[4] طيبة، قامت لك مقام الماء الذي جعله الله طهوراً لك.

فالطهر يجمع المتفرق، والطيب يحيى، ويثبت، ويدوم أصله، فالطهور بالماء للأمم كلها، والطيب بالتراب لهذه الأمة خاصة، فاجتمع الطهر والطيب في التيمم، وتمت نعم الله علينا به، فإنما طابت الأرض لمجيء الكنوز مع محمد ﷺ، وكذلك الغنائم كانت نجسة؛ لأنها أخذت من العدو، ومُلكُ العدو كله نجس.

ألا ترى أن الله تعالى ذكر حلي آل فرعون أوزاراً، فقال: ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾[طه: ٨٧]، وكانت لا تحل لهم[5]؛ لنجاستها، فكانوا[6]

---

(١) في «ن»: ولم يعط أحد قبلي من الأنبياء.

(٢) تقدم تخريجه في بداية الأصل.

(٣) في «ن»: الهدية.

(٤) في الأصل: تلك، والصواب من «ن».

(٥) لهم: زيادة من «ن».

(٦) في «ن»: فكانت.

يضعونها، فتجيء نار من السماء فتأكلها، وكان هارون عليه السلام أمرهم أن يقذفوا ما في أيديهم من تلك الحلي التي استعاروها من آل فرعون، فقال لهم هارون: تطهروا منها، فرموا بها، فجمعها السامري، فاتخذها عجلاً، فقذف فيها التراب الذي كان رفعه من حافر فرس جبريل عليه السلام فرس الحياة؛ للفتنة التي كتب الله عليهم بلواها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾، فإنما يسمى أوزاراً؛ لرجاسته.

فقال الله لهذه الأمة: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾[الأنفال: ٦٩]؛ أي: أحلت[1] لكم الجزية، ثم قال: ﴿طَيِّبًا﴾، وإنما طابت هذه الغنيمة لمحمد عليه السلام وأمته؛ لأنهم ضربوا بالسيوف[2] بحرارة حمية حب الله وزايلتها، رجاسة الكفر وأهله؛ لأن حرارة الحب تقطع علائق النفس، وتخرق أسبابها، وعلائق النفوس من أسباب الشرك، وسائر الأمم لم يعطوا هذا، فلم تطب لهم الغنائم.

ولم تزل رجاسة أهل الكفر من تلك الأشياء، فلم تحل لهم، فبنو إسرائيل إنما قاتلوا على الديار، وعلى الأرضين المغتصبة التي كانت لآبائهم، وهي الأرض المقدسة أرضُ إبراهيم عليه السلام، فقاتلوا عليها؛ ليردوها إلى ملكهم، فأنبياؤهم بعثوا للدعوة إلى الله، ونبينا عليه السلام بعث للتوبة والملحمة، يعني: إن لم يتوبوا، لحموا بالسيوف، فلذلك قال عليه السلام: «أَنَا نَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ المَلْحَمَةِ».

---

(١) في الأصل: أحللت، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: السيوف، والصواب من «ن».

(١٢٣٤) ـ نا بذلك علقمةُ بنُ عمرٍو التميميُّ قال: نا أبو بكرِ بنُ عياشٍ، عن عاصمٍ، عن أبي وائلٍ، عن حذيفةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَنَا نبيُّ التَّوبةِ، وَنَبِيُّ[1] المَلحَمَةِ»[2].

قال أبو عبدالله:

معناه عندنا: أن الأنبياء قبلي أُمروا بدعوة الخلق إلى أن يقولوا: لا إله إلا الله، فإن أجابت الأمة، وإلا، عذبت، وبعثتُ إلى الأمة بأن أدعو إلى: لا إله إلا الله، فإن أجابت[3]، وإلا أمهلتهم حتى يتوبوا[4]، وللتوبة انتظار ومدة، والعذاب مأمون، فهم يتقلبون في الشرك مع المدة، وأنا صاحب التوبة، فإن تابوا، قبل الله ذلك منهم بأن جعلني نبي التوبة، ومن تمادى في ذلك، لحمت أجسادهم بالسيف؛ أي: ضربتهم حتى صاروا لحوماً بلا أرواح، فكما صارت الغنائم طيبة من رجاسة الكفر بما ذكرنا من حرارة الحب التي فضلت هذه الأمة بها، فكذلك طابت الأرض من رجاسة الكفر والمعاصي بما جاء به محمد ﷺ من الأنوار المقدسة، فصارت الأرض لهم مسجداً

---

(١) في «ن»: وأنا نبي.

(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (ص: ٣٠٦)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٤٠٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٢٨) من طريق أبي بكر بن عياش، به.

وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١١/ ٢٠٠) للحكيم، عن حذيفة ﷺ.

(٣) الأمة، وإلا، عُذبت، وبُعثت إلى الأمة بأن أدعو إلى لا إله إلا الله، فإن أجابت: زيادة من «ن».

(٤) في الأصل: يقولوا، والصواب من «ن».

وطهوراً، وطابت أيضاً بليلة القدر، وشهادة الرب لأهل[1] الأرض بالقربة، وإنما كانت تكون المشاهدة للنبيين على أجسادهم، وأعطيت هذه الأمة على أرضها حتى يراها من سبقت له الحسنى من الله بعينه إشراق المشاهدة.

وقد روي[2] في الأخبار: أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ رآها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «هَذِهِ لَيْلَةٌ كُشِفَ غِطَاؤُهَا»[3].

ولذلك قال علي ﷺ: أنا أشرتُ على عمرَ ﷺ في أن يقيم للناس إماماً في شهر رمضان؛ ليصلي بهم صلاة التراويح، وأعلمته أن لله ملائكة في حظيرة القدس يقال لهم: الروح، فإذا كانت ليلة القدر، استأذنوا ربهم في النزول إلى الأرض.

(١٢٣٥) ـ نا بذلك عبدُ الأعلى بنُ واصلٍ الأسديُّ،

---

(١) في «ن»: أهل.

(٢) في الأصل: يروى، والصواب من «ن».

(٣) قال ابن رجب في «لطائف المعارف» في المجلس الخامس في ذكر السبع الأواخر من رمضان: قد روى سلمة بن شبيب في كتاب «فضائل رمضان»: حدثنا إبراهيم ابن الحكم: حدثني أبي، قال: حدثني فرقد: أن أناساً من الصحابة كانوا في المسجد، فسمعوا كلاماً من السماء، ورأوا نوراً من السماء، وباباً من السماء، وذلك في شهر رمضان، فأخبروا رسول الله ﷺ بما رأوا، فزعم أن رسول الله ﷺ قال: «أما النور، فنور رب العزة تعالى، وأما الباب، فباب السماء، والكلام كلام الأنبياء، فكل شهر رمضان على هذه الحال، ولكن هذه ليلة كشف غطاؤها»، وهذا مرسل ضعيف.

قال: نا عبيدُ بنُ إسحاقَ العطارُ، قال: نا سيفُ بنُ عمرَ التميميُّ، عن سعدِ بنِ طريفٍ، عن الأصبغِ بنِ نُباتةَ، عن عليٍّ: «فإنَّما استأذَنَتهُ[1] ملائِكةُ الرُّوحِ في النزولِ إلى الأرضِ؛ طمعاً أن ينالوا ما لم يكن عندَهم في مقامِهم»[2].

ومما يحقق ذلك: قولُ الله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾[القدر: ٤]، يعني: في تلك الليلة، ثم قال: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَـٰمٌ هِىَ﴾[القدر: ٤ ـ ٥]؛ أي: تلك الليلة سلام من كل آفة[3] ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[القدر: ٥].

ولذلك قال رسولُ الله ﷺ: «لاَ يُرمَى في تِلكَ الليلةِ بِنَجمٍ»؛ لأن الشياطين قد اختنست[4] من أجل المشاهدة، وقال: «لاَ يَحدُثُ فِيهَا دَاءٌ»[5]؛ لأن الخلق صاروا في مأمن من مشاهدة السلام المؤمن المهيمن، فبقيت طهارة المشاهدة وطيب سلام السلام على الأرض، فهذا[6] كله لهذه الأمة، فكيف لا يعود ترابها طهوراً؟.

وأما نفس هذه الكلمة من قوله: ﴿تَيَمَّمُواْ﴾[البقرة: ٢٦٧]، فإن ترجمتها

---

(١) في الأصل: استأذنه، والصواب من «ن».

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٣٧)، وفي «فضائل الأوقات» (ص: ٢٥٤) من طريق عبيد بن إسحاق، به.

(٣) في الأصل: آفة السنة، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: أحبست.

(٥) انظر: «فتح الباري» (٤/ ٢٦٠)، وفيه: روى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد: لا يرسل فيها شيطان، ولا يحدث فيها داء.

(٦) في الأصل: فهذه، والصواب من «ن».

هي: التوجه، وذلك أن كل شيء توجهت إليه، فقد جعلته أمامك.

يقال في اللغة: أَمَّ الشيءَ يَؤُمُّه؛ أي: توجه ما أمامه، فإنما هو تَأَمَّمَ على قالب تَفَعَّل، فإذا أبدلوا بالألف أو الهمزة ياء، قيل: تيمم، فهذا أصل هذه الكلمة، فإنما أمرت بالتوجه إليه بالقلب، ولو كان ذلك يراد به التوجه بالبدن، لكان[1] في كل عمل من الغسل وغيره لا يتهيأ له حتى يتوجه، فإنما خص التيمم بذلك التوجه؛ ليكون فرقاً بينه وبين الغسل.

وأما قوله ﷺ: «نُصِرتُ بِالرُّعبِ»: فإن الرعب أصلُه من فورة سلطان الله من باب النار، فإذا جعل نصرته من الرعب، فقد أعطي جنداً لا يقوم له أحدٌ، ولم يعط أحدٌ من الرسل ذلك، فكان أينما ذكر من مسيرة شهر، وقع ذلك الرعب في قلب عدوه، فذل بمكانه[2].

وأما قوله ﷺ: «أُحِلَّت لِيَ الغَنائِمُ»: فقد دخل تفسير هذا فيما بيناه بدءاً من شأن التيمم.

وأما قوله ﷺ: «أُعطِيتُ الشَّفَاعَةَ، فادَّخرتُها لأُمَّتِي»: فإن تلك دعوة كانت لكل نبي، فتعجلها[3] الأنبياء في الدنيا، وأخَّرها نبينا محمد ﷺ ذخراً لأمته، ونصيحة لله في عباده، فاستوجب بنصيحة[4] الله وبرأفته على عبيده: أن وضع دعوته في محل التربية حتى تربو، وتتضاعف[5] حتى يخرج له يوم

(١) في الأصل: لكل، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: لمكانه، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: فتعجلتها، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: بنصحه.

(٥) في الأصل: يربو، ويضاعف، والصواب من «ن».

القيامة تلك الدعوة بهيئة يحتاج الخلق كلهم إليها، حتى إبراهيمُ خليلُ الله، كذلك روي لنا عن رسول الله ﷺ.

(١٢٣٦) ـ نا بذلك عبدُ الرحيمِ بنُ يوسفَ، قال: نا يعلى بنُ عبيدٍ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ، عن عبدِالله بنِ عيسى، عن جدِّهِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي ليلى، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ، عن رسولِ الله ﷺ: أنه قال: «لَمَّا أَتَانِي جِبرِيلُ عليه السلام بِهَذِهِ الدَّعوَةِ، قُلتُ: إِنِّي ادَّخَرتُهَا لأُمَّتِي، فَيَحتَاجُ الخَلقُ كُلُّهُم إِلَيَّ فِي هَذِه الدَّعوَة، حَتَّى إِبرَاهِيمُ خَلِيلُ اللهِ»[1].

وفي الحديث قصة، اختصرنا هذه الكلمة التي احتجنا إليها في هذا الموضع مسألة لاحقة بمسألة التيمم.

(١٢٣٧) ـ نا إبراهيمُ بنُ إسماعيلَ بنِ يحيى بنِ سلمةَ ابنِ كُهيلٍ، قال: حدثني أبي، [عن أبيه]، عن سلمةَ بنِ كهيلٍ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُعطِيتُ خَمساً لَمْ يُعطَهُنَّ نَبِـيٌّ قَبلِي: بُعِثتُ إِلى النَّاسِ كَافَّةً الأَحمرِ والأَسودِ، وَإِنَّما كَانَ النَّبيُّ يُبعَثُ إِلى قَومِهِ، وَنُصِرتُ

(١) سيأتي تخريجه مطولاً ضمن القصة التي أشار إليها المصنف في الأصل الخامس والستين والمئتين.

بِالرُّعبِ، يُرعَبُ مِنِّي عَدُوِّي عَلى مَسيرَةِ شَهرٍ، وَأُطعِمتُ المَغنَمَ، وَجُعِلَت لِيَ الأَرضُ مَسجِداً وَطَهُوراً، وَأُعطِيتُ الشَّفاعَةَ، فَادَّخَرتُهَا لأُمَّتي إِلى يَومِ القِيامَةِ»[1].

(١٢٣٨) ـ نا صالحُ بنُ محمدٍ، والجارودُ بنُ معاذٍ، قالا: نا جريرٌ، عن يزيدَ بنِ أبي زيادٍ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُعطِيتُ خَمساً لَمْ يُعطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبلِي، وَلاَ فَخرَ»[2].

فذكر مثل حديث سلمة، عن مجاهد، عن ابن عمر.

(١٢٣٩) ـ ونا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، قال: نا بكرُ بنُ مضرَ[3]، عن يزيدَ بنِ[4] عبدِالله بنِ أسامةَ بنِ الهادِ، عن عمرِو بنِ

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٤١٣) من طريق إبراهيم، به.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٦١): أخرجه البزار، والطبراني، وزاد: «وكان كل نبي يبعث إلى قريته»، وفيه: إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن كهيل، وهو ضعيف، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: في روايته عن أبيه بعض المناكير.

(٢) تقدم تخريجه في بداية الأصل.

(٣) في «ن» زيادة: القرشي البصري.

(٤) في الأصل: بكر بن مضر عن أبيه، عن عبدالله، والصواب من «ن».

شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ عامَ غزوةِ تبوكَ قام من الليل يصلِّي، فاجتمع وراءه رجالٌ من أصحابه يحرُسونه حتى إذا صلَّى، وانصرفَ إليهم، فقال لهم: «لقَد أُعطِيتُ اللَّيلةَ خَمساً مَا أُعطِيَهُنَّ أَحَدٌ كَانَ قَبلِي، أَمَّا أنَا، فَأرسِلتُ إِلى النَّاسِ كُلِّهِم، وَكانَ مَن كَانَ قَبلِي يُرسَلُ[1] إِلى قَومِهِ، ونُصِرتُ علَى العَدُوِّ بِالرُّعبِ، وَلَو كَانَ مَسيرَةُ شَهرٍ بَينِي وَبينَهُم لَمُلِىءَ[2] مِنِّي رُعباً، وَأُحِلَّتْ لِيَ المَغَانِمُ[3] كُلُّها، وَكانَ مَن كَانَ قَبلِي يُعظِّمونَ أَكلَها، كَانُوا يُحَرِّقُونَهَا، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرضُ مَسجِداً وَطُهُوراً، أَينَما أَدرَكَتْني الصَّلاةُ، تَمَسَّحتُ، وَصَلَّيتُ، وَكانَ مَن قَبلِي يُعَظِّمُونَ ذَلكَ، إِنَّما[4] كَانُوا يُصَلُّونَ في كَنَائِسِهِم وبِيَعِهِم[5]، وَالخَامِسَةُ هِي مَا هِيَ؟ قِيلَ لي: سَلْ؛ فَإِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ سَأَلَ، فَادَّخَرتُ مَسأَلَتِي إِلى يَومِ القِيامَةِ، فَهي لَكُم وَلِمَن شَهِدَ

---

(١) في «ن»: إنما يرسل.

(٢) في الأصل: يملأ، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: الغنائم.

(٤) في «ن»: وإنما.

(٥) وبيعهم: زيادة من «ن».

أَن لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ»[١].

وقال الله في تنزيله: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾، ثم قال: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[المائدة: ٦].

فأعلم العبادَ أن في التراب طهوراً إذا لم يجدوا الماء بقوله: ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ[٢]﴾[الأنفال: ١١]، فأقام التراب مقام الماء، وأعلم العبادَ حظهم من مشيئته: أن مشيئتي قد انقسمت على من مضى، وعليكم، فكان وفارة حظوظكم من مشيئتي أن خرجت لكم إرادتي[٣] أن جعلتُ لكم التراب بدلَ الماء طهوراً[٤]، وأن هذه هدية مني لكم، واختصصتكم[٥] بالهدية دون سائر الأمم، فاشكروني عليها، وأن الأمر قد يجيء[٦] من الله حكماً وحتماً، ويجيء[٧] الأمر حكماً مع البر واللطف، ففي ذلك يكون

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٢) من طريق قتيبة بن سعيد، به.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٦٧): أخرجه أحمد، ورجاله ثقات.
وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٢٢٢) من طريق ابن الهاد، به.

(٢) به: ليست في الأصل، وزدتها من «ن».

(٣) في «ن» زيادة: من مشيئتي أن خرجت لكم إرادتي أن جعلت لكم. . . .

(٤) جاء في الأصل هنا زيادة: وأن خرجت لكم من مشيئتي إرادتي: وهي ليست في «ن».

(٥) في «ن» اختصصتكم.

(٦) في الأصل: نجز، والصواب من «ن».

(٧) في الأصل: وليجيء، والصواب من «ن».

يسراً عليهم، فيسَّر عليهم بأن أقام لهم التراب طهوراً يتطهرون به كالماء، ثم ألقى إليهم بعقب الأمر لطفاً ينبئ عن إرادته ومشيئته، ويقتضيهم شكر هذا اللطف والبر، فقال: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل: ١٤].

فجرى حكم التيمم في الواجبات من الأمور أنه إذا فقد الماء، فقد جاءت ضرورة، فإذا تيمم، فقد زالت عنه الجنابة والأحداث، وكذلك كل ضرورة إذا جاءت سوى فقد الماء[١]، فإنه يقوم التراب مقام الماء، وذلك إذا كان مجروحاً، أو محصوراً، أو برداً شديداً يخاف على نفسه منه، كانت تلك الضرورة كفقد الماء، وقد ذكر[٢] في الآية ضرورة المرض، فقال: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾[النساء: ٤٣]، فجعل المرضَ وفَقْدَ الماء ضرورتين[٣].

وروي عن رسول الله في شأن البرد:

(١٢٤٠) ـ نا بذلك محمدُ بنُ عبدِالله بنِ يزيدَ القرشيُّ[٤]، قال: نا أبي، قال: نا ابنُ لهيعةَ، قال: حدثني يزيدُ بنُ أبي حبيبٍ، عن عمرَ بنِ أبي أنسٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جبيرٍ[٥]، عن عمرِو بنِ العاصِ، قال: بعثني رسولُ الله ﷺ في غزوةِ

---

(١) من قوله: فقد جاءت... إلى قوله: فقد الماء: ليس في «ن».

(٢) في الأصل: ذكرت، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: ضرورتان.

(٤) في «ن»: المقرىء.

(٥) في الأصل: حبيب، والصواب ما أثبتناه.

ذاتِ السلاسلِ، فاحتلَمتُ في ليلة باردةٍ شديدةِ البردِ، فخشيتُ إن اغتسلتُ أن أهلِكَ، فتيمَّمتُ، ثم صليت بأصحابي، فلما قَدِمنا على رسول الله ﷺ، ذكرتُ ذلك له، وقلتُ: يا رسول الله! أشفقتُ إن اغتسلتُ أن أهلِكَ، فذكرتُ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[النساء: ٢٩]، فتيممت، ثم صليت بأصحابي، فضحك رسولُ الله[1].

(١٢٤١) ـ **نا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، قال: نا الليثُ بنُ سعدٍ، عن يزيدَ بنِ أبي حبيبٍ، عن رسولِ الله، بنحوه.**

وقال: «مَا أُحبُّ أَنَّكَ تَركتَ شَيئاً مِمَّا فَعلتَ».

قال أبو عبدالله:

ثم جرى في الأخبار ذكرُ سائر الضرورات، من ذلك: أن تموت المرأة ليست معهم امرأة تغسلها.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٠٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٦/ ١٤٧) من طريق ابن لهيعة، به.

وأخرجه أبو داود (٣٣٤)، والدارقطني في «السنن» (١/ ١٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٨٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٢٢٥) من طريق يزيد بن أبي حبيب، به.

(١٢٤٢) ـ نا محمـدُ بنُ عبدةَ بنِ سـليمانَ، قال: نا **أبو بكرِ بنُ عياشٍ، عن محمدِ بنِ أبي[١] سهلٍ، عن مكحولٍ،** **عن رسولِ الله ﷺ في المرأة تموتُ في السفر مع رجالٍ ليس** **معهم امرأةٌ، وفي الرجل يموتُ في السفر ومعه نساءٌ ليس** **معهنَّ رجلٌ، فقال: «يُيَمَّمانِ بَالصَّعيدِ»[٢].**

قال محمد بن عبدة[٣]: سمعته من أبي بكر بن عياش[٤] مع أبي، ووكيع، ويحيى بن آدم.

(١٢٤٣) ـ نا أحمدُ بنُ مصرفٍ الياميُّ، قال: نا أبو يحيى **الحمانيُّ، عن أبي سـعيدٍ، عن مكحـولٍ، عن رسـولِ الله،** **بمثله[٥].**

ومن ذلك صلاةُ الجنازة إذا حضرت، فخاف[٦] فوتها، فأجازوا له التيمم.

---

(١) أبي: ليست في «ن».

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٩٨) من طريق أبي بكر بن عياش، به.

(٣) في الأصل: ابن عبيدالله، وما أثبتناه من «ن».

(٤) عياش: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٤١٣) من طريق محمد الزهري عن مكحول مرسلاً.

(٦) في الأصل: إذا خاف، والصواب من «ن».

(١٢٤٤) ـ نا محمدُ بنُ أبي مذعورٍ، قال: نا ابنُ نميرٍ، قال: نا إسماعيلُ بنُ مسلمٍ، عن عبيدِالله، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ: أنه أُتي بجنازة، وهو على غير وضوء، فتيمم، وصلى عليها[1].

(١٢٤٥) ـ نا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ الشهيدِ، قال: نا عمرُ بنُ أيوبَ الموصليُّ، عن المغيرةِ بنِ زيادٍ، عن عطاءِ ابنِ أبي رباحٍ، قال: مرّت بابنِ عباسٍ جنازةٌ، وهو على غير طهر[2]، فتيمم بالصعيد، وصَلَّى عليها[3].

قال أبو عبدالله:

---

(١) أخرجه الدارقطني في «السنن» (١/ ٢٠٢)، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «المعرفة» (١/ ٣٠٣) من طريق محمد بن أبي مذعور، به.

(٢) في «ن»: طهور.

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٠/ ١٢) من طريق محمد بن عبدالله بن عمار عن عمر بن أيوب، به.

وقال: قال ابن عمار: ليس يروى هذا إلا من هذا الوجه؛ يعني: من وجه المغيرة ابن زياد، قال ابن عمار: قال لي يحيى بن سعيد لحديث المغيرة: هذا حديث منكر، قال: وعبد الملك أثبت منه، يرويه عن عطاء، ليس فيه ابن عباس. قال: قلت: إن صاحبنا مغيرة بن زياد هو ثقة، وأنت لا تعرفه، قال: يقولون: إنه ثقة، ولكن هذا منكر.

فهذه ضرورة خوف الفوت، ثم من بعد ذلك أحوال تأتي على المؤمن ما يجب أن يجدد وضوءاً، والماء موجود في الحضر، فتيمم مخافة الفوت.

وذلك مثل[1] ما:

(١٢٤٦) - حدثني به أبي رَحِمَهُ اللهُ، قال: نا محمدُ بنُ الحسنِ، عن عبدِالله بنِ المباركِ، عن ابنِ لهيعةَ، عن عبدِالله ابنِ هبيرةَ[2]، عن حنشٍ، عن ابنِ عباسٍ: أنّ رسولَ الله ﷺ كان يخرج، فيُهريقُ الماء، فيتمسَّحُ بالتراب، فأقول[3]: يا رسولَ الله! الماءُ منك قريبٌ، فيقول: «مَا أَدرِي، لَعلِّي لاَ أَبلُغُهُ»[4].

---

(١) مثل: ليست في «ن».

(٢) في الأصل زيادة: عن عبدالله، والصواب إسقاطها كما في «ن».

(٣) في الأصل: قال، والصواب من «ن».

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٩٨)، ومن طريقه أحمد في «المسند» (١/ ٢٨٨)، به.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (ص: ٢٩) من طريق ابن لهيعة، به.

وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٢٣٨) عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة، عن الأعرج، عن حنش، به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٦٣): أخرجه أحمد، والطبراني في «الكبير»، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

قلت: وإن كان ضعيفاً، إلا أنه استثني من ذلك رواية العبادلة عنه، ومنهم ابن=

(١٢٤٧) ـ حدثني أبي، قال: نا الفضلُ بنُ دكينٍ، عن سفيانَ، عن أبي سنانَ، عن عبدِالله بنِ أبي الهُذَيلِ، قال: إنْ كان أحدُهم ليَبولُ، ثم يمسحُ بالتراب؛ مخافةَ أن تقومَ الساعةُ[١].

(١٢٤٨) ـ ونا محمدُ بنُ موسى الحرشيُّ، قال: نا محمدُ ابنُ ثابتٍ العبديُّ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، قال: سلَّم رجلٌ على رسولِ الله ﷺ، فلم يردَّ عليه حتى دنا إلى حائط، فضرب[٢] بيده ضربةً، فمسح بهما وجهه، ثم ضرب ضربة أخرى، فمسح بها ذراعيه إلى المرفقين[٣]، ثم ردَّ عليه السلام[٤].

(١٢٤٩) ـ نا محمد بن بشار العبدي قال: نا محمد بن

= المبارك، فعلى هذا الحديث حسن، والله أعلم.

(١) أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (٢/ ٦٤٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٥٩) من طريق سفيان، به.

(٢) في «ن»: فضرب.

(٣) في «ن»: الرفقين.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٣٠)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٨٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨/ ٦)، والدارقطني في «السنن» (١/ ١٧٧)، من طريق محمد بن ثابت، به.

جعفر، عن شعبة، عن محمد بن المنكدر، عن عبدالله بن حنظلة بن الراهب: أن رجلاً سلَّم على رسول الله ﷺ وقد بال، فلم يردَّ عليه حتى أتى حائطاً، فقال بيده على الحائط؛ يعني: أنه تيمم[١].

(١٢٥٠) ـ نا سعيدُ بنُ يحيى الأُمويُّ، عن أبيه، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصاريِّ، عن سليمانَ بنِ يسارٍ، عن رسولِ الله، بنحوه[٢].

(١٢٥١) ـ نا عبدُ الكريمِ بنُ عبدِالله اليشكريُّ[٣]، قال: نا أبو[٤] معاذٍ النَّحْوِيُّ، قال: نا أبو عصمةَ، عن موسى بنِ علقمةَ، عن الأعرجِ، عن أبي جُحيفةَ، قال: أقبل

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٥) من طريق محمد بن جعفر، ثنا شعبة، ثنا سعيد عن محمد بن المنكدر، عن رجل، عن عبدالله بن حنظلة.
وأخرجه الطيالسي في «المسند» (ص: ١٧٨)، وابن الجعد في «المسند» (ص: ٢٥٣) من طريق شعبة، نا محمد بن المنكدر عن رجل، عن عبدالله بن حنظلة، به.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٧٦): رواه أحمد، وفيه رجل لم يسم.

(٢) أخرجه الشافعي في «المسند» (ص: ٣٤٦) من طريق يحيى بن سعيد، به.

(٣) كذا في الأصلين، ولعل صوابه السكري.

(٤) في الأصل: ابن، والصواب من «ن».

رسولُ الله ﷺ من بئر جَمَلٍ، إما من غائطٍ، أو بولٍ، فسلمتُ عليه، فلم يردَّ عليَّ حتى ضربَ الحائطَ بيده، فمسح بهما وجهه، ثم ضرب أخرى، فمسح ذراعيه إلى المرفقين، ثم ردَّ عليَّ السلام[1].

قال أبو عبدالله:

فهذه ضرورة مخافة الفوت؛ لأن ردَّ السلام فريضة، ثم من بعد ذلك أحوال ما يشبه هذا.

(١٢٥٢) ـ نا الجارودُ بنُ معاذٍ، قال: نا جريرٌ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، عن يعقوبَ بنِ عتبةَ، عن الحارثِ بنِ أبي بكرِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ، عن أبيه، قال: أتى ابنُ الحمامة السلميُّ رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني أثنيت على ربي، ومدحتك، فقال: «أَمسكْ عَليكَ»، ثم قام رسولُ الله، فخرج به من المسجد، فقال: «أَمَّا مَا أَثْنَيتهُ عَلَى رَبِّكَ فَهاتِهِ، وَأَمَّا مَا مَدَحتَني بِهِ، فَدَعهُ عَنكَ»، فأنشده، حتى إذا فرغ، دعا بلالاً، فأمره أن يعطيه شيئاً، ثم أقبل

(١) أخرجه الدارقطني في «السنن» (١/ ١٧٧) من طريق أبي معاذ عن أبي عصمة، عن موسى بن عقبة، عن الأعرج، عن أبي جهيم.

رسـولُ الله على المسجد، فوضع يدَه على حائط المسجد، فمسح به وجهه وذراعيه، ثم دخل[1].

قال أبو عبدالله:

فهذا تيمم من أجل أنه استمع إلى شعرٍ؛ فذاك، وإن كان ثناء على الله، فإنه سـجع وتكلف، فإنمـا أثنى على الله؛ طمعاً في نـوال عَرَضٍ من[2] الدنيا، فداراه رسول الله، ولم يردَّه[3]، ولم يخيبه من طمعه.

ألا ترى أنه أمره بالإمسـاك حتى خرج من المسجـد؛ لأنه كره أن يذكر اللهَ أحدٌ بطمع في نوال، وإنما أعطاهُ وقايةً لعرضه.

(١٢٥٣) ـ نا سفيانُ بنُ وكيعٍ، قال: نا زيدُ بنُ حبابٍ، عن مسورِ[4] بنِ الصَّلتِ، عن محمدِ بنِ المنكدِر، عن جابرِ ابنِ عبدِالله: أن رسولَ الله ﷺ أتاه شاعرٌ، فأمر له بشيء، ثم قال: «مَا وَقى بهِ المَرءُ عِرضَهُ، فَهو لَهُ[5] صَدَقةٌ»[6].

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٢٢٥) من طريق جرير، به.

(٢) من: ليست في «ن».

(٣) في الأصل: يرد، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: منصور.

(٥) له: ليست في «ن».

(٦) أخرجه أبو يعلـى في «المسند» (٢٠٤٠)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» =

فكذلك هناك في ذلك الحديث أعطاه؛ ليقي عِرضه، فلما فرغ وأراد النبي ﷺ الرجوع إلى المسجد، تيمم، وعدَّ ذلك حدثاً، فتيمم؛ ليعود إلى الحالة الأولى، وأيضاً ضرورة أخرى احتياط من حيث لا يدري، وذلك إنْ[1] تفكَّر المرءُ في نفسه ما جاء في تشديد البول، وما جاء فيه من عذاب القبر، فيخاف أن يكون قد أصابه منه[2] شيء من حيث لا يدري، فأمر بالتيمم.

(١٢٥٤) ـ نا بذلك عبيدُالله بنُ يوسفَ الجبيريُّ[3]، قال: نا عثمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ الحرانيُّ، قال: نا عبدُ الحميدِ ابنُ يزيدَ[4]، عن آمنةَ[5] بنتِ عمرَ، عن ميمونـةَ: أنها قـالت: يا رسـولَ الله! أَفتنا عن عذاب القبر، قـال ﷺ: «أَثَرُ البَولِ، فَمَن أَصـابهُ مِنهُ شَـيءٌ، فَليَغسِـلهُ، وَمَن لَمْ

= (٦/ ٤٣١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٤٢) من طريق مسور بن الصلت، به.

وأخرجه عبد بن حميد في «المسند» (ص: ٣٢٧)، والدارقطني في «السنن» (٣/ ٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٧) من طريق محمد بن المنكدر، به.

(١) إن: زيادة من «ن».

(٢) منه: زيادة من «ن».

(٣) في الأصل: الجريري، والصواب من «ن».

(٤) في الأصل: زيد، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: أمية.

يَجِد، فَليمسَحْ بِترابٍ طَيِّبٍ»[1].

فصير رسـولُ الله ﷺ فقدَ علمه؛ لأنه لا يدري أصـابه أم لا، كفقده[2] الماء.

وروي عن الأعمش: أنه كان إذا أراد أن يحدث، تيمم[3].

وروي عن السلف: أن أحدهم كان إذا انتبه من النوم، تيمم في فراشه؛ ليعود إلى النوم على طهارة جديدة، وكانوا يستحبون إذا نام الرجل في المسجد، فاستيقظ من منامه، أن يتيمم على مكانه؛ لكي[4] يكون ممره في المسجد إذا أراد الخروج على طهارة، فهذا التيمم هدية من الله لهذه الأمة خاصة دون الأمم؛ لتدوم لهم[5] هذه الطهارة في جميع أحوالهم ليلاً ونهاراً؛ لإتمام النعمة عليهم، وليشكر[6] العباد على هديته، فأقاموه مقام الماء في كل نوع من أنواع الضرورات، والله محمود على كل حال[7].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥/ ٣٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٦/ ٢١٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٩/ ٤٢) من طريق عثمان بن عبد الرحمن، به.

(٢) في الأصل: كفقد، وما أثبتناه من «ن».

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٣٨) عن الأعمش.

(٤) في الأصل: الذي، والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: له، والصواب من «ن».

(٦) في «ن»: ويشكر.

(٧) والله محمود على كل حال: ليست في «ن».



الأصل الحادي والأربعون والمئتان

(١٢٥٥) ـ نا نصرُ بنُ عليٍّ، قال: أخبرني عويدُ بنُ أبي عمرانَ الجونيُّ، قال: حدثني أبي[1]، عن أنسِ بنِ مالكٍ، قال: قال رسـولُ الله ﷺ: «يا بُنَيَّ! أَسبِـغِ الوُضُوءَ يُزَد في عُمُرِكَ»[2].

---

(١) أبي: زيادة من «ن».

(٢) أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٤١٨٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ١٦٣) من طريق نصر بن علي، به.

وأخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ٣٨٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٤٢٩) من طريق عويد، به.

وأخرجه أبو يعلى في «المسند» (٤٢٩٣)، والعقيلي في «ضعفاء العقيلي» (١/ ١١٨)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ٨١)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٩٢)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (١/ ٣٧٥)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٣٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٤٢٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩/ ٣٤٢) من طريق أنس، به.

قال أبو عبدالله:

فزيادة العمر تتجه على وجهين:

وجه منها: أن العبد[1] إذا عُمِّر بالإيمان، وبحياة القلب بالإيمان، فذاك كثير، وإن قل في عدد الأيام والمدة[2]؛ لأن القصير من العمر إذا احتشى من الإيمان، أربى على الكثير، وإنما يبتغي من العمر العبودة لله؛ كي يصير غداً عند الله وجيهاً.

ألا ترى أن المعمَّرين من الرسل[3] ـ عليهم السلام ـ مثل نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، وموسى ـ عليهم السلام ـ كلهم عُمِّروا ما بين المئتين إلى الألف، ومحمد ﷺ إنما لبث في النبوة نيفاً وعشرين سنة، فأربى على الجميع، وتقدمهم؛ لعظيم حشوه، ووفور حظه، ودنو قربه، وقال: «أنَا سَيدُ وَلدِ آدَم وَلاَ فَخرَ»[4].

ولذلك قال: «إنَّ اللهَ أَعطاني خِصالاً لم يُعطِ أَحداً قَبلِي: سُمِّيتُ أَحمدَ، وَنُصِرتُ بِالرُّعبِ، وجُعِلَت لِيَ الأَرضُ مَسجِداً وَطَهوراً، وأُحِلَّت لِيَ الغَنائِمُ».

---

(١) في «ن»: العمر.

(٢) في «ن»: أيام المدة.

(٣) في «ن»: الأنبياء.

(٤) أخرجه الترمذي (٣١٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد روى بعضهم هذا الحديث: عن أبي نضرة، عن ابن عباس، الحديث بطوله.

(١٢٥٦) ـ نا بذلك الفضلُ بنُ محمدٍ، قال: نا إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ يوسفَ الفريابيُّ، عن عاصمِ بنِ عليٍّ بنِ عاصمٍ، عن قيسِ بنِ الربيـعِ، عن عبدِالله بنِ محمدِ بنِ عقيـلٍ، عن الطفيلِ بنِ أُبَيٍّ بنِ كعبٍ، عن أبيه، عن رسولِ الله ﷺ[1].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فكل واحدة من هذه الخلال لو حملت السموات السبع والأرض ما في حشو كل خصلة منها، لأثقلتهما.

فأما قوله: «سُميت أحمد»، فمنه نالَ لواء الحمد؛ لأنه هو الذي وصل إلى عشِّ الحمد من بين الرسل، وكانت الرسل تحمد ربها من جو الآلاء، ومحمد من جو الرحمة العُظمى الذي منه بدأ الآلاء، فلذلك جُعل أحق الرسل بلواء الحمد؛ لأن حمدَهُ أخلص وأوفر.

---

(١) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١١/ ١٩٩) للحكيم، عن أبي بن كعب رضي الله عنه.
وهذا إسناد ضعيف، وله شاهد من حديث علي رضي الله عنه أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٩٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٠٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٢١٣).
وأخرج البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه بلفظ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة، فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة».

وأما قوله: «نصرت بالرعب» وما بعده من هذه الخصال، فقد تقدم تفسيرهُ.

ووجه آخر: أن الله تعالى قَدَّر الآجال والأرزاق والحظوظ بين أهلها، فجعل بعضها واجبة، وبعضها هدية، ثم أثبت ذلك كلَّه في أم الكتاب الذي عنده، الذي لا يطلع عليه أحد، ومنه نسخ إلى اللوح المحفوظ، فيمحو من ذلك الأم ما شاء، ويثبت ما شاء[١]، فأما الواجبات، فقد وجبت لأهلها، والهدايا تمحى[٢] بالأحداث التي تكون من أهلها في الأرض، فإذا حافظ المؤمن على الوضوء، وأسبغ الوضوء، فإنما يدوم هذا الفعل للعبد؛ لوفارة إيمانه، ولاتساع صدره شرحاً للإسلام، فهَدَاياه في أم الكتاب مثبتة تتربَّى[٣] له وتربو؛ لحفظه[٤] وصونه للهدايا، فإذا استخف بها، دخل في[٥] التخليط في إيمانه، وذهبت الوفارة، وانتقص[٦] من كل شيء؛ بمنزلة الشمس التي[٧] ينكسف طرَف منها، فبقدر ما انكسف، ولو بقدر[٨] رأس إبرة، انتقص شعاعها وإشراقها على أهل الدنيا كلهم، وخلص ضرر النقصان إلى كل شيء في الأرض.

---

(١) في «ن» زيادة: فإذا. . . فإنما يمحو من الهدايا ما شاء، ويثبت ما شاء.

(٢) في الأصل: تمحو، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: تتراءى، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: بحفظه.

(٥) في: ليست في «ن».

(٦) في الأصل: ينقص، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في الأصل: الذي، والصواب من «ن».

(٨) في «ن»: بمقدار.

فكذلك نور المعرفة، بقدر ما ينكسف من شمسها، ولو بمقدار رأس إبرة، ينتقص[1] من جميع أعماله وأخلاقه وسيرته في الدين بين يدي الله تعالى؛ لأنَّ القلب صار محجوباً، فمن حجب عن الله بمقدار رأس إبرة، فزوال الدنيا بكليتها أهونُ من ذلك، فلا يزال العبد ينتقص[2] ويَتراكَم نقصانه، وهو أَبلَهُ لا ينتبه لذلك حتى يستوجب الحرمان، فتمحى الهدية، ويبقى العبد خالياً، فإنما بلهته نفسُه حتى صار أبله، ولو عقل[3]، ثم انتبه لما حل به، لم ينم، ولا يزال[4] صارخاً إلى الله يتردد في الأرض ولا يستقر.

فقوله: «يزيد في العمر»؛ أي: يثبت له الهدية حتى يزاد في العمر، فيؤخِّر أجله، ويزاد في رزقه، ويزاد[5] في قوته في أعمال الدين والدنيا، ويزداد في البركة في كل الأشياء منه.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ الرَّجُلَ لَيبقَى مِن أَجلِهِ ثَلاثةُ أَيامٍ، فَيَصِلُ رَحِمَهُ، فَيَزيدُ اللهُ في عُمُرِهِ ثَلاثِينَ سَنةً»[6].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

وكيف لا يُزاد له في عمره، وقد تعلَّق بقميص الرحمة، والأخبار

---

(١) في الأصل: ينقص، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: ينقص، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: قد عقل.

(٤) ولا يزال: ليست في «ن».

(٥) ويزاد: ليست في «ن».

(٦) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣/ ١٤٤) لأبي الشيخ عن عبدالله بن عمرو. وانظر: «عمدة القاري» (١١/ ١٨١).

مستفيضة في أشياء من أعمال البر أنه يزاد له في عمره ثواباً لتلك[1] الأعمال، فذاك عاجل الثواب بشرى[2] لما أعد له في الآخرة من الثواب.

(١٢٥٧) ـ نا عبدُ الرحيمِ[3] بنُ حبيبٍ الفاريابيُّ، قال: نا بقيةُ بنُ الوليدِ، قال: نا عيسى بنُ إبراهيمَ القرشيُّ، قال: ثنا سليمانُ أبو عمرَ القرشيُّ، قال[4]: سمعتُ مسلمةَ بنَ عبدِالله الجُهنيَّ يحدِّث عن عمِّه، عن أبي الدرداءِ، قال: تَذاكَرنا زيادةَ العمر عندَ رسولِ الله ﷺ، فقال: «لَن يُؤخِّرَ اللهُ نَفساً إذَا جَاءَ أَجَلُهَا، زِيادةُ العُمرِ ذُرِّيَّةٌ صَالِحَةٌ يَرزُقُها[5] اللهُ العَبدَ، يَدعونَ لهُ بَعدَ مَوتِهِ، يَلحَقُهُ دُعاؤُهُم، فَذلكَ الزِّيادةُ في العُمرِ»[6].

---

(١) في الأصل: لذلك، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: فيسرى.

(٣) في الأصل: عبد الرحمن، والصواب من «ن».

(٤) قال: ثنا سليمان أبو عمر القرشي، زيادة من «ن» وفيها: ابن عمر، والصواب المثبت.

(٥) في الأصل: رزقها، والمثبت من «ن».

(٦) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٣٤٣)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٢٨٥) من طريق سليمان، به.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٦): أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وفيه سليمان بن عطاء، وهو ضعيف.
قلت: شيخ المصنف متهم. انظر: «لسان الميزان» (٤/ ٤)، وسليمان بن عطاء =

(١٢٥٨) ـ نا عَمرُو بنُ محمدٍ العثمانيُّ، قال: نا ابنُ أبي أُوَيسٍ، عن سليمانَ بنِ بلالٍ، عن يونسَ، عن الزهريِّ، عن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن كَانَ يُرِيدُ أَن يُبسَطَ لهُ في رِزقِهِ، وَيُنسَأَ لهُ في أَثَرِه، فَليَصِل رَحِمَهُ»[1].

□□□

= أبو عمر واهٍ؛ كما في «تهذيب التهذيب» (٤/ ١٨٤)، وعم مسلمة هو أبو مشجعة ابن ربعي الجهني، قال ابن حجر: مقبول؛ كما في «التقريب» (ص: ٦٧٣).

وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٦/ ١١٩) للحكيم، عن أبي الدرداء ﷺ.

(١) أخرجه أبو داود (١٦٩٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٢٩) من طريق يونس، به.

وأخرجه البخاري (٥٦٤٠)، وفي «الأدب المفرد» (ص: ٣٤)، ومسلم (٢٥٥٧)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٦٠٩)، وابن حبان في «الصحيح» (٤٣٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٧) من طريق الزهري، به.

وأخرجه البخاري (١٩٦١)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٥٦)، وأبو يعلى في «المسند» (٤٠٩٧)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٧٧) من طريق أنس، به.



الأصل الثاني والأربعون والمئتان

(١٢٥٩) ـ نا أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: نا عصمةُ بنُ حميمٍ[1] أبو أميةَ، قال أبو هلال الراسبي: عن قتادة، عن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لاَ إِيمَانَ لِمَن لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَن لاَ عَهدَ لَهُ»[2].

---

(١) في «ن»: جهم.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٣٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٥٩)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٤٧٠)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ٣٦١)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (ص: ٩١)، وأبو يعلى في «المسند» (٢٨٦٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٩٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٤٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٨٨)، وفي «شعب الإيمان» (٤/ ٧٨) من طريق أبي هلال، به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٩٦): وفيه: أبو هلال، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٥١)، وأبو يعلى في «المسند» (٣٤٤٥)، وابن حبان في «الصحيح» (١٩٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٩٧) من طريق ثابت عن أنس، به.

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ:

فالإيمان عش الأمانة، والأمانة في جوفه كالفرخ الذي يتفقأ[1] عن البيضة، ووكل العباد بتربيتها، كما يربي الطير فرخه في عشه، ويزقه، ويغدو في طلب تربيته، حتى ينقل إليه من أقطار الأرض، ويكتنفه، ويذب عنه، ويقاتل عنه من يرومه في عشه؛ تحنناً عليه، وشفقة وصيانة، حتى ينبت له جناح، ويطير معه.

فالمؤمن[2] موكل بحفظ الأمانة، وقد قبلها مع قبول الإيمان، ولم يتم[3] له الإيمان إلا بقبول الأمانة، وكانت مستورة، فأحبَّ الله أن يبرزها حتى يقبلها آدم بارزاً ظاهراً، فيباشر قبولها بيده ولسانه، فمثَّلها له دُرَّةً بيضاء، وجعلها مستورة في جوفه، فعُرِضت على السموات والأرض والجبال، فهِبنَها، وأشفقنَ منها؛ لأنه انكشف الغطاء لهن عن ذلك، وستر عن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وإنما عُرضت على السموات والأرض والجبال؛ لمكان آدم، والمقصود بذلك[4] آدم، ولو قصد بذلك غير[5] آدم، فأمر بقبولها، ولم يكُ عرضاً، فكان إذا قبلها، ثم ضيَّع منها شيئاً هو أو ولده، لكانوا يكفرون، ولكن الله تعالى لطف لآدم وولده، فجعلها عرضاً على السموات والأرض، وعرض لذلك آدم حتى قبلها، وإنما قبلها؛ لأنه تحرك ما في قلبه من المتضمن[6]

---

(١) في «ن»: يتفقأه.

(٢) في «ن»: فالموكل.

(٣) في الأصل: يثمر، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: به، والصواب ما أثبت.

(٥) غير: ليست في «ن».

(٦) في «ن»: المضمر.

في إيمانه، وهاج، فلم يملك أن سارع[1] إلى القبول مقتدراً، فابتلي باقتداره، فسمي ظَلوماً؛ لقبوله على الاقتدار، جَهولاً بما في باطن تلك الدرة، فهو في الظاهر بها جاهل، وفي الباطن مستعمله لِما[2] في باطن إيمانه يزعجه على القبول حتى وضعها على العاتق.

وقال: هي لك بين أذني وعاتقي، وبين الأذن والعاتق العنق، وفيها الرقبة؛ فألزم الأمانة عنقه كطوق العبيد، وذلل[3] لله رقبته، فلولا ما جرى فيه من الاقتدار؛ لكان أمراً عجيباً، فتكدر عليه الأمر للاقتدار، وانقطعت المادة، وإنما عمل فيه الاقتدار، وانسدَّ عليه باب التعلُّق بالله؛ لما كان في ظهره من الأعداء، فأحب الله أن يزايله الأعداء، فإن الأحباب والأعداء قد ضمَّهم صلبه، فابتلاه بقبول الأمانة؛ ليميز الخبيث من الطيب، فقبله على الاقتدار، فصار القبول حظّ الأحباب، وصار الاقتدار حظّ الأعداء، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب: ٧٢].

ثم أعلم العبادَ لم فعل[4] هذا؟ فقال: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا﴾[الأحزاب: ٧٣].

كأنه يقول: إنما فعلت هذا؛ لأعذب الأعداء، وأتوب على الأحباب، وأغفر لهم بسيئ ما عملوا، وأرحمهم في تقصيرهم؛ حتى تؤديهم الرحمة إلى

---

(١) في «ن»: أسرع.

(٢) في «ن»: مستعمل له ما.

(٣) في «ن»: وذل.

(٤) في الأصل: لما فعلت، والصواب من «ن».

دار رحمتي، فتقلَّدَ حفظ هذه الأمانة، فجرى قبوله لها من القلب إلى الجوارح السبع، فيجري عمله[1] على هذه الجوارح، فللعَين جزءٌ، وللسان جزءٌ، وللسمع جزءٌ، ولليد[2] جزءٌ، وللرجل جزءٌ، وللبطن جزءٌ، وللفرج جزءٌ، وجعل أمانة الفرج من بين الجوارح كلها مستورة، ولذلك سميت فاحشة إذا كشف عنها بغير حقٍّ، والاستعمال لها بغير حقٍّ هَلَكَة، والأدب لمن أتاها بغير حقٍّ القتل بالحجارة والتنكيل، والناظر إليها عامداً ملعون، والكاشف عنها منزوع الحياء، وإذا نزع الحياء، هتك الله ستر الحياء منه، فمقته، فلا تلقاه إلا مقيتاً شيطاناً لعيناً، فبهذا جاء الخبر.

(١٢٦٠) ـ نا صالحُ بنُ عبدِالله، قال: نا جريرٌ، عن ليثٍ، عن ابنِ أبي نجيحٍ، عن أبيه، عن عبدِالله بنِ عمرٍو، قال: أولُ ما خلقَ الله من الإنسان فرجُه، ثم قال: هذه أمانة خَبأتُها عندك، فلا تبسل[3] منها شيئاً إلا بحقها، فالسمعُ أمانة، والبصرُ أمانة، والفرجُ أمانة، والبطنُ أمانة، واللسانُ أمانة، واليدُ أمانة، والرِّجلُ أمانة[4].

---

(١) في «ن»: فتجري حملها.

(٢) في «ن»: للبدن.

(٣) في «ن»: تسل.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (ص: ٩٠)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ١٩٣) من طريق جرير، به.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٧١) للحكيم الترمذي عن عبدالله بن عمرو ﷺ.

قال أبو عبدالله رحمه الله:

والذي يكشف عما خبأه الله إهمالاً واستعمالاً[1] بغير حق؛ استوجب هذه العقوبات البارزة في الدنيا والآخرة على سائر العقوبات، أما[2] في الدنيا، فالنكال والرجم، وأما في الآخرة: فإن أهل النار يتأذون من نتن فروج[3] الزناة، ويزدادون بذلك عذاباً، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أَكثَرُ مَا يُدخِلُ النَّاسَ النَّارَ الأَجوَفَانِ: البَطنُ وَالفَرجُ»[4].

فقد قلد كل جارحة الأمانة بقسطها[5]، فمن استبدل بالأمانة[6] في كل جارحة خيانةً[7]، انتقص من وزن إيمانه حين يوزن، ومن ضوئه ما دام حياً، فإن ضوء الإيمان رأسُ مال الموحدين، به يستضيئون في السير إلى الله تعالى في الطاعات، فإذا غاب الضوء، ضلَّ القلب؛ بمنزلة قمر وقع في الكسوف[8]، فضلَّ المسافر الذي أظلم عليه الطريق عن المسير، فكسوف ضوء الأمانة في ظلمة الخيانة.

فلكل فعل حرم الله تعالى على كل[9] جارحة من الجوارح ستر، فإن

---

(١) في «ن»: أو لاستعماله.

(٢) في «ن»: وأما.

(٣) في الأصل: ليتأذون من نتن فرج، وما أثبتناه من «ن».

(٤) تقدم تخريجه في الأصل التاسع والثلاثين والمئتين.

(٥) في «ن»: بقسطه.

(٦) بالأمانة: زيادة من «ن».

(٧) في الأصل: كل جارحة الأمانة بخيانة، والصواب من «ن».

(٨) في الأصل: الخسوف، وما أثبتناه من «ن».

(٩) كل: ليست في «ن».

هتكته تلك الجارحة، انهتكت تلك الحرمة برفع حجابها، فقد خان الأمانة، ومثلُ ذلك مثلُ راكب يسير إلى الملك على راحلة نجيبة من النجائب، فإذا هو ساعةً بساعة ينيخها، فمن كثرة الإناخة صارت النجيبة صعبة، فحرنت، وخلأت، وصالت، واستبدت، فتركت نجابتها من كثرة الإناخة، فكذلك صاحب الأمانة إذا نزهها عن الخيانة، فهي نجيبة تطير به إلى الله، وفيها منجاة لكل نائبة تنوبه في الدنيا، وفي البرزخ، وفي المحشر، وعند الميزان، وعلى الصراط.

فالمتقون فهموا هذه القصة، فخرَّسوا[1] ألسنتهم عن أن تنطق بما نهى الله عنه، والسمع عن الاستماع إلى ما نهى الله عنه، والبصر واليد والرجل والبطن والفرج كذلك، وحفظوا القلب وساحته، وهي الصدر مع الله فيما بينه وبين الخلق، فكلما زلت جارحة من جوارحك بفعل حظره الله عليك، فقد ضيعت من الأمانة بقدرها، وانكسف من ضوء نورك بقدرها، ونقص من وزن إيمانك غداً بقدرها، فإذا أحكمت شأن هذه الجوارح السبع، وجعلتها في وَثَاق الأمانة، فقد نجوت من اقتضاء الأمانة جوارحك ما قُلِّدت.

وإن كنت ممن فتح له الطريق، فسار[2] إلى الله، صار حفظ الأمانة أصعب وأعظم خَطراً، وأوفر حظاً من ثمرته؛ لأن العبد حتى الآن كان[3] في كسب الجوارح عملاً ينال به أجراً، والآن قد وقع في كسب القلب سعياً إلى الله تعالى ينال به القربة، والحراسة هاهنا للأمانة من الخواطر، فإن

(١) في «ن»: فخرست.

(٢) في الأصل: فصار، والصواب من «ن».

(٣) كان: ليست في الأصل، زدتها من «ن».

حرسها بحقها وصدقها، تحول الضوء الذي كان بدءاً شعاعاً يتوهَّج، يخطف بصائر النفس، فضوء الإيمان للصادقين مع جهدهم، وشعاع الإيمان للصديقين مع تفويضهم؛ لأنهم خرجوا من قمر الإيمان إلى شمسه، فإن الكفر كلَيلٍ مُظلم، فإذا أضاء الإيمان في الصدر، كان كَليلٍ طلع قمره، فليلة يقمر برُبعه، وليلة بثلثه، وليلة بنصفه، وليلة ببدره كملاً.

فالموحدون كلٌّ يأخذ من[1] ذلك القمر بقدره، وكل مطيع يأخذ بقدره من الضوء، فمؤمن مخلط إنما يقمر له من إيمانه بمقدار ما يقمر الليلة الثالثة من الشهر، ويغيب عنه ما سوى ذلك؛ لظلمة خيانته، وعامل يقمر ليله من إيمانه الثلث، ويغيب عنه ما سوى ذلك[2]، وكذلك الورع والمتقي والزاهد والناسك، كلٌّ على قدر صدقه، حتى إذا انتهى الصدق منتهاه من هؤلاء الأصناف، استحق اسم الصدق، فسمي صادقاً؛ لأنه يصدق الله[3]، مطيعاً له في كلِّ جارحة.

فالظاهر مستقيم، والباطن ذو تخليط كثير، فمن أقمر ليله بدراً، فصار ضوء إيمانه كالقمر ليلة البدر، والضوء ليس له شعاعٌ ولا حريقٌ؛ لأنه ممحو، فكذلك الصادق محجوب قلبه عن الله، فاسد الباطن، مجهود، ومن فتح لقلبه الطريق إلى الله؛ فصار على منهج الصدق، وهو البذل لنفسه لله، غير ملتفتٍ إليها؛ تحوَّل قمره شمساً.

---

(١) في «ن»: كان كل من.

(٢) لظلمة خيانته وعامل يقمر ليله من إيمانه الثلث، ويغيب عنه ما سوى ذلك: زيادة من «ن».

(٣) لأنه يصدق الله: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

فإنما يبدو لقلبه من شعاع ذلك الشمس بمقدار ما كان يبدو من القمر في مبتدأ أمره، فلا يزال يسير حافظاً للأمانة في العطايا، حتى تزول عنه الخيانة، ويتبرأ من النفس، وينساها، فإذا وصل إلى هذه الحظة، وافتقد مشيئته لمشيئة مولاه، ونسي أحوال نفسه لما طالع من العظائم، واشتغل بالمرعى، أشرقت شمسه بتمامها بجميع شعاعها، ولذلك قوله لداود عليه السلام: «يمشي تماماً، ويقول صواباً»، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾[الأنعام: ١٥٤].

فالحافظ لهذه الأمانة بحقها وصدقها في أمان الله يوم المقدم على الله عند معالجة سكرات الموت، وفي البرزخ عند فتَّانَي القبر، ويوم المنشر، وفي ساعات المحشر، وهناك في الموقف عند الجواز[1] على الصراط، وعند الوزن، وعند قراءة الصحيفة، وعند العرض الأكبر، حتى يوافي[2] دار الأمن والأمان، فاتصلت أمانة هذا العبد من هاهنا بدار الأمان، وهذا هو المؤمن المستكمل لوفارة الإيمان وبهائه[3].

ولذلك قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: وددت أني شعرة في صدر مؤمن[4].

وروي في الخبر: أن الله تعالى إذا أثنى على عبد، فأبلغ في الثناء، سماه مؤمناً، وقال لإبراهيم حين أثنى عليه: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الصافات: ٨١].

---

(١) في «ن»: وعند المجاز.

(٢) في الأصل: حتى يمد في، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: ونهايته، والصواب من «ن».

(٤) تقدم تخريجه في الأصل الثالث والخمسين.

(١٢٦١) ـ نا أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: نا الحمانيُّ، قال: نا زيدُ ابنُ حبابٍ، قال: أخبرني كثيرُ بنُ عبدِالله، قال: أخبرني الحسنُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ، عن أبيه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثَلاَثَةٌ تحتَ العَرشِ: القُرآنُ لَهُ ظَهرٌ وَبَطنٌ يُحَاجُّ العِبَادَ، وَالرَّحِمُ تُنَادِي: صِل مَن وَصَلَني، وَاقطَع مَن قَطَعَني، وَالأَمَانَةُ»[1].

(١٢٦٢) ـ نا الحسينُ بنُ عليٍّ بنِ الأسودِ العجليُّ، قال: نا محمدُ بنُ فضيلٍ الضبيُّ، قال: نا أبي، ورقبةُ بنُ مَسقَلَةَ العبديُّ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ، عن رسولِ الله ﷺ: أنه قال: «انطَلَقَ ثَلاَثَةُ نفَرٍ، فَدَخَلُوا غاراً، فَأَرسَلَ اللهُ صَخرَةً، فَأَطبَقَتِ[2] الغَارَ عَلَيهِم، فَقَالَ بَعضُهُم لِبَعضٍ: قَد تَرَونَ مَا نَحنُ فِيهِ، وَمَا قَد ابتُلينا بِهِ، فَليَنظُر كُلُّ رَجُلٍ مِنكُم أَفضَلَ عَمَلٍ عَمِلَهُ فِيمَا بَينَهُ وَبَينَ رَبِهِ، فَليَذكُرهُ، ثُمَّ يَدعُو اللهَ تَعَالى؛ لَعَلَّ اللهَ يُفَرِّجُ عَنَّا مَا نَحنُ فِيهِ، وَيُلقِي عَنَّا هَذِهِ الصَّخرَةَ.

فقالَ رَجُلٌ مِنهُم: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعلَمُ أَنَّهُ كَانَت لي بِنتُ

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الخمسين والمئة.

(٢) في الأصل: فانطبقت، والصواب من «ن».

عَمٍّ وكَانَت مِن أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَطَلَبتُ مِنهَا نفسَهَا، فَأَبَت عَلَيَّ إلاَّ أَن أُعطِيَهَا مِئَةَ دِينَار، فَجَمَعتُهَا مِن حِسِّي وَبَسِّي حَتَّى جِئتُهَا بِهَا، فَدَفعتُهَا إِلَيهَا، فَلَمَّا قَعَدتُ مِنهَا مَقعَدَ الرَّجُلِ مِنِ امرأَتِهِ، ارتَعَدَت[1] وَبَكَت، وَقَالَت: يَا عَبدَاللهِ! اتَّقِ اللهَ، وَلاَ[2] تَفتَح هَذَا الخَاتَمَ إلاَّ بِحَقِّهِ، فَقُمتُ عَنهَا، وَتَرَكتُ الدَّنَانِير لَهَا[3]، اللَّهُمَّ إِن كُنتَ تَعلَمُ أَنِّي إِنَّمَا تَرَكتُهَا، وَتَرَكتُ[4] الدَّنَانِيرَ لَهَا مِن مَخَافَتِكَ، فَافرُج لَنَا[5] مِن هَذِهِ[6] الصَّخرَةِ فُرجَةً نَرَى مِنهَا السَّمَاء، فَفَرَّجَ اللهُ عَنهُم فُرجَةً، فَنَظَرُوا مِنهَا إِلى السَّمَاءَ.

وَقَالَ الثَّانِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ، وَكَانَت لِي صِبيَةٌ صِغَارٌ، وَكُنتُ أَرعَى عَلَى أَبَوَين[7]، فَكُنتُ أَجِيءُ بِالحِلاَبِ، فَأَبدَأُ بِأَبَوَيَّ، فَأَسقِيهِمَا، ثُمَّ أَجِيءُ بِفَضلِهِمَا إِلى

(١) في «ن»: أرعدت.

(٢) في «ن»: لا.

(٣) لها: ليست في «ن».

(٤) في الأصل: إنما تركت، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: عنا، وما أثبتناه من «ن».

(٦) هذه: ليست في «ن».

(٧) في «ن»: أبوي.

الصِّبيةِ فأَسقِيهِم، وَإِنِّي جِئتُ ذَاتَ لَيلَةٍ بِالحِلاَبِ، فَوَجَدتُ أَبَوَيَّ نَائِمَينِ، وَالصِّبيَةُ يَتَضَاغَونَ مِنَ الجُوعِ، فَلَم أَزَل بِهِم حَتَّى نَامُوا، ثُمَّ قُمتُ بِالحِلاَبِ عَلَى أَبَوَيَّ لَيلَتِي حَتَّى قَامَا وَشَرِبَا، ثُمَّ جِئتُ بِفَضلِهِمَا إِلَى الصِّبيَةِ، فَأَسقَيتُهُم[1]، اللَّهُمَّ إِن كُنتَ تَعلَمُ أَنِّي إِنَّمَا فَعَلتُ ذَلِكَ مِن مَخَافَتِكَ، فَافرُج عَنَّا مِنهَا فُرجَةً، فَفَرَّجَ اللهُ عَنهُم مِنهَا فُرجَةً.

وَقَالَ الآخَرُ[2]: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ يَعمَلُ عِندِي، فَأَعطَيتُهُ أَجرَهُ، فَغَمَصَهُ، وَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، فَعَمِلتُ[3] لَهُ بِأَجرِهِ حَتَّى صَارَ لَهُ بَقَراً وَغَنَماً، ثُمَّ أَتَانِي بَعدَ حِينٍ يَطلُبُ أَجرَهُ، فَقُلتُ لَهُ: دُونَكَ هَذَا البَقَرَ وَالغَنَم وَرَاعِيهَا، فَخُذهَا، فَهِيَ لَكَ، فَانطَلَقَ فَأَخَذَهَا، اللَّهُمَّ إِن كُنتَ تَعلَمُ أَنِّي إِنَّمَا فَعَلتُ ذَلِكَ مِن مَخَافَتِكَ، فَأَلقِهَا عَنَّا، فَأَلقَى اللهُ عَنهُم، فَخَرَجُوا يَمشُونَ»[4].

---

(١) في «ن»: فأسقيهم.

(٢) في «ن»: الثالث.

(٣) في الأصل: فقمت، والصواب من «ن».

(٤) أخرجه الدارقطني في «جزء أبي الطاهر» (ص: ٤٣) من طريق الحسين بن علي، به. وأخرجه البخاري (٢١٠٢)، ومسلم (٢٧٤٣) من طريق نافع، به.

وروي عن إسماعيل بن جعفر، عن عثمان بن عطاء الخراسانـي، عن أبيه، قال: كان رجل من بني إسرائيل له مكان من الملوك، ليس منهم ملك يموت فيخلفه ملك إلا أنزله منه بمنزلته من الملك الأول، فبعث على بني إسرائيل ملك صالح، فدعا الناسَ إلى أداء الحقوق[1] والمظالم، فارتحلت الأحياء إليه، حيٌّ حيٌّ، حتى ليس منهم أحد إلا وهو ينظر في شأنه، ومن كانت له مظلمة، ردَّ عليه مظلمته، ومن كان له حق، أنصفه من حقه، ومن كانت له حاجة، قضى له حاجتـه، حتى ارتحل حي الفتى، وارتحل فيهم، وهم يظنون أن الملك سينزله منه منزلته من الملوك قبله، فدخل على الملك بعضُ قومه، فقضى حوائجهم، وردَّ عليهم مظالمهم[2]، حتى دخل الفتى، فكلمه بمثل ما كان يكلم به الملوكَ قبله، فيعجبهم ويقربونه.

فقال له الملك: أولا تتقي الله، وتؤدي الأمانة؟ قال: أَيَّةُ أمانة؟ فأخذ رجل من خدمه بيده، فأخرجه، فانصرف إلى قومه، فقال: لعل بعضكم[3] سبقني عند الملك، فحلفوا له، فصدَّقهم، فانصرف إلى أهله، فمات ذلك الملك، وبعث عليهم ملك[4] صالح، فدعا الناس إلى ما دعاهم إليه الملك قبله، فارتحل الناسُ إليه، وارتحل الفتى مع حيِّه، فلما دخلوا عليه، كلَّمه الفتى بالكلام الذي يكلم به[5] الملوك قبله[6] فيقربونه، فقال له الملك:

---

(١) في «ن»: أداءه الحقوق.

(٢) في «ن»: مظلمتهم.

(٣) في «ن»: بعضهم.

(٤) في «ن»: بملك.

(٥) به: ليست في «ن».

(٦) قبله: ليست في «ن».

أولا تتقي الله، وتؤدي حق الأمانة؟ فقال: أيّة أمانة؟ فأُخذ بيده فأُخرج، فانصرف إلى قومه، فقال: لعل بعضكم[1] سبقني عند الملك، فحلفوا له، فصدقهم، فانصرفوا، وانصرف الفتى إلى أهله، فقال: لا أحسب هذا إلا لما كنت أصيب[2] مما لا يصلح لي، فوضع يده اليمنى على اليسرى، ثم قال: اللهم إني أبايعك على أن لا أسأل أحداً شيئاً أبداً.

فمكث بذلك، ثم قال: لا حاجة لي بقرب الناس ومخالطتهم، فانطلق إلى برية، فتعبد فيها، فتخرقت عنه ثيابه، وصار كهيئة المسمار[3] المحترق، وجعل يأكل من نبات الأرض، فبينما هو على ذلك، إذا هو بشيخين بين أيديهما طعام يأكلانه، فتعرض لهما، فرفعا رؤوسهما، فنظرا إليه، حتى إذا علما أنه قد علم أنهما قد نظرا إليه، أكبا على طعامهما، ثم رفعا رؤوسهما، فدَعَوَاهُ، فأقبل، فإذا هما يأكلان خبز شعير، فنظرا إليه، ثم أكبا على طعامهما، ثم قالا: اجلس، فجلس، ثم مد يده إلى كسرة، فأمسكها، فنظرا إليه، ثم أكبا على طعامهما، ثم قالا: كل، فكبر، فأمسكا بيده، وقالا: لم كبرت على طعامنا؟ قال: إني كنت حلفت أن لا أسال أحداً شيئاً، ولولا أنكما قلتما لي[4]: كُلْ، لم أتناول طعامكما، قالا: أَوَلاَ تتقي الله، وتؤدي الأمانة؟ قال: وأية أمانة؟ فوالله! ما أخرجني من بين الناس إلا هذه الكلمة، ولا لقيت ما تريان إلا لها، قالا: أشرف [على] هذا الشرف، فانظر ما ترى

(١) في «ن»: بعضهم.

(٢) في «ن»: أصبت.

(٣) في «ن»: المسمير.

(٤) لي: ليست في «ن».

وراءه، ثم ارجع إلينا.

فأشرف، ثم رجع إليهما، فقال: رأيت خمس مئة ضائنة، أو ست مئة لم أر مثلها حسناً، قالا: ألا تأخذها[1] بأمانة الله على أن تردها إلينا إذا نحن سألناكها صحاحاً شق الشعرة شطرين؟ قال: نعم، فدفعا إليه الغنم، وانطلقا، فَنَمَت، وبارك الله فيها، فنزل قرية من القرى، وباع منها، فاشترى رعاءً، فجعلت ترعى جناب القرية، وتأوي إليها، فكثرت، ونمت، وبارك الله فيها، وجعل لا يبيع منها، فيتخذ صنفاً من أصناف الأموال إلا بارك الله فيه ونما، فتزوج النساء، واتَّخذ السَّراري، وكثر له من الولد، وكان في ذلك: رجلاً صالحاً، يُقري الضيف، ويُنزل ابن السبيل، ويعطي السائل، فبينما[2] هو على ذلك، وقد أتى على ذلك سنون، إذا هو بشيخين يقرعان عليه باب داره، فنادى غلامه، فقال: انظر من يقرع باب الدار؟ فخرج غلامه، فإذا هو بشيخين، قال: ما حاجتكما؟ قالا: حاجتنا إلى سيدك، فرجع إلى سيده فأخبره، فقال: انطلق بهما، ففرغ لهما بيتاً في ناحية الدار، ثم أفرشْهما[3]، وأتحِفْهما، وأطعمهما، واسقهما، فيبيتا[4] بخير، ثم يغدوا على حاجتهما، وهو يحسب أنه كان كمن كان يضيف، فرجع إليهما الغلام، قال: إن سيدي أمرني أن أفرغ لكما بيتاً، وأن أفرش لكما، وأتحفكما وأطعمكما وأسقيكما، فتبيتا بخير، ثم تغدوا على حاجتكما،

---

(١) في «ن»: أتأخذها.

(٢) في «ن»: فبينا.

(٣) في الأصل: أفرش لهما، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: فليبيتا.

فقالا: هـذا مكاننـا، أو تأذن لنـا عليه؟ قال: وهي ليلة قرة باردة، شديدة البرد، فرجع إلى سيده فأخبره، فقال له[1]: قل لهما: إني وضعت ثيابي، وخلوت بأهلي، فبيتـا، ثم اغـدوا على حاجتكمـا، فرجع الغلام[2] إليهمـا فأخبرهما، قالا: هذا مكاننا، أو يأذن لنا؟ فغضب العبد، فأغلق الباب دونهما، وانصرف إلى مضجعه، فلما أصبح، دعا غلامه، فقال: ويحك! ما فعل ضيفاي؟ قال: عرضت عليهما ما أمرتني به، فأبيا، فأغلقت الباب، وانصرفت، فقال: ويحك! تركت ضيفيَّ في صقيعٍ بغير عشاء! لا جرم لأفعلن بك ولأفعلن، ائذن لهما، فدخلا عليه، فجعل يعتذر إليهمـا: أتيتماني في سـاعة لا يدخل عليَّ فيها، فأمرت الغلام بقراكما، فغمصتما ذلك، فذكر لي أنه أغلق الباب دونكما، لا جرم لأفعلن به، ولأفعلن، قـالا: إن لنـا حاجـة، فأَخلِنَا لحاجتنا، فأمر من حوله فارتفع، حتى إذا خلوا به، قالا: هل تعرفنا؟ قال: لا.

قالا: أتذكر شيخين أتيتهما ببرية كـذا وكـذا، وبين أيديهما خبز شعير يأكلانه، وأنت كالمسمار المحترق؟ قال: أذكر، قالا: فما فعلت الغنم؟ قال: فعلت خيراً، ونَمَت[3] وكثرت، واتخذتُ أصناف الأموال، قالا: ألست قد عرفت شرطنا عليك؟ قال: بلى، صحاحاً شطرين، قالا: فادع لنا بمالنا، قال: فدعا بدواوينه، وإذا الأموال أكثر من أن تحصى إلا بكتاب، فدعا بالغنم، فقسـمت شـطرين، ثم دعا بالإبل والبقر وسـائر الأموال، فقسمت شـطرين، فقـال: قد فعلت، ووفيت لكما بالشـرط، قالا: ائتنـا بأمهـات

---

(١) له: زيادة من «ن».

(٢) الغلام: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: نمت.

أولادك، قال: وما لكما ولأمهات أولادي نساء قد ولدن وعتقن؟.

قالا: إن أثمانهن من مالنا، قال: لا أفعل، قالا: اتق الله، وأدِّ الأمانة، تعلم أنا لسنا نأخذك بسلطان، وليس لنا عليك بينة، وإنك إن تجحد، يصدقك الناس، ويكذبونا، قال: فبات على فراشه يتسلق[1]: أيتها النفس! اصبري، واذكري الحال الذي كنت عليه صدقاً، لعمري! إن أمهات أولادي، والنفقة عليهن لَمِن مالهما.

فلما أصبح، قال: ادعوا بأمهات أولادي، فدعا بهن، فقسمهن شطرين، فجعل يبكي بعضُهن إلى بعض، قال: قد فعلت، قالا: ائتنا بنسائك، قال: وما شأن نسائي؟ بنات قوم أحرار، فأما أمهات أولادي، فكن من مالكما، قالا: إن صَدُقاتهن، والنفقةَ عليهن من مالنا، قال: لا أفعل، قالا: اتق الله، وأدِّ الأمانة، تعلم أنا لسنا نأخذك بسلطان، وليست لنا عليك بيِّنةً، وإنك إن تجحد، يصدقك الناس، ويكذبونا، قال: يا نفس! اذكري الحال الذي أتيتهما عليه، صَدُقاتهن والنفقةُ عليهن من[2] مالهما، ائتوني بنسائي، فأتي بهن، فقسمن شطرين، قال: قد فعلت، قالا: ائتنا بولدك؟ قال: وما شأن ولدي؟ أما أمهات أولادي، فالثمن والنفقة من مالكما، وأما نسائي[3]، فالصدقة[4] والنفقة من مالكما، وأما ولدي، فخرجوا من صلبي، فلم أكن لأفعل، قالا: اتق الله، وأدِّ الأمانة، تعلم أنَّا لسنا نأخذك بسلطان، وليست لنا عليك

---

(١) في «ن»: متسلق.

(٢) في «ن»: لمن.

(٣) في «ن»: النساء.

(٤) في «ن»: فالصدقات.

بينة، وإنك إن تجحد، يصدقك الناس، ويكذبونا، قال: أيتها النفس! اصبري، واذكري الحال الذي أتيتهما عليه، أرأيت كسوة الولد والنفقة عليهم، أليست من مالهما؟ ائتوني ببنيَّ، فأُتي بهم، فقسموا شطرين، وإذا منهم[1] غلام لا يعدل به أحداً من الولد، قال: قد قسمت ولدي، وهذا غلام، فإن أحببتما أن تقوما قيمته، ثم أرد عليكما الشطر، فعلتُ، قالا: ما نريد أن تشتري منا شيئاً، قال: فهبا لي[2] نصيبكما منه، قالا: ما نريد أن نعطي أحداً من حقنا شيئاً، قال: فأنا واهب[3] لكما نصيبي، قالا: ما نريد أن تكون لك عندنا[4] مِنَّةٌ، قال: فماذا؟ قالا: قد عرفتَ شرطنا عليك صحاحاً كشق الشعرة، قال: أفأشقه؟ قالا: أنت أعلم، قال: والله! لا أفعل هذا أبداً.

قالا: اتق الله، وأدِّ الأمانة، تعلم أنا لسنا نأخذك بسلطان، وليستَ لنا عليك بيِّنة، وإنك إن تجحد، يصدقك الناس، ويكذبونا، قال: يا نفس! اصبري، واذكري الحال الذي أتيتهما عليه، قربوا المنشار، فأتي بالمنشار، فقال: خذا[5] بناحية وآخذ بناحية، قالا: نعم، ذاك لك، قال: فأخذا بناحية المنشار، وأخذ بناحيته، ثم أدركته رقَّةُ الولد، فقال: ابدءا فأشعراه به[6]،

---

(١) منهم: ليست في «ن».

(٢) لي: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: أهب.

(٤) في «ن»: علينا.

(٥) في «ن»: خذوا.

(٦) في «ن»: فيه.

فقالا: أنت أحق من بدأ، قال: إني أجد له ما لا تجدان، فأشعراه لي، قالا: أنت أحق من بدأ، فتقاعس في المنشار لينشره[1]، فرفعاه، قالا: إن كنت لفاعلاً؟ قال: نعم، والله! حتى أوفي لله بما جعلتُ له، وأؤدي الأمانة، قالا: اذهب، فلك أهلك، وبارك الله لك، ولسنا من البشر، كان هذا بلاء قضاه الله عليك، فبررت، وأوفيت، ونحن منعنا ملكَي بني إسرائيل أن يعطياك شيئاً؛ لما قضاه الله عليك من الابتلاء، فاطمأنن[2] في مالك[3].

وعنه: عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، قال: لما أُعتق لقمان، أعطاه مولاه مالاً، فبارك الله للقمان في ذلك المال، فكثر ونما، وجعل لا يأتيه أحد يستقرضه قرضاً إلا أقرضه، ولا يأخذ عليه حميلاً ولا رهناً، إلا أنه إذا أراد أن يدفع إليه المال، قال: تأخذه بأمانة الله؛ لتؤديه إلي عاماً قابلاً، فإذا قال: نعم، دفعه إليه، فجعل الناس يأخذون ويؤدون، فذُكر فعلُ لقمان لرجل يسكن ساحل البحر، تجارته في البحر، لِصٌّ مَلِطٌ فَاجِرٌ، فقال: والله! إن رأيت مالاً أضيعَ من هذا، ما يأخذ مني رهناً، ولا حميلاً، والله! لآتين هذا الرجل، فلأقتطعن من ماله مالاً عظيماً، فأقبل إليه، فقال: يا لقمان! ذُكر لي معروفك، وأنا رجل أسكن كذا وكذا من ساحل البحر، وتجارتي فيه، فإن رأيت أن تقرضني قرضاً أصبت فيه، ثم أؤديه إليك، فعلت، قال: نعم، وكم تريد؟

---

(١) في «ن»: لناشره.

(٢) في «ن»: فاطمئن.

(٣) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

قال: فسمَّى له، فأكثرَ، قال: نعم، أما إني[1] لست أسالك حميلاً، ولا آخذ منك رهناً، أتأخذه بأمانة الله أن تؤديه إلي عاماً قابلاً في هذا اليوم؟ قال: نعم، فدفع إليه ما سمى، وكتب عنده اسمه، واسم أبيه، ومنزله الذي سمى، فذهب بالمال، فوضع يده فيه، وخلطه بماله، وأجمع على أن لا يؤديه إليه، وأدرك للقمان ابنٌ له، فقال: يا أبت! إني أريد أرض كذا وكذا، فإن رأيت أن تأذن لي، فعلت، قال: نعم يا بني، اذهب فاحمل على دوابك، وشد عليك ثيابك، ثم ائتني أوصيك بوصيتي، قال: نعم[2]، ففعل ذلك ابنه، ثم أتاه، فقال: قد فعلت يا أبتِ، قد حملت على ظهري، وشددت علي ثيابي، فأوصني، قال: نعم، يا بني! إن في طريقك مفازة، فأبكر فيها الدلجة، فإنه[3] ستعرض لك شجرة واسعة الظل تحتها عين، فلا أعلمن ما قربت الشجرة، ولا نزلت تحتها، يا بني! إني أرجو أن يخرجك الله منها سالماً، فتأتي حي بني فلان، وهم لنا صديق، وقد أعلم أنهم سيكرمونك، وفيهم امرأة شابة كريمة الحسب، كثيرة المال، وقد أعلم أنهم سيعرضونها عليك، فلا أعلمن ما نكحتها، ولا طمعت في شيء[4] من أمرها.

يا بني! إني أرجو أن يسلمك الله منها، وإن رجلاً يسكن ساحل البحر بكذا[5] وكذا، وقد أتاني منذ حينٍ، فاقتطع من مالي كذا وكذا، وهذا اسمه واسم أبيه ومنزله، فائته، فاقبض ما عليه، ولا تبت عنده ليلة، ويا بني!

---

(١) أما إني: ليست في «ن».

(٢) قال نعم: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: فإنك.

(٤) في «ن»: بشيء.

(٥) في الأصل: كذا، وما أثبتناه من «ن».

انظر الذي أوصيتك[1] به، فافعله، قال الفتى: نعم.

قال: يا بني! إن من أفضل ما أوصيك به[2]: إن صحبك في طريقك هذا رجل هو أكبر منك عقلاً[3]، فلا تعصه حتى ترجع إلي، قال: أفعل.

فسار ابن لقمان، حتى إذا انتهى إلى المفازة، فأبكر[4] فيها الدلجة، فإذا هو أبعد من ذلك وأسحق، فقام قائم الظهيرة، واشتد الحر، وهو في وسط منها، فبينا هو يسير، إذ عرضت له الشجرة، فلما نظر إليها، عرفها بنعت أبيه، وإذا تحتها شيخ جالس، فعدل عنها، فقال له الشيخ: ما الذي تريد يا فتى؟ قال: أريد أن أسير، قال: لا[5] تفعل، فقد[6] قام قائم الظهيرة، وتوقَّد الحر، ولكن انزل واستظل في ظل هذه الشجرة، وضع عن دوابك، واشرب من الماء، فإذا أبردت، فارتحل.

فقال الفتى في نفسه: هذه الشجرة التي نهاني عنها أبي، ما أريد أن أفعل، قال: أقسمتُ عليك لتنزلن[7]، قال: ووافق ذلك منه هوى، وذكر أن أباه قال: إن صحبك رجل هو أكبر منك، فلا تعصه، فنزل الفتى، ووضع عن دوابه، فاستظل، وأكل، وشرب، ثم رقد، وأبى الشيخ أن ينام، فلما استثقل ابن لقمان، انحطت حية من رأس الشجرة، فلما نظر إليها الشيخ،

---

(١) في «ن»: أوصيك.
(٢) به: ليست في «ن».
(٣) عقلاً: زيادة من «ن».
(٤) في «ن»: بكر.
(٥) في الأصل: فلا، وما أثبتناه من «ن».
(٦) في «ن»: قد.
(٧) في «ن»: لتفعلن.

رماها فقتلها، ثم قطع رأسها، فجعله في قرابه، وغيَّب الحية، حتى إذا برد النهار أيقظ ابن لقمان، فقام، فلم يستنكر من نفسه شيئاً، فحمل على دوابه.

وقال له الشيخ: أين تريد؟ قال: أريد أرض كذا وكذا، قال: وأنا أريدها، فهل لك في صحابتي، فقال ابن لقمان: أنت أحب صاحب، فلما نزلوا بالحي الذي سماهم له لقمان، قالوا: ابن لقمان، فأنزلوه وأكرموه، فبينما هم يأكلون عنده ويشربون، إذ قال له رجل منهم: يا ابن لقمان! هل لك في امرأة شابة، كريمة الحسب، كثيرة المال تنكحها؟.

قال ابن لقمان في نفسه: هذه التي منعنيها أبي، ما لي حاجة بالنكاح، قال الشيخ: ما تعرضون عليه؟ قالوا: نعرض عليه امرأة شابة، حسناء جميلة، كريمة الحسب، كثيرة المال، قال الشيخ: أشباب وجمال ومال؟ ما يترك هذا أحد، انكحها يا بني، قال ابن لقمان: ما أريد النكاح يا عم، وإني لعلى وَجَلٍ، قال: أقسمت عليك لتفعلن، فوافق ذلك منه هوى، وذكر الذي عوفي في الشجرة، وأن أباه قال: إن صحبتَ رجلاً هو أكبر منك، فلا تعصه، فنكحها، فلما ملك عصمتها، أتى بعض صديق أبيه، فقال: ما صَنَعتَ؟ هذه امرأة قد نكحت قبلك تسعة، ليس منهم رجل إلا يصبح ميتاً على فراشها، وأنت العاشر، فدخل الشيخ على ابن لقمان وهو مهموم حزين، فقال: ما يحزنك؟ قال: المرأة التي أمرتني أن أنكحها، نَكَحتْ قبلي تسعة، ليس منهم رجل إلا يصبح ميتاً على فراشها، وأنا العاشر، وأنا أكره الموت.

قال: انظر الذي آمُرك به فافعله، إذا دخلت عليك، فلا تقربها حتى تأتيني، فأقبلوا بها إليه حتى أدخلوها عليه، وكان من خلق أهلها وغلمانها:

أنهم إذا أدخلوها على الزوج، حفوا بالبيت، فإذا صاح، كان علامة موته، فدخلوا، فاحتملوا صاحبتهم وما معها، وتركوه، فحفوا بالبيت كما كانوا يصنعون، فقال ابن لقمان للمرأة: إن لي حاجة، فخرج إلى الشيخ فقال: المرأة في البيت، وأنا عندك، قال: ائتني بمجمرة فيها جمرة، فأتاه بها ابن لقمان، فعمد إلى رأس الحية التي قتل عند الشجرة، فجعلها على الجمرة، ثم قال: انطلق بهذا، فاجعله تحت المرأة، فإذا برد، فائتني به[1]، ففعل بها ابن لقمان، فقال: اجعلي[2] هذا تحتكِ، ففعلت، فلما طفئت الجمرة، أخرجها، فذهب بها إلى الشيخ، فإذا شبه الدودة محترقة في المجمرة، فقال: اذهب إلى أهلك، فلا بأس عليك، فإن هذه التي كانت تقتل الرجال، فانطلق إلى أهله، فأصبح قرير العين، وأصبحت المرأة فرحة، وتفرق الذين كانوا حفوا[3] بالبيت.

فلما أراد ابن لقمان أن يرتحل، قال له الشيخ: أين تريد؟ قال: غريماً لنا في ساحل كذا وكذا، أريد أن آتيه، فأقبض حقنا قِبَله، قال: فهل لك في صحابتي؟ قال: أحبُّ صاحب، فانطلق معه، حتى إذا قدما الساحل، سألا عن غريمهما، فقال أهل البلد: ذاك لص ملط فاجر، وكان قد عمد إلى قصر فبناه على ساحل البحر، يمد البحر حين يمد، فلا يترك حول القصر شيئاً إلا احتمله، لا يخلص إلى القصر، ولا إلى من فيه، فأتاه ابن لقمان فقال: أنا ابن لقمان، وأحقنا عليك، قال: مرحباً، بيتا الليلة، ثم اغدوا

(١) في الأصل: بها، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: اجعل.

(٣) في «ن»: حفوه.

على مالكما، قال ابن لقمان في نفسه: هذا الذي منعني منه أبي، ما أريد أن أبيت الليلة.

قال الشيخ: ما تعرض عليه؟ قال: أعرض عليكما أن تبيتا الليلة، ثم تغدوا على مالكما، قال: افعل يا بني، قال: ما أريد ذلك، قال: أقسمت عليك لتفعلن، قد أنسأته أطول من ليلة، أفلا تنسئه ليلة، فوافق ابن لقمان هوى، وذكر الذي عوفي في سبب الشيخ من الشجرة والمرأة، فباتا، فلما فرغ من عشائهما، عمد إلى وطاء تحت القصر، ففرش لهما فيه على سريرين، وقد علم: أن الماء إذا جاء، احتملهما، وعمد إلى ابن له، فأضجعه على سرير فوقهما في مكان قد علم أن الماء لا يبلغه، فرقد ابن لقمان، وأبى الشيخ أن ينام، فلما كان في جوف الليل: أقبل البحر، فلما رآه الشيخ، أيقظ ابنَ لقمان، فاحتملا سريرهما، فجعلاه في مكان سرير الغلام، وحملا سرير الغلام وهو نائم، فوضعاه موضع سريرهما، وأقبل البحر، فاحتمل الغلام بسريره، فذهب به، ولم يخلص إليهما، فلما أصبحا، اطلع صاحب القصر ينظر ما فعل غريماه، فإذا هما نائمان، وإذا ابنه قد ذهب، فناداهما فقال: إني مكرت بكما، وحاق بي المكر، فاغدوا على مالكما، فغدوا على مالهما، فانتقداه، ثم انصرفا إلى المرأة، فأمرها ابن لقمان بالرحيل، فارتحلت، فإذا أكثر مال[1] قدمها لها[2] مما كانت تصيب من الأزواج، فارتحلت بمال عظيم من أصناف الأموال.

وأقبل معه الشيخ، حتى إذا شارفا منزل لقمان، قال الشيخ لابن لقمان: أيَّ صاحب وجدتَني في سفرك؟ قال: خير صاحب، كفَّ الله بك ورزق، قال:

---

(١) في «ن»: مالهما.

(٢) قدمها لها: ليست في «ن».

أفما لي فيما أصبت نصيب؟ قال: بلى، نصفه طيبةً لك به نفسي، قال: فإما أن تقسم وتخيرني، وإما أن أقسم وأخيرك.

قال ابن لقمان: لا، بل اقسمْ وخيرني، فعرف الشيخ هوى ابن لقمان في المرأة، فعمد إليها، وإلى شيء يسير من مالهما، فعزله، وعمد إلى عظيم المال فتركه، ثم قال[1] لابن لقمان: اختر، قال ابن لقمان: أما إنك عدلت وأنصفت حين خيرت، وإن كنت فعلت ما فعلت، أختار المرأة وما معها، فارتحل ابن لقمان بالمرأة[2] وما معها، وقام الشيخ في عظيم المال، فلما سار ابن لقمان، وكاد يتغيب عن الشيخ، أدركه فقال: أعطيتني مالك، فبم ذلك؟ لعلك تخوفت مني شيئاً؟.

قال له ابن لقمان: وما عسيت أن أتخوف منك؟ ولكن لا يذكر صاحب من صاحب أفضل مما أذكر منك، وسألتني. قال: أتعطيني ذلك طيبة به نفسك؟ قال: نعم، قال: فاذهب، فلك أهلك، ومالك، فبارك الله لك، لستُ من البشر، أنا أمانة أبيك التي كان يأتمن بها الناس، بعثني الله تعالى لأصحبك في طريقك، ثم أردَّك إلى أبيك سالماً صالحاً، فاطمأنن[3] في مالك مباركاً فيه.

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فهذا قولنا الذي قلنا بدءاً: أن صاحب الأمانة المحافظ عليها في أمان الله حيثما تقلب.

---

(١) في «ن»: فقال.

(٢) في الأصل: المرأة، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: سالماً فاطمئن.

وروي في الخبر: أن بختنصَّر لما سبى بني إسرائيل، وقتل مَن قتل منهم، قيل له: إن هاهنا رجلاً كان يخبرهم بما حل بهم، فسجنوه، قال: وأين هو؟ قالوا: في السجن، فأخرجه، فقال: أنت الذي أخبرتهم بما حل بهم؟ قال: نعم، أخبرني به ربي، قال: هل لك أن تصحبني؟ قال: لا حاجة لي فيها، قال: فأكتب لك أماناً، فحيثما ذهبت، كان أماني معك، قال: إني لم أخرج من أمان الله منذ دخلت فيه، فتركه.

(١٢٦٣) ـ نا أبي رَحِمَهُ اللهُ، عن صالحِ بنِ محمدٍ، عن القاسمِ العمريِّ، عن عمرِو بنِ أبي عمرٍو، عن خارجةَ بنِ زيدِ بنِ[1] ثابتٍ، عن أبيه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُرفَعُ مِنَ النَّاسِ الأَمَانَةُ، وَآخِرُ مَا يَبقَى مِن دِينِهِمُ الصَّلاةُ، وَرُبَّ مُصَلٍّ لاَ خَلاقَ لَهُ عِندَ اللهِ»[2].

قال أبو عبدالله:

فالأمانة من الإيمان بمنزلة القلب من الجسد، فإذا مال القلب إلى شيء، مال الجسد إلى ما مال إليه القلب[3]، فالإيمان يشدد عقد القلب،

---

(١) في الأصل: عن، والصواب من «ن».

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣/ ٢٩) للحكيم، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.
القاسم العمري متروك. انظر: «تهذيب التهذيب» (٨/ ٢٨٧).
وانظر: «فيض القدير» (٣/ ٨٧).
وأخرج نحوه الطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٢٣٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٧٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٣٢٥) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) في «ن»: القلب إليه.

ويؤكد عزمه، ويقوي ضميره، والأمانة في الإيمان بمنزلة العماد، فإذا وهن العماد، يتضيع صاحبه بسقم إيمانه، والسقيم ضجيع سقمه، قد خالطه الداء، وذهب بقواه[1]، وكذلك الخيانة إذا جاءت، رفعت الأمانة؛ لأنها ضدها، ولن يجتمعا، بمنزلة الإخلاص والشرك لا يجتمعان، والإيمان والكفر لا يجتمعان، إذا جاء أحدهما، ذهب الآخر، فكذلك الخيانة إذا جاءت، رفعت الأمانة، فيسقم الإيمان.

ولذلك قال رسول الله ﷺ فيما روي عنه: «يَا سَلمَانُ! قُل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسـأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيمَانٍ، وَإِيمَاناً فِي حُسـنِ خُلُقٍ، وَنَجَاحاً يَتبَعُهُ فَلَاحٌ»[2].

قال أبو عبدالله ﷺ:

فقد أنبأك في هذا الحديث أن الصحة لا تُسأل إلا من سقم، فإذا سقم، فإنما يسقم لعلة[3] باطنة[4]، فإذا صح، فقد اشتمل الإيمان على تلك الصحة، وهو العماد الذي به يقوم الإيمان، ثم الإيمان قد اشتملت عليه الأسماء التي خرجت للعباد، ومنه خرج حسن الخلق، وهي تسعة وتسعون اسـماً.

فأما قوله: «نجاحاً يتبعه فلاح».

فقد كتبناه في بابـه، والإيمان للعباد عطية من المنة، والأمانة في الإيمان هديـة من الجـود، فإذا ضاعت الهدية، ذهب بهاء العطيـة، فإذا ذهب بهـاء

---

(١) في «ن»: بقوته.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل العاشر.

(٣) في «ن»: بعلة.

(٤) باطنة: ليست في «ن».

الشـيء، افتقد صاحبه زينته، وحلاوته، ولذاذته، وذبلت[1] النفس، واسترخت لافتقادها، وثقلت عن المحافظة[2] عليها، وذهبت قوة القلب؛ لذبول النفس وثقلها، وإنما سميت الخيانة خيانة؛ لأنها سرٌّ من القلب والإيمان الذي فيه.

والخيانـة: مكر النفس، لما لم تقدر على أن تسـتقبل القلبَ جبراً بالذي هويت من المعصية[3]، أسرَّته عن القلب، والتمست الغِرَّة، وتحينت الغفلة من القلب، فإذا وجدت ذلك من القلب، وثبت وثبة بالذي هَوِيت، فخالطت به القلب، فأوجدته اللذة التي وجدت، فاستولت على القلب بسلطان[4] اللذة في وقت غفلة القلب عن الله تعالى.

فالغافل كاليتيم المتحير على قارعة الطريق، لا أب له، ولا أم يأوي إليهما، فالغافل عن الله في وقت غفلته كاليتيم عن رأفة الله، وإقباله عليه بأسباب العصمة، فإنما تلتمس هذه النفس بمكرها تلك الآفات[5]، فإذا وجدت القلب يتيماً، أمكنته أسره إياها؛ لأن القلب أضعف ما يكون في وقت الغفلة، وانقطاع المدد من الله تعالى، فغرَّت القلب بتلك اللذة التي أوجدته، فتلك الخيانة.

وفي لغة العرب: كل شيء يُعمل من وراء؛ فاسمه عندهم: الخيانة.

يقال في اللغة: خانه يخونه، هذا في الباطن، ونخه ينخه؛ أي: يسوقه

(١) في الأصل: وذبلت ووثبت، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: على المخالطة.

(٣) في الأصل: العطية وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: سلطان.

(٥) في الأصل: الأوقات، والصواب من «ن».

من ورائه، ومنه قول الراجز في زجر[1] الإبل:

لا تَـضرِبا ضَـرْباً ونخّـا نَخّـا لـم يـدع الـنّخُّ لهـن نُخّـا

وهو أن يسوقها من ورائها.

ومنه قول رسول الله ﷺ فيما نحسبه: «لَيسَ في الجَبهَةِ، وَلاَ في النَّخَّةِ، وَلاَ في الكَسعَةِ صَدقةٌ»[2].

فأما الجبهة: فهو عندنا: الخيل تجبه للقتال، فيقاتل بعضها بعضاً بالجباه.

والنخَّة: الرقيق؛ لأنها إذا سُبيت، سيقت من ورائها، ودُفعت دفعاً سوقَ الأسراء على العنف.

والكسعة: الحمير؛ لأنها تُساق من ورائها، وتُكسع، ومن ذلك يقال: كسع فلاناً: إذا ضرب مؤخره برجله.

وفيما حكي عن الفراء: أن النخة هي: أن يأخذ المصدِّق ديناراً بعد فراغه من أخذ الصدقة.

فهذا من ذلك أيضاً أن يأتي الآخذ من ورائه، فالخيانة مشتقة من هذا، وإنما هي في الباطن تلك اللذة التي تأتي بها النفس إلى القلب، فتوجده سراً مكراً تخادعه بها، وتزين له، وتموه عليه، فالأمانة قرينها اليقين، فإنما ضاعت الأمانة من العبد من قبل اليقين، وليس شيء في الأرض أعز من اليقين، ولا أقل منه.

---

(١) في «ن»: حداء.

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ٢٥٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ١١٨) من حديث عبد الرحمن بن سمرة ﷺ.

(١٢٦٤) ـ نا عمرُ بنُ أبي عمرَ، قال: نا عصامُ بنُ المثنى ابنِ وائلٍ الحمصيُّ، عن أبيه، عن وهبِ بنِ منبهٍ، قال: أُتي داودُ عليه السلام بصحيفة مختومة بالذهب من السماء، فيها عشر مسائل، وأُمِرَ أن يسأل ولدَه عنها، فمن أجابه بما فيها، فهو الخليفة، فدعا سليمانَ عليه السلام من بين ولده، فسأله: أيُّ شيء أقلُّ في الأرض؟ قال: اليقين، قال: وأيُّ شيء أكثرُ في الأرض؟ قال: الشكُّ، قال: فأيُّ شيء آنَسُ؟ قال: الروحُ في الجسد، قال[1]: فأيُّ شيء أوحشُ؟ قال: الجسدُ إذا خرج منه الروحُ، قال: فأيُّ شيء أحسنُ؟ قال: الإيمانُ بعدَ الكفر، قال: فأيُّ شيء أقبحُ؟ قال: الكفرُ بعد الإيمان، قال: فأيُّ شيء أَمَرُّ؟ قال: الفقر، قال: فأي شيء أقربُ؟ قال: الآخرة إذ هي[2] آت، قال: فأي شيء أبعدُ؟ قال: الدنيا إذا زالت عنك، قال: فأي شيء أشرُّ؟ قال: المرأة السوء، قال: ففكَّ داودُ خاتمَ الصحيفة، فنظر فيه، فإذا هو تفسيرها[3] في الكتاب، لم يغادر منه حرفاً، فاستخلفه[4].

---

(١) من قوله: قال: وأي شيء أكثر... إلى قوله: الجسد قال: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

(٢) في الأصل: هو، ولعل الصواب من «ن».

(٣) في «ن»: بتفسيرها.

(٤) إسناد المصنف ضعيف. =

فإذا عز اليقين، وقل، وكثر الشك، وتذبذب القلب، وارتحلت الأمانة إلى المبدأ، وحلَّت الخيانة محلها، فكيف ينتفع العبد بعد هذا بإيمان أجوف[1]، والخيانة في جوفه مكان الأمانة، والشك علاوته[2] الإيمان كما كان اليقين علاوته؟ فما ظنك بشيء ذهبت علاوته؟ وما ظنك بجسد قطعت رأسه؟.

أليس قد ذهب السمع والبصر، واللسان والشم، لا[3] يسمع ولا يبصر، ولا ينطق، ولا يجد رائحة، فكذلك من افتقد اليقين، لم يسمع عن الله ما خاطبه، ولا أبصر ما كشف له وأراه، ولا فطن عن الله حكمته، ولا وجد ريح الطيب الذي طيبه الله به، فقال تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾[النور: ٢٦]، وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ﴾[فاطر: ١٠].

وكل طيب له ريح، وإنما يجد الريح من كان قلبه ذكياً، وإنما يذَّكى القلب باليقين، فإذا ذهب اليقين، فقد مات القلب عن الله، ولم يمت عن توحيده، ولذلك تجده مخلِّطاً، يعمل عمل الموحدين، وعمل المشركين، وعمل الموقنين، وعمل الشاكين، وعمل الجادين جداً، وعمل اللاعبين

= وأخرج أحمد في «الزهد» (ص: ٤٠) عن بكر بن عبدالله: أن داود ﷺ قال لابنه سليمان، فذكره.

وأخرج نحوه ابن حبان في «روضة العقلاء» (ص: ١٧٠) عن مجاعة بن الزبير، قال: قال لقمان لابنه: أيْ بني! أيُّ شيء أقل؟ فذكره.

(١) في «الأصل»: بالإيمان، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: علاوة، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: ولا.

هزلاً[1]، وإنما يعمل عمل الجد بقوة اليقين الذي في التوحيد.

فأما اليقين الذي هو عماد القلب، وهي الأمانة في جوف الإيمان، فقد فاته بتضييعه، فلذلك صار مخلِّطاً.

(١٢٦٥) ـ نا ابنُ أبي ميسرةَ، قال: نا عبدُالله بنُ يزيدَ[2] المقرئُ قال: نا عليُّ بنُ مسعودٍ[3]، قال: قال رسولُ الله ﷺ في خطبته: «خَيرُ مَا أُلقِيَ فِي القَلبِ اليَقِينُ»[4].

(١٢٦٦) ـ نا أبي رحمه الله، قال: نا عبدُالله بنُ نافعٍ الزبيريُّ، عن عبدِالله بنِ مصعبِ بن زيدِ بنِ خالدٍ الجهنيِّ، عن أبيه، عن جدِّه، قال: استلقفتُ هذه الخطبةَ من فم

---

(١) في «ن»: الملاعبين هؤلاء.

(٢) في «ن»: زيد.

(٣) في الأصل: نا عن ابن مسعود، ولعل الصواب ما أثبتناه من «ن».

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٥٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٠٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٩٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٢٠٠) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، موقوفاً.

وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٢٢٢) من حديث زيد بن خالد رضي الله عنه، مرفوعاً، وسيأتي.

وأخرجه أبو الشيخ في «الأمثال في الحديث» (١/ ٢٩٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، مرفوعاً.

رسـولِ الله ﷺ بتبـوكَ، مثلـه: «خَيـرُ مَـا أُلقِيَ فِي القَلْـبِ اليَقِينُ»[1].

(١٢٦٧) ـ نـا صالحُ بنُ محمدٍ، قـال: نـا زافرُ بنُ سليمانَ، رفعه إلى رسولِ الله: «أَنَّ عِيسَى بنَ مَريَم عليه السلام كَانَ يَمشِي عَلَى المَاءِ ـ ثُمَّ قَالَ ـ: وَلَو ازدَادَ يَقِيناً، لَمَشَى فِي الهَوَاءِ»[2].

(١٢٦٨) ـ ونا عمرُ بنُ أبي عمرَ، قال: نا عبدُ الغفارِ بنُ داودَ، عن ابنِ لهيعةَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زيادِ بنِ أنعمَ، عن سعدِ[3] بنِ مسعودٍ التجيبيِّ، قال: كان رسولُ الله ﷺ

(١) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٢٢٢) من طريق عبدالله بن نافع، به.
وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٣٧٧): قال الذهبي في «الميزان»: روى عبدالله بن مصعب بن خالد الجهني عن أبيه عن جده، فرفع خطبة منكرة، وفيهم جهالة.
ثم علق عليه الحافظ تعليقاً لطيفاً، وذكر رواية الحكيم الترمذي، وسياقه للحديث، فانظره.

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣/ ١٧٧) للحكيم، عن زافر بن سليمان، معضلاً.
وساق المصنف نحوه في الأصل الثالث والخمسين في الحديث رقم (٣٣٤) بإسناد مختلف، فانظره.

(٣) في الأصل: سعيد، والصواب ما أثبتناه.

يقول: «مَا أُعطِيَ أَحَدٌ مِنَ اليَقِينِ مَا أُعطِيَت أُمَّتي»[1].

قال: «وَكانَ عيسَى بنُ مَريمَ يَقولُ: مَا أُنزلَ في الأَرضِ شَيءٌ أَقلُّ وَأجلُّ[2] مِن اليَقينِ»[3].

(١٢٦٩) ـ نا مؤملُ بنُ هشامٍ اليشكريُّ، قال: نا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ، عن غالبٍ القطانِ، عن بكرِ بنِ عبدِالله المزنيِّ: قال: إن أبا بكر لم يفضُلِ الناسَ بكثرة صومٍ ولا صلاةٍ، وإنما[4] فَضَلَهم بشيء كان في قلبه[5].

وروي عن الحسن: أنه قال[6]: إن عمر لم يغلب الناس بكثرة صوم

---

(١) عزاه السيوطي في «الجامع الصغير» (ص: ١١٨٠)، والمتقي الهندي في «كنز العمال» (١٢/ ٧٤) للحكيم عن سعد بن مسعود الكندي.

وسعد مختلف في صحبته، وفيه ثلاثة ضعفاء: عمر، وابن لهيعة، وابن أنعم.

(٢) وأجل: ليست في «ن».

(٣) أخرج ابن أبي الدنيا في «اليقين» (ص: ٣٣) عن أبي بكر بن أبي مريم، عن الأشياخ، قال: «ما نزل في الأرض شيء أقل من اليقين، ولا قسم بين الناس شيء أقل من الحلم».

(٤) في «ن»: إنما.

(٥) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ١٤١) من طريق إسماعيل، به.

وقال العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٢٤٨): ذكره في «الإحياء»، وقال مخرجه العراقي: لم أجده مرفوعاً، وهو عند الحكيم الترمذي، وأبي يعلى عن عائشة، وأحمد بن منيع عن أبي بكر، كلاهما مرفوعاً، وقال في «النوادر»: إنه من قول بكر بن عبدالله المزني.

(٦) أنه قال: زيادة من «ن».

ولا صلاة، إنما غلبهم بالصبر واليقين.

(١٢٧٠) ـ نا عبدُ الجبارِ بنُ العلاءِ، قال: نا الوليدُ بنُ مسلمٍ: قال: نا عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ بنِ جابرٍ، قال: سمعتُ ابنَ عامرٍ[١] يقول: سمعتُ أوسَطَ البجليَّ يقول: سمعتُ أبا بكر الصدِّيقَ على المنبر وهو يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ على هذا المنبر يقولُ عامَ أولَ، والعهدُ قريبٌ: «سَلُوا اللهَ اليَقِينَ وَالعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَم يُعطَوْا شَيئاً خَيراً مِنَ اليَقِينِ وَالعَافِيَةِ»[٢].

(١٢٧١) ـ حدثنا أبي رحمه الله، ثنا القعنبيُّ، عن ابنِ لهيعةَ، عن ابنِ هبيرةَ، عن حنشٍ، عن ابنِ مسعودٍ: أنه مرَّ بمصابٍ، فقرأ عليه، فبَرَأَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «مَا قَرَأْتَ؟»، قال: قَرَأْتُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾[المؤمنون: ١١٥]، فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ قَرَأَهَا مُوقنٌ عَلَى جَبَلٍ، لَزَالَ»[٣].

(١٢٧٢) ـ نا محمدُ بنُ عليٍّ الشقيقيُّ، قال: نا عبدُالله

---

(١) في «ن»: سليم بن عامر.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل السابع والخمسين.

(٣) هذا الحديث زيادة من «ن»، وقد تقدم تخريجه في الأصل السادس والعشرين والمائة.

ابنُ عثمانَ، قال: أنا[1] عبدُالله بنُ المباركِ، قال: أنا معمرٌ، عن الزهريِّ، عن حميدِ بنِ عبدِ الرحمن بنِ المسورِ بنِ مخرمةَ، قال: لما استُخلف عثمانُ، سار[2] عبدُ الرحمن بن عوف حاجّاً، ومرض عثمانُ، فكتب بالبيعة لعبد الرحمن بن عوفٍ، ولم يُطلع على ذلك أحداً غيرَ مولاه حُمرانَ، فلما قدم عبدُ الرحمن، وصحَّ عثمانُ من مرضه، قبضَ[3] ذلك الكتابَ من حمرانَ، فجاء حمرانُ إلى عبدِ الرحمن، فأخبره أن عثمانَ قد جعل البيعةَ لك، فقال عبد الرحمن: ما أراك إلا وقد خنته، وما أدري هل يسعني ألا[4] أخبره بذلك ـ أي: إنه صاحب سره، فأفشاه عليه ـ.

فقال حمران: فإن فعلت، فخذ لي منه ـ أي[5]: أن لا يعاقبه ـ، قال: فذهب عبد الرحمن إلى عثمان، فأخذ لحمران منه، وأخبره بصنيعه، فقال: لقد خان، ثم وجهه إلى البصرة؛ أي: كأنه يقول: نفاه إليها[6].

---

(١) في «ن»: أنبأنا.

(٢) في الأصل: صار، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: فقبض.

(٤) في «ن»: إلا أن.

(٥) أي: ليست في «ن».

(٦) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/ ١٧٨) عن الليث بن سعد.

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

فأوفرُ الناس حظاً من اليقين: أوفرُهم حظاً من الأمانة، وأشدهم لها حفظاً وحراسة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لاَ يُؤمِنُ العَبدُ حَتَّى يَأمَنَ النَّاسُ بِوَائِقَهُ»[1].

وقوله: «المُؤمِنُ: الَّذِي يَأمَنُهُ النَّاسُ»[2].

(١٢٧٣) ـ نا عمرُ بنُ أبي عمرَ، قال: نا سعيدُ بنُ عُفيرٍ المصريُّ: قال: نا عبدالله بنُ عقبـةَ، وهو ابنُ لهيعـةَ، عن دراجٍ، عن أبي الهيثـمِ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، قال: قال

---

(١) أخرج أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٧)، والبزار فـي «المسند» (٥/ ٣٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٨٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٦٦)، والبيهقي فـي «شعب الإيمـان» (٤/ ٣٩٥)، مـن حديث عبدالله بـن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) أخرج أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٤)، وأبو يعلى في «المسند» (٤١٨٧)، وابن حبان في «الصحيح» (٥١٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ: «المؤمن من أمنه الناس».

قال الحاكم: وزيادة أخرى صحيحة سليمة من رواية المجروحين في متن هذا الحديث، ولم يخرجاها.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٤): أخرجه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، ورجاله رجال الصحيح، إلا علي بن زيد، وقد شاركه فيه حميد، ويونس بن عبيد.

رسولُ الله ﷺ[1]: «المُؤمِنُ فِي الدُّنيَا عَلَى ثَلاثَةِ أَجزَاءٍ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[الحجرات: ١٥]، ثُمَّ الَّذِي يَأمَنُهُ النَّاسُ عَلَى أَموَالِهِم، ثُمَّ الَّذِي إِذَا أَشرَفَ عَلَى طَمَعٍ، تَرَكَهُ للهِ»[2].

قال أبو عبدالله:

فهذه ثلاثة منازل للإيمان:

فالمنزلة الأولى: نزلها صنف آمنوا بالله إيمانَ طمأنينة لا ريبَ فيه، وجاهدوا أنفسهم في سبيل الله في الأمر والنهي، فقاموا بأداء الفرائض، واجتناب المحارم، فهذه أول منزلة المؤمنين، والرغبة فيهم باقية، ومن كانت الرغبة فيه باقية، فالخيانة فيه كائنة؛ لأن الله تعالى أعطى الخلق الأرواح بما فيها من الحياة عارية، وأعطاهم دنياهم عارية.

فالروح وضعه فيهم للارتحال، والدنيا للزوال والانتقال عنها، فمن تشبَّث بالحياة لا يريد مفارقتها، وفرَّ من الموت، فقد خان، فإن[3] العارية إذا امتنع صاحبها من الخروج منها إلى وليها ومالكها؛ قهر وسلب، وسمي

---

(١) في «ن»: عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال.

(٢) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٦٠٨) من طريق ابن لهيعة، به.
وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٨) من طريق دراج، به.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٢ ـ ٥٣): أخرجه أحمد، وفيه: دراج، وقد وثق، وضعفه غير واحد.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٨٥) للحكيم عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) في «ن»: لأن.

بامتناعه وفراره خائناً، وكذلك الدنيا إنما وضعت ممراً للعباد ومتزوداً، فمن اشتغل قلبه بالتمتع، صيَّره كالمستقر، فسلب يوم الخروج منها، وهو خائن لما وضع بيده منها، فهم مع هـذه الخيانـة يقومـون بأداء الفرائض بلا توفير به[1]، ويقومون باجتناب المحارم بلا صيانة ولا تقوى، إنما التقوى إذا خرجت شهوة تلك الأشياء من قلبه، فهذا الصنف الأول هم في أول منزلة من منازل الإيمان، فهم بعدُ في سفح الجبل، والرغبة معهم، فبالرغبة وقعوا في الخيانة.

ألا ترى أنهـم لا يوفرون الفرائض، وإنما افترضـت عليهم الفرائض؛ ليسد ما انثلم مـن العبودة التي قبلوها، فلما جاءت السيئات، كانت ثلمة يحتـاج إلى سدها، فسُـدَّت بالفرائض، ولذلك قـال: ﴿يُكَفِّرَ عَنكُمْ﴾[التحريم: ٨].

ألا ترى أنهم يجتنبون المحارم بلا صيانة ولا تقوى، وأنهم إن[2] اجتنبوها، فعلوا ذلك من خوف العقاب غداً، ولم يلتفتوا إلى صيانة المعرفة التي في قلوبهم، فإن قال له علاَّم الغيوب غداً: إن معرفتي كانت خلعتي على قلبك، فاجتنبتَ محارمي، شفقةً على جِلدِكَ ولحمك، ولم تلتفتْ إلى خلعتي، فتخاف عليه الدنس والغبار، وإنما عظم شأن جسدك، وجلَّ قدره بهذه الخلعة التي بها طاب جسدك، فباليت بالجسد، فاجتنبت المحارم؛ توقياً عليه[3]، لا توقياً على خلعتي، فماذا يقول هذا العبد؟.

فهذا من دنـاءة المنزلة، فإنما عمَّ ما قلنـا على أهل الرغبة في الدنيـا،

---

(١) به: ليست في «ن».

(٢) إن: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

(٣) في الأصل: عليها، والصواب من «ن».

ولا يرغب فيها إلا أبله؛ لأن الذي كتب له في اللوح لاحقٌ به[1]، ولو هرب منه، والذي لم يكتب لـه، فقـد[2] فاته أبـداً، فهل تكون الرغبـة بعد هذا إلا لأبله متحير[3]؟.

وأما الصنف[4] الذين هم في المنزلة الثانية من الإيمان:

فهم قوم قد زالت عنهم الرغبة في الدنيا، واشتاقوا إلى دار الله، فاطمأنت نفوسـهم، وطابت أرواحهم، فأمنهم[5] الخلق على أموالهم وأنفسهم، ولم يأمنوهم على أديانهم، فلا تقبل القلوب منهم مواعظهم، وإشاراتهم إلى الله، وإنما أمنهم الناس على أموالهم وأنفسهم[6]؛ لأن القلوب بما فيها من الإيمان شهدت لهذا الصنف بالأمانة التي في جوف إيمانهم[7]، وذلك لأن[8] الإيمان له نسيم، فإنما يدرك نسيمه[9] إيمان العباد، فاستطابوه[10]، واستحلوه، واطمأنوا إليه.

وخُلَّةٌ أخرى: أن أرواح المؤمنين تتلاقى في الهواء، فيتعارفون، وإنما يعرف بعضها بعضاً بما تضمنه من روح الإيمان.

---

(١) في «ن»: له.

(٢) فقد: ساقطة من الأصل، زدتها من «ن».

(٣) في «ن»: متجبر.

(٤) في «ن»: وأما الصنف الثاني.

(٥) في «ن»: فأمنوا.

(٦) من قوله: ولم يأمنوا... إلى قوله: أموالهم وأنفسهم: ليس في «ن».

(٧) في «ن»: إيمانه.

(٨) في «ن»: أن.

(٩) في الأصل: يدركه بنسمة، وما أثبتناه من «ن».

(١٠) في الأصل: فاستطابوا، وما أثبتناه من «ن».

وما روي في الخبـر: أن على الحق نـوراً، وعلى الإيمـان وقـاراً.

وقـال الربيع بن خثيم: إن للحق نوراً كضـوء النهـار، وللباطـل ظلمة كظلمة الليل[1].

فالصادقون إذا[2] عاينوا الحق في فعل عامل به، استنارت له[3] قلوبهم، وعرفوا أنه الحق، والمخلطون لا تستنير قلوبهم له، ولكن يذلون وينقادون؛ لأن نور الحق إذا لاقى قلب المخلط، استقبلته ظلمة، ومن وراء الظلمة نور الإيمان، فلا يقدر نور الحق الذي أتى به هذا أن يصل إلى نور الإيمان من هذا الآخر؛ لأن ظلمته تحجبه، ولكن إيمانه الذي في قلبه يعرف ذلك، فيذلل القلب، ويجعله منقاداً للذي أتى به، فالصادق مستنير القلب، يعمل على قوة وحزم، والمخلـط[4] يعمل على حيرة وقهر، منقـاد للحق؛ لقوة ما جاء به هذا المحق.

فالصادقون في وقار الإيمان يتخشـعون لصاحبـه[5]، ويلقون بأيديهم سلمـاً، ويتوقرون، والمخلطون يخمدون ويسكنون، وفي الباطن ليس لهم خشوع ولا سلم، فهذا شأن الإيمان والحق.

فكذلك الأمانة، إذا حلَّت في قلب العبد على ما وصفنا، أمنت قلوب

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الرابع والأربعين.

(٢) في الأصل: إنما، وما أثبتناه من «ن».

(٣) له: ليست في «ن».

(٤) في الأصل: والآخر، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في الأصل: بصاحبه، وما أثبتناه من «ن».

الخلق، واطمأنت نفوسهم إلى ما عنده، فالخلق قد أمنوهم[1] على النفوس والأموال، ولم يأمنوهم على الدين.

وأما الصنف الثالث في المنزلة الثالثة من الإيمان:

فهم قوم قد بلغوا ذُروةَ الإيمان، وإنما سماه رسول الله ﷺ: ذروة؛ لأنه شبيهٌ بالجبل[2]، والنفس كريشةٍ طيَّاشة تهبُّ بها الريح، فكلما كان الجبل أثقل، كانت الريشة أسكنَ، حتى إذا بلغ العبد ذروة الإيمان، كان على قلبه جبل، والنفس تحته مضغوطة لا تقدر على التحرك، فلا يزال كذلك تحت أثقال المعرفة، حتى تصفو من عصارتها، وتسيل منها تلك الفضول، حتى تيبس عن رطوبة الشهوات، كما ييبس الكسب الذي قد عصر تحت الأثقال حتى سال دهنه، وبقي ثفله يابساً، فعند ذلك تجدها قد ماتت شهواتها، وخمدت نيرانها خموداً، افتقد حرها، فهذا الذي وصفه رسول الله ﷺ في المنزلة الثالثة من قوله: «ثمَّ الَّذي إِذا[3] أَشرفَ عَلى، طَمعٍ تَركهُ للهِ».

فالغنيُّ[4] بالله في ذروة الجبل، وهو أعلى الإيمان، أولئك الذين يأمنهم الخلق على دينهم، فتقبل القلوب مواعظهم، وإشاراتهم إلى الله؛ لأنهم يسيرون إلى الله، وقلوبهم بين نور الحق، ووقار الإيمان، فإذا نطق أحدهم،

---

(١) في الأصل: أمنهم، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: شبه الإيمان بالجبل.

(٣) في الأصل: أينما، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن» زيادة: فإنما قدر أن يتركه لله، وهو مشرف عليه إن شاء أخذه بقوة ما فيه من الغنى بالله، فالغنيُّ...

استنارت القلوب لنور مقالته، وإذا شخَصَت أبصارهم إليه، توقَّرت النفوس لوقاره، وهدأت [الأركان] منهم، وسكنت منهم الأصوات.

(١٢٧٤) ـ أنا الفضلُ بنُ محمدٍ، قال: نا عليُّ بنُ سهلٍ الرمليُّ، قال: نا حجاجُ بنُ محمدٍ الأعورُ، قال: نا أبو جعفرٍ الرازيُّ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ، عن أبي العاليةِ الرياحيِّ، عن أبي هريرةَ، أو غيرِه، عن رسولِ الله ﷺ: «أَنَّهُ لَمَّا صَعِدَ إِلى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ أَشمَطَ جَالِسٍ عَلَى كُرسِيٍّ عِندَ بَابِ الجَنَّةِ، وَعِندَهُ قَومٌ جُلُوسٌ، بِيضُ الوجُوهِ أَمثَالَ القَرَاطِيسِ، وَقَومٌ فِي أَلوَانِهِم شَيءٌ، فَقَامَ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ فِي أَلوَانِهِم شَيءٌ، ثُمَّ دَخَلُوا[١] نَهراً آخَرَ[٢]، فَاغتَسَلُوا فِيهِ، فَخَرَجُوا وَقَد خَلَصَ مِن أَلوَانِهِم، فَصَارَت مِثلَ أَلوَانِهِم، فَجَاؤوا فَجَلَسُوا إِلَى أَصحَابِهِم[٣]،

---

(١) في «ن»: شيء فدخلوا.

(٢) آخر: ليست في «ن».

(٣) في «ن» زيادة: فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا نهراً آخر، فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا نهراً آخر، فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلصت ألوانهم، فصارت مثلَ ألوان أصحابهم، فجاؤوا فجلسوا إلى أصحابهم.

فَقُلتُ: يَـا جِبرِيـلُ! مَن هَذَا الأَشمَطُ؟ وَمَن هَؤُلاَءِ[1]، وَمَا هَذِهِ الأَنهَارُ الَّتِي دَخَلُوهَا؟ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ إِبرَاهِيمُ، أَوَّلُ مَن شَمِطَ عَلَى الأَرضِ، وَأَمَّا هَؤُلاَءِ البِيضُ الوُجُوهِ، فَقَومٌ لَم يَلبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلمٍ، وَأَمَّا هَؤُلاَءِ الَّذِينَ فِي أَلوَانِهِم شَيءٌ، فَقَوم خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً، وَآخَرَ سَيِّئاً، فَتَابُوا، فَتَابَ اللهُ عَلَيهِم، وَأَمَّا الأَنهَـارُ، فَأَدناهـا[2]: رَحمَةُ اللهِ، وَالثَّانِي: نِعمَـةُ اللهِ، وَالثَّالِثُ: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾[الإنسان: ٢١]»[3].

قال: والمؤمن أمين الله على معرفته في دنياه وآخرته، والخيانة في الدنيا كائنة، وقد رفعت الخيانة في الآخرة.

قال أبو عبدالله رحمه الله:

تأويل هذه الأنهار عندنا ـ والله أعلم ـ:

---

(١) ومن هؤلاء: ليست في «ن».

(٢) في الأصل: فأنهار، والصواب من «ن».

(٣) أخرجه الطبري في «التفسير» (١٢/ ٣٧١) من طريق علي بن سهل، به، مطولاً.
ثم بين أن الشاك هو أبو جعفر.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٩٨ ـ ٢٠٣) للبزار، وأبو يعلى، وابن جرير، ومحمد بن نصر المروزي في كتاب «الصلاة»، وابن أبي حاتم، وابن عدي، وابن مردويه، والبيهقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٧٢٠): أخرجه البزار، ورجاله موثقون، إلا أن الربيع بن أنس قال: عن أبي العالية، أو غيره، فتابعيُّه مجهول.
كذا قال، وهو خلاف ما عندنا وعند الطبري، والله أعلم.

أن الأول: نهر التوبة، **والثاني**: نهر الطاعة، **والثالث**: نهر الحياة، من شرب منها، حيي قلبه بالله، فهذا مقابل للحديث الأول الذي قال: «الإيمانُ علَى ثَلاثةِ أَجزاءٍ»[1].

فإنما قال رسول الله ﷺ: «أَولُ مَا يُرفعُ مِن النَّاسِ الأَمانةُ»[2]؛ لميل الناس عن الله إلى النفوس، على سبيل ما وصفنا المؤمن أمين الله على معرفته في دنياه وآخرته، والخيانة في الدنيا كائنة، وقد رفعت الخيانة في الآخرة.

وأما قوله ﷺ: «لاَ دِينَ لمَن لاَ عَهدَ لَهُ».

فالدين: اسم جامع منتظم لجميع الإسلام، إلا أن ترجمة الإسلام هو: تسليم النفس إلى الله تعالى عبودة، وترجمة الدين هو: الخضوع، وأن تجعل نفسك دون أمره، فأمره عالٍ، ونفسك دونه، فهذا الدين، فمن تمكن الدين[3] فيه، فهذه صفته، ومن قبله في مبتدئه فهذا شرطه مع الله أن يكون كل أمره عالياً على قلبه ونفسه، وشهواته وإرادته[4] كلها تحته، فمن وفَّى بهذا في جميع الأوقات، فهو صادق مطيع قد وفى إليه بما قبل منه، ومن وفى ببعضها، وضيع بعضاً، فقد خلط، ودينه منقوص، وعلى حسب ذلك يقتضي[5] الجزاء من الديان يوم الدين، فقد أخبر سبحانه[6] أنه مالك

---

(١) تقدم بلفظ: المؤمن في الدنيا على ثلاثة أجزاء.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) الدين: زيادة من «ن».

(٤) في الأصل: على قلبي ونفسي وشهواتي وإرادتي والصواب من «ن».

(٥) في الأصل: ينقص، وما أثبتناه من «ن».

(٦) سبحانه: ليست في «ن».

يوم الدين؛ أي: أن هذا يوم لا أملِّك فيه أحداً شيئاً كما فعلت بهم في دنياهم، وذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾[الانفطار: ١٩].

وأما العهد: فهو تذكرة الله الذي وضعه فيما بينه وبين العباد يوم أخذهم للعبودة قبل خلق السموات والأرض، فلما خرجوا إلى الدنيا، نسيه الأعداء، وحفظه الموحدون، ثم علت الموحدين غفلةٌ على ذلك الحفظ، فذهلوا، فأوفرُهم حظاً، من الحفظ أوفرُهم حظاً[1] من الذكر، فالأعداء في غفلة، وفي الغفلة[2] النسيان، والأحباب في غفلة، ومن الغفلة تكون الوهلة، ومن الوهلة الخطايا، ونقصان العهد، ودروس ذكر العهد، وذلك قوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الحديد: ١٦].

فبطول الأمد يدرس[3] ذكر العهد، فإذا دُرس، اغبرَّ، وإذا اغبرَّ، التبسَ وتغشَّى، وإذا ذكر تجلَّى، وإذا غفل، التبس، وفي وقت التجلي هو مطيع متهلل مسرع[4]، وفي وقت التغشي والتلبس عاصٍ متحلل[5] مبطئ، فأوفرُهم حظـاً من العهد أوفرُهم حظـاً من الدين، وأشـدهم انقياداً، فالكافر ينسى، والمؤمن يغفل.

قال الله تعالى في شأن الكفار: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[الحشر: ١٩]،

---

(١) من الحفظ أوفرهم حظاً: ليس في «ن».

(٢) في الأصل: في غلفة وفي الغلفة، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: الأمل اندرس.

(٤) في الأصل: متبرع، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: متخلد.

وقال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة: ٦٧].

فالكافر ناسٍ لربه، ناسٍ لنفسه، من أين؟ وإلى أين؟ والمؤمن يتردد بين الغفلات والذكر.

فالمؤمن: أمين الله في أرضه، ائتمنه على معرفته، ووضعها في قلبه، وجعل قلبه خزانة لها، وائتمنه عليها بما فيها من كنوز المعرفة، ووكَّله بحراستها من النفس الأمارة بالسوء، ومن العدو الحاسد القائم في ظلِّ النفس، ومن ورائها، يرمي بالشيء بعد الشيء إلى النفس، ينتظر متى يعترض من النفس فرصتها من القلب.

وليس أحدٌ بباب الملك أعز عليه، ولا أصفى حباً له من أمينه الذي ائتمنه على ملكه، وعلى خزانته، وعلى حرمه وأسراره، وعلى خوله، وعلى رعيته، فهذا بهذه الصفة أعز من يدخل ذلك الباب، فإذا أقام العبد الأمانة، فهو أمين الله في أرضه، قد ائتمنه على معرفته وحقوقه، وعلى[1] معرفته وأسراره، ودنياه ونفسه، وجميع خلقه، فإذا وفى العبد بالقيام بذلك، وصدق الله في القيام، فعينُ الله ترعاه، وهو المستحق لاسم الإيمان، فيقال: هذا مؤمن، ولذلك قال أبو بكر الصديق ﷺ: وددت أني شعرة في صدر مؤمن[2].

فكانوا يشيرون إلى مثل هذه الصفة، فيُسَمُّوا أهلها مؤمنين، فجهد الأكياس في هذا الباب أن يحافظوا على هذه الأمانة، ويبقوا على صيانتها،

---

(١) في «ن»: وعلم.

(٢) تقدم تخريجه في الأصل الثالث والخمسين.

ويحرسوا خزانتها، والحمقى غفلوا عن هذا الباب، فأقبلوا على عمل الأركان على التخليط، والصدق المجهود، وذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[الدخان: ٥١].

فهو واحد الله في أرضه في كل وقت، وإنما سُمي جبريل: أمين الله، وبذلك أثنى عليه في تنزيله، فقال: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[التكوير: ٢٠ ـ ٢١].

فقال أهل التفسير: حل من الأمانة أن يدخل سبعين ألف حجاب من نور بغير إذن، ائتمنه الله على وحيه، فبرز اسمه في السموات بأنه أمين، واستحق دخول الحجب بلا إذن، وفي كل حجاب سر، فإذا أطلق لأحد دخول الحجاب بلا إذن، فقد ائتمن على ذلك السر، ومن لم يؤتمن، احتاج إلى إذن، وكذلك تجد عند ملوك الدنيا، لا يطلق الدخول لأحد بغير إذن متى ما شاء إلا لمن[1] ائتمن على أسرار ما وراء الحجب[2].

❐ ❐ ❐

(١) لمن: ليست في «ن».

(٢) في «ن»: الحجاب.





(١٢٧٥) ـ نا عَمرُو بنُ زيادٍ الحنظليُّ، قال: أنا عبدُالله ابنُ المباركِ في مجلسِ حمادِ بنِ زيدٍ سنةَ سبعين ومِئة، عن يحيى بنِ أيوبَ، عن عبيدِالله بنِ زُحَرَ، عن عليِّ بنِ يزيدَ، عن القاسمِ، عن أبي أمامةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن نَظَرَ إلى مَحَاسِنِ امرأةٍ، فَغَضَّ طَرفَهُ في أَوَّلِ نظرةٍ، رَزَقَهُ اللهُ عِبادةً يَجِدُ حَلاوتَهَا في قَلبِهِ»(١).

---

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٥/ ١٥١) من طريق عمرو بن زياد، به.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٦٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٣٦٦)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ١٣٩) من طريق عبدالله بن المبارك، به.

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢٠٨) من طريق يحيى بن أيوب، به.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٦٣): أخرجه أحمد، والطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك.

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فمحاسن المرأة مجالسُ الشيطـان، وموضعُ زينته الذي قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الحجر: ٣٩].

فتلك الزينة يلقيها على المحاسن، فإن وجد العبد في النظرة على غفلة، عملت الزينة التي بيده على عين الناظر، عملاً ينفذ إلى القلب، فيأخذ القلب؛ بمنزلة السهم المسموم إذا خلص إلى الجسد، نفذ سمه من طرف السهم، فدب في جميع الجسد، فقد يبرأ[1] المجروح من جراحاتٍ كثيرة، ويسلم[2] ولا يسلم المسموم، ولا يبرأ حتى يقتله؛ لدبيب السم في جسده، وأخذه بالقلب حتى يجمد العلقة التي في جوف القلب، فعندها يموت، فذلك من حريق برد السم؛ لأن للبرد حريقاً[3] كحريق النار، أو أشد منه حدَّة[4] ونفوذاً، فتلك الزينة التي يبدأ العدو لها سم.

فإذا ألقاها على محاسن المرأة، فإنما يلقيها بتهيج نفوس الآدميين، والنفوس ساكنة، حتى إذا نظرت العين، وحظ العين من الدنيا زينة الأشياء وألوانها، فإذا أخذت الزينة وألوانها على غفلة، وتخطى إلى ما لم يؤذن له في النظر إليها، أو فيما أذن له وهو غير ذاكر لله، خلصت تلك الزينة التي بيد العـدو إلى النفـس، فهيجتهـا، فصارت بمنزلة الـسم يدب في جميع الجسد؛ لأن تلك الزينة لها حلاوة وحرارة، فإذا تأدت إلى القلب، خالطت

(١) في «ن»: يبرأه.

(٢) ويسلم: زيادة من «ن».

(٣) في «ن»: حريق.

(٤) في الأصل: حرقة، والصواب من «ن».

حلاوة الإيمان، وحرارته، فتكدر الإيمان، وانكسفت المعرفة، فصارت بمنزلة شمس صارت في كسوف، فعلق القلب بتلك النظرة بالمنظور إليها، وصارت كجراحة مسمومة بقلبه، والذي حلَّ بداود ﷺ: إنما كان من نظرة، فالعبد أُعطي جفون الناظرَين حجة عليه، وقطعاً لعذره، وإخراساً للسانه.

وقد جاء في الخبر: أن الله تعالى يقول: «يَا ابنَ آدَمَ! إِن نَازَعَتكَ عَينُكَ، فَأَطبِق[1]؛ فَقَد جَعَلتُ لَهُمَا طَبَقاً، وَإِن نَازَعَكَ لِسَانُكَ، فَأَطبِق، فَقَد أَعطَيتُكَ طَبَقاً ـ يريد: اللَّحْيَين ـ، وَإِنْ نَازَعكَ فَرجُكَ، فَأَطبِق؛ فَقَد أَعطَيتكَ طَبقاً ـ يريد به: الفخذين[2] ـ»[3].

فهذا من تأييد الله لعبده[4]، فإذا استعمل زينة الشيطان التي[5] أعدها لغوايته بها، بتأييده الذي أيده الله، جاءت العصمة بعد التأييد، وسكنت النفس، وبطل كيد العدو، وأثابه الله في عاجل الدنيا ثواباً: أن رزقه عبادة يجد حلاوتها مع ما يدخر له من ثواب الأجل.

ولذلك ما روي في الخبر:

«مَا تَرَكَ عَبدٌ شَيئاً مِنَ الدُّنيَا للهِ، إِلاَّ آتَاهُ اللهُ خَيراً مِنهُ وَأَفضَلَ».

---

(١) في الأصل: فاحبس، وما أثبتناه من «ن».

(٢) وإن نازعك فرجك، فأطبق، فقد أعطيتك طبقاً ـ يريد به: الفخذين ـ: زيادة من «ن».

(٣) أخرجه أبو مسهر في «نسخة أبي مسهر» (ص: ٥٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٦/ ٢٢٩) عن مكحول، مرسلاً.

وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٥/ ٣٦١) للديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في «ن»: فهذا من الله تأييد لعبده.

(٥) في «ن»: الذي.

(١٢٧٦) ـ نا بذلك إبراهيمُ بنُ يوسفَ الحضرميُّ، قال: أنا ابنُ مباركٍ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ، عن[1] أُبَيِّ بنِ كعبٍ[2].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

واعتبر بما قص الله عليك من نبأ سليمان بن داود عليه السلام كيف ترك في جنب الله ما أوتي؟ وبماذا أثابه الله؟ فقال في تنزيله: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾، ثم أثنى عليه فقال[3]: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص: ٣٠].

ثم وصف أوابيته[4]، فقال: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾[ص: ٣٠ ـ ٣٣].

وقال الله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[ص: ٣٦] يقول: لينة حيث أراد، فهذا ثواب عاجله، ثم ذكر ثواب الآجل، فقال: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[ص: ٤٠].

---

(١) في الأصل: ابن، والصواب من «ن».

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ١٠)، وابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ٥٥) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.
وفي «كشف الخفاء» (٢/ ١١٩٦): رواه التيمي في «ترغيبه» عن أبي بن كعب، مرفوعاً.
وروي مرفوعاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٩٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٣٧٤).

(٣) قوله: ثم أثنى عليه، فقال: ليس في «ن».

(٤) في الأصل: أوبيته، والصواب من «ن».

(١٢٧٧) ـ فحدثنا صالحُ بنُ محمدٍ، عن محمدِ ابنِ مروانَ[1]، عن جُويبرٍ، عن الضحاكِ، قال: أُخرجت لسليمانَ خيلٌ من البحر منقوشةٌ ذواتُ أجنحة، وهي التي عرضت عليه[2].

وروي عن إبراهيم التيمي: أنها كانت عشرين ألفاً[3].

فعرضت عليه بالعشي، فشغل عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، فدخلت عليه حرقة الفوت، ووجد من ذلك وجداً شديداً حتى قال: ردوها علي، فأمر بضرب سوقها وأعناقها بالسيوف.

قال الله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾[ص: ٣٦] فإنما سخر له الريح[4]؛ شكراً لما أتى من العقوبة بالخيل التي شغلته، وذلك قوله: ما ترك عبد شيئاً لله، إلا آتاه الله خيراً منه.

فهذا الذي غضَّ بصره، إنما رد حلاوة هاجت منه، حين أحست[5] نفسه بالنظرة الأولى التي كانت له، فردَّ تلك الحلاوة على النفس، فرجعت

---

(١) في الأصل: فحدثنا صالح بن محمد بن مروان، والصواب من «ن».

(٢) وعزا نحوه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٧٧) لعبد بن حميد، وابن المنذر عن عوف ﷺ.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١٩٤).
إلا أن الطبري أخرج في «التفسير» (٢٣/ ١٥٤) عنه: أنها كانت عشرين فرساً.

(٤) الريح: زيادة من «ن».

(٥) في الأصل: حست، والصواب من «ن».

النفس قهقرى على عقبيها[1]، وبقيت خزانة الله مصونة، فأعقبه الله في عاجل دنياه؛ بما صان خزانته فأهاج من الخزانة من شرارات[2] المعرفة حلاوة عبادة طرية، وخلصه من وبال النظرة، وجعل تلك العبادة حصنَه، وتلك الحلاوة زادَ قلبه، يقطع[3] بها[4] مسافة العبودة أيام الحياة؛ فإن العبودة كائنة من العبادة، وأصلها من العلم، وحلاوة العبادة تحف من الله، وأصلها من هيجان المعرفة، فالعبادة موجودة كثيرة من العباد، وحلاوة العبادة عزيزة لا تنال إلا من طريق التحف، وهي زاد قلوب العابدين، وبالزاد يقطع الأسفار أسفار الملكوت.

وروي عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «أَحَبُّ العُيُونِ إِلى اللهِ عَيناَنِ: عَينٌ غَضَّت عَن مَحَارِمِ اللهِ، وَعَينٌ حَرَسَت فِي سَبِيلِ اللهِ».

(١٢٧٨) ـ نا بذلك أبي رحمه الله[5].

وقال في تنزيله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾[النور: ٣٠].

---

(١) في الأصل: عقبها، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: بما صان خزانته من ثوارات المعرفة، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في «ن»: فقطع.

(٤) بها: ليست في «ن».

(٥) أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٤١٦) عن بهز بن حكيم عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين غضّت عن محارم الله».

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٨٨): وفيه: أبو حبيب العنقزي، ويقال: القنوي، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

وأخرج نحوه الدارمي في «السنن» (٢/ ٢٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٩٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٤٩) وغيرهم من حديث أبي ريحانة رضي الله عنه، مطولاً.

فخرجت هذه الآية مخرج النصيحة والعطف والتأييد، وقال في سائر الأشياء: افعلوا ولا تفعلوا، وقال لنبيه ﷺ: وأمر، وبين القول والأمر بون بعيد، أيد الله المؤمنين بهذه الكلمة من قوله: ﴿قُل﴾؛ ليقووا على غض الأبصار، فيجد السابق سبيلاً إلى صفاء الانتهاء، والمقتصد يجد السبيل إلى الانتهاء مع[1] التنازع.

وقال الله في تنزيله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[غافر: ١٩]، فالسابق حظه من قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الخلاصُ من خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

(١٢٧٩) ـ نا إبراهيمُ بنُ عبدِالله الخلالُ، قال: أنا عبدُالله بنُ المباركِ، قال: نا يونسُ بنُ يزيدَ[2]، عن ابنِ شهابٍ، عن نبهانَ مولى أمِّ سلمةَ: أنه حدَّثه: أن أمَّ سلمةَ زوجَ النبي ﷺ حدثته: أنها كانت عند رسول الله وميمونة، قالت: فبينما[3] نحن عنده، أقبل ابنُ أم مَكتومٍ، فدخل عليه، وذلك بعد أن أمر بالحجاب، فقال رسول الله: «احتَجِبَا مِنهُ» فقلنا: يا رسول الله! أليس هو أعمى لا يُبصرنا، ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَفَعَميَاوَانِ أَنتُمَا؟!

---

(١) في الأصل: في، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: زيد، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: فبينا.

أَلَستُمَا تُبصِرَانِهِ؟!»[1].

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقد تقدمت موعظة الله العباد في تنزيله من قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[الأحزاب: ٥٣]، ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[الأحزاب: ٥٣].

يعلِّم العباد أن[2] المبتغى منهم طهارةُ القلوب، وإنما تطهر القلوب بحفظ الحواس المؤدية أخبار الظاهر، وقد حذر الله عباده، وعظم شأن الزنا في تنزيله، وبين عقوبته، ثم وجدنا الزنا مقسوماً[3] على جوارح المرء، وقد نطق به الرسول ﷺ: أن لكل جارحة منه حظاً.

(١٢٨٠) ـ نا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، قال: نا ابنُ لهيعةَ، عن الأعرجِ، عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «العَينُ تَزني، وَاليَدُ تَزنـي، وَالرِّجلُ تَزني، وَالسَّمعُ يَزني، وَاللِّسَانُ يَزني، ويُصَدِّقُ[4] ذلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ الفَرجُ»[5].

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل الثالث والثلاثين.

(٢) في الأصل: أنه، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: وجدنا مقسومة، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في الأصل: يصدق، وما أثبتناه من «ن».

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٩) من طريق ابن لهيعة، به.

وأخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٤٤٢٢) من طريق الأعرج، به.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٤١١)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» =

قال: تكذيب[1] الفرج إياهن: أن لا يوجب حداً، فأما الأدناس والآثام، فقد أصابت الجوارح، وحلت بها[2].

(١٢٨١) ـ نا إبراهيمُ بنُ عبدِالله، قال: أنا عبدُالله، قال: أنا يحيى بنُ أيوبَ، قال: حدثني عبيدُالله بنُ زحرَ، عن خالـدِ بنِ أبـي عمرانَ، قال: لا تُتبِعَنَّ النظرةَ النظرةَ، فربما نظرَ العبدُ نظرةً ينغَل منها قلبُه كما ينغَلُ الأديمُ في الدباغ، فلا ينتفع به[3].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فهو ما ذكرنا بدءاً من السهم المسموم.

(١٢٨٢) ـ نا أبي رحمه الله، قال: نا محمدُ بنُ حميدٍ الأصباغيُّ، قال: نا عنبسةُ بنُ عبدِ الرحمنِ القرشيُّ، عن

= (١/ ١١٦)، وأبو يعلى في «المسند» (٦٤٢٥)، وابن حبان في «الصحيح» (٤٤٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥١١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٣٦٥)، وفي «السنن الكبرى» (٧/ ٨٩) من طريق أبي هريرة، به.

(١) في «ن»: فتكذيب.

(٢) في الأصل: بـه، والصواب من «ن».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الورع» (ص: ٦٣) من طريق يحيى بن أيوب، به.
أخرجه أبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٥١) من حديث ابن بريدة عن أبيه، بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «لا تتبع النظرة النظرة؛ فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة».

أبي الحسنِ المدائنيِّ، عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «النَّظَرُ إلى مَحَاسِنِ المَرأَةِ سَهمٌ مَسمُومٌ[1] مِن سِهَامِ إبلِيسَ، فَمَن صَرَفَ بَصَرَهُ عَنهَا، رَزَقَهُ اللهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلاَوَتهَا»[2].

(١٢٨٣) ـ حدثنا عمرُ بنُ أبي عمرَ، قال: أنا سعيدُ بنُ أبي مريمَ المصريُّ، قال: نا نافعُ بنُ يزيدَ[3]، قال: حدثني خالدُ بنُ يزيدَ، عن عمارِ بنِ سعدٍ، قال: لقي يحيى بنُ زكريا عيسى بنَ مريمَ ـ صلوات الله عليهم ـ، قال يحيى

---

(١) مسموم: ليست في «ن».

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (٥/ ٤٨٣) للحكيم، عن علي ؓ.
وأخرجه الدقاق في «مجلس في رؤية الله» (ص: ٣٣) من طريق عنبسة بن عبد الرحمن، به.
وعنبسة متروك، وقد تقدم مراراً.
وأخرجه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ١٤٠) من طريق النعمان بن سعيد عن علي، به.
وله شاهد من حديث ابن مسعود ؓ أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٧٣) بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «إن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، من تركها مخافتي، أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه».
وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٤٩)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ١٣٩) من حديث حذيفة بن اليمان ؓ.

(٣) في الأصل: زيد، والصواب من «ن».

لعيسى: يا روحَ الله وكلمَته! حدثني، قال عيسى: بل أنت فحدثني، أنت خيرٌ مني، جعلك الله سيداً وحصوراً، ونبياً من الصالحين.

قال يحيى: أنت خير مني، أنت روح الله وكلمته، فحدثني: ما يبعد من غضب الله؟ قال له عيسى: لا تغضب، قال: يا روح الله! ما يبدئ الغضب وينشئه؟ قال: التعزز والفخر، والحمية والعظمة، قال: يا روح الله! هؤلاء شداد كلهن، فكيف لي بهن؟ قال: سكِّن الروح، واكظم الغيظ. ثم قال له: وإياك واللهو، فيسخط الله عليك، وإياك والزنا؛ فإنه من غضب الرب، قال: يا روح الله! ما يبدئ الزنا ويثيره ويثنيه[1] ويعيده؟ قال: النظر والشهوة، وإتباعهما، لا تكوننَّ حديدَ النظر إلى ما ليس لك؛ فإنه لن يزني فرجُك ما حفظتَ عينَك، فإن استطعت أن لا تنظر إلى ثوب المرأة التي لا تحل لك، فافعل، ولن تستطيع ذلك إلا بالله[2].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

ولذلك حسم عليك العلماء النصحاء بابَ فضول النظر؛ لأن النظر بمنزلة بذر تبذره في الصدر، فإذا كانت النظرة نظرة عبرة، فالصدر بستان، وإذا كانت نظرة شهوة مشتملة عليها الغفلة، فالصدر مَشاكَةٌ[3].

(١٢٨٤) ـ نا محمدُ بنُ عليٍّ الشقيقيُّ، قال: نا أبو

---

(١) في «ن»: ما يبدئ الزنا أو يثنيه.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٥١) من طريق ابن أبي مريم به.

(٣) في «ن»: مشاركه.

مالكٍ سعيدُ بنُ هبيرةَ، قال: نا حمادُ بنُ سلمةَ، قال: نا محمدُ بنُ إسحاقَ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ التيميِّ، عن سلمةَ ابنِ أبي الطفيلِ، عن عليٍّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ لَكَ فِي الجَنَّةِ كَنزاً، وَإِنَّكَ ذُو قَرنَيهَا، فَلاَ تُتبِعَنَّ النَّظرَةَ النَّظرَةَ؛ فَإِنَّ لَكَ الأُولَى، وَلَيسَت لَكَ الأُخرَى»[1].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالكنز عندنا معناه[2]: فاطمة، وقرنيها: الحسن والحسين، وكان رسول الله ﷺ يقول: «أَربَعُ نِسوَة سَيِّدَةُ نِسَاء العَالَمِينَ فِي الجَنَّةِ: مَريَمُ، وَآسِيةُ، وَخَدِيجَةُ، وَفَاطِمَةُ»[3].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٥٩)، وفي «فضائل الصحابة» (٢/ ٦٠١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ٧)، والبزار في «المسند» (٣/ ١٢١)، وابن حبان في «الصحيح» (٥٥٧٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ٢٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٣٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٣٢٥) من طريق حماد بن سلمة، به.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٦٣): أخرجه أحمد، وفيه: ابن إسحاق، وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات.

(٢) معناه: زيادة من «ن».

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٤١٥)، وفي «المعجم الأوسط» (٢/ ٢٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال «الهيثمي» في «المجمع» (٩/ ٢٠١): أخرجه الطبراني في «الأوسط»، و«الكبير»، ورجال «الكبير» رجال الصحيح.

وقال ﷺ: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضعَةٌ مِنِّي»[1].

وقال لهـا عند موته: «إِنَّكِ أَسـرَعُ النَّاسَ بي لُحُوقاً»، فضحكت[2].

فبشر علياً: بأنها لك في الجنة، وصيرها[3] بمنزلة الكنز؛ لأن الكنز موضوع مستور، إليه المؤمل[4]، وسائر المال ظاهر يذهب ويجيء ويفوت، والكنز أصل المال، فشبه فاطمة من نعيم الجنة وإزواجها لعلي بالكنز من المال، ثم قال: «وَإِنَّكَ ذُو قَرنَيهَا»، فنسب القرنين إلى فاطمة أن الحسن والحسين قرناها، وإنك يا علي ذو القرنين؛ أي: تجد الحسن والحسين، وهما سيدا شباب أهل الجنة لك ولداً[5]، وذو: كلمة الاتصال واللصوق؛ كالشيء من الشيء.

فأعلمه[6] قرب منزلتهم منه في الجنة، وأنهم لا يفرقون، كما جمعهم الله في الدنيا، كذلك يجمعهم في الدرجة، ثم أوصاه على أثر البشرى وصية الرسل على التلطف، يحذره إتباع النظرة النظرة؛ لئلا يطمس وجه الكنز، ولا يغير ما به من نعمة الله؛ فإنه يحتاج[7] إلى التطهير في شأن الوصول إلى الكنز.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥١٠)، ومسلم (٢٤٤٩) من حديث المسور بن مخرمة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٥٠)، والترمذي (٣٨٧٢)، وابن ماجه (١٦٢١)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٢٤٠) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) في الأصل: خيرها، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: الموئل.

(٥) لك ولداً: زيادة من «ن».

(٦) في الأصل: فأعلم، والصواب من «ن».

(٧) في الأصل: محتاج، وما أثبتناه من «ن».

وكان رسول الله ﷺ إذا خص أحداً من أصحابه بموعظة وتحذير، فإنما يقصد قصد النكتة التي يخاف عليه منها، وكان عليٌّ رجلاً يغلب[1] على قلبه محبةُ الله تعالى، والمحبةُ تسير إلى الله تعالى في ميدان السعة، والتشجع في الأمور والتذرع، والمحبة لها حلاوة وحرارة تهيج الشهوة، وتزيد ماء الصلب، فحذره رسول الله ﷺ ما كان يخاف عليه؛ كأنه خاف أن يطمح الذي فيه مما ذكرنا بنظره إلى ما ليس له، فبشره[2] بالكنز والقرنين، ثم أتبعه الوصية، وحذره؛ كي يشفق على البشرى الذي بشره بما له في الجنة، فيكون ذلك الأمل[3] الذي يأمل في ذلك الكنز عوناً له على غض بصره، ورد نفسه.

ومما يحقق ما ذكرنا من شأن الحب الغالب عليه[4]: قول رسول الله ﷺ بخيبر: «لأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ»[5].

فشهد له الرسول ﷺ بحب الله إياه، وبحبه لله، ونسب هذه الخصلة إليه من بين الجميع، وقد كان هناك أبو بكر، وعمر، والنجباء، وإنما ينسب

---

(١) في «ن»: الغالب.

(٢) في «ن»: فبدأ فبشره.

(٣) في الأصل: الأصل، وما أثبتناه من «ن».

(٤) عليه: ليست في «ن».

(٥) أخرجه مسلم (٢٤٠٤)، والترمذي (٣٧٢٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٣٩٩)، وابن ماجه (١٢١)، وأحمد في «المسند» (١/ ١٨٥)، والبزار في «المسند» (٣/ ٢٨١)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٩٣٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ١١١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.
وأخرجه البخاري (٢٨٤٧)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

المرء إلى ما يكون الغالب عليه من الأمور والأعمال، فكذلك في الحظوظ، إنما ينسب[1] أصحاب القلوب كل إلى ما وفر له من[2] الحظ من ذلك الشيء.

فأبو بكر منسوبٌ إلى الرحمة والرأفة والحياء.

وعمر منسوب إلى الحق.

وعلي منسوب إلى المحبة.

فإنما ينسب كل واحد منهم إلى ما هو الغالب عليه.

ومما يحقق ذلك أيضاً: أن علياً كان بارز الأمر في شأن الثناء على الله تعالى، وذكر الصفات، ونشر الآلاء من بين[3] جميع الأصحاب، وهذا علم المحبين، وكان معروفاً بالانبساط والانطلاق، والهشاشة إلى الخلق والمزاح.

حتى قال عمر في شأن الخلافة عندما ذكر له علي، قال: إن علياً رجلاً تلعابة[4].

وقال مرة أخرى: به دعابة[5].

والدعابة: المزاح، والتلعابة: من الملاعبة، وهذا لمن الغالب على قلبه

---

(١) في الأصل: ينسب في، وما أثبتناه من«ن».

(٢) في الأصل: به في، وما أثبتناه من«ن».

(٣) بين: ليست في «ن».

(٤) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٥٧٦)، والخطابي في «غريب الحديث» (٢/ ١٦١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٤١٨) إلا أنه ليس عن عمر، إنما عن عبدالله بن عياش الزرقي.

(٥) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٣/ ٥١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ٤٥٣).

والحديث فيه طعن ببقية العشرة، لذلك قال ابن عساكر: فيه: عمرو بن الحارث، مجهول العدالة، والمحفوظ عن عمر شهادته لهم بأن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض.

محبة الله كائنة؛ لأن القلب ينبسط عند المحبة، وينقبض عند المخافة، فإذا غلبت المحبة على الخوف، انبسط، وإذا غلب الخوف على المحبة، انقبض؛ لأنه يلاحظ العظمة، وفي وقت الانبساط يلاحظ جوده وكرمه، وكأن انبساط علي إلى الخلق ومعاملته إياهم على حسب ذلك من السعة والبشر والهشاشة، وبتلك القوة أمكنته المحاربة، وتشجع، وصلى على قتلى الفريقين.

وقال: رحمكم الله! دُعيتم فأجبتم، وأُمرتم فأطعتم.

ومن كانت هذه صفته كانت شهوته هائجة، وكان قوياً في أمر النساء.

وكان يقول: كنت رجلاً مَذّاءً، فكنت أغتسل في اليوم مرات حتى شحبت، وكنت أستحي أن أسأل رسولَ الله ﷺ من أجل ابنته، فأمرت المقدادَ أن يسأل لي رسولَ الله، فسأله، فقال ﷺ: «يُجزِئكَ الوُضُوء»[1].

وكان قد همَّ أن يتزوج على فاطمة، حتى خطب[2] رسول الله ﷺ على المنبر، فقال[3]: «إِنَّ بَنِي المُغِيرَةِ استَأْذَنُونِي أَن[4] يُنكِحُوا ابنَتَهُم مِن عَلِيٍّ، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ[5] مِنِّي، يُؤذِينِي مَا آذَاهَا، أَلاَ فَإِنِّي لاَ آذَنُ، ثُمَّ لاَ آذَنُ، ثُمَّ لاَ آذَنُ».

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٦)، ومسلم (٣٠٣)، وأبو داود (٢٠٦)، وأحمد في «المسند» (١/ ٨٠)، والبزار في «المسند» (٢/ ١٠١)، وأبو يعلى في «المسند» (٣١٤)، والبيهقي في «السنن» (١/ ١١٥) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: غضب، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: وقال، والمثبت من «ن».

(٤) في «ن»: في أن.

(٥) بضعة: زيادة من «ن».

(١٢٨٥) ـ نا بذلك سليمانُ بنُ منصورٍ الذهبيُّ، قال: أنا عبدُ الجبارِ بنُ الوردِ، عن ابنِ أبي مُليكةَ، عن رسولِ الله ﷺ[١].

(١٢٨٦) ـ نا أبي رَحِمَهُ اللهُ، قال: نا الحسنُ بنُ سوارٍ البغويُّ، وأحمدُ بنُ يونسَ، عن ليثِ بنِ سعدٍ، عن ابنِ أبي مُليكةَ[٢]، عن المِسوَرِ بنِ مخرمةَ، عن رسولِ الله، بمثله[٣].

(١٢٨٧) ـ نا عبدُ الجبارِ، عن سفيانَ، عن عمرِو بنِ دينارٍ، عن أبي جعفرٍ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ عَلِيّاً يُرِيدُ أَن يَخطِبَ العَورَاءَ بِنتَ أَبِي جَهلٍ، وَمَا كَانَ لِعَلِيٍّ أَن يَجمَعَ بَينَ بِنتِ نَبِـيِّ اللهِ، وَبِنتِ عَدُوِّ اللهِ؛ فَإِنَّ فَاطِمَةَ بَضعَةٌ مِنِّي

---

(١) انظر ما بعده.

(٢) في الأصل: ابن مليكة، والصواب من «ن».

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٤٩)، وأبو داود (٢٠٧١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٢٥) من طريق أحمد بن يونس، به.

وأخرجه الترمذي (٣٨٦٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٥١٨)، وابن ماجه (١٩٩٨)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٢٨)، وفي «فضائل الصحابة» (٢/ ٧٥٦)، وابن حبان في «الصحيح» (٦٩٥٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٠٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ١٥٩) من طريق الليث بن سعد، به.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة، نحو هذا.

يُغضِبُنِي مَا أَغضَبَهَا»[1].

ومرة أخرى يوم فتح مكة وقعت في سهمه جارية من سبي هوازن، فذهب بها مستعجلاً إلى أخته أم هانئ لتزينها، فهمَّ في ذلك، إذ نادى منادي رسول الله: خلوا عن السبايا، فبقي عليٌّ على قارعة الطريق.

ومرة في بعض السرايا نكح جارية من الخمس، فأنكروا ذلك عليه فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ منكرين عليه، فقال رسول الله ﷺ: «لاَ تُؤذُونِي فِي عَلِيٍّ»[2].

(١٢٨٨) ـ ونا[3] عبدُ الجبار، عن سفيانَ، عن عمرو، عن أبي جعفرٍ، قال: دخلَت أمُّ أيمنَ على فاطمةَ، فرأت في وجهها شيئاً، فأنكرته، فسألتها، فأبت أن تخبرها، فقالت: أما إن أباك لا يكتمني شيئاً، فقالت: جاريةٌ وهبها أبو بكر لعليٍّ، فخرجت أمُّ أيمنَ، فنادت: أما لرسولِ الله حقٌّ أن يُحفظ في أهلِه؟ فقال عليٌّ: ما هذا؟ قالوا: أم أيمن

---

(١) هذا مرسل، وانظر ما قبله.
وأخرج البخاري (٣٥١٠)، ومسلم (٢٤٤٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٣٧١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥/ ٣٦١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٤٠٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ١٥٦) من طريق سفيان عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة، بلفظ: «إنما فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها».

(٢) لم أجده فيما بين يدي من مراجع.

(٣) في «ن»: حدثنا.

تقول كذا، فقال عليٌّ: الجاريةُ لفاطمةَ[1].

ومات يوم مات ﷺ عن سبعَ عشرةَ من بين حرة وأمٍّ ولدٍ، فكان هذا كله من غلبة ما ذكرنا على قلبه، فإنما حذره رسول الله ﷺ النكتة التي عرفها فيه، وحذره خطرها ووبالها، وكذلك كان من شأنه، إذا عرف من رجل شيئاً يخاف عليه منه، وعظه من ذلك الباب.

ومن ذلك قال للزبير، وهو آخذ بطرف عمامته: «يَا زُبَيْرُ! إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيكَ خَاصَّةً، وَإِلى النَّاسِ عَامَّةً. يَا زُبَيْرُ! إِنَّ اللهَ يَقُولُ: أَنفِق أُنفِق عَلَيكَ، وَلاَ تَصُرَّ فَأَصُرَّ عَلَيكَ»[2].

فذكر الحديث إلى آخره.

فإنما قصده لهذا؛ لأن الزبير كان يُزَنُّ ببخل، وبلغ من إمساكه أنه كان يوصي إليه أفاضل أصحاب رسول الله ﷺ؛ لعلمهم[3] بإمساكه.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٧/ ٣٠٢) من طريق سفيان، به.

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠٧) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن الزبير بن العوام ﷺ.

وقد تقدم في الأصل الثامن عشر والمئة بإسناد المصنف، فانظره.

وأخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢١٦) عن ابن عباس ﷺ، بلفظ: «يا ابن العوام! أنا رسول الله إليك، وإلى الخاص والعام، يقول الله ﷻ: أنفق أُنفق عليك، ولا ترد، فيشتد عليك الطلب، إن في هذه السماء باباً مفتوحاً ينزل منه رزق كل امرئ بقدر نفقته، أو صدقته ونيته، فمن قلَّل، قلل عليه، ومن كثر، كثر عليه، فكان الزبير بعد ذلك يعطي يميناً وشمالاً».

(٣) في «ن»: في أموالهم لعلمهم.





الأصل الرابع والأربعون والمئتان

(١٢٨٩) ـ نا نصرُ بنُ عليٍّ بنِ نصرِ بنِ عليٍّ بنِ صهبانَ الجهضميُّ، قال: حدثني أبي، عن جَدِّي، عن النضرِ بنِ شيبانَ: أنه لقي أبا سلمةَ بنَ عبدِ الرحمنِ، فقال: حدثني بأفضلِ شيءٍ سمعتَه يذكر ـ يعني: أباه ـ في رمضان؟ فقال: نا عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ شَهرَ رَمَضَانَ شَهرٌ فَرَضَ اللهُ عَلَى المُسلِمِينَ صِيَامَهُ، وَسَنَنتُ لَهُم قِيَامَهُ، فَمَن صَامَهُ وَقَامَهُ إِيمَاناً وَاحتِسَاباً، خَرَجَ مِنَ الذُّنُوبِ كَيَومَ وَلَدَتهُ أُمُّهُ»(١).

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٨٦٥) من طريق نصر بن علي بن نصر بن علي، به.
وأخرجه ابن ماجه (١٣٢٨)، وأحمد في «المسند» (١/ ١٩٤)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢٩/ ٣٨٦)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٣/ ٣٣٥)، والبرتي في «مسند عبد الرحمن بن عوف» (ص: ٦٠) من طريق نصر بن علي الجد، به. =

(١٢٩٠) ـ نا سعيدُ بنُ عبدِاللهِ التمارُ، قال: نا الفضلُ ابنُ دُكينٍ، قال: نا نصرُ بنُ عليٍّ بنِ صهبانَ، عن النضرِ بنِ شيبانَ، عن أبي سلمةَ، عن أبيه، عن رسولِ الله، بمثله[١].

(١٢٩١) ـ نا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، وصالحُ بنُ عبدِالله، قالا: نا نوحُ بنُ قيسٍ الحدانيُّ، عن نصرِ بنِ عليٍّ، عن النضرِ بنِ شيبانَ، قال: قلتُ لأبي سلمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ[٢]: ألا تحدثني بشيء سمعتَه من أبيكَ سمعَه أبوك من رسول الله؟ فقال: قال رسول الله ﷺ، فذكر مثله[٣].

ونصر هذا هو[٤] جد نصر بن علي الذي لقيناه بالبصرة.

(١٢٩٢) ـ نا الجارودُ، قال: نا النضرُ بنُ شُميلٍ، قال:

= وأخرجه النسائي (٤/ ١٥٨)، وفي «السنن الكبرى» (٢٥٢٠)، وأحمد في «المسند» (١/ ١٩١)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٣٠)، وعبد بن حميد في «المسند» (ص: ٨٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٠٧) من طريق النضر ابن شيبان، به.

(١) أخرجه النسائي (٤/ ١٥٨)، وفي «السنن الكبرى» (٢٥١٨) من طريق الفضل بن دكين، به.

(٢) ابن عبد الرحمن: ليست في «ن».

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٩٤)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٣/ ٣٣٥) من طريق نوح بن قيس، به.

(٤) هو: زيادة من «ن».

نا القاسمُ بنُ الفضلِ الحدانيُّ، قال: نا النضرُ بنُ شيبانَ، قال: لقيتُ أبا سلمةَ، فقلت له: حدثني حديثاً سمعتَه من أبيك عن رسولِ الله، ليس بينك وبينه أحدٌ، فقال: سمعتُ أبي، أو أخبرنا، قال: قال رسولُ الله ﷺ، فذكر مثله[1].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

قوله ﷺ: «صامه إيماناً»؛ أي: آمن بما افترض الله عليه، ثم صامه على نية أنه افترضه[2] الله عليه؛ لأنه قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[البقرة: ١٨٣].

والصوم: إنما هو: عزم على كَفّ عن كل شيء يُطعَم أو يُشرَب، وعن إتيان النساء، فهذا العزم بينه وبين ربه، لا يطَّلِع عليه أحد، وهو في كل ساعة من يومه إذا اعترضت له شهوة، فإنما يمتنع منها؛ لإيمانه بأن الله مطلع على سره وإضماره[3]، فذلك منه إيمان في نفسه بأن الله تعالى يعلم عزمه وضميره في هذا الكف، فيستقر لذلك قلبه، ويعظم أمله[4]، ويرجو من الله تعالى عليها[5] خيراً، هذا كله إيمان، فإذا لم يجمع من الليل، ولم

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ١٥٨)، وفي «السنن الكبرى» (٢٥٢٠)، وابن ماجه (١٣٢٨)، وأحمد في «المسند» (١/ ١٩١)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢٩/ ٣٨٦) من طريق القاسم بن الفضل، به.

(٢) في الأصل: افترض، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: وضمائره، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: ليله.

(٥) عليها: ساقطة من الأصل، وزدتها من «ن».

يعزم على ذلك، لم يجزئه صومه هذا في الذي افترض الله عليه؛ لأنه قد كتب عليه ذلك من أول ما ينفجر الصبح إلى غروب الشمس وإقبال الليل، فأمر بإتمامه إلى الليل، فأما التطوع، فله أن ينوي قبل الزوال، فيكتب له أجر اليوم تاماً[1]؛ تفضلاً من الله على عبده.

وبذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ؛ لأنه إذا عزم على الصوم قبل الزوال، فقد بقي عليه أكثر النهار، فإذا افترض من ذلك الوقت على نفسه، حسب له صيامه من أول النهار؛ لأن حكم أكثر الشيء حكم الكل، وجدنا ذلك سائراً في كثير من الأحكام.

وقد روي عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «لاَ صِيَامَ لِمَن لَم يُجمِع الصِّيام مِنَ اللَّيلِ»[2].

فهذا لمن فرض الله عليه، فإذا لم يجمع، فأصبح، فهو في تلك الساعة

---

(١) في «ن»: تماماً.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٥٤)، والترمذي (٧٣٠)، والنسائي (٤/ ١٩٧)، وابن ماجه (١٧٠٠)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٢٨٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٢٩٢)، والدارقطني في «السنن» (٢/ ١٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٩٦)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٣/ ١٥٠) من حديث حفصة ـ رضي الله عنها ـ. إلا أنه اختلف في بعض الألفاظ في لفظ الجمع.
وقال الترمذي: حديث حفصة حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وقد روي عن نافع عن ابن عمر، قوله، وهو أصح، وهكذا أيضاً روي هذا الحديث عن الزهري موقوفاً، ولا نعلم أحداً رفعه إلا يحيى بن أيوب، وإنما معنى هذا عند أهل العلم: لا صيام لمن لم يجمع الصيام قبل طلوع الفجر في رمضان، أو في قضاء رمضان، أو في صيام نذر، إذا لم ينوه من الليل، لم يجزه، وأما صيام التطوع؛ فمباح له أن ينويه بعدما أصبح، وهو قول الشافعي، وأحمد، وإسحق.

التي أصبح غير مؤدٍّ[1] للفرض.

فروي عنه: أنه قال: «الصَّائِمُ بِالخِيارِ مَا بَينهُ وَبينَ نِصفِ النَّهارِ»[2]، فهذا في التطوع.

فأما قوله ﷺ: «إيمَاناً وَاحتِسَاباً»، وكل عمل ابن آدم فإنما يقوم بالنية والحسبة، والنية والحسبة: قرينتان[3] تجريان في الأعمال معاً، فإذا انقطعت النية، انقطعت الحسبة.

فالنية: نهوض القلب إلى الله، وبدؤها الخاطر، ثم المشيئة، ثم الإرادة، ثم النهـوض إلى الله مرتحـلاً بفعله، وعمـله[4]، وذهنه، وهمته، وعزمه، وإضماره، فهاهنا تتم النية، فيقال: نوى، ومن هاهنا تخرج إلى الأركان،

---

(١) في الأصل: الساعة غير مؤدي، والصواب من «ن».

(٢) أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٩٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٢٧٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/ ٢٥٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ، مرفوعاً.

وأخرج الحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٠٥) من حديث أم هانئ ـ رضي الله عنها ـ، بلفظ: «المتطوع بالخيار، إن شاء صام، وإن شاء أفطر».

وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وتلك الأخبار المعارضة لهذا لم يصح منها شيء.

وأخرج نحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٢٨٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٢٧٧) عن ابن عمر ﷺ، موقوفاً.

(٣) في «ن» مرتبتان.

(٤) في «ن»: ثم النهوض ثم اللُّحوق إلى الله مرتحلاً بعقله وعلمه.

فيظهر على الجوارح فعله، ومبتدأ النية الذي لزمه هذا الاسم: نهوض القلب، وتحركه من مكانه.

يقال في اللغة: ناء ينوء؛ أي: نهض ينهض.

وقيل: النية كانت خاطرة[١]، ثم مشيئة، ثم إرادة، حتى إذا صار القلب إلى فعل ظاهر في صدره، قيل: نية؛ لأنه قبل ذلك كانت الأشياء خفية في الصدر، فلما ظهرت، نهضت[٢]، فمبتدأ النية نهوض، ومنتهاها عزمة[٣]، ثم الارتحال.

فالعزم[٤]: عقد القلب، ولا تكون النية إلا بالعقد، والتوجه إلى العبادة[٥] مع العزم؛ لذلك ثبتوا عليه، والفرائض منتظمة فيه، فأما سائر الطاعات[٦] المرغوبة، فيحتاج إلى عزم يشاكل[٧] ذلك حتى يمكنه الثبات عليه مثلما ثبت في الأول، فإذا صح العزم، خرج الرياء، والفخر، والخيلاء من جميع أحواله، وبلغ مقام الأولياء[٨]، ثم الناس بعد ذلك على طبقات.

فالعامة: في جميع أعمال البر هذا صفتهم، لابدَّ لهم من أن يأتوا

---

(١) في «ن»: خاطر.

(٢) في «ن»: نهض.

(٣) في «ن»: عزمه.

(٤) في «ن»: قال أبو عبدالله: العزم.

(٥) في «ن»: القيام.

(٦) في الأصل: فأما السائر من الطاعات، والصواب من «ن».

(٧) في الأصل: شيء كل، والصواب من «ن».

(٨) في الأصل: الأقوياء، والصواب من «ن».

بهذه الصفة في كل عمل يلتمسون ثوابه غداً، وهذا موجود في العامة من الموحدين في كل عمل أخلصوه لله، فهذه الخصال موجودة في ذلك العمل؛ لأنه لا يحسن أن يميز هذا الاسم، ويطالعه بقلبه في صدره؛ لأن صدره مرج من المروج ملتف فيه من النبات ما إذا تخطى فيه، لا يكاد يستبين موضع قدمه أين يضعه من كثرة التفاف ما فيه[1] من البَرْدِيِّ والأشجار والحطب.

فهذا صدر فيه إشغال النفس وفتنتها، ووساوس شهواتها، فمن أين يبصر في صدره الخواطر والمشيئات، والإرادات والنهوض، والارتحال وجنود المعرفة؟ ولكن الله تعالى لما رحم الموحدين، ومنَّ عليهم بالتوحيد، ضمَّن هذه الأشياء توحيدهم، وأودعها قلوبهم، فهم بتلك القوة يعملون أعمال البر، وربما أخلصوا، وربما خلطوا، وربما اطمأنوا، وربما نافقوا، ولذلك وضع الحساب في الموقف؛ لتخليط الإيمان بالنفاق، والصدق بالكذب، والإخلاص بالشرك؛ أعني: شرك الأسباب، وإنما يستبين الذي وصفنا لقلبٍ أجردَ أزهرَ في صدر فسيح قد شرحه الله للإسلام، فهو على نورٍ من ربه، رطب بذكر الله، قد لان بلطف الله، ورَطُب برحمة الله، وصَلُبَ بآلاء الله، وبذلك وصفه رسول الله ﷺ، فقال: «قَلبُ المُؤمِنِ أَجرَدُ أَزهَرُ»[2].

---

(1) في «ن»: التفاف ما فيها، وفي الأصل: التفافها فيه، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(2) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٧)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ٢٢٨) عن أبي سعيد الخدري، بلفظ: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد، فقلب المؤمن، سراجه فيه نوره. . . .».
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٦٣): وفي إسناده ليث بن أبي سليم.
أي: وحاله في الضعف مشهور.

فصدره كمفازة جرداء فيها شمس تزهر.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ فِي الأَرضِ أَوَانِيَ، أَلَا وَهِيَ القُلُوبُ، فَخَيرُهَا: أَصفَاهَا، وَأَرَقُّهَا، وَأَصلَبُهَا»[1].

فأصفاها من كدورة الأخلاق، وأرقها للإخوان، وأصلبها في ذات الله تعالى.

فالناس في هذه النية على طبقات:

فأما نية العامة: فارتحالهم إلى الله بهذا العقل والعلم، والذهن، والهمة، والإضمار، والعزم، فمبلغ ارتحالهم: الجو.

ثم[2] ليس لقلوبهم من القوة ما يرتحلون، فيطيرون؛ لأنه لا ريش لقلوبهم، فيطيرون، والجو مسدود؛ لأن القلوب لما مالت إلى[3] النفوس، فأطاعتها، انسد[4] طريقها إلى ربها؛ لأن القلوب إنما أعطيت معرفة التوحيد، ومنَّ عليها بذلك، فقويت بقوة وافرة بالغةٍ؛ لتمد النفس بما فيها من الشهوات إلى الله، فتطيعه، فتمت حجة الله على القلوب بما أعطيت، فلما ضعفت، ولم يتشمر لأمر الله بما أعطيت من الجنود، ولم يجاهد النفس حتى يغلبها، ويأسرها بجميع ما فيها من الشهوات فيذلها[5].

---

(١) سيأتي تخريجه في الأصل السادس والستين والمئتين.

(٢) في «ن»: ارتحالهم الحريم.

(٣) في «ن»: مع.

(٤) في «ن»: استد.

(٥) في الأصل: فبذلها، وفي «ن»: فتذلها، ولعل الصواب ما أثبتناه.

وقد قيل لها: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، ثم قال: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾[الحج: ٧٨]؛ أي: رفعكم من بين الأعداء؛ جباية منه لكم؛ ليتخذكم أحباباً، وإنما جباهم من بين الأعداء، ووضع في قلوبهم التوحيد بحلاوته؛ كي إن جاءت النفس بحلاوة شهواتها إلى القلب، ضرب بتلك الحلاوة وجهها، وردها بقوة هذه الحلاوة الممنون عليه[١] بها؛ بمنزلة ملك قاعد[٢] على سرير الملك، والتاج على رأسه، والإكليل على جبينه في سِماطَي جنوده، وبين يديه قَعْبٌ من عسل وشهد، فهو يلعق العسل، ويطعم[٣] الشهد على أثره؛ كي يقوى على لعق العسل عَوداً، فجاءه عبد حبشي في وسخ ذو خيانة، قد ابتلي به؛ لأنه دبره على شريطة أن يعتقه بعد كذا وكذا من العمل والخراج، فلا يقدر أن يبيعه، ولا يغصبه ممن يملكه[٤]، فبينا هذا الملك على هذا الحال الذي وصفنا[٥]، إذ أتاه هذا العبد بطبق عليه فرصاد، أو مشمش، يُظهر بذلك شفقته على الملك[٦]؛ ليتناول من هذه الحلاوة التي جاء بها، أفلا يحق على هذا الملك أن يأمر بطرده بما[٧] جاء به؛ لأنه سخر بأمره، فإذا كان الملك أبله[٨]، أعرض عن العسل، وأقبل على هذا الفرصاد.

---

(١) في الأصل: المهون عليها، وما أثبتناه من «ن».

(٢) قاعد: ساقطة من الأصل، وزدتها من «ن».

(٣) في الأصل: ويطعمهم، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: من مملكته.

(٥) في «ن»: وصفناه.

(٦) في «ن»: بذلك على الملك شفقة.

(٧) في «ن»: وبما.

(٨) في «ن»: أبلهاً.

فهذا الموحد الذي أُعطي التوحيد بما فيه من الحلاوة إذا انخدع لنفسه، وبما تأتي به النفس بمنزلة هذا الملك الأبله، فإذا وجد الجنود الملك أبله، تحيروا، وتعطلت أعمالهم التي بها وكلوا، ورُفع التاج عن رأسه، ونُزع الإكليل، وأُنزل عن السرير، ووضع في يد هذا العبد القذر حتى يدوسه في المزابل حتى يمتلئ منخراه[1] ودماغه من كل نتن، فهناك تجده لا يلتذ بطاعة، ولا يستروح إلى ذكر الله؛ لأنه لا يجد رائحة الذكر؛ لأنه يخرج من صدر كالمزابل، محشو بالخبث، والخيانة، والظلم، والعدوان، والرغبة، والتجبر، والتعزز، والتكبر، والاستبداد، والحقد والغلو، وحب الأشياء التي يضاهي الله بها[2]، وينازع رداءه، أفيرجو[3] بعد هذا صاحب هذا أن يلتذ بطاعة، أو يستروح إلى ذكر، أو يجاوز قلبه في عمله رأسه؟ فإن اجتهد، فأخلص في شيء واحد بحرمة ذلك التوحيد وبقوته[4]، فبجهد شديد، ولا يجاوز قلبه الحق، فهذا شأن العامة.

وأما الصادقون: وهم العبَّاد، والزُّهَّاد، والقرَّاء، فنياتهم صاعدة بهذه الأشياء التي ذكرنا من العقل، والعلم، والهمة، والإضمار، والعزم، فإذا بلغ المحل الذي هناك، استقر القرآن في بيت العزة في السماء الدنيا، ضعفوا عن تجاوز ذلك إلى ما فوقه؛ لأنه لا يقدر قلبه على الطيران إلى العلا، وعلى

---

(١) في «ن»: منخريه.

(٢) في الأصل: به، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: فيرجو.

(٤) في «ن»: وقوته.

قدر عقله وعلمه[1]، وذهنه، واستعماله لهم، يمكنه أن يطير[2] فتحتظي[3] تلك النفوس من ذلك المحل، وتأخذ قوتها، وتستمر في الطاعة.

وأما العارفون: وهم الصديقون، فإن نيَّاتهم قد صارت كلها نية واحدة؛ لأن القلب قد ارتحل إلى الله بمرة، ووجد الطريق فمر، واشتغل بالنفس[4] بما فيها من الشهوات، لينة منقادة، قد تحولت من الخيانة إلى الأمانة، وانقاد[ت] للقلب، فالقلب: أمير، والنفس: أسيرة[5] حتى صارت أمينة بعد الأسر، والقلب قرينة أكرمت بكرامة القلب، فهذا صاحب العسل والشهد، فارتحال قلوبهم إلى المعسكر عند ذي العرش، ولهم مطاف[6]، وأعمالهم معروضة على الله في كل مفرج، ولا[7] توضع في الخزائن حتى تعرض، وينظر إليها الرب ـ تبارك اسمه ـ، ويتقبلها[8]، ثم توضع بعد القبول في خزائن الخاصة.

وأما العارفون الحكماء: حكماء الله لا حكماء التدبير، فهم الذين اطلعوا على بدوِّ[9] الربوبية، ومحل القربة، فهم خاصة الله في بحور الله، يعملون

---

(١) في الأصل: وعمله.

(٢) في الأصل: يظهر، وما أثبتناه من «ن».

(٣) في الأصل: فيتحظى، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: فالنفس.

(٥) في الأصل: أسير، والصواب من «ن».

(٦) في «ن»: مصاف.

(٧) في «ن»: لا.

(٨) في «ن»: ويقبلها.

(٩) في «ن»: بدئ.

بجميع[1] الأعمال، والأعمال غائبة عن قلوبهم؛ لأن الله نصب أعينهم في مجالس الملك، فأجمل رسول الله ﷺ ذكر النية فقال: «الأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لامرِئٍ مَا نَوَى».

يعلمك بقوله: «وإنَّما[2] لامرِئٍ مَا نوَى»: أن للنية درجات، كلٌّ على درجته ينال ثمرتها.

(١٢٩٣) ـ نا سليمانُ بنُ منصورٍ الذهبيُّ، قال: نا عبدُالله بنُ المباركِ، عن يحيى بنِ سعيدٍ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ التيميِّ، عن علقمةَ بنِ وقاصٍ، عن عمرَ بنِ الخطابِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الأَعمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لامرِئٍ مَا نَوَى»[3].

وما روي عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «لاَ عَمَلَ لِمَن لاَ نِيَّةَ لَهُ، وَلاَ أَجرَ لِمَن لاَ حِسبَةَ لَهُ»[4].

وأما الحِسبة: فإن العبد لما انتبه، علم أنه في رق العبودة إلى يوم

---

(١) في «ن»: جميع.

(٢) في الأصل: إنما، والصواب من «ن».

(٣) أخرجه النسائي (١/ ٥٨) من طريق سليمان بن منصور، به.
وأخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧)، والترمذي (١٦٤٧)، والنسائي (١/ ٥٨)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢٥)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٩)، وابن خزيمة في «الصحيح» (١/ ٧٤)، وابن حبان في «الصحيح» (٣٨٨) من طريق يحيى بن سعيد، به.

(٤) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٤١) من حديث أنس بن مالك ﷺ، مرفوعاً.

خروجه من الدنيا؛ لأنه خلقه عبداً ليعبده، ثم وعده أن يحرره يوم الموقف إذا أتاه بالعبودة، فيقعده في داره[1] دارِ السلام، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦].

فنحن نسعى في هذا الرق إليه إلى يوم اللقاء[2]، وهو خروج الروح، وقبض النفس عن الدنيا: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[الإسراء: ١٩]: شكر[3] الله لهم بمغفرة الذنوب، والرضا عنهم، وتملكهم الجنان، وقضاء[4] المنى والشهوات أبداً، ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[التوبة: ٧٢]، فلما آمن العبد بربه، ألقى بيديه إليه سلماً، وقبل أمره وعبوديته، فقبله الله، وأقبل عليه بالمعونة[5] له.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[النحل: ١٢٨]؛ أي: في العون والنصرة[6]، فما دام العبد مقبلاً على الله تعالى، فإقبال الله عليه، ومن ذا يعلم ما في حشو هذا الإقبال إلا أهله؟ فإذا أعرض العبد مغتراً بخدائع النفس وأمانيها وأكاذيبها، فأقبل على النفس، وقبل منها ما تأتي به، فقد أعرض عن الله، ومال عنه، فأعرض الله عنه[7]، وعذَّب قلبَه، ورثَّ عليه

---

(١) داره: زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: القيامة.

(٣) في «ن»: ﴿كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾[الإسراء: ١٩ ـ ٢٠] شكر.

(٤) في الأصل: وقضى، والصواب من «ن».

(٥) في «ن»: بالعون.

(٦) في «ن»: والنصر.

(٧) فأعرض الله عنه: ليست في «ن».

أشغال[1] الدنيا رثاً حتى يغرق فيه قلبه، وانقطع المدد والعون، فإذا تاب إلى الله، ونزع، خرج[2] من هذا الغرق برحمة أدركته من الله، وغوثٍ أغاثه.

ولم يُحِبَّ أن يضيع صنائعه، فجاد وتفضل، وفتح باب الرحمة نظراً منه لمنته[3] وأياديه التي كانت له عند العبد، فوجد القلب خلاصاً، وعاد العون والمدد، فلم يزل العبد يترقى درجة[4] درجة، وتفضل الله عليه[5] بالكرم، وجاد بالإقبال، فانتعش بعد النكس، وحيي بعد الموت، حتى توردت بساتين توحيده، وانفطرت مكنون جواهره كانفطار الينابيع، وانفلاق الحبوب عن بذورها، وأزهرت[6] فأينعت، وذلك قوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾[الأنعام: ٩٥]، و﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾[الأنعام: ٩٦]، ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾[الأنعام: ٩٥].

فأخذ العبد يسعى في الرق والعبودة، وكلما عمل شيئاً من الأعمال، احتسب به على الله في العبودة التي قبل منه، بمنزلة[7] رجل دين في عنقه بأمانة، فهو يفك رقبته بأدائه شيئاً بعد شيء، إذا أدى عشرة، احتسب[8] بها على صاحب الدين قضاء ووفاء، وإذا أدى مئة، فمثل ذلك، وإذا أدى ديناراً، احتسب به قضاءً من ذلك الدين، وإذا أدى جوهراً، احتسب به قضاءً، وإذا

---

(١) في الأصل: انشغال، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: وخرج، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: بمنته، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: في درجة.

(٥) عليه: زيادة من «ن».

(٦) في الأصل: وازدهرت، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في «ن»: بمنزله.

(٨) في الأصل: فاحتسب، والصواب من «ن».

أدى عقاراً أو عَرضاً من العروض، فمثل ذلك، وكل شيء يؤديه إلى صاحب الدين احتسبه عليه في قضاء الدين الذي في عنقه.

وإنما قيل: احتَسَب على قالب افتَعَل، ولم يقل: حَسَب؛ لأن هذا فعل في الذات مقرون بالنية، وإنما يقال لفعل الأركان: حسب، وهذا احتسب، ومعناهما يرجعان إلى الحساب أن هذا العبد يحتسب في نفسه، وفي ذاته بهذا الفعل[1]، يحتسبه على الله من قضاء دينه، ودينه العبودة التي قبلها، فإذا قوي واحتسب، فقد أخلص، وعقد إخلاصه بالنية وعبودته بالاحتساب، فقد أتى بالأمرين جميعاً، وبذلك أمر في تنزيله فقال: ﴿لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[البينة: ٥].

فقال رسول الله ﷺ في ذكر شهر رمضان: «فَمن صَامهُ إيمَاناً وَاحتِسَاباً».

يعني: إيماناً[2] بما كتبه الله عليه، فهو يؤدي الفرض[3]، وإيماناً بأنه مطلع على عزمه[4] في صومه، ورد شهواته في ساعات يومه.

فذلك كله من العبد إيمان يتجدد[5] عليه في كل ساعة، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يأخذ أحدهم بيد صاحبه؛ مثل: معاذ بن جبل، وعبدالله[6]

---

(١) في «ن»: العمل.

(٢) يعني إيماناً: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: الفرائض.

(٤) في الأصل: غرضه، والمثبت من «ن».

(٥) في الأصل: يتجد، وما أثبتناه من «ن».

(٦) في الأصل: عبد الرحمن، والصواب ما أثبتناه.

ابن رواحة، فيقول أحدهما لصاحبه: تعال حتى[1] نؤمن ساعة[2].

فإنما يريدون بذلك تجديد الإيمان بما يتجالسون على ذكر الله، وذكر أياديه ومننه، فكذلك هذا الذي يتردد في صدر هذا الصائم من شهوات النفس التي تفطره، فيردها، ففي كل ردة هو مجدد لإيمانه؛ لأن ذلك سرٌّ بينه وبين ربه، لا يطلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولذلك قال تعالى: «الصَّومُ لي، وَأَنَا أَجزِي بِهِ»[3].

لأنه فيما بينه وبينه، ففي كل ردة من العبد لشهوة تعرض له جزاءٌ من ربه، وهذا شيء لا يدركه الحفظة الكتبة.

وأما قوله: «قامه[4] احتساباً»، فإنما يقوم في صلاته التي لم يفترض عليه، يحتسب بقومته على الله قضاء للعبودة[5] التي لها خلق، فيكتب له أجر العبودة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لاَ أَجرَ لِمَن لاَ حِسبَةَ لَهُ»[6].

فرب رجل يعمل أعمال البر على العادة، لا على يقظة العبودة، ولا يكون

(١) حتى: ليست في «ن».

(٢) تقدم تخريجه في الأصل الثاني والسبعين.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١١٥١)، والترمذي (٧٦٤)، والنسائي (٤/ ١٦٢)، وفي «السنن الكبرى» (٢٥٢٤)، وابن ماجه (١٦٣٨)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٦)، والدارمي في «السنن» (٢/ ٤٠)، وأبو يعلى في «المسند» (٥٩٤٧)، وابن حبان في «الصحيح» (٣٤٢٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٤٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) قامه: زيادة من «ن».

(٥) في الأصل: للعبودية، والصواب من «ن».

(٦) تقدم تخريجه.

له احتساب أن يحتسبها قضاء عن العبودة التي في عنقه.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ حيث قال: «وَفِي غِشْيَانِكَ أَهلَكَ صَدَقَةٌ»، قالوا: يا رسول الله! نأتي شهواتنا ونؤجر؟ قال ﷺ: «أَرَأَيتَ لَو وَضَعتَهَا فِي حَرَامٍ، أَكُنتَ[1] تُؤزَرُ؟»، قال: بلى، قال: «فَتَحتَسِبُونَ بِالشَّرِّ، وَلاَ تَحتَسِبُونَ بِالخَيرِ؟!»[2].

فقد أعلم في هذا الحديث أنه لما زنى، إنما[3] قصد قضاء الشهوة، فاحتسب على النفس بإعطائها منيتها، وقضاء للنفس شهوتها[4]؛ لأنه عبد نفسه، وعبد شهواته، وإذا وضعها في حلال[5]، فأراد العفة عن الحرام، فاحتسب بها قضاءً عن العبودة التي لزمته، وقبلها، أُجِر فيها، وصار ذلك[6] صدقة منه[7] على أهله.

ولذلك قال معاذ لأبي موسى: إني أنام نصف الليل، وأقوم نصفه،

---

(١) في الأصل: كنت، والصواب من «ن».

(٢) أخرجه مسلم (٥٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (ص: ٨٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٠٢٨)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٦٧)، وابن أبي الدنيا في «العيال» (٢/ ٥٧٤)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٥٢٤)، والمروزي في «البر والصلة» (ص: ١٥١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٨٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ١٠٤)، وفي «السنن الكبرى» (٦/ ٨٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) إنما: زيادة من «ن».

(٤) في الأصل: وقضى لنفس شهوة، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في «ن»: حلاله.

(٦) في «ن»: وصارت تلك.

(٧) منه: زيادة من «ن».

فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي[1].

فإنما نام تلك النومة؛ ليأخذ العدة للقومة، فاحتسبَ بالنومة قضاءً عن العبودة التي قبل من ربه أنه إنما خلقه عبداً[2] وخلقه ليعبده، فإذا نام، تلذذ بنوم، وأتى أهله تلذذاً لم يحتسب بها قضاءً عن العبودة، فبطل أجره، وبقيت العبودة في عنقه، فلقي الله، وقد خسر أجر العبودة في ذلك الوقت الذي عطله، فإن شاء الله، عفا عنه، وإن شاء، حبسه للحساب الطويل، والهول العظيم، وإذا مال بهذه الشهوات إلى الحرام، فإنما يقضي عبودة النفس، فما ظنك بعبد خلقه الله تعالى عبداً، وقبل هذا العبدُ هذه العبودة، ثم ذهب فصير نفسه عبداً لنفسه وشهواته، وذهب بعبودته عن الله إليها؟.

ولذلك استوجب اللعنة من رسول الله ﷺ أرحمِ البرية، وأرأفِهم بالأمة[3].

(١٢٩٤) ـ نا بشرُ بنُ هلالٍ الصوافُ، قال: نا عبدُ الوارثِ ابنُ سعيدٍ، عن يونسَ، عن الحسنِ، عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لُعِنَ عَبدُ الدِّينَارِ، لُعِنَ عَبدُ الدِّرهَمِ»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨٨)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٣٥٦)، وابن الجعد في «المسند» (ص: ٩٣)، وابن حبان في «الصحيح» (٥٣٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٠٢)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٢٥)، وأبو الفضل المقرئ في «أحاديث ذم الكلام وأهله» (٣/ ٦٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٤١٤) عن أبي موسى ﷺ.

(٢) في «ن»: لما قبلها بدئاً لما خلقه عبداً.

(٣) بالأمة: ليست في «ن».

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٧٥) من طريق بشر بن هلال، به. =

وزاد غيره في حديثه: «وَلُعِنَ صَاحِبُ الخَمِيصَةِ، وَتَعِسَ وَشِيكَ، فَلاَ انتَقَشَ، حَبَّذَا عَبدُاللهِ، وَعُبَيدُاللهِ»[1].

قال أبو عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

فهذا عار عظيم على مؤمن سمي[2] بعبدالله، ثم صار عبدَ نفسه، وعبد شهوته، وعبد بطنه، وعبد فرجه، وعبد هواه.

(١٢٩٥) ـ نا الفضلُ بنُ محمدٍ، قال: نا إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ يوسفَ الفريابيُّ، قال: نا عمرُو بنُ بكرٍ، قال: نا أبو بكرٍ محمد[3] بنُ عبدِ الواحدِ الأفطسُ، عن أبيه عبدِ الواحدِ بنِ قيسٍ، قال: سمعتُ أبا أمامةَ يقول: قال رسولُ الله ﷺ[4]: «إِنَّمَا لاِمرِئٍ مَا احتَسَبَ، وَعَلَيهِ

= وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أيضاً أتم من هذا وأطول.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٠)، وابن ماجه (٤١٣٦)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٤١)، وفي «السنن الكبرى» (٩/ ١٥٩) من طريق أبي هريرة ﷺ، بلفظ: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي، رضي، وإن لم يعط، سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك، فلا انتقش».

(٢) في الأصل: المؤمن ينتمي، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: أبو بكر بن محمد، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول.

مَا اكتَسَبَ، وَالمَرءُ مَعَ مَن أَحَبَّ، وَمَن مَاتَ عَلَى[1] ذُنَابَى طَرِيقٍ، فَهُوَ مِن أَهلِهِ»[2].

قال أبو عبدالله:

فقد كشف لك هذا الحديث عما قلنا: أن ما احتسب قضاءً للعبودة[3]، فهو له، وما لم يحتسب ذلك، ولكن[4]، اكتسب، فهو عليه؛ لأن الكسب فعل الأركان، والاكتساب فعل الذات، فإذا كان فعل الذات اكتساباً، لم يكن احتساباً[5]؛ لأن اكتساب الذات للنفس[6]، فإذا جاء الاحتساب، ذهب الاكتساب؛ لأن الاكتساب حظ النفس، تكتسب اتباع الهوى فيما تقضي النفس من مناها، وشهواتها، ولذاتها، فذاك عليه، فإذا جاء الاحتساب من قوة القلب بذكر العبودة مع النية الصادقة، فبتلك النية تحول العمل، فصار لله، لا للهوى، وكذلك الاحتساب الذي يحتسب به على الله قضاء للعبودة[7]،

---

(١) على: ساقطة من الأصل، وزدتها من «ن».

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢/ ٦٨٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٤٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ١٥٢) من طريق إبراهيم بن محمد بن يوسف، به.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٨١): أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، و«المعجم الأوسط» باختصار، وفيه عمرو بن بكر السكسكي، وهو ضعيف.

(٣) في «ن»: عن العبودة.

(٤) ولكن: زيادة من «ن».

(٥) في «ن»: احتساباً لم يكن اكتساباً.

(٦) في «ن»: بالنفس.

(٧) في الأصل: العبودة، والصواب من «ن».

لا قضاء النهمة والشهوة، وقال في تنزيله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة: ٢٨٦].

فإنما صار لها ما كسبت؛ لأن بدو الكسب حسبة[1]، ثم خرج إلى الأركان، فصار كسباً للقلب، والاكتساب في الذات، تكتسب[2] النفس لهواها[3] ما[4] أورد الهوى به عليها من باب النار من تلك الشهوات التي حفت النار بها.

❐ ❐ ❐

(١) في «ن»: حسنة.

(٢) في الأصل: تكسب، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: بهواها، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: وما.



الأصل الخامس والأربعون والمئتان

(١٢٩٦) ـ نا صالح بن محمد، قال: نا عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، قال: سمعت أبا هريرة يقول: «أَوصَانِي حَبِيبِي[1] أَبُو القَاسِمِ ﷺ بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِن كُلِّ شَهرٍ، وَأَن لاَ أَنَامَ إِلاَّ عَلَى وِترٍ، وَرَكعَتَي الضُّحَى»[2].

---

(١) في «ن»: خليلي.

(٢) أخرجه ابن الجعد في «المسند» (ص: ٤٩١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٢١٨) من طريق عبد الحميد بن بهرام، به. إلا أنهما قالا: «وركعتي الفجر» بدل: «ركعتي الضحى».

وأخرجه الجرجاني في «تاريخ جرجان» (ص: ٣٢٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٥٥) من طريق شهر بن حوشب، به.

وأخرجه الترمذي (٧٦٠)، والنسائي (٤/ ٢٠٤)، وفي «السنن الكبرى» (٢٧١٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٥٠٥)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٧٤)، وإسحاق ابن راهويه في «المسند» (١/ ٤١٦)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٢/ ٢٢٧)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٢٦٦) من طرق عن أبي هريرة ﷺ.

(١٢٩٧) ـ نا عمر بن أبي عمر قال: نا إسحاق بن إبراهيم بن يزيد القرشي، قال: نا خالد بن يزيد المري، قال: حدثني العلاء بن الحارث، عن مكحول، عن كثير، قال أبو عبدالله رحمه الله: وهو ابن مرة عندي ـ، عن أبي الدرداء، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا عُوَيْمِرُ، حَافِظْ عَلَى أَن لاَ تَبِيتَ إِلاَّ عَلَى وِترٍ، وَرَكعَتَي الضُّحَى، مُقِيماً أَو مُسَافِراً[١]، وَصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّام مِن كُلِّ شَهرٍ، تَستكمِلِ الزَّمَانَ كُلَّهُ ـ أو قال ـ: تَستَكمِلِ الدَّهرَ كُلَّهُ»[٢].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالعبد: محسوب عليه عمره، معدود له أنفاسه، مقتضياً منه العبودة[٣] في[٤] هذا العمر في كل نفس، فأمر بالجملة، فقبلها، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وقبول ما جاء به الرسول ﷺ من عنده على صدق الاعتقاد من قلبه،

---

(١) في «ن»: مقيماً ومسافراً.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٨/ ١٤٠) من طريق إسحاق بن إبراهيم بن يزيد القرشي، به.
إلا أنه سقط عنده: كثير بن مرة.
وعزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٥/ ٣٦٠) للحكيم الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) في «ن»: للعبودة.

(٤) في الأصل: منه في، والمثبت من «ن».

ثم اقتضى ما قبل مجملاً في جميع عمره سنةً سنة، وشهراً شهراً، ويوماً يوماً، وساعةً ساعة، ونفساً نفساً، فمنه ما اقتضي في وقت دون وقت، ومنه ما اقتضي في الأوقات كلها.

فأما ما اقتضي في وقت دون وقت، فالفرائض، وأما ما اقتضي في الأوقات كلها، فالعبودة في كل نفس، فأجمل الله تعالى بعطفه وكرمه للعباد أمراً أجمل به العبودة، كي إذا فعلوها، استكملوا الدهر كله عبودة، فدلهم لعبودتهم في النهار على ركعتي الضحى بعد أداء الفرائض، واجتناب المحارم، فإذا أدى فرضه من صلاة الفجر، انتظر طلوع الشمس، وتحليل الصلاة، فإذا أضحت، صلى ركعتين على سبعة أجزاء، بسبع جوارح مقسومة على هذه الأجزاء بما ضمت[1]، وحسبت[2] على ثلاث مئة وستين جزءاً؛ ليخرج إلى الله من صدقة النفس، وذلك قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ عَلَى كُلِّ آدَمِيٍّ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَسِتِّينَ سُلاَمَى، عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنهَا صَدَقَةٌ، رَكعَتَا[3] الضُّحَى تُجْزِئُكَ مِن ذَلِكَ كُلِّهِ»[4].

فهذه صلاة يومه للعبودة.

وأما صيام ثلاثة أيام من كل شهر: فالحسنة بعشر أمثالها، فاليوم

---

(١) في «ن»: ضمنت.

(٢) في الأصل: وحشيت، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: وركعتي.

(٤) أخرجه مسلم (٧٢٠)، وأبو داود (١٢٨٦)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٦٧)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٢/ ٢٢٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٩٤) من حديث أبي ذر ﷺ.

الواحد بعشرة أيام، فصيام ثلاثة أيام من كل شهر هو ستة وثلاثون يوماً للسنة كلها، والسنة ثلاث مئة وستون يوماً، فقد صار العبد في جميع عمره صائماً، وبركعتي الضحى[1] في جميع عمره قائماً، هذا في نهاره[2]، فأما في ليله، فالفوز بصلاة الوتر، فإذا كان صائماً قائماً في نهاره، وبوتره فائزاً، فقد استكمل الزمان كله، كما قال رسول الله ﷺ.

فهذه دلالة لله لأهل السعادة على ما به يستكملون[3] العبودة بعد أداء الفرائض، واجتناب المحارم، فمن داوم على هذا، كان اسمه في ديوان الصائمين، القائمين، الفائزين، وهو طاعم، شارب، ونائم، ذلك ليعلم يُسْر[4] الله لهذه الأمة، ورفع الحرج عنهم في دينهم، وسماحته فيما اقتضاهم مما له خلقهم.

فأما شأن الوتر: قال الله تعالى[5]: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الذاريات: ٤٩].

إن الزوجين متضادان متنافيان، ينفي أحدهما الآخر؛ مثل: الليل والنهار، والنور والظلمة، والحر والبرد، والرطب واليابس، فيتذكرون بأن لا أحد يزاوجني أو يضادني، وأنا الفرد الوتر، ثم خلق الأشياء على محبوب الوترية واحداً وثلاثاً وخمساً وسبعاً، فالعرش واحد، والكرسي واحد، والقلم

---

(١) في «ن»: وبركعتي الفجر.

(٢) في «ن»: نهاره كله.

(٣) في «ن»: يستكملوا.

(٤) في «ن»: بشرى.

(٥) في «ن»: وأما شأن الوتر، فإن الله ﷻ قال.

واحد، واللوح واحد، والدار واحدة[1]، والسجن واحد، وأبواب الدار سبعة، ثم زيد في العدد واحـد لمحمد ﷺ: باب الرحمة، وهو باب التوبـة، وهو أصل الأبواب.

وأبواب السجن سبعة، وعمال الله مقسومون على سبعة أجزاء، وأهل النار مقسومون على سبعة أجزاء، وظلال الآدميين سبع، وهي السموات، ومهادهم سبع، وهي الأرضون، والأيام سبعة، وخلق الآدميين من سبع، وأرزاقهم من سبعة، وعبودتهم على سبع جوارح.

ثم افترض على العباد من الصلوات خمساً، فالخمس وتر، وعدد ركعاتها سبعة عشر، وهن وتر، وأم القرآن وتر[2]، وهي سبع آيات، وأدنى القراءة[3] وتر، وهي آية، وأدنى التسابيح في الركوع والسجود وتر، وهي ثلاث، وركعة وسجدتان وتر، وفرض الحج في يوم تاسع ذي الحجة، وفرض الزكاة في كل مئتي درهم خمسة دراهم، والعشرة[4] من كل عشر واحدة[5]، وافترض على العباد حفظ سبع جوارح، وجعل التقوى في سبع، وأسماؤه التي هي حظوظ العباد وتر تسعة وتسعون اسماً، والقلب وتر، وخالقه وتر.

فأظهـر الله محبوبه في هذه الأشيـاء، وفي عامة الأشياء اقتصرنا علـى ما ذكرنا، فجعل الله للعباد في ليلهم ـ بعد أداء فرائضهم ـ الوتر[6] في

---

(١) في الأصل: واحد، والصواب من «ن».

(٢) وأم القرآن وتر: ليست في «ن».

(٣) في الأصل: القرآن، والمثبت من «ن».

(٤) في «ن»: والعشور.

(٥) في «ن»: واحد.

(٦) في «ن»: بعد أداء فرائضهم في صلاة الوتر.

الركعة الثالثة التي هي وتر[1] موقفاً، فهما موقفان: موقف في كل سنة في تاسع ذي الحجة، وموقف في كل ليلة بعد صلاة العشاء في الركعة التي وسمها بالوترية، تلك ركعة عليها سمة الله تعالى بأن فضلها[2] على الأعمال، فموقف الحج نطق به لسان الكتاب، وموقف الوتر نطق به لسان الرسول ﷺ.

وفي كل موقف نصه الله لعباده على[3] لسان الكتاب، أو على لسان الرسول، فللعباد في ذلك الموقف من الله نوال، وقُرات[4] عين لا يخطر على قلب بشر، وإن ذهب الواصف يصفه من طريق الحكمة، عجز عنه؛ فإن الله تعالى لم يشر للعباد إلى شيء إلا ولهم فيه نوال موضوع، فكيف إذا أشار لهم إلى الوقوف[5] بين يديه؟

فقد كتب عليهم الخمس المفروضات غياثاً لهم، وليطفئوا بها[6] حريقهم، وما من صلاة يدخل وقتها إلا قال أهل السماء: يا بني[7] آدم! قوموا إلى نيرانكم، فأطفئوها.

فصرن هذه الخمس مكتوبات، والعهد في الكتاب، وليس شيء من الفرائض كمثلها[8]، فإذا وافوا عرضة الثواب بالعهود التي خرجت لهم من في

---

(١) في «ن»: الوتر.

(٢) في «ن»: يفضلها.

(٣) في الأصل: نصه الله على.

(٤) في «ن»: وقرة.

(٥) في «ن»: الموقف.

(٦) في الأصل: به، وما أثبتناه من «ن».

(٧) في الأصل: يا ابن، والصواب من «ن».

(٨) في «ن»: كمثله.

مواقيت الصلوات، جاء العبيد بالعهود، فأوجب لهم الجنة، ثم كان من عطف الله الجليل أن زادهم بجود جلاله هذه الصلاة بعد صلاة العشاء، وسنَّ لهم على لسان الرسول ﷺ فيها موقفاً يدخلون في ذلك الموقف على الله بالتكبير المجدد، فيكون كمن دخل الدار، ثم تخطى من الدار إلى محل الملك من السرير، والمجلس بين يديه واقفاً يرفع إليه رغباته، ويعتذر إليه من عمل نهاره، ومن تقصيره وتفريطه، ويفتقر إلى الله، ويبتئس، ويتمسكن، ويتخشع، ويتضرع، ويتعوذ من الأهوال، والأخطار التي هو عليها، فإنما استأنف التكبير، ورفع اليدين في الركعة[1] الثالثة، وهو في الصلاة؛ لأنه انتقل[2] من موقف إلى موقف أجلَّ منه، فالصلوات الخمس تكفير لسيئاتهم.

في[3] ذلك الموقف من الوتر: نوال يملأ منه[4] رغباتهم، ومركز يجدون فيه سعاداتهم[5]، فالنوم بعد النوال أفضل من أن يؤخرها إلى آخر الليل، وإذا أوتر أول الليل، عرجت نفسه إلى الله في منامها مع الفوز بالنوال والمعاد، فترجع مع المزيد، فلذلك أوصاه رسول الله ﷺ أن لا ينام إلا على وتر.

وكان أبو بكر ﷺ يوتر قبل أن ينام، فقال له رسول الله: «مَتَى تُوتِرُ يَا أَبَا بَكرٍ؟»، قال: أول الليل أحرزت نهبي، وأبتغي النوافل، قال: «أَخَذتَ بِالحَزمِ»، وقال لعمر ﷺ: «مَتَى تُوتِرُ يَا عُمَرُ؟»، قال: آخر الليل،

---

(١) في الأصل: ركعة، والصواب من «ن».

(٢) في «ن»: لأنه قد انتقل.

(٣) في «ن»: وفي.

(٤) في الأصل: منهم، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في «ن»: معاداتهم.

قال: «أَخَذتَ بِالقُوَّةِ»[1].

فالحزم احتياط وثقة.

والقوة ملك[2] النفس، ومدد الوكالة.

فأبو بكر لاحظ كنه الوتر، وعمر لاحظ الساعة التي يؤدى فيها الوتر، ولم يلاحظ الكُنه.

ألا ترى إلى قول أبي بكر حيث قال[3]: أحرزت نهبي، فصيَّر موقف الوتر موقفاً فيه نِثار وغنيمة، فينتهبه، فما ظنك بنثار الله وغنمه[4]؟! ثم يبتغي فيما بقي من الليل نوافل الرب، وعمر ﷺ ذهب إلى الساعة التي آثرها الله تعالى من ساعات الليل، فهبط[5] إلى السماء الدنيا، واطلع إلى عباده وناداهم، وهي ساعة اهتزَّ لها العرش، واشتغلت الملائكة في صفوفها، وانقطعت صلواتهم لما رأوا من هبوط الرب إلى السماء الدنيا، سماء العبيد، واطلع إليهم، وناداهم.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «الصحيح» (٢/ ١٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٤٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٥) من حديث أبي قتادة ﷺ.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وله شاهد بإسناد صحيح.
وأخرجه ابن ماجه (١٢٠٢)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٣٠)، والطيالسي في «المسند» (ص: ٢٣٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٨٠)، وأبو يعلى في «المسند» (١٨٢١) من حديث جابر بن عبدالله ﷺ.

(٢) في الأصل: تملك، وما أثبتناه من ن.

(٣) في «ن»: يقول.

(٤) في «ن»: وغنيمته.

(٥) في الأصل: فيهبط، والصواب من «ن».

فإنما سبى قلب عمر هذا المعنى حتى لهى عن نهب موقف الوتر، فاستكمل أمة محمد ﷺ شأن دين الإسلام، وشأن العبودة بعد أداء الفرائض، واجتناب المحارم بهذه الثلاث خصال حتى وفرت العبودة لهم.

فصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وهو ستة وثلاثون يوماً، محسوب لهم كل يوم بعشرة، فذلك ثلاث مئة وستون يوماً، فهم السنة كلها صيام.

وأن لا ينام إلا على وترٍ حتى ينال في ذلك الموقف نثار الله ونهب العبيد.

وركعتي الضحى حق السلامى، وهي ثلاث مئة وستون مفصلاً، فموقف الحج موقف المباهاة، وموقف الإسلام.

ألا ترى أنه يقال: حجة الإسلام وقف العبد ليسلم إليه رقبته عبودة؛ ليتخذه عبداً، فيباهي[1] الله به[2] في سمائه، وهبط إلى سماء العبيد؛ ليطلع إليهم، ويباهي بهم ملائكته.

والمباهاة: أن يريهم بهاء الإسلام الذي على عبيده في تسليمهم النفوس إليه معتذرين باكين، متضرعين ملقين بأيديهم سلماً، رافعي أيديهم إليه طمعاً، فيقول للملائكة: انظروا إلى عبيدي، فتلك المباهاة[3].

وموقف الوتر: موقف هدايا المعرفة، ومزية الإسلام[4]، ورحمة العامة، فهدايا المعرفة في هذا الموقف للأولياء والأصفياء، ومزية الإسلام للصادقين المجتهدين، والرحمة للعامة، تخرج لهم من تلك الرحمة

---

(١) في «ن»: فباهى.

(٢) به: ساقطة من الأصل، وزدتها من «ن».

(٣) في الأصل: المباهاة هم، والصواب إسقاطها كما في «ن».

(٤) جاء في «ن» هنا، وفي الموضع التالي: وحرمة الإسلام.

بركات وعصمات، ويتجدد[1] عليهم دينهم، فسمي ذلك الموقف: قنوتاً؛ لأنه قنت لربه بما هيأ له من الموقف في مقامه؛ لأن المقام للصلاة، والموقف للركعة الثالثة، والقنوت للموقف، وهو بمنزلة بيت في بيت، والجواهر في البيت الأقصى، وحشو ذلك القنوت رغبة العبد، وعلى قدر الرغبة يخرج من العبد ثناءه على ربه، ومحامده له، وذكر آلائه، وبث مننه، ونشر صنائعه، واعترافاً بمساوئه، وتوبة إليه، واعتذاراً إليه، وتنصلاً[2] بالاستغفار، وترضياً وتملقاً وتضرعاً، واستعاذة بالمعاذ، واختتاماً بالكلمة التي بها يستجاب، ويجاب مما خص الله به هذه الأمة، وحسدتنا عليه اليهود من أنه أعطى نبيهم موسى وهارون عليهما السلام، ولم يعطوا، وأعطى محمد عليه السلام، وأعطينا معاشر الأمة كرامة لمحمد عليه السلام.

وروي عن رسول الله: أنه قال: «أَمَرَني جبريلُ عليه السلام، وَلَقَّانِي عِندَ فَرَاغِي مِن فَاتِحَةِ الكِتَابِ: آمِينْ، وَعِندَ الدُّعَاءِ، وَقَالَ: إِنَّهُ كَالطَّابِعِ عَلَى الكِتَابِ».

(١٢٩٨) ـ نا عمر بن أبي عمر، قال: نا عبد الملك ابن مسلمة القرشي، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ، بذلك[3].

---

(١) في «ن»: وقوات ويتجدد.

(٢) في «ن»: متصلاً.

(٣) إسناد المصنف ضعيف جداً، فشيخه عمر ضعيف، وقال ابن حجر مرة: واهٍ، وعبد الملك بن سلمة ضعيف، يروي المناكير كما في «الجرح والتعديل» (٥/ ٣٧١)، ثم حال ابن لهيعة في الضعف مشهور، والله أعلم.

(١٢٩٩) - **نا عمر بن أبي عمر، قال: نا أبو عمير بن النحاس الرملي[١]، عن محمد بن يوسف الفريابي، قال: حدثني صبيح بن محرز[٢] الحمصي، قال: حدثني أبو مُصبِح المقرائي، قال: كنا نجلس إلى أبي زهير النميري، وكان من الصحابة، فيتحدث بأحسن الحديث، فإذا دعا رجل[٣] منا بدعاء، قال: اختموا بآمين؛ فإن آمين في الدعاء مثل الطابع على الصحيفة.**

قال أبو زهير: وأحدثكم عن ذلك: خرجنا مع رسول الله ﷺ ليلة نمشي، فأتينا على رجل في الخيمة قد ألحف في المسألة، فوقف رسول الله يستمع منه، فقال: «إِن خَتمَ، فَقد أَوجبَ»، فقال له رجل: بأي شيء يختم؟ فقال: «بِآمينَ؛ فَإِنَّه مَن خَتمَ بِآمينَ، فَقد أَوجبَ»، فانصرف الرجل الذي سأل رسول الله ﷺ، فأتى الرجل وقال: يا فلان! اختم بآمين وأبشر[٤].

قال: فإذا ختم الدعاء بآمين، صار الدعاء كالكتاب مطوياً مصوناً[٥] عن

---

(١) في الأصل: أبو عمير بن البكاء بن الرملي، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل، و«ن»: محمود، والصواب ما أثبتناه.

(٣) في «ن»: الرجل.

(٤) أخرجه أبو داود (٩٣٨)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ ١١٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٢٩٦)، وفي «الدعاء» (ص: ٨٩) من طريق محمد بن يوسف الفريابي، به.

(٥) في «ن»: صار الدعاء مطوياً كالكتاب، مصوناً.

الآفات، وعن تناوله واطلاع ما فيه، وإنما ختم الكتاب؛ لئلا ينشره أحد، ولا يطلع فيه أحد، وصعد[1] إلى الله بالختم مطوياً عن جميع الخلق، فأجاب.

وذلك أن الكريم قد[2] قال لعبيد[3] هذه الأمة خاصة من بين الأمم: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر: ٦٠]، وإنما كان يقال هذا للأنبياء ـ عليهم السلام ـ، فأعطيت هذه الأمة، ولم يعط أمة قبلنا.

(١٣٠٠) ـ نا بذلك أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن صالح بن محمد، عن محمد بن عبد الرحمن، عن عباد بن كثير، عن ليث، عن شهر ابن حوشب، عن عبادة بن الصامت، عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «أُعطِيتْ هَذهِ الأُمَّة مَا لم يُعطَ أَحدٌ: قَولُهُ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾، وَإنَّما كَانَ يُقالُ هَذا لِلأنبيَاءِ ـ عَليهمُ السَّلامُ ـ، وَقولُهُ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾[الحج: ٧٨]، وَإنَّما كَانَ يُقالُ هَذا لِلأنبِيَاءِ، وقولُهُ تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٤٣]، وَإنَّما كَانَ يُقالُ هَذا للنَّبِيِّ: أَنتَ شَهيدٌ عَلى قَومكَ»[4].

---

(١) في «ن»: ولا يطلع عليه، فيكون الختم صيانة لما فيه من الآفات، فإذا دعا العبد، وختم بآمين، فقد صانه عن أن يطلع عليه أحد، وصعد...

(٢) قد: ليست في «ن».

(٣) في الأصل: لعبيده، وما أثبتناه من «ن».

(٤) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٢/ ٧٨) للحكيم الترمذي عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. =

قال أبو عبدالله ﵀:

فإنما أعطاهم آمين، وخزنها عن سائر الأمم؛ لأنه قد سبق منه القول بالخصوصية لأمة محمد ﷺ أن قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وفيهم ما فيهم من قلة الشكر، وقلة الوفاء، وكثرة التخليط والاستخفاف بأمر الله، والإعراض عن حق الله، فلو لم يعطهم الختم حتى يختموا دعاءهم بآمين فيصير الختم مانعاً[١] لجميع الخلق بين العبيد وبين الله إلى العرش من الهواء، والسحاب، والشمس، والقمر، والنجوم، والرياح، والجنود التي في الهواء، وما وراء ذلك في السموات إلى العرش، فكان ممر دعائنا إلى العرش إلى محل الدعاء ومعدن الإجابة، والقضاء على هؤلاء كلهم، فكان[٢] لا يخلو من أن يتعرض متعرض لإفساد ذلك حميةً لله؛ لأن[٣] هؤلاء الخلق كلهم مطيعون، فإذا مرَّت دعوة العصاة عليهم، لم يؤمن أن يرموا فيها شيئاً يكون فيه فساد[٤]، فذلك منهم حق.

وقد جاء[٥] في الأخبار عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ عَلَى أَبوَابِ السَّمَاءِ حُجَّاباً[٦] يَرُدُّونَ أَعمَالَ أَهلِ الكِبرِ وَالحَسَدِ وَالغِيبَةِ»[٧].

= وأخرج نحوه عبد الرزاق في «التفسير» (٣/ ٤١) عن قتادة.

(١) الختم مانعاً: زيادة من «ن».

(٢) في «ن»: وكانوا.

(٣) في «ن»: فإن.

(٤) في «ن»: فساداً.

(٥) في «ن»: جاءنا.

(٦) في «ن»: حجاب.

(٧) لم أجد من ذكره إلا المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٥٠٠) ضمن شرحه معزواً للحكيم الترمذي.

(١٣٠١) ـ نا الفضل بن محمد، قال: نا سلم[1] بن يحيى الطائي، عن الحسن بن ذكوان، عن أخيه أيوب، عن الحسن، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ العَبدَ لَيَقُولُ: يَا رَبِّ! اغفِرْ لي، وَقَد أَذنَبَ، فَتَقُولُ المَلاَئِكَةُ: يَا رَبِّ! إِنَّهُ لَيسَ لِذَلِكَ بِأَهلٍ، قَالَ اللهُ تَعَالى: لَكِنِّي أَهلٌ أَن أَغفِرَ لَهُ»[2].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فهؤلاء الملائكة فمن دونهم في هذا الجو يشتد عليهم ما يكون من هؤلاء الآدميين، فلما سبقت من الله هذه الكرامة والخصوصية لأمة محمد عليه السلام من إعطائهم[3] ما أعطي الأنبياء من قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ومنع الأمم كلها، وأعطاهم كلمة الختم، وهي آمين؛ لتصعد دعوتهم إليه مختومة، لا يطلع على ما فيها أحد، حتى لا يجد أحد من هؤلاء سبيلاً إلى التطعن[4] فيها، ودعوة كل رجل من الأمة إنما

---

(١) في «ن»: مسلم.

(٢) عزاه المتقي الهندي في «كنز العمال» (١/ ٢٤٣) للحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن أنس رضي الله عنه.

وقد تقدم هذا الإسناد في الأصل الثاني والمئة، فقال: حدثنا الفضل بن محمد، قال: حدثنا سلم بن يحيى الطائي، قال: حدثنا سويد بن عبد العزيز، قال: حدثنا نوح ابن ذكوان، عن أخيه أيوب، عن الحسن، مرسلاً. وهو الصواب.

(٣) في «ن»: من أن أعطاهم.

(٤) في «ن»: الطعن.

تخرج على قدر ما عنده من قوة القلب في الدعاء، فرب دعاء من داع يخرج مع نور وافر بمنزلة شمس تطلع، ودعاء يخرج مع تقصير، فنوره بمنزلة قمر يطلع، ودعاء يخرج مع تقصير كثير، فنوره بمنزلة كوكب، فإنما تفاوت دعاء الموحدين وتباين؛ لاختلاف مخارجه من المعادن.

ألا ترى أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ القُلُوبَ أَوعِيَةٌ، وَبَعضُهَا أَوعَى مِن بَعضٍ، فَإِذَا دَعَوتُمُ اللهَ، فَادعُوهُ وَأَنتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ؛ فَإِنَّ اللهَ لَن يَستَجِيبَ دُعَاءً عَن ظَهرِ قَلبٍ غَافِلٍ»[1].

فظَهرُ القلب: هو دعاء قد تعلمه، فهو يدير الكلمات بمضغة لسانه في حنكه، وفي لهاته، وليس عنده وراء ذلك شيء إلا تلك الإرادة التي في القلب يبتغي بها خيراً من عند ربه، وهو لا يدري ذلك الخير، وهو عنده كالجزاف غير مفتقر إلى تلك الحاجة، فهو كصبي[2] لقن شيئاً،

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٧) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.
وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٢١) من حديث صفوان بن سليم رضي الله عنه.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٨): رواه أحمد، وإسناده حسن.
وله شاهد مختصر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه الترمذي (٣٤٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٧٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٢١١)، وفي «الدعاء» (ص: ٣٩)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ٦٢) بلفظ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه».
وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، سمعت عباساً العنبري يقول: اكتبوا عن عبدالله بن معاوية الجمحي؛ فإنه ثقة.
وقال الحاكم: هذا حديث مستقيم الإسناد، تفرد به صالح المري، وهو أحد زهاد أهل البصرة، ولم يخرجاه.

(٢) في «ن»: كسكران.

فتلقن[1]، نطق من غير عقل، أو كسكران لقن شيئاً، فالتقن[2] فليس لكلام الصبي والسكران بالٌ عند الخلق، ولا عبوء[3] به، إلا أن الكريم لما علم إرادة الخير من الداعي، أعطاه على ذلك أجراً، إن دعاه[4] على رجاء أن ينال منه معروفاً.

فأما الاستجابة: فهو بعيد منها؛ لأنه لم يخرج منه الدعاء على الجد والاجتهاد، ولو كان ذلك منه جداً، لترك الإباق من ربه بالذنوب، والمعاصي، والبطالات، والإكباب على الدنيا، والاستخفاف بحق الله، وبداره، وبيوم الحساب، وبوعده، ووعيده، ومواعظه، والموت الذي جعله آية من آياته يأتيه عياناً، فإذا نفسه ملقاة تغط غطيط البكر المخنوق حتى يفارق الروح الجسد، فالآبق يأبق في دار الدنيا من مولاه[5]، ويدعو في حال إباقه، ويراسله، فيستوجب المقت من سيده؛ لأنه في صورة المستهزئين بسيدهم.

فالكريم الجواد واسع لعبيده الذي عاد[6] عليهم بأعظم الأشياء، وهي المعرفة، فلم يترك هذا العبد خالياً صفر اليدين إذا مد يديه إليه حتى يأجره على ذلك؛ لأنه سبحانه[7] دعا العبيد إلى أن يأتوه بقلوبهم، فيقرعوا الباب

---

(١) في «ن»: أو كصبي.

(٢) قوله: أو كسكران لقن شيئاً فالتقن: ليس في «ن».

(٣) في «ن»: عنوا.

(٤) في الأصل: دعا.

(٥) في «ن»: من مولاه في دار الدنيا.

(٦) في «ن»: جاء.

(٧) سبحانه: ليست في «ن».

بالدعاء، فهذا الذي أوقر نفسه، وأثقل ظهره من الخبائث، صار كسلاناً لحماً، ودماً، ملقًى بالأرض، وخيماً، جلفاً، جافياً، فيعلم على ألسنة الناس هذه الدعوات ملتمساً بها من عنده نوالاً، لا عن فاقة وافتقار، خرجت من جوفه تلك الكلمات، ولا علم بالبيان[1]، وإن كان أعلم الناس باللغة، فهو عالم بالكلمات[2] من طريق اللغة، جاهل بغور الكلمة، جاهل بمعدنها، جاهل بوضعها[3].

فلو قال: اغفر لي، لم يدرِ ما المغفرة، وإن سئل عن ذلك، قال: المغفرة حط الذنوب، وهو جاهل بها.

وإن سئل عن قوله: اعفُ عني، لم يدرِ ما العفو، وقال: هو أن لا يؤاخذني بذنبي، فأنت تسأله عن تفسير العفو، وهو يجيبك عما يحدث عن العفو.

وإن قال: استرني، لم يدر ما الستر، وإن أثنى، لم يدر ما ذلك الثناء، وإن مدح، لم يدر ما ذلك المدح، وإن حمد، لم يدر ما ذلك الحمد، فهو عارف باللغة، بصير بالعربية، جاهل بالمعنى، أعمى عن حشو المعنى، فصاحب هذا لا يصيب في دعائه جداً ولا اجتهاداً، واليقين منه بعيد، وإنما يدعو عن ظهر قلب، فهذا عبد يجاب ولا يستجاب، وإنما يجاب؛ لأنه مؤمن، فالإجابة للمؤمنين، والاستجابة للجادين المجتهدين[4]، المفتقرين،

---

(١) في «ن»: ولا علم ما سأل.

(٢) في «ن»: بالكلمة.

(٣) في «ن» زيادة: جاهل ببابها جاهل بنوبها جاهل بوقتها جاهل بموضعها.

(٤) المجتهدين: ليست في «ن».

المرتعبين، المتبائسين[1]، المتمسكنين، المتخشعين[2]، الموقنين.

(١٣٠٢) ـ نا الفضل بن محمد، قال: نا هشام بن خالد الدمشقي، قال: نا بقية، قال: نا محمد بن سعيد، عن عبادة بن نسي، عن عبد الرحمن بن غنم، قال: بينا[3] نحن جلوساً يوماً عند معاذ بن جبل، إذ دعا بدعاء لم أسمع أحداً يدعو بمثل[4] دعائه، فقلت له: رحمك الله يا أبا عبد الرحمن! لو علمتني بعض ما تدعو به، فقال: لو كنت أعلم لك فيه خيراً، كنت علمتك، قال[5]: سبحان الله! لم لا تعلم لي فيه خيراً؟ قال: لأن رسول الله ﷺ كان يدعو بالدعاء الكثير، الحسن الجميل، الذي لا يستطيع أحد أن يقول مثله، فقلت له يوماً: يا رسول الله! لو علمتني بعض ما تدعو به، فقال رسول الله ﷺ: «لَو أَعلَمُ لَكَ فِيهِ خَيراً[6]، لَعَلَّمتُكَ»، قلت: سبحان الله يا رسول الله! لم لا تعلم لي

---

(١) في «ن»: المرتغبين، المبتئسين.

(٢) في «ن»: الخاشعين.

(٣) في «ن»: بينما.

(٤) في «ن»: مثل.

(٥) في «ن»: قلت.

(٦) في الأصل: خيرات، والصواب من «ن».

فيه خيراً؟ قال: «لأَنَّ أَفضَلَ الدُّعَاءِ مَا خَرَجَ مِنَ القَلْبِ بِجِدٍّ وَاجتِهَادٍ، فَذَلِكَ الَّذِي يُسمَعُ وَيُستَجَابُ، وَإِن قَلَّ»[1].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فالجد: أن يقف العبد بقلبه في محل الدعاء، والاجتهاد: افتقار[2] القلب إلى الله، وتباؤس النفس، فذاك منه جهد، وإنما شرط الله تعالى الإجابة للداعين في تنزيله، فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة: ١٨٦].

فهذه إجابة تلبية، وهو قول رسول الله ﷺ: «إِذَا قَالَ العَبدُ: يَا رَبِّ! قَالَ اللهُ: لَبَّيكَ»[3].

فهذه إجابة الرب تعالى.

وأما الاستجابة، فقال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]، ثم بين في آية أخرى لمن الاستجابة، فقال: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾[الشورى: ٢٦][4].

---

(١) عزاه السيوطي في «الجامع الصغير» (ص: ١٠٢٧) للحكيم الترمذي عن معاذ رضي الله عنه. في سنده محمد بن سعيد المصلوب، قال في «التقريب» (ص: ٤٨٠): كذبوه، وقال أحمد بن صالح: وضع أربعة آلاف حديث، وقال أحمد: قتله المنصور على الزندقة، وصلبه.

(٢) في الأصل: وافتقار، وما أثبتناه من «ن».

(٣) تقدم تخريجه في الأصل الثاني والثمانين والمئة، والمثبت من «ن».

(٤) في «ن»: ثم قال: ﴿وَيَزِيدُهُم . . .﴾[الشورى: ٢٦].

فوعد الله الاستجابة والمزيد لهؤلاء.

فأما ما ذكرنا من قنوت الوتر فإنه[1] ينبغي أن يكون مع ما يجد من الرغبة والجد على أدب وهيئة، فإن لكل أدب ثمرة، ولكل هيئة زينة، وأحق ما يفتقد العبد هذه الآداب.

وهذه الهيئة في هذا الموقف الذي ذكرنا أنه من الله هدية لهذه الأمة خاصة، فيبدأ بمدائحه، ثم ثناء عليه، وتنزيهاً له، ثم محامده، وذكر آلائه، وبثِّ[2] مننه، ونشر صنائعه، والاعتراف بالمساوئ، والتوبة إليه، والاعتذار منها إليه، والتنصل والاستغفار والترضي، والتملق[3]، والتضرع، والاستعاذة بالمعاذ، والاختتام بآمين.

وسألتموني أن أنسق لكم ذلك على ما تهيأ[4]، ويوفق الله بإذنه، فقد أجبتكم إلى ذلك:

اللهم يا قديم، يا أبد يا أبديّ[5]، يا دائم يا ألله يا رب يا حي يا قيوم[6]، يا قدير، يا قادر، يا واحد، يا فرد، يا وتر، يا أحد، يا صمد، يا ماجد، يا كبير، يا عظيم، يا جليل، يا حميد[7]، يا علي، يا عالي، يا أعلى يا متعال، يا حق يا مبين، يا سبوح يا قدوس يا قيوم، يا نور يا منير،

---

(١) في الأصل: أنه، والصواب من «ن».

(٢) في الأصل: وبينة، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: الملق، والصواب من «ن».

(٤) في «ن»: يتهيأ.

(٥) في الأصل: بدئ، وما أثبتناه من «ن».

(٦) يا قيوم: ليست في «ن».

(٧) في الأصل: يا جميل، وما أثبتناه من «ن».

يا ملك يا عزيز، يا جواد يا رحمن يا رحيم، يا سلام يا مؤمن يا مهيمن، يا وهاب يا علام يا قوي، يا كريم يا لطيف، يا حنان يا منان، يا قريب يا مجيب يا تواب، يا أول يا آخر، يا ظاهر يا باطن، يا عفو يا غفور، يا ودود يا شكور يا حليم، يا رؤوف يا جبار يا قهار، يا خالق يا بارئ يا مصور، يا شهيد يا وكيل يا كفيل، يا كافي يا بديع يا حسيب، يا مبدئ يا معيد يا رزاق يا فتاح، يا حكم يا عدل يا قاضي، يا من له المثل الأعلى في السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم.

يا ذا الأمثال العلى[1]، والأسماء الحسنى، يا ذا المن والطول، والآلاء الكبرى، يا من علا فقهر، يا من ملك فقدر، يا من نظر فجبر، يا من أمات وأحيا، يا قريباً[2] غير بعيد، يا شاهداً غير غائب، يا غالباً[3] غير مغلوب، يا من على العرش وقاره، وفي الحجب جلاله، وفي السموات ضياؤه، وفي الجنة رحمته، وفي النار سلطانه، وفي المقادير أمره، وفي النور بهجته، وفي الروح برهانه، وفي البحر سبيله، وفي القبور قضاؤه، وفي الأرض موطئه، التسبيح لجلالك، والحول لقوتك، والكبرياء لعظمتك، والجلال[4] لمهابتك، والجبروت لعظمتك، والتهليل لعلمك، والرضا[5] لأمرك، من حمدك فبنعمتك[6]، ومن عبدك فبقدرتك، ومن أطاعك فبمنك،

---

(١) في «ن»: والعلى.

(٢) في «ن»: قريب.

(٣) في «ن»: غالب.

(٤) لعظمتك والجلال: ليست في «ن».

(٥) في «ن»: والجلال لمهابتك والرضا.

(٦) في الأصل: فنعمتك، وما أثبتناه من «ن».

ومن أدى فرائضك فبعطيتك[1]، ومن امتنع من سوء فبعصمتك، أنت الأول فلا شيء قبلك، وأنت الآخر فلا شيء بعدك، وأنت الظاهر فلا شيء فوقك، وأنت الباطن فلا شيء دونك، يا منيع القدرة، يا لطيف المنحة، يا عزيز النصرة، يا قريب الرحمة، يا واسع المغفرة، يا عريض البركة، يا فارج الكربة، يا قابل التوبة، يا مجيب الدعوة، يا مقيل العثرة.

سبحانك عدد خلقك، سبحانك زنة عرشك، سبحانك مداد كلماتك، سبحانك رضا نفسك، سبحانك وبحمدك منتهى علمك، سبحانك عدد ما علمت، سبحانك ملءَ ما علمت، لك الحمد بجميع محامدك كلها، على جميع نعمائك كلها، على جميع خلقك كلهم، لك الحمد حمداً يوافي نعمك، ويكافئ مزيدك، لك ذلك الحمد إليك، لك الحمد حمداً يفضل[2] على كل حمد كفضلك على جميع خلقك، لك الحمد كما ينبغي لكرم وجهك وعز جلالك، ونور كبريائك على حلمك بعد علمك، وعلى عفوك بعد قدرتك، وعلى جميع مننك، وعلى جميع إحسانك، وعلى جميع عطاياك، وعلى جميع نعمك علينا وعلى جميع خلقك، لا إله إلا أنت الحليم الكريم، لا إله إلا أنت العلي العظيم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، وتبارك الله الذي لا إله إلا هو، لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين.

---

(١) في «ن»: فبعظمتك.

(٢) في «ن» زيادة: ويكافئ مزيدك، لك الحمد الذي حمدت به نفسك، لك الحمد أحب الحمد إليك، لك الحمد لا يتسع له شيء، لك الحمد حمداً لا يحبِط به أحدٌ لك الحمد حمداً يفضل...

اللهم تم نورك فهديت فلك الحمد، وعظم حلمك فعفوت فلك الحمد، وبسطت يدك فأعطيت فلك الحمد ربنا، وجهك أكرم الوجوه، وجاهك خير الجاه، وعطيتك أنفع العطايا وأهنؤها، تطاع ربنا فتشكر، وتعصى ربنا فتغفر، تجيب دعوة[1] المضطر، وتكشف السوء، وتنجي[2] من الكرب، وتشفي من السقم، وتغفر الذنب، وتقبل التوبة، لا يجزي بآلائك أحد، ولا يحصي نعماءك[3] قول قائل: لا إله إلا أنت.

اللهم صل على محمد صلاة زكية[4] تبلغه الدرجة الوسيلة، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، إني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، إلهاً واحداً أحداً صمداً فرداً[5] باقياً أبداً[6]، تباركت يا ذا الشرف والسلطان، والبسطة التي بها ترحم[7] العباد، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، وأنك إن تكلني إلى نفسي تقربني إلى الشر، وتباعدني من الخير.

---

(١) دعوة: ليست في «ن».

(٢) في الأصل: تنجوا، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: نعماءك أحد، والمثبت من «ن».

(٤) في «ن»: زاكية.

(٥) في «ن»: أبدياً فرداً.

(٦) في «ن»: أبداً أبداً.

(٧) في «ن»: التي ترحم بها.

وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعل رحمتك لي عندك عهداً تؤديه إلي يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، وأنا عبدك، فارحمني، واغفر لي، أنت الغفور الرحيم، لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، وأنا عبدك فارحمني[1] إنك أنت[2] أرحم الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، وأنا عبدك، فتب علي إنك أنت التواب الرحيم.

اللهم إني عبدك وابن[3] عبدك وابن[4] أمتك وفي قبضتك، ناصيتي بيدك، عدلٌ فيَّ حكمك، ماضٍ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل حق هو لك، وبكل اسم سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وشفاء ما في صدري، وذهاب همي وجلاء أحزاني.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا، ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، وأزواجنا وللمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات[5] أصلحْهم وأصلحْ ذات بينهم، وألِّف بين قلوبهم، وأنزل عليهم رحمتك، واجعل في قلوبهم الإيمان والحكمة، وأوزعهم أن يشكروا نعمتك التي أنعمت عليهم،

---

(١) من قوله: واغفر لي أنت. . . ، إلى قوله: فارحمني: ليس في «ن».

(٢) أنت: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: ابن.

(٤) في «ن»: ابن.

(٥) في «ن»: وأزواجنا وذرياتنا وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات.

وأن يوفوا لك[1] بالعهد الذي عاهدتهم عليه، وثبتهم على ملة رسولك، إلهَ الحق ربَّ العالمين.

ربنا[2] اغفر لنا ذنوبنا، وكفِّر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك، ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ربنا توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً، ربنا[3] هب لنا إسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، وانصرنا على أنفسنا، وعلى من ظلمنا وبغى علينا، وأرنا ثأرنا فيهم.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرَّة أعين، واجعلنا للمتقين إماماً، ربنا أوزعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمت علينا وعلى آبائنا وأمهاتنا، واجعلنا نعمل صالحاً ترضاه، وأصلح لنا في[4] ذرياتنا، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت، اللهم اشرح لنا صدورنا،

---

(١) في «ن»: وأن يتوبوا إليك.

(٢) في «ن»: اللهم.

(٣) في «ن»: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، ربنا هب.

(٤) في: ليست في «ن».

ويسر لنا أمورنا، وحسِّن أخلاقنا، ونور قلوبنا، وارزقنا تقواك الذي هو تقواك[1]، وارزقنا توبة نصوحاً تديمها لنا إلى يوم لقائك، وافتح لنا طريقنا إليك، وخذنا من نفوسنا إليك، وثبتنا على طاعتك بين يديك، وتب علينا، تبارك الله الذي لا إله إلا هو.

اللهم ارزقني إيماناً دائماً، وديناً قيماً[2]، ويقيناً صادقاً، وعلماً نافعاً، ورزقاً واسعاً طيباً، وعملاً متقبلاً، وثباتاً على أمرك، وعزيمة على الرشد، وشكرَ نعمتك، وذكرَك وحسنَ عبادتك، تبارك الله الذي لا إله إلا هو.

اللهم ارزقني قلباً خاشعاً، شاكراً، سليماً، صالحاً، ولساناً ذاكراً، وبدناً على طاعتك صابراً، تبارك الله الذي لا إله إلا هو.

اللهم فرغ فؤادي لذكرك، وأَغن قلبي عن مفاقر الدنيا، واجعل علانيتي صالحة، واجعل سريرتي خيراً من علانيتي، وارزقني الراحة عند الموت، والمعافاة عند الحساب، والنجاة[3] من النار، تبارك الله الذي لا إله إلا هو.

اللهم ارزقني صدق اليقين، وصدق الورع، وصدق الحرص على البر والتقوى[4]، وصدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، والتوفيق لمحابك من الأعمال، وكفاية كل مؤنة في الدنيا، وكل هول دون الجنة حتى تبلغنيها برحمتك، تبارك الله الذي لا إله إلا هو.

---

(١) في الأصل: تقويك، وما أثبت من «ن».

(٢) وديناً قيماً: ليست في «ن».

(٣) في «ن»: فالعفو والنجاة.

(٤) قوله: وصدق الحرص على البر والتقوى: ليس في «ن».

اللهم أذقني برد عفوك، وحلاوة رحمتك، وأعني على آخرتي بمنك، وأعني على دنياي بتقواك، وهب لي قوة في طاعتك، وفقهاً في دينك، وزهادة فيما زهَّدْت فيه أولياءك، ورغبة فيما رغَّبتهم فيه، والعافية في قدرك[1]، والسعة من طيب رزقك، تبارك الله الذي لا إله إلا هو.

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وبارك لي فيهما، واجعل حياتي زيادة لي في كل خير، واجعل وفاتي راحة لي من كل شر، واجعل خير أعمالي خواتيمها[2]، وخير عمري آخره، وخير أيامي يوم ألقاك، واجعل نفسي لك[3]، مطمئنة، تؤمن بلقائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك، تبارك الله الذي لا إله إلا هو.

اللهم بك أنزلت فقري ومسكنتي، وأنا لمغفرتك ورأفتك ورحمتك راجٍ، اللهم اغفر لنا فإنك بنا عالم، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر، وارزقني[4] الهدى والتقى والعفة والغنى، ودوام العافية[5] وتمام العافية، وشكر العافية، وأجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، تبارك الله الذي لا إله إلا هو.

اللهم استرنا وأجرنا، وانصرنا وارزقنا خير الدنيا وخير الآخرة، واصرف عنا شر الدنيا وشر الآخرة[6]، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها،

---

(١) في الأصل: والعافية قدرك، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: خواتمها.

(٣) في «ن»: به.

(٤) في «ن»: وارزقنا.

(٥) في «ن»: والعافية ودوام العافية.

(٦) في «ن»: وشر ما في الآخرة.

وأحرز[1] لنا ديننا، وسلمه لنا، وتقبله منا، تبارك الله الذي لا إله إلا هو.

اللهم اصرف عنا الهم والغم والحزن، والسقم والجوع والعري، والذل والضغائن والفواحش ما ظهر منها وما بطن، تبارك الله الذي لا إله إلا هو.

اللهم اجعلني ممن يخاف مقامك، ويخاف وعيدك، ويرجو لقاءك، ويذكر أيامك، واجعل لنا عندك وليجة وزلفى وحسن مآب، ولا تنزع مني صالح ما أعطيت، فإنه لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، تبارك الله الذي لا إله إلا هو.

اللهم أقلنا عثراتنا، وآمن روعاتنا، واستر عوراتنا، واكفنا ما أهمنا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا، واجعلهما[2] الوارث منا، وأعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا[3]، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا، تبارك الله الذي لا إله إلا هو.

اللهم آت نفسي تقواها، وزكها فأنت[4] وليها ومولاها وخير من زكاها، أنت تحول بين المرء وقلبه، فحل بيني وبين كل شيء ينقضني عندك، تبارك الله الذي لا إله إلا هو.

اللهم ارزقنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن

---

(١) في الأصل: آزر، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن»: واجعلها.

(٣) في «ن» زيادة: ولا مبلغ علمنا.

(٤) في «ن»: أنت.

طاعتك ما تبلغنا رضوانك[1]، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا[2]، تبارك الله الذي لا إله إلا هو.

أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، جل وجهك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، يا عظيم يرجى لكل عظيم فاغفر لنا، واستجب لنا دعاءنا، وأعطنا سؤلنا، واقض حوائجنا، تبارك الله الذي لا إله إلا هو.

أعوذ بك من النار، أعوذ بك من عذاب القبر، أعوذ بك من شر فتنة المحيا والممات، أعوذ بك من فتنة الصدر، أعوذ بك من شتات الأمر، أعوذ بك من زوال النعم، أعوذ بك من فجأة النقم، أعوذ بك من العمى بعد الهدى، أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأن أشرك بك وأنا لا أعلم، وأستغفرك من جميع ذلك.

اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء، وأعوذ بك من فظيع البلاء[3]، وأعوذ بك من درك الشقاء، وأعوذ بك من شماتة الأعداء، وأعوذ بك من أن أقترف سوءاً أو أجُرَّه إلى مسلم، وأعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، وأعوذ بك مما استعاذ بك منه[4] عبادك الصالحون، وأسألك من خير ما سألك منه عبادك الصالحون، تبارك الله الذي لا إله إلا هو، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار آمين رب العالمين.

---

(١) قوله: ومن طاعتك ما تبلغنا رضوانك: ليس في «ن».

(٢) في «ن» زيادة: ومن طاعتك ما تبلغنا به رضوانك.

(٣) في «ن»: القضاء.

(٤) منه: ليست في «ن».

فهذا الذي نسقناه لكم من الدعاء بعد قولنا[1]: إنا نستعينك ونستغفرك[2] ونؤمن بك، ونثني عليك الخير كله[3] نشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك[4]، اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إن عذابك بالكفار ملحق.

اللهم عذب الكفرة، وخالف بين كلمتهم، وأنزل عليهم رجزك وعذابك، وبأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين.

اللهم قاتل كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، ويجحدون آياتك، ويجعلون معك إلهاً، لا إله إلا أنت، تباركت وتعاليت عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(١٣٠٣) ـ نا أبي رَحِمَهُ الله، قال: نا الفضل بن دكين، عن سفيان، عن جابر، عن أبي معمر، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبدالله، قال: وجب القنوت في الوتر على كل مسلم[5].

❐ ❐ ❐

---

(١) في «ن»: من الدعاء قوله.

(٢) في «ن»: ونستغفرك ونستهديك ونتوكل عليك.

(٣) الخير كله: زيادة من «ن».

(٤) في «ن»: يكفرك.

(٥) إسناد المصنف ضعيف، جابر الجعفي ضعيف، تركه الأئمة، وشيخه لم يتبين لي من هو.

وانظر: «مختصر كتاب الوتر» للمقريزي (ص: ١١٩).



(١٣٠٤) ـ نا عمر بن أبي عمر العبدي، قال: نا مسلم ابن إبراهيم، عن الحارث بن عبيد الإيادي، قال: نا مسلم ابن شقير اليشكري، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو[١] بن حزم، عن مالك بن أوس، قال: خطبنا أبو بكر الصديق ﷺ، فقال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَوَّذُوا باللهِ مِن خُشُوعِ النِّفَاقِ»، قيل: يا رسول الله! وما خشوعُ النفاق؟ قال: «خُشُوعُ البَدَنِ، وَنِفَاقُ القَلْبِ»[٢].

---

(١) في الأصل: عمر، والصواب من «ن».

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٦٤) من طريق مسلم بن إبراهيم، به. إلا أنه لم يذكر مالك بن أوس في سنده.

والحارث بن عبيد فيه ضعف، وشيخه لم أجد له ترجمة. انظر: «تهذيب الكمال» (٥/ ٢٥٨).

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٨٤) للحكيم الترمذي، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي بكر الصديق ﷺ.

(١٣٠٥) ـ نا صالح بن محمد، قال: نا سليمان بن عمرو، عن محمد بن عجلان، عن المقبري، عن أبي هريرة: أن رسـول الله ﷺ رأى رجـلاً يعبث بلحيتـه في الصـلاة، فقال ﷺ: «لَو خَشَعَ قَلبُهُ، لَخَشَعَت جَوَارِحُهُ»[١].

قال أبو عبدالله رحمه الله:

فخشوع القلب من المعرفة، فكلما كان أوفر حظاً من العلم بالله، ومن المعرفة بآلائه[٢] كان أخشع، فأثقال المعرفة حلت بالقلب، فأدت القلب إلى ثلاث: خشعة، وخضعة، وذلة.

فالذلة: الحذر، والخضعة: اللين، والخشعة: الانكسار والانحناء، فهذه صفة القلب.

وأما صفة النفس تحت أثقال القلب، فلها الخمود مكان ذلة القلب، والانثناء[٣] مكان الخضعة، والتهافت والتناثر كالرمل مكان الخشعة، كما وصف الله تعالى في كتابه الجبال فقال: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾[المزمل: ١٤]، أي: رملاً ينهار ويتساقط، فإذا صارت النفس هكذا، وصار القلب كما وصفنا بدءاً[٤]، فقد لزمه اسم الخشوع على الحقيقة، وذلك قوله تعالى:

---

(١) تقدم تخريجه في الأصل السابع والأربعين والمئة، فانظره.

وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢/ ٢٦٦)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ١٩٤) من قول سعيد بن المسيب رحمه الله.

(٢) في «ن»: بالدنيا.

(٣) في «ن»: والانتباه.

(٤) بدءاً: ليست في «ن».

﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾[طه: ١٠٨]، ذهب الصوت، وقوة ذرو الكلام.

وقال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ﴾[فصلت: ٣٩]؛ أي: ساقطة هامدة، فمن لم يكن في قلبه تراكم أثقال المعرفة، فيخشع بأركانه، فذاك نفاق؛ لأنه تماوت وهو حي، فالتماوت مراءاة ونفاق، مرة يرائي الله، فيبتغي عنده قبولاً ومدحاً، ومرة يرائي عبيده يبتغي جاهاً عندهم ومدحاً، فيتخشع وليس بخاشع.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ عندما رآه يعبث في صلاته ذكر خشوع قلبه يعلمك أن الخاشع: «إِذَا قَامَ بَينَ يَدَي اللهِ لاَ يَتَفَرَّغُ لِلعَبَثِ فِي الصَّلاَةِ»[1].

وأنه كما انتصب لله جسده في الظاهر، فقد انتصب قلبه في الباطن، وكما رمى ببصره في الظاهر حيث يقع من الخلقة، وكذلك رمى ببصر قلبه إلى المقام الذي رتب له إن كان من أهل المرتبة، وإلا ففي متعبده إن لم يكن من أهل المرتبة.

قال له قائل: وأين المراتب، وأين المتعبد؟.

قال: الصديقون في مراتبهم من العرش على أصنافهم: عسكر دون العرش، وعسكر على العرش، وعسكر في الملكوت، والخاصة في ملك الملك بين يديه، فأبصار قلوبهم هناك، وأبصار وجوههم في مواقع الخلقة.

قيل له: وما موقع الخلقة؟.

---

(١) تقدم تخريجه.

قال: إن العبد إذا قام على الخلقة، ثم رمى ببصره على الخلقة، فإنما يقع من الأرض بمكان لو خر ساجداً، لوقعت جبهته على تلك البقعة[1]، ولم يقصر عنها[2]، وإذا ركع، فرمى ببصره على الخلقة، فإنما يقع على موضع القدمين، وإذا سجد، فرمى ببصره، فإنما يقع على موضع الصدر، وإذا قعد للتشهد[3]، فإنما يقع على رأس ركبتيه وطرف فخذيه، فهذا كله رميٌ بالبصر حيث وقع ليس فيه تكلف ولا استعمال للبصر، وإنما الاستعمال في وقت النظر، فهذا رميٌ خرج من سلطان البصر وليس بناظر، والقلب رامي ببصره حيث وصفنا من العلى في مراتبهم مراتب الأولياء والصديقين، ومن لم يكن من أهل المراتب، ففي متعبده.

والمتعبد: هو بيت العزة حيث استقر القرآن في وقت نزوله جملةً في شهر رمضان في السماء الدنيا، فذاك محل التعبد، فمنها قبلوا القرآن بما فيه من العبودة، علم العباد هذه الصفة، أو لم يعلموا، فإنهم داخلون في هذا الباب، كما تجد المسلمين كلهم قد دخلوا في الميثاق يوم استخرجهم من الأصلاب، علموا أو لم يعلموا، فإنما يجزون وتجزى أرواحهم وعقولهم بتلك الأشياء التي مرت وسبقت.

فوجدنا الصلاة ثلاث مراتب عليها رتب أهل الصلاة، وقد ذكرهم الله في تنزيله تعالى، فمحافظون، ومداومون، وخاشعون، فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[المعارج: ٣٤]، ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[المعارج: ٢٣]،

---

(١) في «ن» زيادة: على تلك البقعة التي لو كان قائماً، فرمى ببصره، لم يَعْدُ تلك البقعة.

(٢) في الأصل: عنه، والصواب من «ن».

(٣) في «ن»: للتشهد فرمى ببصره.

فوعدهم عليها الكرامة في الجنة، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ﴾[المعارج: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾[المؤمنون: ١ ـ ٢]، فوعدهم على ذلك الفلاح.

والفلاح[1]: اسم ينتظم الكرامة والترقي في الدرجات، والأخذ من الجنة بغير حساب، والأثرة في دار الله، فالمحافظة على الوقت، والمداومة على استعمال الأركان بحدودها في الصلاة، وهو أن لا يلتفت في وقت الانتصاب، ولا يتمايل[2]، ويسكن الجوارح، ولا يستعمل منه شيئاً إلا بضرورة وعلة من مثل التراوح على إحدى القدمين، ومثل[3] حك شيء من جسده، ومثل[4] ذباب مؤذي، أو بعوضة تشغله عن الصلاة، فتلك ضرورةٌ، أو بزاق أو مخاط، فهذه كلها علل يعذر فيها، فإذا ركع، سوَّى ظهره بركوعه[5]، فيكون مقدمه كمؤخره، وإذا سجد، خَوَّى وجَخَّى.

فالتخوية: لإعطاء كل مفصل وعضو حظه من الانتكاس للسجود.

والتجخية: توقياً للانبساط؛ ليكون كهيئة الساجدين، لا كهيئة المنبطحين على الأرض ببطونهم وصدورهم؛ فإن تلك ضجعة أهل النار على وجوههم، فإذا جخى، توقَّى تلك الهيئة وتلك الصورة، وإذا خَوَّى أراد تركيب السجود بعضاً على بعض، فإنما سمي سجوداً؛ لتركب الأعضاء

---

(١) في «ن»: فالفلاح.

(٢) في الأصل: ولا يمايل، والصواب من «ن».

(٣) في الأصل: ومثلاً، وما أثبتناه من «ن».

(٤) في «ن»: مثل.

(٥) في «ن»: ركوعه.

بعضها بعضاً[1]، فإذا رفع رأسه، لم يعد إلى السجدة الأخرى حتى يستوي، ويرجع كل عضو إلى مكانه، وإذا سجد، فرفع رأسه، لم يعد إلى السجود حتى يعود[2] قاعداً كما كان، ويرجع كل عضو إلى مكانه[3]، فذلك إتمام الركوع والسجود، وإذا قعد، جثا على ركبتيه، وانتصب اليمنى منه، وافترش اليسرى معتمداً بجلسته[4] عليه، فالمداومة على الصلاة ما وصفنا.

وأما الخشوع: فهو على القلب، ومن عندِه يُبتغى، فإذا لم يكن هناك، فليس ذاك بخشوع، إنما هو مداومة، فالمحافظة من الخشية، والمداومة من الخوف، والخشعة من التجلي، فإذا خشي القلب، حافظ، وإذا خاف، داوم، وإذا خشع، فالأركان مستعملة منقبضة[5]، ثم تتحول صفات الخشعة على اختلاف صور الأفعال فيها، فأولها خشعة في صورة الأسر، ثم بعدها خشعة الخدم، ثم من بعدها خشعة العبودة، ثم من بعدها خشعة الرق، ثم من بعدها خشعة الحمد، ثم من بعدها خشعة التعلق، ثم من بعدها خشعة الخضوع والملق مع الأمل، ويتشهد في جلسته؛ لأنه قد جعل للأحباب السبيل إلى ذلك، وقال في تنزيله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[غافر: ٦٠].

---

(١) في الأصل: لتركيب الأعضاء بعضها على بعض، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في الأصل: تعوده، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٣) من قوله: وإذا سجد. . . إلى قوله: إلى مكانه: ليس في «ن».

(٤) في الأصل: بجلسة، وما أثبتناه من «ن».

(٥) في «ن»: في القبضة.

(١٣٠٦) ـ نا محمد بن بشار، قال: نا معاذ بن معاذ، وسهل بن يوسف، وابن أبي عدي، قالوا: حدثنا شعبة، عن عبد ربه بن سعيد، عن أنس بن أبي[1] أنس، عن عبدالله ابن نافع بن العمياء، عن عبدالله[2] بن الحارث، عن المطلب بن أبي وداعة، عن رسول الله ﷺ، قال: «الصَّلاةُ مَثنَى مَثنَى، وَتَشَهُّدٌ فِي كُلِّ رَكعَتَينِ، وَتبَؤُّسٌ، وَتَمَسْكُنٌ، وَتَقَنُّعٌ بِيَدَيكَ، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ، اللَّهُمَّ، فَمَن لَم يَفعَل ذَلِكَ، فَهُوَ خِدَاجٌ»[3].

(١٣٠٧) ـ نا محمد بن حسين، قال: نا نعمان بن بشير، عن ابن المبارك، قالا: نا[4] الليث بن سعد، قال: أخبرني عبد ربه بن سعيد، عن عمران بن أبي أنس، عن

---

(١) أبي: ليست في الأصل، وما أثبتناه من «ن».

(٢) في «ن» عبيد الله.

(٣) أخرجه الدارقطني في «السنن» (١/ ٤١٨) من طريق محمد بن بشار، به.
وأخرجه أبو داود (١٢٩٦) من طريق معاذ بن معاذ عن شعبة، به.
وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٤٤١)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٦٧)، والطيالسي في «المسند» (ص: ١٩٥)، وابن الجعد في «المسند» (ص: ٢٣٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١/ ٣٥٦)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٢/ ٢٢٠)، وابن عدي في «الكامل في الضعفاء» (٤/ ٢٢٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٨٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٣٢٦) من طريق شعبة، به.

(٤) في «ن»: أنبأنا.

عبدالله بن نافع، عن ربيعة بن الحارث، عن الفضل بن العباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّلاةُ مَثنَى مَثنَى، تَشَهُّدٌ في كُلِّ رَكْعَتَين، وَتضَرُّعٌ، وَتخَشُّعٌ، وَتمَسْكُنٌ[1]، ثمَّ تَقنُّعٌ بيَدَيكَ يَقولُ: تَرفَعُهَا إِلى رَبِّكَ مُستَقبلاً بِبطُونهمَا وَجْهَكَ وَتقولُ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ! فَمن لم يَفعلْ ذَلك، فَهوَ خِداجٌ»[2].

قال أبو عبدالله:

فقوله: «تَبؤُّس» مأخوذ من البؤس، وهو أن تفتقر إلى ربك افتقار من كان تراباً، فخلق بشراً، والتبؤس والتخشع قريبٌ أحدهما من الآخر.

---

(١) قوله: تشهد في كل ركعتين وتضرع، وتخشع، وتمسكن: ليس في «ن».

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص: ٤٠٤)، وفي «المسند» (ص: ٣٢).
ومن طريقه أخرجه الترمذي (٣٨٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦١٥)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢١١).
وقال الترمذي: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: روى شعبة هذا الحديث عن عبد ربه بن سعيد، فأخطأ في مواضع، فقال: عن أنس بن أبي أنس، وهو عمران بن أبي أنس، وقال: عن عبدالله بن الحارث، وإنما هو عبدالله بن نافع بن العمياء عن ربيعة ابن الحارث، وقال شعبة: عن عبدالله بن الحارث عن المطلب عن النبي ﷺ، وإنما هو عن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، عن الفضل بن عباس، عن النبي ﷺ.
قال محمد: وحديث الليث بن سعد هو حديث صحيح؛ يعني: أصح من حديث شعبة.
وأخرجه البزار في «المسند» (٦/ ١١٠)، وأبو يعلى في «المسند» (٦٧٣٨)، وابن خزيمة في «الصحيح» (٢/ ٢٢١)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٣١٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٢٩٥)، وفي «المعجم الأوسط» (٨/ ٢٧٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٨٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٨/ ٣٢٥) من طريق الليث، به.

فهرس الأصول

الأصـــــــل	الصفحة

❒ ❒ ❒